صفحات من تاديخ مصر

(11)

تاريخ مصر اليح الحديث

مَع فزْلِكت فِي مَارِيخ مصْرالقَريم

اُلْحِجُهُ زِّعِ الأَوِّكِ

تأليفً جَرِّجِي زيتيدَان

الناشر: مَكتَ بِهُ مدبوليت القاهرة)

صَفحات مِنْ تَــَارِيخٍ مصْر (()

النخ مُضِّ النيْثِ

من الفتح الاسلامي الى الآن

مع نذلكة في تاريخ مصر القديم

→□□ **←**

تأليف

جرجی زیدان

منشىء الهلال

الجزء الاول

من الفتح الاسلامي الى آخر دولة المهاليك الثانية وفي اوله فذلكة الناريخ القديم

> الناشر م<mark>ڪتبت مدبولئ</mark> ۱۹۹۹

جَمَــثيع التُحقوق تحفوظة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

مكتبة مدبولي .. ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت: ٥٧٥٢٨٥ .. تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

فاتحت الكتاب

للطبعة الاولى

- داً لمن جعل اقاصيص الاواين عبرة للآخرين . أما بعد فلا ازيد اتمارى علماً بحد التاريخ ولا بما له من المنزلة الرفيعة بين سائر العاوم ولا بما يترتب على الاقبال علمه من اصلاح الشؤون . وانما اكتني بكونه اكثر ارتباطاً بمصالح خاصة الناس منه بمصالح عامتهم . فقادة التمدن ورجال السياسة وكبار المصلحين احوج الى معرفته من سائر افراد الامة . ولذلك رأينا ولاة الامور على اختلاف الازمان والاحوال يصرفون العناية في مطالعته وتفهم خفاياه ويبذلون النفيس في استطلاع مكنوناته وجم شظاياه فتكاد لا ترى مورخاً من القدماء الا وقد أوعز اليه ولي الامر او من جرى مجراه ان يضع في التاريخ كتاباً . بل كثيراً ما رأينا من ولاة الامور انفسهم من ألف فيه كتباً فير مبال بما يقتضيه ذلك من تجشم المشاق ولا مستنكف من ان يقول الناس انه اعتنى عاهو دون مقامه

ذلك كان شأن هذا العلم في الازمنة الخالية يوم لم يكن يتيسر لضعيف مثلي ان يطرق بابه او يخوض عبابه لقصر باعه عما يحتاج اليه في ذلك من المادة التي تمتنع الا على الملوك او المقرَّبين منهم

أما الان فما يتباحث فيه الملوك صباحاً في مؤتمراتهم السرية باقاصي المغرب لايأتي عليه الضحىحتى يذيع بين الصانع والتاجر في اقاصي المشرق. والفضل في ذلك لاسلاك البرق وصحف الاخبار التي لم تغادر بين الخاصة والعامة حجاباً. فلا غرو والحالة هذه اذا تجرأ من كان عاجزاً مثلي على ان يضع في مثل ذلك كتاباً

ولما كانت المملكة المصرية من اقدم المالك تمدناً واكثرهــا حوادث وطوارى،

ومحناً لكثرة ما تداول عليها من الدول المتباينة نزعة ولغة ووطناً كانت اجدرها بتدوين تاريخها عبرة للذين يمتبرون

و بما ان تاريخها بعد الفتح الاسلامي اكثر ارتباطاً بمحالتها الحاضرة من تاريخها قبله كان اكثر فائدة واحوج الى الندوين وهذا ما ندعوه بتاريخ مصر الحديث

وقد قام من كتبة العرب وافاضلهم كثيرون اعتنوا بالكتابة عن مصر وتاريخها القديم الحديث وسيأتي ذكرهم وذكر موثلاتهم في الجزء الاول من هذا الكتاب عند الكلام عن مصادر تاريخ مصر الحديث . واحدث هذه الموثلات «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها و بلادها القديمة والشهيرة » تأليف العلامة الفاضل صاحب السعادة علي باشا مبارك ذاظر عموم العارف جمله عشرين جزءا كبيراً وهو من التآليف التي لا يقدم على كتابتها الا اصحاب الهمم العالية والمعارف الواسعة . وقد كان عليه معتمدي واليه مرجعي في كثير من المواضيع ولا سيما فيما يتعاق بالشوارع والجوامع

ومن الغريب اني لم ارّ بين المؤرخين الذين كتبوا عن مصر من اعنى بوضع تاريخ لها مستوف على اسلوب قريب من فهم العامة ورضى الخاصة تتعاقب فيه الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بالدولة الاسلامية عموماً وسائر الدول المعاصرة . واغرب من ذلك اني لم ارّ بين مدارس القطر السعيد من اميرية وغير اميرية مدرسة تعتني بتدريس هذا التاريخ الذي هو تاريخ بلادها . ولعل السبب في ذلك عدم وجود الكتب الموضوعة على اسلوب مناسب للتدريس

وقد رأيت الناس يالهجون باحتياج البلاد الى مثل هذا التاريخ . فاخذت على الفسي مع علمي بعجزي ان ابذل الجهد في سد هذا العوز معتمداً على اصح الروايات واصدق الكتبة من ثقات المشرق والمغرب ماتزماً في كل ذلك صحة النقل وانتقاء اصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الاحكام العقلية واغفال كل ما هو مقول بغير قياس من النقاليد والخرافات

وقد عنيت اتماماً لمعدات التأليف بتفقد الآثار العربية بنفسي باذن من نظارة الاوقاف الجليلة. فزرت معظم جوامع القاهرة وضواحيها ولا سيما ما كان منها قديماً

كجامع عمرو وجامع ابن طرنون والجامع الازهر وجامع السلطان حسن وجامع السلطان برقوق وجامع قايت باي وجامع الغوري وغيرها . وزرت ما هنالك من البنايات القديمة كالقلمة وما جرى مجراها وتسلقت ما صعب مسلكه منها ولا سيما اسوار القاهرة القديمة وابوابها كباب النصروباب الفتوح وباب الشعرية وغيرها . ومن هذه الاماكن ما قد تداعت اركانه وصعب الصعود اليه الا بالمخاطرة . فكثيراً ما كنت اخاطر بحياتي لهذه الغاية . ومن الآثار العربية التي تفقدتها ما عدا الجوامع والمشاهد والتكيات والشوارع قصر الشمع او دير النصارى في مصر القديمة ودار التحف العربية في جامع الحاكم بشارع النحاسين وغير هذه من الاماكن في القاهرة وضواحيها كالقناطر الخبرية وغيرها

اما الآثار المصرية القديمة فقد تفقدتها كلها ايضاً ولا سبا ما هو منها في مصر العليا مبتدئا من اهرام الجيزة بجوار القاهرة الى ما ورا، وادي حلفا آخر حدود مصر فزرت خرائب سقارة واسنا وطبية والكرنك وبيبان الماوك وجبل السلسلة وانس الوجود وابا سنبل وغيرها . ومثل ذلك آثار مصر السفلى مبتدئاً بالمطرية فانريب فنيرها . وفي مصر العليا فضلاً عن الآثار المصرية القديمة آثار استحكامات و بنايات بناها الماليك أو غيرهم في حال محاربتهم حكومة البلاد او دفاعهم عنها

كل هذه الاماكن تفقدتها جيداً اتماماً لمعدات الثاليف. ولما توفرت لدي المواد اللازمة باشرت تأليف هذا الكتاب ودءوته « تاريخ مصر الحديث ، من الفتح الاسلامي الى هذه الايام. ثم رأيت ان الفائدة لا تتم الا اذا جملت في مقدمته ملخص تاريخ مصر القديم ربطاً للحوادث بعضها ببعض و بتزيينه بالرسوم والخارطت وايضاحات اخرى . فجاء بحمد الله كتاباً في جزئين كبيرين وهاك ملخص ما تضمنه :

١ فذلكة في تاريخ مصرالقديم من أول عهدها الى الفتح الاسلامي

ع تاريخ مصر الحديث من الفتح الأسلامي الى هذه الآيام وهو مقسوم الى دول تحتها خلافات او سلطنات أو امارات مرتبة حسب ازمات حكمها فيبدأ بدولة الخلفاء الراشدين فبني امية فالمباسيين وهكذا حتى العائلة المحمدية العلوية الحاضرة وفي الكتاب زهاء مائة رسم بينها رسوم الجناب العالي والمغفور له محمد علي

باشا والخديوي السابق و بونا برت ورعمسيس الثاني وتحوتمس الثالس وامنوفيس الثالث وغيرهم. و بين هذه الرسوم أيضا معظم النقود الاسلامية ولا سيما المضروبة في مصر منذ صدر الاسلام الى اليوم. ورسوم اخرى كحجر رشيد وآلمة المصريين وخرائب المطرية وانس الوجود وادفو وغيرها

ع وفي ذيل الكتاب جدول عام لاسماء الذين تولوا مصر من الامراء والخلفا والسلاظين والباشوات من الفتح الاسلامي الى اليوم مرتبة حسب ازمان حكمهم و بجانب ذلك عدد الصفحة التي ذكرت فيها تولياتهم من هذا الكتاب . ثم اذا كانوا امراء أو ولاة يذكر بازاء ذلك اسماء الخلفاء أو السلاطين الذين تولوا البلاد باسمهم

وفي : قد جعلت الكتاب فضلاً عن الرسوم المتقدم ذكرها اربع خارطات وهي : اولاً خارطة مدينة القاهرة كما هي الان . ثانياً خارطة ، صر السفلى . ثالثاً خارطة مصر العليا . رابعاً خارطة القطر المصري قبل الفتح الاسلامي

وقد عنيت في ضبط هذا التاريخ وربط حوادثه جهد الطاقة مغفلاً كثيراً من الروايات التي ترجح فسادها بعد النظر والتروي متحاشياً الالفاظ المستهجنة والتعبيرات المعقدة ما أمكن متخذاً افضل اسلوب تفهده العامة وترضاه الخاصة بنير اخلال ولا املال . واجياً من اصحاب النقد ان ينظروا اليه بعين الرضى اذ العصمة للهوحده سبحانه وتعالى

يقال في الامثال د من الف فقد استهدف فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استقذف ، اما انا فان احسنت فان الفضل لافاضل الكتبة وثقات الرواة الذين سبقوني لانبي لم آت بشيء من عند نفسي ما خلا الحوادث التي قدر لي ان اكون فيها شاهد عين وما تفقدته بنفسي من الاثار العربية والمصرية . وان اسأت فذلك دأب الهاجز . ولكني ارغب الي من يعثر لي على خطأ ان ينبهني اليه فاشكر سعيه واثني عليه

لاني استمحيي من الحق اذا عرفته ان لا ارجع اليه . او يمذرني فان اعقل الناس اعذرهم للناس . ولا اقول ان كل خطإ سهو وجرى به القلم بل اعترف ان ما اجهل أكثر مما اعلم . وما تمام العلم الالمن علم المنسان ما لم يعلم

هذا وارجو ان تصادف خدمتي هذه لدى اخواني ابناء هذا القطر السعيد قبولاً واقبلاً واتقدم الى رجال العلم منهم ان يتحفونا من نفثات اقلامهم بما هو أوفر مادة واجزل نفعاً . لانبي اعلم ان بين ظهرانيهم رجالاً لهم من العلم وسعة المعرفة ما يوهلهم لما هو افضل من ذلك كثيراً . فتنم سعادة البلاد ونكون قد فمنا ببعض الواجب علينا نحوها ونحو اميرها الخطير سمو خديوينا المعظم محمد توفيق باشا الانجم ادام الله ايامه باسمة الثغور في ظل صاحب الخلافة العظمى مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان ائيد الله ايام دولته بالمهز والاقبال وادام شوكته واقتداره ما تكرر الجديدان

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة ١٨٨٩ فلاقت اقبالاً حسناً نشطنا على المثابرة في خدمة العلم . وما زلنا من ذلك الحين ونحن نزداد معرفة في احوال مصر ونتبع تار يخها . فلما عزمنا على اعادة الطبع اضفنا الى الطبعة الاولى زيادات هامة في مواده ورسومه فضلاً عن زيادة التدقيق والتحري وهاك مزيات هذه الطبعة

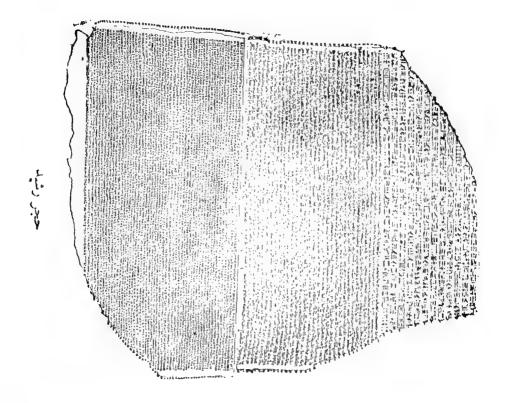
- ١ انها اقرب الى الدقة والتحقيق
- ٧ تحتوي على تاريخ بضع وعشرين سنة لم تدركها الطبعة الاولى

ع قد توسعنا في اكثر المواد وخصوصاً في القسم الاخير وعلى الاخص في تاريخ الاسرة الخديوية وما جرى في ايامها من الحوادث العظام . كالتقلبات السياسية التي جرت في زمن محمد على . وما ادخله هذا الرجل العظيم من الاصلاحات العلمية والاقتصادية والسياسية والتجارية . وفعلنا مثل ذلك في ازمنة خلفائه الى اليوم . ويدخل فيه علاقات مصر مع الدول على زمن اسماعيل باشا والحوادث العرابية والسودانية في

زمن الخديوي السابق وما كان من النهضة العلمية والمالية والسياسية في زمر سمو الخديوي الحالي . و يصح ان يقال اننا كتبنا تاريخ الدولة الخديوية ثانية ونظرنا فيه من الوجهة السياسية والعلمية والاقتصادية مع التوسع والتدقيق . فاصبح الكتاب اكبر حجهاً واوسع مادة

غ زيناه بنيف ومئتين من الرسوم والخرائط و بينها رسوم مشاهير مصر و نيرها في السياسة والعلم والاصلاح وصور اهم المواقع التي جرت فيها الحوادث بمصر والشام . وآلات الحرب والحصار واشهر الآثار البنائية فضلاً عن النقود الاسلامية والآثار المصرية القديمة . ومن الخرائط خريطة مصر في زمن الفراعنة والوجه البحري اليوم ورسم القاهرة على اختلاف اعصرها وخرائط بنداد والخرطوم وام درمان وغيرها فنرجو ان تصادف خدمتنا قبولاً والله حسبنا ونعم الوكيل







كانب مصري قديم

اقسام تاريخ مصر العام

يبدأ تاريخ مصر العام عند اقامة اول حكومة نظامية فيها وقد علم من مصادر مختلفة سيأتي ذكرها . ان اول حكومة اقيمت من هذا النوع كانت في اول القرن الستين قبل المسيح اي منذ نحو سبعة الاف سنة على وجه التقريب

أما قبل ذلك الحين فكانت قبائل مستقلة تحت سلطة فئة من الكهنة يقال لهم بانعة مصر القديمة « حووشسو » وهم آخر من حكم المصريين قبل الدولة الملكية الاولى التي اول ملوكها « مِنا » وهو اول من اقام في وادي النيل حكومة نظامية ومنسه يبتدئ تاريخها

وقد قسم المؤرخون تاريخ مصرالهام بالنسبة الى تمدنها الى ثلاثة ادوار كبرى وهي:

ا الدور الجاهلي . يبتدئ عند اول دخولها في سلك المالك سنة ٥٦٢٦ ق ه أو
٥٠٠٤ ق م وينتهي سنة ٢٤١ ق ه او ٣٨١ ب م . وذلك عند ما نهى الامبراطور ثيودوسيوس عن عبادة النصب والماثيل واص باتباع الدين المسيحي

الدور المسيحى . يبتدئ عند شيوع سنة أثيودوسيوس وينتهي عنه فنوح
 الاسلام سنة ١٨ ب هاو ١٤٠ ب م

الدور الاسلامي . يبتدئ عند فوح الاسلام ولا يزال

اقسام الدور الجاهلي

يقسم هذا الدور الى خمس دول تسلط في اثنائها على مصر ٣٤ عائلة وهي :

الدولة الملكية القديمة - تبتدئ بتسلط العائلة الاولى وتنتهي بالتهاء العائلة العائلة الاولى وتنتهي بالتهاء العائلة العاشرة اي (من ٥٠٠٦ - ٣٠٦٨ ق م ومدة حكمها ١٩٤٠ سئة

الدولة الملكية الوسطى - تبتدئ بالماثلة الحادية عشرة وتنتهي بالنهاء العائلة السابعة عشرة (من ٣٣٧ - ٣٦٨٦ ق م) ومدة حكمها ١٣٦١ سنة

الدولة الملكية الاخيرة - تبتدئ بالعائلة الثامنة عشرة وتنتهى بانتهاء العائلة الخادية والثلاثين من ٢٣٢٥ - ٢٣٢ ق م)
 الحادية والثلاثين من ٢٣٢٥ - الى ٩٥٤ ق ه) أو (من ١٧٠٣ - ٢٣٢ ق م)
 ومدة حكمها ١٣٢١ سنة

الدولة اليونانية - تبتدئ بالعائلة الثانية والثلاثين وتنتهي بانتهاء العائلة الثالثة والشدنين (من ٩٥٤ - ٢٥٢ ق م) ومدة حكمها والشدنين (من ٩٥٤ - ٢٥٢ ق م) ومدة حكمها ٣٠٧ سنة

الدولة الرومانية ـ ويسميها العرب دولة الروم وهي العائلة الرابعة والثلاثون الرومانية (من ٢٥٢ ـ ٢٤١ ق ه) او (من ٣٠ ق م ـ ٣٨١ ب م) ومدة حكمها ١٨٤ سنة

الدور المسيحي

اما الدور السيحي فهو عبارة عن استمرار الدولة الرومانية بعد ثيودوسيوس الى فتوح الاسلام (من ٢٤١ ق هــ ١٨ ب ه) او (من ٣٨١ ــ ٦٤٠ ب م) ومدته ٢٦٠ سنة

اقسام الدور الاسلامي

يقسم الدور الاسلامي الى اثنتي عشرة دولة وهي

١ دولة الخلفاء الراشدين (من ١٨ - ١١ ب ه) أو (من ٦٤٠ - ٦٦١ ب م)

٢ الدولة الأموية (من ٤١ ــ ١٣٢ ب هـ) او (من ١٦٦ ــ ٢٥٠ ب م)

۳ الدولة العباسية للمرة الاولى (من ۱۳۲ ــ ۲۵۷ ب ه) او (من ۲۵۰ ــ ۲۵۰ ب م) من ۸۷۰ ب م)

٤ الدولة الطولونية (من ٢٥٧ ــ ٢٩٢ ب ه) او (من ٨٧٠ ــ ٩٠٥ ب م)

الدولة العباسية في المرة الثانية (من ٢٩٢ ـ ٣٢٣ ب ه) او (من ٩٠٥ ـ
 ٩٣٤ ب م)

٣ الدولة الاخشيدية من ٣٢٣ ـ ٣٥٨ ب ه) او (من ٩٣٤ ـ ٩٦٩ ب م)

٧ الدولة الفاطمية (من ٣٥٨ ـ ٧٦٧ ب ه) او (من ٩٦٩ ـ ١١٧١ ب م)

٨ الدولة الايوبية (من ٥٦٧ - ٦٤٨ ب م) او (من ١١٧١ - ١٢٥٠ ب م)

٩ دولة الماليك الاولى (من ١٤٨٧ ـ ١٨٨ ب ه) او (من ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ ب م)

١٠ دولة الماليك الثانية (من ١٨٤_ ٣٢٣ به) او (١٣٨٢ _ ١٥١٧ بم)

١١ الدولة العثمانية (من ٩٢٣ ـ ١٢١٦ ب هـ) أوا من ١٥١٧ ـ ١٨٠١ ب م)

۱۲ الدولة المحمدية العلوية (من ۱۲۱٦ ـ ب ه او ۱۸۰۱ ب م ولا تزال) ويقسم تاريخ مصر العام ايضاً الى قسمين عظيمين قديم وحديث. اما القديم فمن اول تاريخها الى الفتح الاسلامي ويشتمل على الدورين الاولين الجاهلي والمسيحي والحديث منذ الفتح الاسلامي الى هذا اليوم ولا يزال

مصادرتاريخ مصرالقديم

ما زال تاريخ مصر القديم محجوباً عنا حتى اليمح لابناء القرن الماضي حل وموز الكتابة الهيرغليفية (القلم المصري القديم) على ان تاريخ العهد القديم لم يخل من بعض التلميح المحذلات ما لم يكن من النصوص التاريخية ما يعضده وما زال ذلك شأن تاريخ مصر القديم الى القرن السايع قبل المسيح عند استيلاء اليونان على وادي النيل . ومن مصادر تاريخ مصر القديم :

١ نصوص المؤرخين القدماء

ان هيرودوتس الرحالة المؤرخ اليوناني هو اقدم من كتب عن مصر ما يصحُ ان يسمى نصا تاريخياً وقد جال هذا المؤرخ في وادي النيل سنة ٥٥٥ قبل الميلاد وبعد هيرودوتس ظهر سبانيتوس احدكهنة المصريين العظاء في القرن الثالث قبل المسيح وكتب تاريخاً نفيساً عن مصر لكنه فقد ولم يصلنا منه الا بعض ما ذكره يوسيفوس في آثار الاسرائيليين وماكتبه سنسلوس احدكتبة القرن الشامن . ثم جاء ثيودوروس من صقلية سنة ٨ قبل المسيح . ومن هؤلاء الثقات سترابو العالم الجغرافي وبلوتار خس المؤرخ الذي ظهر في القرن الاول المسيحي . واما قائمة اسها الملوك لما نيثون فقد وجدت بين ماكتبه بعض المؤرخين السيحيين . ويقال بالاجمال انه لم يكتب عن مصر شئ جدير ان يدعى نصاً تاريخياً الا منذ القرن الخامس قبل المسيح

٢ الآثار

واعلم ان ماكتبه اولئك المؤرخون لم يفدنا شيئاً صريحاً عما وراء القرن السابع قبل المسيح . اما الآنار ــ تلك الاطلال البالية التي راها ميتة لا حراك بها وقد بقيت رغم

تقلبات الزمان وافعال العناصر فانها تنطق بافصح اسان وتنادي باجلى بيان عن عظمة صانعيها فتخبرنا عن الريخهم وتوضح امامنا ايضاً عاداتهم واخلاقهم ومكانتهم من الحضارة وعلو الهمة ورفعة المنزلة. فقد نقشوا عليها من الرسوم والرموز ماجعلها كتاباً مزيناً بالرسوم والاشكال لا تحرقه النار ولا بخرقه الفار

هذه الهياكل العظيمة والمسلات الشامخة والتماثيل الهائلة هذه المدافن هذه الاهرام هذا ابو الهول بل هذه الجثث البالية نراها صاء وقد افعم الاحياء نطقها وقد كلفت بالحياة وعلقت آمالها بالمعاد فابتنت لانفسها البنايات الشاهقة القويمة العماد تبقى معها في عالم الخلود تقص على القادمين اقاصيص الاقدمين و وجميع هذه تعدت من وثيق العمادر التاريخية

الكتابة الهيروغليفية

يظهر ان ملوك الروم اثناء تسلطهم على مصر لم بكترثوابهذه الكتابة بل اهملوها شأن اكثر المفتتحين بلغة من يتسلطون عليهم فبقيت محجوبة تغشاها دواعي الجهل الى ايام الحملة الفرنساوية في اوائل القرن الماضي اذأ تيح لاحد رجالها ان يحل بعض رموزها. وقام بعده جماعة اعتنوا مجلها فأتوا على فهمها جيداً مجيث امكنهم قراءة ماكتب بها على البردي (البابيروس) والاحجاد نخدموا التداريخ خدمة تستحق الاعتبار وهاك كيفية توصلهم الى حابها بالايجاز

لما قدم نابوليون الاول ألى مصر اكتشف احد رجاله سنة ١٧٩٩ بالفرب من ثغر رشيد حجراً اسود غير منتظم الشكل الاسطحاً منه كان مستوياً املس في اعلاه كتابة بالقلم المصري القديم (الهيروغليف) محتها كتابة اخرى بالقلم العامي او الديموطيني وتحت هذه كتابة ثالثة باليونانية القديمة فأهدي هذا الحيجر الى مجمع العلوم الفرنساوي في القاهرة ولما تغلب الجنرال هتشنسون الانكليزي على جنودبونابرت وضع يده على ذلك الحجر ثم اهدي الى المتحف البريطاني في لندرا ولا يزال هناك. وقد شاهدناه في ذلك المتحف سنة ١٨٨٧ في صدر الآثار المصرية محفوظاً في صندوق غطاؤه من زجاج اما طول ذلك الحجر فثلاث اقدام وقير اطان وعرضه قدمان و خسة قراريط

وفي سنة ١٨٠٢ رسمت جمعية العاديات صورته وفرقتها في جمهورالعلماء لينظروا في قراءتها فقرأ وا اولاً الكتابة اليونانية بسهولة فاذا مفادها ان كهنة منف كتبوها للملك بطليموس ابيفانيس سنة ١٩٤ ق م يشكرونه لما اسبغه عليهم من النعم الجزيلة وانهم وضعوا منها نسخة في كل هيكل من هياكل الطبقة الاولى والثانية والثالثة بجانب تمثال ذلك الملك

ثمان العاماء وفي مقدمتهم العالمالفرنساوي ده ساسي حاولوا قراءة الكتابة الديموطيقية وغاية ما وصلوا اليه الهم عينوا مواقع الاعلام في الكتابة المصرية المقابلة للاعلام اليونانية . ثم عين العلامة أكربلاد الاسوجي لفظ بعض الاعلام في القلم المصري العامي . اما الهيروغليف فلم يطمع احدمنهم في حله الى ذلك الحين

وفي سنة ١٨١٨ شرع العالم فرنسوا شمبيليون الفرنساوي في حل هذه الكتابة بعد ان درس اللغة القبطية وجغرافية مصر القديمة وكل ما كتبه المتقدمون عن مصر والمصريين، وكان بلزوني الإيطالي قد عثر في جزيرة البربة على مسلة مصرية عليها كتابة يونانية وارسل صورة الكتابة الى اوروبا، فلما رآها شمبيليون ارتأى ان الكتابة اليونانية هي ترجة الكتابة المصرية، ثم رأى في الكتابة اليونانية اعلاماً واسها الاعلام لا تترجم فتوسم في ذلك سبيلاً الى معرفة لفظ بعض الحروف المصرية، ووجه في الكتابة المصرية نقوشاً محاطة بمخط اهابلجي وقرأ في الكتابة اليونانية اسم بطليموس مكرراً مراراً كثيرة فاستنتج من ذلك ان النقوش الهيروغليفية المتقدم ذكرها هي اسم بطليموس وزاد تأكيداً عند ما رأى ذلك الاسم وارداً في الكتابة اليونانية على المجر الرشيدي ويقابله في الكتابة الميوغليفية هناك نقوش محاطة بخط اهاياجي الحجر الرشيدي ويقابله في الكتابة الهيروغليفية هناك نقوش محاطة بخط اهاياجي كالنقوش التي على السلة تماماً وبناء على ذلك تكون الصورة الاولى ضمن الخطالاهليلجي



ش ۱ – كايو يطرا



تقابل الحرف الاول من بطليموس اي الباء والثانية تقابل الحرف الثاني أي الطاء وهام جرًا. ووجد ايضاً في الكتابة اليونائية اسمكليو بيطرا ويقابله في الكتابة المصرية نقوش ضمن خط اهليلجي . فقال شمبيليون بنفسه اذا كانت الاولى بطليموس فتكون

هذه كليوبيطرا واخذ بالقابلة مستعيناً باللغة القبطية لانها بقية اللغة المصرية القديمة فرسم امامه الشكلين اللذين ظنهما اسمي بطليموس وكليوبيطرا وجعل بقابل الاحرف المهائلة في الاسمين كاللام والباء وغيرهما فاذا بها مماثلة تماماً في الشكلين بمواقعها في الاسمين وترى في الشكل الاول والثاني صورتي اسم كليوبيطرا وبطليموس في القلم الهيروغليفي

فالحرف الاول من اسم كايو بيطرا صورة ركبة . واسم الركبة في اللغة القبطيــة يبتديء بحرف الكاف فهو حرف الكاف . والحرف الثاني صورة اسد . واسم الاسدة يبتدى؛ في اللغة القبطية بجرف اللام فهو صورة حرف اللام وهو الحرف الرابع في اسم بطايموس لان الثالث بمثابة الحركة . والحرف الثالث من أسم كليو بيطرا صورة قصبة . وهو الحرف السادس والسابع في اسم بطليموس فهو بمثابة الالف أو اليـــاء . واسم القصبة في اللغة القبطية يبتدىء بالالف. والحرف الرابع صورة عقــــــة وهو حرف الواو . والحرف الخامس مثمل الحرف الاول من اسم بطليموس فهو حرف الباء . والسادس صورة لسر . واسم النسر في القبطيسة يبتديء بالالف فهو حرف الالف . والسابع صورة بد واسم أليد في القبطية يبتدئ بحرف الطاء . والشامن صورة فم . واسم الفم في القبطية ببتــدىء بحرف الراء فهو حرف الراء . والناسع تقدم ذكره والعاشر مثمل الثاني في بطايموس فهو طايح او تاء . والحادي عشر لاحر ف له باليونانية وقد عرف بعــد ذلك انه علامة تلحق آخر الانهاء المؤنثة . وفي اسم بطليموس حرفان هما الخامس والثامن لم يردا في اسم كايوبيطرا . فالاول هو الميم والثاني هو السين . وعلى هذه الصورة تمكن شمبيايون من معرفة كشير من حروف الهجاء وقراءة كثير من الكتابات العمرية القديمة في تسع سنوات كلها مجمث وجد. واعلم ان الكتابة الهيروغايفية ليست واحدة فان من صورها ما هو حروف ومنسه ما هو مقاطع او كلمات . ومبلغ عددها كلها

هذا من قبيل حل الالفاظ اما العاتي فعر فت بالقابلة باللغة القبطية نحو الالف وببعض ما كان يكتبه المصريون القدماء من الرموز التي تدل على اشباهها كدلالة صورة الرجل على الرجل وما شاكل ذلك

ومن ألؤ ألهات الحديثة التي استعنت بها في فذاحكة تاريخ مصر القديم كتاب العقد الثمين لاحمد بك كمال ومصرلمري وعادات المصريين لويلكنس وغيرها

جغرافية مصرالقدية

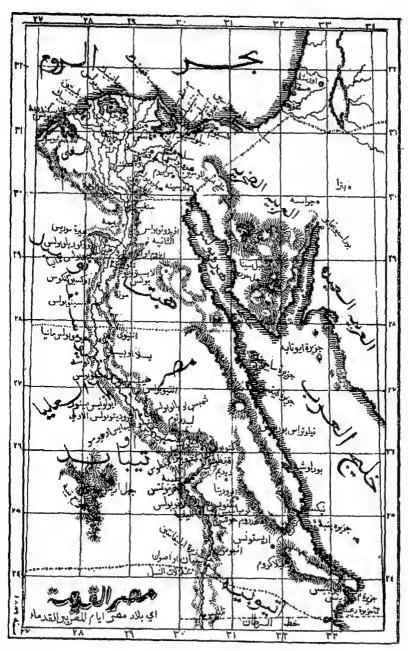
وهي جغرافيتها في ايام الدول المصرية القديمة

تدعى مصر في اللغة المصرية القديمة وفي اللغة القبطية « خم » او « ارض خم » ومعناها الارض السوداء نسبة الى لون تربتها وهذا ما يذكرنا بجام ونسله . وكان يدعوها الشعب العبراني « مصرايم » ومعناها « المصران » ومنها اسمها في العربية اليوم . اما معنى تسمية العبرانيين لمصر فنظنه مشتقاً من قولهم « صر » في العبرانيا ومعناها الشدة والضيق « ومصر » اسم مكان من صر اي مكان الشهة ، ولعلها اشارة الى ما قاساه الشعب العبراني من الشدة والاضطهاد في هذه البلاد الى عهد موسى ، اماكونها على صيغة المثنى فربما تشج عن تسميتهم اولا احد قسمي مصرالبحري والقبلي بهذا الاسم ثم جعلوه على صيغة المثنى للدلالة على القسمين معاً والله اعلم اما اليونانيون فكانوا يسمونها « ايجبتوس » ومنها اسمها في لغات اوروبا الحديثة « ايجبت »

ويستفاد من مصادر تاريخ مصر القديم ان القطر المصري كان يقسم الى قسمين عظيمين الواحد يدعي ارض الشهال او الوجه البحري والآخر ارض الجنوب او الوجه القبلي وكان الوجه البحري محتدًا من منف (البدرشين وميت رهينة) الى البحر التوسط ويدعوه البونان د الذلتا » لمشابهته بحرف الذال Δ عندهم ، اما الوجه القبلي فيمند جنوباً من منف الى جزيرة الفنتين مقابل اصوان وهذا ما ندعوه اليوم بارض الصعيد ، وكان من القاب ملوك مصر القدماء قولهم « سلطان البرين » اشارة الى تسلطه على الوجهين البحري والقبلي

وكل من هذين القسمين يقسم عندهم الى أقسام دعاها اليونان « نومس » أي مقاطعات ومجموعها في الوجهين معاً يختلف عداً باختلاف الرواة، فقد ورد في القوائم المصرية القديمة أنها ٤٤ وقال استرابو وديودورس أنها ٢٦ والمول عليه أنها ٤٤ منها ٢٠ في الوجه البحري و٢٢ في القبلي ولسكل منها عاصمة يختصة بها فيها مقر الحاكم ومركز العبادة ، وهاك جدولاً يتضمن أساء المقاطعات باليونائية وأسماء عواصمها بالمصرية واليونائية والعربية

ه القبـلي			مقاطمات الوج	
عواصم				
بالعربية	باليونانية	بالمصريه القديمة	اسماء القاطعات باليونانية	
کوم امبو	امبوس	ابو	۱ او بیتس	
ادفو	ابولينوبولس مانيا	ثب	۲ ابولینویولیتس	
اسنا «الكب»	لانوبولس (ایلیثیا)	نيخب	۳ لاتو بو ايتس	
ارمنت	اهر مو نش <i>س</i>	هر مو نټ	٤ هرمو نثيتس	
القرنة			و باثيريتس	
الكرنكوالاقصر	ديوسبولس مانيا	نوامن	۳ ديوسېولتس	
قفط	کو ہتوس	کو بتی	√ کوبتیتس	
دندره	المتيرا	تنڌير پر	٨ تنتيريتس	
هو	ديوسبولس بارفا	لما	۹ دیوسبولیتس	
البرية . العرابة	ئيس . ابيدوس	ابدو	۰ ۱ ثینیتس	
أأالدفونة				
اخميم	بانوبولس	ا بو	١١ بانوبوليتس	
المطف	افروديتو بواس	ت بو	۱۲ افرودیتوبولیتس	
قاو الكبير	انتيوبولس	نيا نشباك	۱۳ انتوبولیتس	
شدب	ھيبسليس	شاسحوتب		
اسيوط	ميكوبولس	سوت		
الشيخ عباده	المتينووبواس		١٦ انتينويتس	
ابشمونين	هرمو بولس مانيا	خونو	"	
القيس	سينو بو لس	6		
luip	اوكسيرنخيس		, - " "	
أهناس ألمدينة	هير اكليو بولس			
مديئة الفيوم	كروكودينوبولس		۲۱ ارسینویتس	
عطفية	افروديتوبولس	تيباء	۲۲ افرودیتوبولیتس	



خريطة مصر في أيام الفراعنة



ه البحري	مقاطعات الوج
	• • •

بالعربية	باليونائية	بالمصري القديم	اسماء المقاطعات باليونانية
میت رهینة	ممفيس	 منوفر	۱ ممفیتس
	ليتوبولس		
	أييس	نياتهايي	1
	كأنوبوس		
صا الحيجر	سايس	صا	ه سايتشس
أستخا	خويس	خسون	٣ خو پٽس
فوم	متليس	سو نتينوفر	٧ متليتس
	سيتروي	ثوكوت	٨ سيبژو يتس
بو صبر	بوسيرس	پيوسير	۹ بوسیر یشس
إتل اتريب . بنها	ائر يبس	حاتا حيراب	۱۰ اثر يبيتس
العسل			
کوم شباس	كاباسا	كاهبيس	۱۱ کاباسیتس
اسمنهود	سبنيتوس	ثبنو تر	۱۳ سبنیتس
المطرية	اون. ھيليوبولس	انو	١٣ هيليو بوليتس
ا سان	تا نس	زوان	۱٤ تانېتس
دمثهور	هرموبولس بارفا	بيثوت	٥١ هرمو بوليتس
اشيمون	مندس	ابيبينبداد	١٦ مناديسيوس
		بيخون ان امن	۱۷ ديوسوايتس
إ تل بسطة	بو باستس	بيباست	۱۸ بو باستیشس
ا(زقازيق)			۱۹ بثینستس
	بوتو		
اهر بت	افار پیثوس	كوسم	۲۰ فر بثیتس

ويظهر ان هذين القسمين الكبيرين جعلا بعد ذلك ثلاثة عرفت بمصر العليا والوسطى والسفلى . فمصر العليا تدعى ايضاً باليونانية « ثيبايد » نسبة الى ثيبس (طيبة) وتمتد من آخر الحدود القبلية الى ديروط ، والوسطى يدعوها اليونان « هبتانومس » اي ذات السبع المقاطعات وتمتد من ديروط الى رأس الذلتا ، والسفلى تمتد من رأس الذلتا الى البحر المتوسط ، وقسمت مصر السفلى في آخر عهد اليونان الى اربعة اقاليم كبيرة تحت كل منها عدة مقاطعات

ودعيت مصر السفلى في ايام اركاديوس ابن شيودوسيوس الاعظم « اركاديا » نسبة اليه . وقسمت مصر العليا ايضاً الى قسمين او اقليمين دعيا ثيبايد العليا وثيبايد السفلى تفصل بينهما اخميم او ما يجاورها . وتكاثر عدد المقاطعات في آخر ايام اليونان حتى بلغ ٧٥ مقاطعه منها ٣٤ في الذلتا فقط

ثم ان بين ملوك مصر القدماء من وسع نطاق المملكة الى ما وراء اصوان وعلى الخصوص العائلة الخامسة والعشرون لان ملوكها كانوا اثيوبيين فامتد حكمهم الى جبل برقل . اما في حكم اليونان فبلغت حدود المملكة المصرية الى موغرا كا وراء وادي حلفا

ديانة المصريين القدماء

زعم بعض قدماء المؤرخين ان المصريين القدماء كانوا من عبدة الاوثان مستدلين على ذلك بما شاهدوه من التماثيل العظيمة التي اقيمت للعبادة . ولكن ظهر بعد استطلاع اسرار لغتهم وقراءة ماكتبوه على هيا كلهم وفي كثب موتاهم انهم ليسوا من الوثنية على شيء وان هذه التماثيل انما اقاموها في بادئ الرأي تمثيلاً لبعض صفات اله حقيقي غير منظور ولكن الزمان ارخى على تلك الحقيقة حجاب التقاليد والخرافات قاصبح القوم لايمر فون من معبوداتهم الاتلك الحجارة الصاء التي هي من صنع ايديهم ، على ان الحقيقة لم تكن محبوبة عن حكائهم وكهنتهم

اما آلهتهم فعديدة واسهاؤها مختلفة وصورها متنوعة مرجعها جميعاً الى الهين اصل هذه التنوعات وهما « فتاح » في منف ويقصدون به الخالق العظم و « رع » في طيبة الاقصر) وهو الشمس . وهذا الالاهان هما اقدم آلهة المصريين ويرجعان الى اولهما

لانهم يعتبرون الشمس تمثالاً للاله الحقيق الذي هو الخالق . ثم انتشرت هذه الديانة واتقنت سناعة البناء والرسم فاقاموا في كل مدينة تمثالاً لاحد هذين الالهين او لكليهها وكانوا يسمونها باسهاء مختلفة . فتعددت الاشباه ثم لسي المقسود الاسلي وبقيت الظواهر ومن جملة دواعي تعدد الالهة انهم كانوا يجعلون للشمس مثلاً اسهاء تختلف باختلاف مواقعها من خط مسيرها فدعوها «هر مخيس» عند شروقها واقاموا لها ابا الهول تمثالاً . و « رع » عند ما تكون في خط الهاجرة . و « توم » عند الغروب و « اوزيريس » عند الظلام اي عند ما تكون في العالم السفلي وجعلوا لكل من هذه الحالات تمثالاً مخصوصاً . وقس على ذلك ما بقي من الالهة الكثيرة التي اقاموا منها محات كم سهاية وجعلوا منها قضاة وكتبة وجنوداً

وفي اثناء ذلك استنبطوا المثلثات الالهية فكانوا يضمون ثلاثة آلهة الى اله واحد . منها مثلث مؤلف من الآلهة اوزيريس وايزيس وهوروس وهو المعروف بمثلث منف والمتأمل في سورها يرى ان الاول اشبه برجل والثاني بامرأة والثالث بصبي

وبين آلهة المصريين تفاوت في الدرجات فعندهم ثمانية آلهة من الدرجة الاولى في منف وهي فتساح وشو وتفنووست ونوت واوزيريس وازيس وهوروس . ولهم عن هذه الآلهة وغيرها اخبسار وخرافات مطولة لا حاجة الى ذكرها هنا وانما نذكر فيما

بلي اسماء اهم الالهة المصرية مع ذكر بميزات كل منها بقدر الامكان بحيث يمكن لمن يشاهدها في الآثار المصرية ان يميز احدها من الاخر وتسهيلاً لفهم تلك المميزات نقسمها الى قسمين بحسب نوع رؤوسها

اولاً . ذوات الرؤوس البشرية . ثانياً . ذوات الرؤوس المحيوانية . والرؤوس البشرية اما ان تكون رؤوس الحيوانية اما ان تكون رؤوس ذكور او اناث . والرؤوس الحيوانية اما ان تكون رؤوس طيور او حيوانات اخرى

قالآ لهة ذات الرؤوس البشرية للذكور سبمة وهي ١ ﴿ فتاح ﴾ يمتاز بكونه على شكل جثة محنطة (مومية) وفي يديه صوطجان وابيس على رأسه شيءً يمناز به

۲ دأمن » او درع » علی هیئة رجل منتصب وعلی
 رأسه قیمة مبلطیحة تنتهی بریشتینغلیظتین مستطیلتین بیده



الواحدة مفتاح وبالاخرى عما كما ترى في الشكل الثالث وقد يكون على شكل جثة عنطة جالساً على كرسي وعلى راسه القبعة المثقدم ذكرها وفي يده نمشة وعقافة وصولجان. ويدعى في هذه الحالة « امن اوزيريس » (ش ٥)



٣ • هوروس > صبي على رأسه تاج مزدوج يراد به تاجا الوجهين القبسلي والبحري . يده اليسرى في فيسه و في يده الهينى مفناح صليبي الشكل وقد بكون هوروس برأس طير كما سيجيئ

٤ ﴿ خُم > جِنْة مُحْمَلَة وَبِدَهُ الْنَيْنَ مَرَفُوعَة وَحَامَلَةً
 زاوية كبرة

ه « اوزيريس » جثة محنطة على رأسه تاج مصر الممليا بريشتي لعام واحياناً بغير ريش. وفي يده النمشة والعقافة واحياناً الصولجان ايضاً. وقد يكون على راسه هلال فية قرص الشمس كما ترى في الشكل الخامين

٣ « سب » يمتاز ببطة واقفة على رأسه

وقد بريشة . وقد يكون على راسه تاجامصر العليا والسفلى

اما الآلمة ذوات الرؤوس البشرية الانثوية فهي

١ « ايزيس » على راسها طاقية تشبه النسر فوقها تاجا مصر العليا والسفلى بيدها الواحدة مفتاح وبالاخرى صولجان كما ترى في الشكل الرابع وقد يكون على راسها قرنان بينهما قرص الشمس وفوق القرص ما يشبه تاجي مصر

٢ < ما > آلهة الصدق على راسها ربشة واحدة منتصبة وعلى
 عينها غالباً غطاء يشبه العوينات

٣ « موت » (ام الجميع) على راسها طاقية بشكل النسر
 و فوقها تاجا مصر العليا والسفلى وقد يكون لها راس نسري

٤ ﴿ نَيْتُ ﴾ على واسها احياناً مكوك واحياناً تاجامصرالعلياوالسفلي ش٥- اوزيريس

٥ د نفثيس » على راسها الطاقية النسرية وفوقها مايشبه البرج

والآلهة برؤوس الطيور هي

۱ « هوروس » قد تقدم ذكره بين ذوي الرؤوس البشرية وقد يكون ذا راس حيواني كراس الصقر وفوقه التاجان

٢ « خولس » (الشمس المشرقة) راسه كراس الصقر فوقه هلال فيه قرص الشمس
 ٣ « رع » (شمس الهاجرة) راسه كراس الصقر ايضاً عليمه قرص الشمس
 فوقه. ثعيان

ع ﴿ تُوت ﴾ (اله القلم) راسه كراس اللقلق عليه احياناً هلال في وسطه ريشة

وهذه آلهة برؤوس حيوانات اخرى

۱ « بشت » (حبيبة فتاح) تمتاز براس الهر واحياناً براس الاسد عليه قرص الشمس فوقه ثعيان

٢ « عتور » يتاز براس كراس البقرة بين قرنيها دائرة البدر

٣ د كنوم ، او د كنف ، يتاز براس كبش عليه اكاليل و يجان

٤ ﴿ انوبيس ، يمتاز براس كراس ابن آوى

وللمصريين القدماه المة كثيرة غير هذه قد المسدنا عن ذكرها حباً بالاختصار



فذلكة

في تاريخ مصر القليم

- Comment

لما فكرقدماء المصريين في وضع تاريخ لامتهم تتبعوا الحوادث الى مصادرها وجمعوا ماكان لديهم من التقاليد الوروثة بالتلقين اباً عن جد واستطلعوا سير ملوكهم الاقدمين فوصلوا الى اللك «منا» فاذا هو اول من حكم ونظم ، ولما لم يعثروا على ماكانت عليه مصر قبله فرضوا ثلاث عائلات وهمية زعموا انها تسلطت على مصر بالنوالي وانتهت ببداية الدولة الملكية القديمة التي اول ملوكها «منا» ودعوا العائلة الاولى عائلة المعبودات ويقال لها العائلة المقدسة ، والثانية دعوها الشبيهة بالقدسة والثالثة الكهنة « الحورشسو » ويزعمون انهم اجدادهم

ونقتصر في ما يلي على خلاصة تاريخ مصر القديم ونبدأ بالملك منسًا. ونجري في بويبه على مقتضى التقسيم المتقدم ذكره فنبدأ بالدور الجاهلي فالمسيحي ونقسم كلاً منهما لى عائلات كما ستراه



الدورالجاهلي

الدولة الملككية القديمة

العائلة الاولى الطينية

حکمت من سنة ۲۲۲ه − ۳۷۳ ه ق ه او من ۲۰۰۴ − ۲۵۷۱ ق م وعدد ملوکها. ۹

او الملوكها الملك « ينسّا » او « يبنس» — وهواول من حكم مصر بعد الكهنة دا الحورشسو » نشأ في طينة (بقرب العرابة المدفونة بجوار جرجا) والظاهر انه كان من الكهنة فتار في خاطره امر الاستقلال بالملك فقاومه الكهنة فتغلب عليهم فترك وطنه واسس مدينة « منف » (البدرشين وميت رهينة) وجعلها سرير ملكه وانشأ حولها جسراً يعرف الآن بجسر قشيشة وحوال بحرى النيل الى شرقيها وكان يجري لجهة صحراء ليبيا . فعمرت منف واخصبت فشاد فيها الهياكل والمعابد واقام تماثيل الالمة . فاذا زرت خرائب سقارة وشاهدت تمثال رعمسيس الناني ملق في البركة الشرقية اليت رهينة اعلم ان بقرب ذلك التمثال كان باب الهيكل الذي بناه هذا الملك لمجوده اليونان . ويما يذكر عنه انه فتسح فناح » وما ذالت منف مركز التمدن الى عصر اليونان . ويما يذكر عنه انه فتسح ليبيا فاتسعت مملكة مصر في ايامه وكان رفيقاً برعاياه على مااعتادوه ولم يسلب الكهنة شيئاً من حقوقهم في قبائلهم ، على انه لم ينج من ايقاعهم به فزعموا انه اضر بالعبادة من حيث تقاعد الناس في ايامه عن الزهد واحدثوا انواع الترف فكانوا يتناولون طعامهم وه مضطجعون على اسر تهم

وقام بعد « منا » اخوه « تتا » فأسس القصر الملوكي في منف وكان عالماً بالطب ولا سيا التشريح فكتب فيه رسالة جددت كتابتها في عهد رعمسيس الثاني

ومن ملوك هذه العائلة « ونيفس » حصلت في ايامه مجاعة وهو الذي بنى هرم «كوكمه » بقرب الهرم المدرج في سقارة لدفن ما كانوا يعبدونه من الثيران في عصره فان صح ذلك كان هذا الهرم اول ما بني من الاهرام في مصر ولم يبق من العائلة الاولى من يستحق الذكر

المائلة الثانية الطينية

حكمت من ٣٧٣ه – ٥٠٧١ ق ه او من ٤٧٥١ – ٤٤٤٩ ق م وعدد ملوكها ٩ نشأت في طينة ايضاً والمظنون ان بينها وبين العائلة الاولى قرابة

من ملوكها «كايه خوس » اجاز عبادة الحيوانات فاقام الثور «أبيس » في منف والثور «منيفس » في مدن المطرية) . وقام بعده « بينوتريس » فجعل للنساء حق الحسم على سرير الملك اذا لم يكن للملك المثوفي اولاد ذكور . وزعم أن الملك نائب الألهة في الاحكام ولدَّعي أن بينه وبين الالهة نسباً وما زال الملوك بعد ذلك يدّعون مثل دعواه الى عهد اليونان

ومن ملوكها « استنس » كان عالماً وطبيباً فاتم الرسالة الطبية المتقدمذكرها. واعلم ان الملك « منا » لم يقو َ في حياته على اخضاع جميع القبائل المصرية لحكمه ولا ان يجعل مصر امة واحدة . اما العائلة الثانية فلم تنته حتى جعلت ذلك امراً مفعولاً

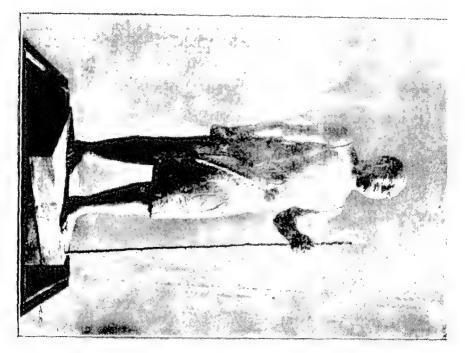
العائلة الثالثة المنفية

حكت من ٧١، ٥ - ٤٤٤٥ ق ه او ٤٤٤٩ - ٤٢٣٥ ق م وعدد ملوكما ٩ كانت طينة قبل ظهور الملك ﴿ مِنَا » مدينة العلم والحكمة ومحط رحال المنعة والسلطة . فلما بنيت منف تحول كل ذلك تدريجاً اليها وما زالت تنحط شيئاً فشيئاً حتى انقرضت بأنقراض العائلة الملكية الثانية

اما العائلة الثائمة فاول ملوكها ﴿ نُخروفت ﴾ وفي اول حكمه تمردت ايبيا وشقت عصا الطاعة فسامها الرضوخ فابت فأدى به الامر الى تحكيم السيف وكانت المعركة في لية مقمرة يقال ان الليبيين را وا تلك الليلة دائرة القمر تتسم على غير المعتاد فخيل لهم ان ذلك من غضب الآلهة على اعمالهم فالقوا السلاح وساموا ، وقام بعده الملك « توسرترس » وكان عالماً بالطب فوضع فيه كتباً تداولها الناس الى القرن الاول للتاريخ السيحى

آما من بقي من ملوك هذه العائلة فلم يصلنا من اخبارهم سوى ان الملكة زهت في ايامهم فتكاثرت مبايها واقيمت فها النصب الهائلة اعظمها ابو الهول المثال المشهور بعظمه القائم الى هذا العهد قرب اهرام الجيزة ويسمى بلغتهم «خورميخي» اي شمس الافقين جعلوا جسمه جسم اسد ورأسه رأس انسان اشارة الى اجتماع القوة والتعقل

مصور مصري يلون تثالاً حجرياً



立門

واشباه هذا التمثال كثيرة في الآثار المصرية بين ما حجمه هائل الكبركابي الهول الذي يبلغ طوله ٢٠ متراً تقريباً وعرضه اربعة امتار وما لا يزيد عن حب المرجان حجماً كانوا يصنعونه من العقيق حلية للمقود . ومن آثارهم ايضاً الهيكل الكائن الى جنوبي اهرام الجيزة بجوار ابي الهول ويعرف بالكنيسة وهو مبني من الحجارة الصوائية الضخمة ولهم ايضاً آثار اخرى كمدافن ومحاريب وغيرها

ومن ملوك هذه العائلة ايضاً « سنفرو » عمدتُ الى ذكره المعرف به من العدل والبر وما اوتي من العزم والقدرة على الفتوح فقهر اهل جبسل الدور واستولى على ارضهم و بنى فيها حصوناً ومعاقل واحتفر آباراً جعل فيها رجالا يستنخر جون معادمهم ونقش رسمه على حمير في وادي مغارة ، ويقال انه الما عاد الى مصر ابتنى انفسه هرماً لم يعلم مقر ، الى الآن

العائلة الرابعة المنفية

حكمت من ١٥٨٧ - ٢٧٥١ ق ه او من ٢٣٥٠ - ١٥٩١ ق م وعدد ملوكها ١٤

اعظم ملوك هذه العائلة واحقها بالذكر الملك « خوفو "كان بناء ماهراً ومحارباً باسلاً فبنى اعظم اهرام الجيزة الذي تفتخر به مصر على سائر الامصار . ويقال ان الذين اشتغلوا في بنائه مائمة الف وجل في ثلاثين سنة كانوا يتناوبون كل ثلاثة اشهر . وبنى له جسراً موسلاً بينه وبين ضفة النيل لنقل الحبجارة . وارتفاع هذا الهرم ٤٥٠ قدماً وبعض القدم وعرضه ٧٤٦ قدماً وهو من جملة عجائب الدنيا يقصده السياج والمتفرجون الى هذا العهد

ونحت د خوفو ، عدة تماثيل للآلهة ورىم بعض الهيساكل وقال بعضهم أنه كان عاتياً يبخس الناس حقهم ويهتضم اجورهم لانه ابتنى هرمه على نفقة الفعلة المساكين على أنه لم يكن على شيء من ذلك وربما بنى المعنفون قولهم على أنه كان يستخدم الاسرى عاناً وتلك عادة كانت متبعة في ذلك المهد

ومن ماوك هذه العائلة «خفرع» وهو الذي بنى الهرم الثاني في الجيزة بجالب هرم «خوفو» وسهاه «أر» اي العظيم ارتفاعه ٤٤٧ قسدماً وعرض قاعدته ١٩٥ قدماً وبعض القدم . ولم ينج هذا من السنة القاذفين فقد كان وسلفه «خوفو» مضغة في افواه المرجفين وقد بلغت قحتهم الى ان اخرجوا جثتيهما من هرميهما وكسروا تابوتيهما ورموا بالجثتين الارض اهالة واحتقاراً . وقد وجد في المعبد بجوار الاهرام

سبعة تماثيل من الحبجر الصوان مصنوعة على مثال ذلك الملك بغاية الدقة وهي الآن في المتحف المصري

ومن ملوكها « منكورع » بنى الهرم الثالث من اهرام الجيزة وسهاه « حور » اي الاعلى جعل ارتفاعه ٢٠٣ اقدام وعرض قاعدته ٣٥٧ قدماً وبعض القدم . وقدكان حظ هذا الملك من الشعب غير حظ سالفيه لانهم بالغوا في مدحه كثيراً . ويقال انه ارسل ابنه ليطوف في الهياكل المصرية ويرمم ماكان منها في احتياج الى الترميم

وكان « منكورع » عالماً عاملاً في الدين والادب وقد وجدت جثنه محنطة في تابوت من الصوان في هرمه المتقدم ذكره فحاولت الدولة الانكليزية نقلها وتابوتها الى متحفها فغرقت بها السفينة على مقربة من البورتغال ولم يبق الا الجثة وغطاء التابوت وهو مصنوع من خشب الجميز

ومن ملوكها ايضاً «سبسكاف» ويسميه مانيثون «سبرخرس» وهذا بنى الايوان الغربي بمعبد فتاح بمنف وهو اعظم ايوان فيه وكان محباً للعلوم فقيهاً . ويقال آنه ابتدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن قانوناً للقرض من مقتضاه آنه يجوز للانسان السيرهن مدفن ابيه على مبلغ يستدينه وللدائن الحق في استخدام المدفن حتى يفيد الاخر

العائلة الخامسة الاصوانية

كمت من ٣٧٥٤ -- ٤٣٢٥ ق ه او من ٣٩٥١ -- ٣٧٠٣ ق م وعدد ماوكها ٩ منهم « سحورع » او « سفرس » بنى هرماً شهالي قرية ابي صير وله في وادي مغارة لوح لا يزال هناك محفورة عليه صورته منصوراً على اعدائه . وبعد وفاته عبده المصريون زمناً طويلاً

ومن ملوكها « نفراركارع » او « نفرخرس » انسع نطاق العلم في ايامه وعمرت البلاد وقد بني هرماً لا يعرف مقر.

ومن ملوكها « اعنوسر » وهواول من اضاف الى اسمه لقب عائلته « آن » فصار « عنوسرآن » غزا جزيرة جبل الطور وانتصر عليها ونقش صورته على حجر هناك وبنى هرماً في ابي صير ودفن فيه بعد موته ، وكان في عصر هذا الملك رجل يدعى « تي » بنى مقبرة بديعة الاتقان وهي المقبرة المشهورة في سقارة على يسار المدفن المعروف ببربة « ابيس » يقصد المتفرجون من كل الانحاء لما فيها من الدقة وبديع الصنعة وجميل

النقوش وتعداد الرسوم . وكان هذا الرجل صهر الملك وصاحب دولته وله رسم محفوظ في المتحف المصري

ومن ملوكها « ددكارع » اكتشف المعادن في وادي مغارة وابتنى هرماً لم يعلم مكانه ولرجال دواته عدة مقابر في سقارة

ومن ملوكها « اوناس » او « انوس » بني هرماً في سقارة الى الجنوب الغربي من الهرم المدرج ترى حوله كثيباً من الرمال والحصى قد تراكمت هناك عند ما حاولوا فتيحه سنة ١٨٨١ بما تساقط من كسائه الخارجي ، وكان عرض قاعدته ٢٢٠ قدماً ولا يبلغ هذا القدرالآن لما لحقه من الهدم والتساقط وذلك لانهم كانوايمتقدون ان في «ذه الاهرام كنوزاً فيحاولون فتحها هدماً ، ولما هدموا هذا الهرم بعد المشقة لم يجدوا فيه الاتابوت الملك من المرمم الاسود وذراعه الايمن وساقه وقطعاً من اكفائه

العائلة السادسة الاصوانية

حكمت من ه ۲۳۶ - ۲۱۲۲ ق ه او من ۳۷۰۳ - ۳۰۰۰ قم وعدد ملوكها ٢

من ملوك هذه العائلة « مريرع » اتخذ جزيرة اصوان سريراً الملكته التي كانت شاملة لسائر القطر المصري . ومن ذلك الحين جعلت منف شخط ، وكان له وزير اشتهر بالدراية والحكمة فعهد البه بنظارة الاشغال فقام باعبائها حق القيام فتضاعفت الحصولات ولهذا الوزير حجر في متحف بولاق منقوش عليه ما يفهم منه شيء من سيرته . ومن اعمال « مريرع » انه فتح طريقاً تجارية بين قفط والبحر الاحمر و خط مدينة في مصر الوسطى واصاح معبد دندره وفتح بلاد الشام واستولى عليها كل ذلك مدون نقشاً على حجر وزيره المتقدم ذكره ، وخضعت له النوبة وليبيا والحبشة وطورسنا وهو اشهر ملوك هذه العائلة

ومن ملوكها « مرنوع » الاول أبن المثقدم ذكره ويسمى « سوكرمساف » وهو اول من اصطنع سفينة في مصر بهمة ودراية وزيره الذي كان وزيراً لابيه قبله

ومن ملوكها ايضاً الملكة « نيتوقريس » كذا دعاها مانيثون وقال انهاكانت اجمل واكل اهل عصرها . وكانت مع ذلك ذات حيلة ومكر فكان لها اخ اتخذته بعلاً فقتله بعض رجال دولته قبل توليتها الملك . فلما توات اخذت تسعى في طلب النارفاصطنعت سردا با تحت الارض يصل بين النيل و محل اعدته لوليمة دعت اليها نفراً من الاعيان ورجال الدولة ومن جلتهم القاتل فلما التأم الجمع واشتغلوا بالوليمة فتحت باب السرداب

من جهة النيل فسار الماء فيه الى قاعة الوليمة فاغرق جميع من كان هناك . أما هي فاسرعت من غيظها والقت نفسها في الرماد الحار فماتت

وفي ايام هذ العائلة أتقنت الرسوم على اسلوب خاص بحيث ان من تعود معاينـــة الآثار المصرية يقدر على تعيين اي رسم كان من رسوم هذه العائلة

العائلات السابعة والثامنة المنفيتان والتاسعة والعاشرة الاهناسيتان

حكست من ۱۲۲۷ - ۳۹۸۹ ق هاو من ۳۵۰۰ - ۳۰۶۴ ق م

لم يعلم ما الداعي لطموس اخبار هذه العائلات على أنه قد علم ان قاعدة العائلةين الاوليين كانت منف والأخريين اهناس وربما وجد في اهناس المدينـــة شيّ من آثارهم الا انها على كل شيء لا تستحق الذكر

الدولة الملكية الوسطى

العائلتان الحادية عشرة والثانية عشرة الطيبيتان سريرهما طيبة

حكمتا من ٣٩٨٦ - ٣٤٧٣ ق ه او من ٣٠٦٤ - ٢٥٨١ ق م وعدد ملوكها ٢٤

اول ملوك العائلة الحادية عشرة « انتف عا » لم يكن من ذوي العصبية الملكية الما كان من عمال ملوك اهناس المدينة في الوجه القبلي . على انه كان مهو با لسطوته وعلوهمته . بني هرماً من الطين في الجهة المعروفة بذراع ابي النجا بمديرية قنا وجعل في وسطه ضريحاً متقناً دفنت فيه جثته في تابوت غطاؤه مظلي النهب استخرجه اهل تلك الناحية وذهبوابه . فلما توفي قام ابنه «منتوحتب» فجمل نفسه من مصاف الماوك وليس له من الآثار ما يذكر به

ومن هذه العائلة أيضاً « انتف الرابع » تمكن مجكمته وبطشه من الاستيلاء على الوجه القبلي رغماً عن ماوك اهناس واستقل بالحسم عليه وعلى آسيا الشمالية . وقد قال « انبي استوليت على الوجه البحري » ولا مثبت لقوله . ومن ما ثره أنه جدد بنايات رقيعة العاد في جهة قفط استعمات انقاضها في هذه الايام لبناء قنطرة . ونا مات دفن في ذراع ابي النباء . وقد وجدوا من آثاره مسلة بالقرب من العرابة المدفونة

وتولى بعده « منتوحتب الرابع » ولق « بخررع » وهذا بالحقيقة نزع الوجه البحري من ملوك اهناس وما زال يقاتلهم حق استقل بالملك جهمه فكل من قبل هذا من هذه العائلة لم يكونوا ملوكاً مستقلين

وتولى بعده « سنخ كارع » ومن عظم اعماله أنه أنفذ « حنو » أحد رجاله فاتم الطربق الموصلة بين مصر وبلاد العرب التي شرع فيها مريرع المتقدم ذكره جعل فيها خمس محطات فيها عيون من الماء فيتم بها التواصل مع بلاد العرب والهند وشبه جزيرة العرب وما زالت هذه الطربق كذلك الى عصر اليونان فالروم

و من خصائص ماوك هذه العائلة انهم كانوا يرسمون فوق توابيت موتاهم اشكالاً بحديدة يلونونها بالوان مختلفة زعمًا منهم ان احدى معبوداتهم « ايزيس » كانت ترف على اخيها « اوزيريس » ناشرة جناحيها حنوا ومعظم آثار هذه العائلة في ذراع ابي النجا لا يزال محجوباً

اما العائلة الثانية عشرة فابتدأت بدور جديد. فقد دانت مصر قبابها منقسمة غالباً الى حكومات متعددة في وقت واحد اما في المهم فالدنمت جميعها تحت لواء واحد قاعدته مدينة طيبة

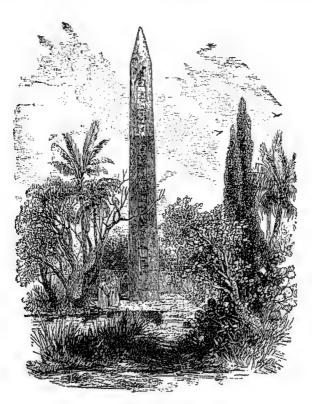
اول ملوك هذه العائلة «امنه محمت الاول »كان من اتباع الملك منتوحتب النالث وبسميه ما نيثون « امغيس » فلما استتب له الملك قاتل الذين كانوا يكدرون صفو راحة مصر وهم عصب من اهالي ليبيا والنوبة وآسيا تجمعوا لقتاله حول قاعة تاتوى غربي منف فحاربهم حق انتصر عليهم وطردهم واستولى على منف ، وكان عاقلاً حكيماً وشجاعاً مدرباً استخرج المعادن من بلاد النوبة واخضع عدة اقاليم من بلاد الزنوج وغيرها

وقبل وفاته ولى ابنه « اوسر تسن الاول » و بدعوه مانيئون « سيسو يخوسيس » وهو صاحب المسلة المشهورة في المطرية التي طولها عشرون متراً و بعض المتر نسبها المام هيكل الشمس المدعو « اتوم » اجلالاً لذلك الهيكل و معبوده و نصب بجابها مسلة أخرى شاهدها عبد اللطيف البغدادي وقد فقدت ولم يبتى لها اثر الآن . اما الاولى فلازال باقية منقوشاً عليها بالقلم المصري القديم ما ترجمته ملخساً « ان اللك المصور حياة كل موجود سلطان الوجه القبلي والبحري (خبر كارع) صاحب التاجين وسلالة الشمس (اوسر اسن) الحب لمعبودات المطرية دام بقاه قد نصب هذا الاثر في مبدأ العيد الرسمي تخليداً لذكره واحياء لهذا العيد » انظر الشكل السادس

فاذا زرت قرية المطرية الان ووقفت بجاب مساتها ترى حولك بقعة من الارض

فيها بعض الزرع طولها ٤٥٦٠ قدماً بعرض ٣٥٦٠ محاطة بتلال متلاصقة كانها سور من تراب . يقول ماريت ان هذه البقعة ليست مساحة المدينة وأنما هي مساحة الحوش الكبير الذي كان امام هيكل الشمس وجاء على ذلك بادلة تقرب من الصواب

ونصب اوسرتسن أيضاً مسلة اخرى فيا يحاذي قرية بجبج بجهة الفيوم وقد ظن بعض المؤرخين مستنتحاً من سباق حكاية كتبها احد معاصري هذا اللك أنه الفرعون الذي حصلت في ايامه الحجاعة على عهد يوسف بن يعقوب غير أن الجمهور على خلاف ذلك لعدم مطابقة الزمن بين ما هو في العهد القديم وهذا التاريخ. ويقال بالاجمال أن



ش ٦ --- مسلة المطرية

هذا الملك يعد من اول المؤسسين لهيكل طيبة « الاقصر » وقبسل وفاته أمم مهندسه الخاص ان يبني له مقبرة فبناها وجعل في داخلها عدة غرف اقامها على اعمدة وجعل فيها حوضاً متصلاً بالنيل وصنع لها ابواباً ومسلات ووجهة من حجر طرا الابيض ومن ملوك هذه العائلة « اوسرنسن الثاني » ويسميه مانيثون « سيزوستريس »

ترك آثاراً كثيرة قاما يستفاد منها شيء عن تاريخه وغاية ما علم منها ان مملكة مصركانت في عصره محافظة على شوكتها متسعة النطاق

ومن ملوكها ايضاً « اوسرتسن الثالث » وكان رجلاً حازماً مقداماً واشتهر بهذه السفات فارتفعت منزلته في قلوب الاهلين فعبدوه ومن اعماله أنه جرد على السودان (اثيوبيا) وما وراءها لتوسيع نطاق مملكته . وشاد في وادي حلفا قلاعاً منها قلعتان تعرفان الان « بقمنة » و « سمنة » لمنع الاعداء من مصر لا تزال تشاهد في اطلالها الجداران الشامخة والبروج العالية والخنادق وكان في داخلها معابد وعدة مساكن دُمن الان

وقد وجد الباحثون حجرين كانا منصوبين على حدود مصر الجنوبية.ذلك مافهم مما هو مكتوب عليهما . وبعد وفاة هذا الملك بخمسة عشر قرناً اي في عصر العائلة الثامنة عشرة شاد « تحوتمس الثالث » معبداً في سمنة وكتب عليه ابتهالات كان يتلوها المصريون في ذلك الحين . ولهذا الملك هرم في دهشور

ومن ملوك هذه العائلة « امذيحمت الثالث ، ولهذا الملك يد بيضاء في ام النيل وفيضانه في اقليم الفيوم ، وذلك ان للنيل كما لا ينخفي ارتفاعاً معلوماً اذا بلغه كان غيئاً وحياة لارض مصر واذا زاد عنه كان ضربة ودماراً فتسقط الجسور وتغرق البيوت ، واذا نقص لا تكون مياهه كافية للرسي فيخشى من الجاعة . فلما علم هذا الملك بذلك هم بتدارك الام ، فراى في الصحراء الغربية من مصر بادية شاسعة الاطراف يمكن غرسها واستغلالها تعرف الان بوادي الفيوم يفصلها عن وادي النيسل الاصلي برزخ قليل الارتفاع ، وفي وسط تلك البادية بقعة من الارض تكاد لا تزيد ارتفاعاً عرب اراضي وادي النيل تبلغ مساحتها عشرة ملايين من الامتار المربعة ، وبجانبه الغربي ارض منخفضة ذات اتساع عظيم تغمرها مياه البحيرة الطبيعية العروفة الان ببركة قارون « او القرون » طولها يزيد عن عشرة فراسخ فأم بحفر ترعشين توصلان النيل بتلك البقعة احداها كانت تبتدئ من النيل بجانبه الغربي وتجري بمحاذاة بحر يوسف الحالي ، والاخرى كانت تجري شمالاً . وهاتان الترعتان تلتقيان وتصبان في تلك البقعة الفسيحة وجعل عند ملنقاهما قناطر بحواجز تسد وتفتح حسب اللزوم ، فكانت تلك البقعة بصفة حوض عظيم تبحقع فيه مياه النيل عند فيضانه عرفت بسبركة فكانت تلك البقعة بصفة حوض عظيم تبحقع فيه مياه النيل عند فيضانه عرفت بسبركة موريس

فانكانت زيادة النيل اقل من احتياج الارض انصرف اليها موس مياهه ما يس

احتياجها . واذاكانت اكثر من الحاجة صرير ف ما يزيد الى ذلك الحوض فان طفح ماؤه انصر ف الى بحيرة قارون بواسطة حواجز تسد وتفتح على قدر الحاجة . وكانت الحكومة في كل سنة قبل ارتفاع النبل تنتدب من يسير الى النوبة لاستكشاف مقدار زيادته في جهة سمنة وقنة وفي تلك الجهات الان كتابات هيروغليفيسة تشير الى مي من ذلك

و كان في وسط بركة موريس هرمان في كل منها تمثال ، واصل كلمة موريس « مري » ومعناها في اللغة المصرية بحيرة وليس كما زعم اليونانيون من انها دعيت بذلك نسبة الى اسم احد الفراعنية ، واصل كلمة الفيوم « پايوم » ومؤداها باللغة المصرية بلد البحر

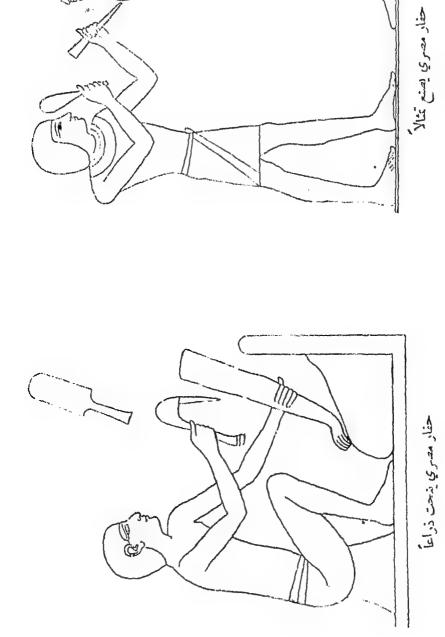
والى شرقي بحيرة موريس بنائه هائل يعرف باسم « لابرانسا » واسمه بالمصرية « لابوراحونت » اي معبد فم البحر بناه هذا الملك لاجتماع مجاس الاعيان من الكهنة وفي هذا البناء رحبات الى كل من الجانبين فيها من الغرف نحو من ثلاثة آلاف غرفة ويحيط بالبناء من الخارج سور عليه نقوش

اماً بركة موريس فقد جفت ولم يعد الها اثر الان ماما وقعها فقد اختلف المهندسون في حقيقته ومن راى الستر كوب وايتهوس انه واقع في واد وسيع الى جنوبي بركة قارون بعرض ٤٠٠ (٤٠ و ٣٠٠ (١٠) وهو المعروف الان بوادي الريان ، وقسه اقترح وايتهوس على الحكومة المصرية ان تتخذ هذا الوادي مذخراً لماء النيل كان قدماً

وامتدت حدود مملكة هذه العائلة الى بلاد النوبة وكان بينها وبين ليبيا الشمالية واسيا علاقات تجارية محورها ما بين بني سويف واهناس المدينة ، وبسبب هذه العلاقات تعلم الحريب من الليبيين علم الرياضة الجسدية (الجباز) اما صناعة البناء في ايام هذه العائلة فقد كانت من الاتقان والتفنن على غاية حق قيل ان معظم الاعمدة الحلزونية الشكل في الاثار الصرية الما من مصنوعات هذه العائلة

المائلة الثالثة عشرة الطيبية

است من ٣٤٧٦ - ٣٠٢٠ ع ه او من ٢٥٥١ - ٢٣٩٨ ق م وعدد مايك ٧٥٠ من ماول هذا العائلة « سبك حتب الثالث » له آثار كتابية على صخور شامخة صعبة التساق عند خفة النيل بقرب سمنة مفادها ان ما النيل بلخ هذا الارتفاع في



السنة الثالثة من حكم الملك سبك حثب الثالث واوطأ جزء من هذه الكتابة يعلو أعلى نقطة يبلغها النيل عند ارتفاعه في هذه الايام بنحو سبعة امتار . وذلك من الادلة على ان النيل كان اكثر ارتفاعاً في الاعصر الخالية منه في هذه الايام بما يستحق الاعتبار . وهذه العائلة على كثرة عدد ملوكها قل ما يعرف عنها . ويظن ماريت ان اكثر آثارها مردوم في اسيوط

العائلة الرابعة عشرة السخاوية

حكست من ٣٠٢٠ -- ٢٨٣٦ ق ه او من ٢٣٩٨ -- ٢٢١٤ ق م وعدد ملوكها ٧٥

بسقوط العائلة الثالثة عشرة سقطت طيبة بعد ان كانت سريراً للدول المصرية نحواً من سبعهائة سنة . على ان ملوك العائلتين الثانية عشرة والثالثة عشرة لم يكونوا في اهتهام لحفظ رونقها وافضليتها على سائر القطر المصري وانها صرفوا اهتهامهم في تعمير الذلتا ورفع شأنه فزهت منديس وسايس وبوباستس وعلى الخصوص تالس ولكنهم مع ذلك لم يتخذوا غير طيبة سريراً لملكهم . اما العائلة الرابعة عشرة فجعلت عاصمتها في الوجه البحري في مدينة خيس (سخا) في منتصف الذلتا . لا يعلم عن ملوك هذه العائلة ما يستحق الذكر سوى ان اسهامهم وجدت مكتوبة على سحيفة من البابيروس (البردي) حفظت في متحف تورين

الماثلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة (الرعاة) حكمت من ٢٨٣٦ - ٢٢٢٠ق هاو من ٢٢١٤ - ٣٠٧٠قم

فالعائلة الخامسة عشرة مؤلفة من ملوك الرعاة الذين افتتحوا مصر واتخذوا « اوريس » سريراً لملكهم وكان معظم سلطتهم في الوجه البحري . اما القبسلي فكان يحكمه بعض الملوك الوطنيين . اما منشأ ملوك الرعاة ويدعوهم اليونانيون « هيكسوس» فقد اختلف المؤرخون في حقيقته وقد عقدنا فصلاً في كتابنا تاريخ العرب قبل الاسلام بينا فيه ارجعية كون الرعاة عرباً من القبائل التي يسميها العرب « العمالقة » فايراجع هناك . ويقال انهم جاؤا مصر من جنوبي اسيا ففاجأوا المصريين في الوجه البحري وافتتحوا بلادهم وتقاطروا اليها افواجاً حتى انتشروا فيها كالجراد وجعلوا يعينون استبداداً فاحرقوا المعابد ونهبوا مافيها واتخذوا منف قاعدة لحكمهم وجعلوا يعينون استبداداً فاحرقوا المعابد ونهبوا ما فيها واتخذوا منف قاعدة لحكمهم

ففر الملوك المصريين الى الصعيد

واول من ملك من العالقة « سلاطيس » شاد قلاعاً حصينة في اماكن مختلفة وجعل في السويس جنداً عظيماً خيفة ان يهاجه كنعائيو الشام والعراقيون . وفي ايامه تقاطر اهل اسيا الى مصر اسراباً يطلبون ملجأورزقاً فبني لهم في اواريس معسكراً

عظيمًا يسع نحواً من 🖟 🏤 مائتــين وأربعين الفآ وجعل حوله خندقاً ورتب لهـم ارزاقاً ورتب حسم فصاروا له اعواناً فهابه الله الله المصريون ثم تداول خلفاؤه المسلم المسلم المسلم المسلم الملك الواحد المسلم الملك الواحد المسلم الملك الواحد المسلم ال الآخر . وعددهم ٦ [[] ومدة حكمهم جيما ٢٦٠ سنة وقدكانوا في اول امرهم مستبدين 🗲 يسومون المصريين شر الحرالي المعاملة ولا يستخدمون في مصالح حكومتهم الا الاجانب مو • إبناء جلدتهم . لكنهم في (آخر الامر قربوا الوطنيسين منهسم واستخدموهم فيمصالح الدولةوصر فوااهتمامهم الى احياء البلادوتجديد ___ ش ٧ -- مهاجرو اسیا ثروتها فبنوا المعابد

ودانوا بديانة اهل مصر . فخضع لهم الوجه القبلي فاصبحت مصر جميعها في أيديهم .

ايديهم . ثم خلفتهم دولة الرعاة الثانية وهي العائلة السادسة عشرة وعدد ملوكها اثنان وثلاثون لم يعرف منهم الاملك واحد يدعوه المصربون « ايابي اعاكنن » والعرب يدعونه « الريان بن الوايد » ومانيثون يدعوه « ابوفيس » وفي ايامه نزح كثيرون من اهل الشام الى مصر واستوطنوها لكنهم حافظوا على لغتهم ولم يبداوها . وفي ايامه ايضاً وفدت السيارة الذين باعوا يوسف بن يعقوب الى قطفير وزير مصر الذي يدعى بلغة مصر القديمة « بدفير » اي هدية الشمس وقصته مشهورة . وقد وجدت في الآثار حكاية استنتج منها بعضهم ما يؤيد قصة الحجاعة التي حصلت في ايام يوسف والله اعلم

واما العائلة السابعة عشرة فكانت مصرفي إيامها تحت حكومتين وطنية بيد المصريين واجنبية بيد الرعاة . وبلغ عدد ملوك كل من الحكومتين نحواً من ٤٣ ملكاً قاما يعرف عنهم . وكانت قاعدة مملكة الرعاة « صان » والوطنيين « طيبة » وفاية ما يقال في هذه العائلة انها لم تنته حتى التهي معها الرعاة وبانقضائه انقضت الدولة الملكية الوسطى

الدولة الملككية الاخيرة

حكمت من ٧٣٧٥ - ٥٥٤ ق ه وعدد عائلاتها ١٤

العائلة الثامنة عشرة الطيبية

حكمت من ٢٣٢٥ -- ٢٠٨٤ ق ه او من١٧٠٣ - ٤٦٢ ق م وعدد ماوكها ١٤ و لهذه العائلة شأن عظيم في تاريخ مصر القديم لان البلاد في ايامها نشطت وامتدت سطوتها الى انحاء بعيدة

اول ملوكها « احممس » ويسميه ما يثون « اموزيس » تزوج بابنة ملك آثيو پي وتحالف معه على طرد بقية العمالقة من مصر ، وكانوا متحصنين في قلعة اوربس بر"ا وبحراً فاصرهم شم طردهم منها ، وما زال يتبعهم بجنوده حتى نهر الفرات فتخلصت مصر منهم بعد أن استبدوا فيها سمائة سنة ، وبقيت منهم بقية رضخت لاحكامه قهراً وما لبث أن عاد من هذه المحاربة حتى عصته أهل النوبة فجرد اليها وظهر عايها ، أما الاثيو بيون فدخلوا في طاعته بغير حرب وامتدت سلطته الى البحر المتوسط ، وفي

السنة الثانية والعشرين من حكمه استعمل العالقة لقطع الحجارة من محاجر طره لتجديد معبد « فتاح » في منف ومعبد « امون » في الكرنك ولانشاء معابد آخرى وقد وجدت جثة هذا الملك في الدير البحري بجبل القرنة وهي الآن في المتحف المصري ومن ملوكها « امنحتب الاول » ويسميه مانيثون « امنوفيس » كان ملكاً عادلاً مسالماً تروج بابنة ملك اثبوبيا وجئتاهما في المتحف المصري

ومن ملوكها ايضاً « تحوتمس الاول » رغب في توسيع دائرة ملكه فيجعل بحارب جنوباً وشمالاً فامتدت سلطته الى محاجر مدينة « انبو » في وسط النوبة ويستدل على ذلك بوجود اسمه منقوشاً على حجر هناك . وقد وجدت نقوش اخرى في جهات اصوان تشير الى شيء من ذلك . وامتدت مملكة مصر في ايامه جنوباً الى جبل «ابته» في الحبشة . وشالاً الى اقصى اسيا المعمورة من ضمنها فلسطين وبابل وغيرهما . اما معظم ثروة بلاده فكانت من اثيوبيا التي كانت تأتي منها البضائع مشيحونة في مماكب النيل الى مصر وفيها الحيوان والحب والجلد والعاج والخشبوا لحيوارة الكريمة والمعادن كالذهب وغيره ويقال ان اسم النوبة مأخوذ من « بب » اي ذهب . ومن آثاره انه شاد معبد امون في الكرنك ومسلتين احداهما لا تزال الى الان عند باب المعبد المذكور اما الثانية فقد ذهبت بها يد الزمان

ومنهم الملكة « حعتشبو » ويسميها مانيثون « مفرس » ساست الاحكام بتدبير وحزم ورسمت صورتها على الآثار بهيئة رجل ذي لحية ملوكية مهيبة ، وقد سعت هذه الملكة في نشر سطوتها ففتحت بلاد « بون » جنوبي بلاد العرب فكانت باباً للتجارة وكانت تأتي منها بالخشب والعطريات والصمغ والذهب والفضة والحجارة السكريمة وغير ذلك من لوازم بناء الهيا كل . ومن آثار هذه الملكة مسلتان نصبتها في الكرنك لم تزل احداها قائمة الى هذه الغاية عليها كتابة بالقلم المصري القديم تفيد أنها اقامت هائين المسلتين تذكاراً لوالدها . وكان على قة كل منها الكيل هرمي الشكل مصنوع من النهب المغتم من الاعداء ، والمسلة الواحدة قطعة واحدة مقطوعة من محاجر اصوان استغرق عملهما مها اربعة عشر شهراً وارتفاع كل منهما ثلاثون متراً

ومن ملوك هذه العائلة « تحوتمس الثالث » وهو شقيق الملكة المتقدم ذكرها . لم يمكنه اللك الا بعد وفاتها ولم يكن راضياً بحكمها الا رغم ارادته فلما تولى محا اسمها من اكثر الاماكن التي ذكرت فيهما انتصاراتهما وكتب اسمه مكانه لتنسب تلك الانتصارات اليه

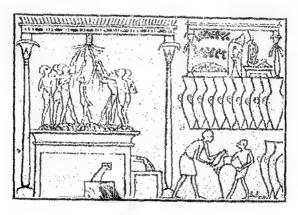
وفي ايامه استقلت اسيا من سلطة المصربين الآغزة وضواحيها . ثم ظهر المقرد في الشام فثار اهالها وحرضوا سكان شمالي سوريا على مشل ما فعلوا . فقائلهم وظهر عليهم وسلبهم مدينة حلب ومدنا اخرى ثم سار الى الفرات فاخضع العراق والجزيرة وبعد انتصاره اراد اكرام جيشه فصرح لهم ان يصطادوا من حيوانات تلك البلاد ما شاؤا وكان في جهة صيدهم مائة وعشرون فيلا فعاد الى مصر ظافراً . ثم لم يضير حق عادت اسياالشمالية الى الثورة فشقت عصا الطاعة وتمرد اهلها وتابعهم اهل الجزيرة . فعاد الى قتالهم وما زال حق استظهر عليهم وعاد الى مصر ثم خرج عليه الزنج والعبيد من النيل الاعلى فحاربهم ونهب بلادهم وهدم مساكنهم وحرقها وقادهم اسرى والعبيد من النيل الاعلى فحاربهم ونهب بلادهم وهدم مساكنهم وحرقها وقادهم اسرى ولذلك لقبوه بالسلطان الاكبر . وفي المتحف المصري حجر جيء به من الكرنك عليه من الأعلى صورة الملك المذكور كأنه يقرب القرابين لبعض الالهة وهم وقوف بين يديه وتحت ذلك كتابة هيروغليفية بين نثر و لظم كتبت عن لسان امون اله طيبة يخاطب بها الملك عا يشبه المدح والتنشيط



ش ۹ -- اسرى الزنوج

وكان في حوزته عند وفاته الحبشة والنوبة والسودات والشام والجزيرة والعراق العربي ورستان وارمينيا وقبرس اما جثته فتشاهد في المتحف المصري ومن آثار تحوتمس الثالث مسلته ان اقامها في المطرية حتى اذا كانت ايام الملكة كليوبطرا نقلتا الى الاسكندرية وجعلنا امام هيكل القيصر وعرفنا بعد ذلك بمسلق كليوبطرا وعليها كتابة هيروغليفية كثيرة بينها اساء تحوتمس الثالث ورعمسيس الشاني وسيتي الثاني ولا وجود لاسم كليوبطرا عليها ، وفي سنة ١٨٧٧ ب م نقلت احداها الى لندرا واقيمت على ضفاف التيمس ثم نقلت المسلة الاخرى الى اميركا بعد حين

ومن ملوكها الملك « امنوفيس الثاني » استلم زمام الاحكام وسلطة مصر منتشرة في اقاصي الارض فاجتهد في حفظها الاان اشور نظراً لبعدها من مصر اوت واستمالت اليها ما حولها من المدن فجهزاليها امنوفيس وما زال يحاربها ومن تابعها نحواً من سنتين كان يتردد اثناءهما بين العراق والجزيرة واكاد . واخيراً عاد الى مصر بحراً غامماً ظافراً . وفي جملة ما جاء به من العنائم سبع جثث بمن قتلهم في تلك الحملة فعلق ستاً منها على سور طيبة . ولهذا الملك رسم منقوش على مقبرة في القرنة هو فيه على هيئة ملك عظيم الشأن جالس على كرسي قد نقش على قاعدته اسها البلاد الخاضعة الها الم



ش ٨ - معاصر العنب عند المصريين

ومن ملوكها ايضاً الملك « تحوتمس الرابع » ومن اعماله اعادة عبادة الشمس الى مصر . فكرَّم البا الهول المرموز به عنها . ومن يزر هذا النمثال العظيم في الجيزة يرَ في صدره لوحاً ارتفاعه اربع عشرة قدماً انكليزية في اعلاه الى اليمين رسم هذا الملك يقدم العبادة لابي الهول والى اليسار رسم الشمس . ويلي ذلك نقوش كتابية تفيد أن ذلك الملك لم يذخر وسعاً في تحسين مدينتي منف والمطرية واعطاء المرتبات المقررة للمعابد او لانشاء الهياكل والنائيل والمعبودات وكان ملكاً قوياً مهوباً

ومن ملوكها ايضاً ﴿ امنوفيس الثالث › لما تولى الاحكام كانت حدود مملكة مصر عمدة شهالاً الى نهر الفرات وجنوباً الى جلة ولسعة شهرته في الاقطار الغربية دعاه اليونان بالمنون . وله تمثال عظم في طيبة مشهور بهدا الاسم . وقد كثرت في ايامه القلاقل والفتن فسمى في اخمادها بعزم و نشاط وكان ذا وقار ومهابة وفي الحروب باسلا مقداماً . كل ذلك تراه مكتوباً نقشاً على تاج هيكل الاقصر لانه جدد فيه قسماً عظيماً وكان يلقب نفسه بسلطان البرين وامير العالمين (يريد عالى اسيا وافريقيا) وكان حسن

السياسة فزادت مصر في ايامه سطوة ومملكتها انساعاً

ومن آثاره هيكل في « نبته » جعل في الطريق الى بابه صفين من الكباش الراقدة على مثال إبي الهول وحسن معبد تحويم الثالت في سواين بين الشلال الثاني والثالث وشاد هيكلاً غربي الكريك خدمة المعبود امون . وهناك اصلاحات اخرى اجراها في هياكل ومعبودات اصوان وجزيرتها وجبل السلسلة وغيرها ، والشأ على ضفة النيل الغربية تجاه الاقصر معبداً طالما كانمن اعظم الاثار القديمة اما الان فقد اصبيح خراباً لاسباب لا نمامها الا صنين كبيرين كانا على بابه ولا يزالان قائمين رغم مصادمة الايام ويعرفان بشامة وطامة وكل منها تمثال امنوفيس الثالث . وبقيا الى سنة ٥٥ قبل الهيام ويعرفان بشامة وطامة وكل منها تمثال امنوفيس الثالث . وبقيا الى سنة ٥٥ قبل الهيام ويعرفان بشامة والمامة وكل منها تمثال امنوفيس الثالث . وبقيا الى سنة ٥٥ قبل في مكانها فلوحظ ان هذه القاعدة اذا سقطعايها المدى عماسر قتعايها الشمس اخرجت في مكانها فلوحظ ان هذه القاعدة اذا سقطعايها المدى عماسرة قتعايها الشمس اخرجت أنه اهتم القوم بإعادة الجزء الساقط الى قاعدته فأعادوه و ملطوا مكان الالتحام جيداً فلم يعد يسمع له صوت فعلموا ان ذلك السوت كان يحدث من تأثير اشمة الشمس على نقط الندى بعد تخللها جسم ذلك الحبور

ومن ملوكها ايضاً « امنوفيس الرابع » رغب في عبادة الشمس فابتني في محل تل العهادنة على مقربة من المنيا مدينة جديدة جعاما سريراً لملك بدلا من طيبة ونقل اليها معبود قرص الشمس وسهاه (اتن) على مثال اله اليهود (ادوناي) اقامه في معبد ابتناه من اجله . وقد نقبوا اطلال تلك المدينة فوجدوا بينها بقية ذلك المعبد على دهليزين وستة اعمدة مدرجة الوضع يظهر انها كانت منصوبة في صحنه وشاهدوا على جدرانه رسم الشمس مشرقة على الملك ورجاله وهم وقوف يقربون القرابين اليها وبين اشعتها ايد محدة كانها تنثر الحياة على المخلوقات وحول هذه الرسوم ادعية وقصائد كان يتلوها المرتلون على نغهات الاوتار . وعلى جدران الهيكل ايضاً رسم هذا الملك ورجاله على هيئة غير مصرية ، ويشاهد ايضاً في مقبرة بتل العهادنة نقوش بذنها صورة الملك واقفاً على عربته الحربية وبجاببه بناته السبع يقاتلن معه ، وله آثار في سوليب وهبكل ومسلة بمدينة طيبة

ومن ملوكها ايضاً الملك « حور محب » وهو من اقارب « امنوفيس الرابع» ثارت عليه الرعية عند اول حكمه فارضاهم بمحو عبادة الشمس وهدم معبدها والمدينة جميعها واعادة الديانة المصرية ، ولما خدت الثورة بني الوجهة الرابعة من معبد الكرنك

وفي أيامه خرجت أسيا من سلطة المصربين وما زالت كذلك ألى أن جاءت العائلة التاسعة عشرة

المائلة التاسعة عشرة الطيبية

حكمت من ١٠٨٤ - ١٩١٠ ق هاو من ١٤٦٢ - ١٢٨٨ ق م وعدد الوكها ٨ اول ملوكها « رعمسيس الاول » ولم يتحقق حتى الآن اذاكان مصري المولد او اسيو به تبوا كرسي الملك شيخا وكانت المماكمة المصرية تئن لخروج معظم ايالاتها من طاعتها على اثر الحرب الدينية فجدد شبابها ونهض للجهاد فحارب الاثيو بيين والحشين وكانوا امة عظيمة تحتها عدة طوائف قد تحالفوا معاً على قتال المصريين . ويقال ان

هذا الملك هو أول من ناهض الحشين واخترق بلادهم وجال في المقاعهم حتى ضفاف نهر العاس

وخلفه ابنه « سيتي الاول » فسعى سعياً حميداً النوسيع مملكته فغزا بعضاً من بلاد اسيا الغربية . ذلك ما يستفا د مماكتب على هيكل الكرنك فغزا غزوات عديدة الى الشام والعراق وغيرها ففتح بلاداً "ممته من جنوبي الشام الى ارمينيا. وقد كانت قبلاً لا يطلب منها الا جزية تدفعها وحكامها من ابنائها . اما هذه المرة فادخل أهلها في طاعته وجعل عليهم حكاماً من امرائه وأحاطهم بنقط حصينة كغزة وعسقلان جعل فيها حاميات من رجاله فامن طغيانهم الا ما جاور الفرات فانه عجز عن ابقائه في حموزته وعمسته الجزيرة والعراق ولم يعه قادراً على مقاومتها فوقف عند حده ولذلك كانت فتوحاته كبيرة في الظاهر حقيرة في الباطن . ولما عاد من تلك المحاربات جعل يمكن العارقات مع ايالاته بواسطة النقط العسكرية التي كان قد جعاما فها فزاد الارتباط بين المصريين والامم المتعابة ولا سما الكنعانيين فادخل المصريون معبود الكنعانيين (بعلا) في عداد معبوداتهم ومثلوه بالشمس وكان لهذا المعبود زوجة اسمها استارته (عشتروت) مثلوها بالقدر واتخذوا من اسا ايضاً آ لهة اخرى



ش ١٠ - جنازة مصرية قديمة

ومن آثار هذا الملك هيكل في القرنة وآخر في رداسية وآخر في العرابة المدفونة وقد نحت اعمدة كثيرة اقامها في النوبة وحجراً جعله في اصوان. وفتح ترعة بين النيل والبحر الاحمر تبتدىء من تل بسطة وتجري شرفاً في وادي الطملات الى ان تصب في البحيرات المرة و بني خط دفاع شرقي مصر وشاد بحراباً في القرئة وفتح طريقاً للقافلة بين قرية رداسية باقليم اسنا وممدن الذهب بجبل اتوكي حيث اصطنع عيناً صناعية ينفجر منها المله غزيراً. واصلح الغار الذي في بني حسن للمعبودة < بشت > و يعرف الآن بغار < اتبيدس > واخيراً بني لنفسه ضريحاً في بيبان الماوك يعجب له كل من عاينه لدقة صنعه وال فيه من المناظر الفلكية البديعة

ومن ملوك هذه العائلة « رعمسيس الثاني » المشهور باسم « سيزوستريس » ويقال له « رعمسيس الأكبر » لانه في الواقع اعظم من ملك مصر حكمة و بطشاً حكم مدة طويلة كلها فتوحات وحروب ومبان ونقوش فلا يكاد يوجه اثر من الاثار المصرية القديمة الا وعليه اسمه ورسمه . ولي الملك صغيراً فشب معتادًا على الاعمال السياسية وكان متوقد الذهن وفيه فطنة ونباهة منذ حداثته . واا توفي والده قام باعباء الملك بنفسه فاخذ في توسيع لطاقه بالفتوحات . واول غارة شنهما كانت علىالشام فسار بجيشه وما بلغ نهر الكاب بقرب بيروت حتى خمدت الفتنة فعاد الى مصر تاركا اثراً منقوشاً على صيخر هناك . وفي السنة الرابعة من حكمه ثار عليه سكان شمالي أسيا وهم الحثيون وكاتي وكركاميش وكوش وكانوا اقواماً من الشجاعة على جانب عظيم فانضمواً لمحار بته وساروا جميعاً حتى وادي الارونط بقرب حدود مصر في ذلك العهد. فبلغ رعمسيس خبرهم فجمع اليه امراءه ورجال دولته وقوَّاده وجنوده وسار في مقدمتهم وما زالوا يخترقون سوريا حتى اتوا نهر العاص قرب مدينة قادس فاذا هي على جانب من المنعة ففرق رجاله فرقاً في نقط معينة ثم سار في حاشيته منفردًا فلقيه جواسيس الحثيين فاغروه على التقدم نحو المدينة فسار في حاشيته تاركا جيشه في اماكنهم فلما اقترب من المدينة علم أنها دسيسة اوقع فيها فالتفت وأذا بمركبات الحثيبن حوله لا عداد لها فلما رأى ذلك رجال حاشيته طلبواً النجاة بإنفسهم و بقى رعمسيس وحده فاستنجه الهه وهاجم الحثيين بمفرده على مركبته ففرقهم وفاز بهم . وبعد يسير عاد البه رجال حاشيته وقد كادوا يذوبون خبجلاً لما كان من فرارهم أما هو فاكتفى بتوبيخهم ثم اجتمع بجيشه ثانية وهاجم العدو فهزمهم وانتهى الامر بعقد معاهدة بينه وبينهم شم هم بالجلاء من اسيا



ش ١١ - رعمسيس الثاني

وينها هو في طريقه الى مصر الرعليه الكنعانيون وانضم اليهم الحثيون ناقضين العهد والرغيرهم معهم فاصبح جميع من قطن ما بين ضفاف الفرات وضفاف النيل يقاتلون المصريين الا اهل اسيا الصغرى فانهم هجروا اوطانهم ولم يظهروا للقتال. وما زالت هذه الحروب متواصلة بتخللها هدات وفترات مدة خس عشرة سنة فاستولى رعمسيس على مدينتي البور وميروم وقاعة اورشليم وعسفلان. ثم سارشهالاوقاتل هناك حتى اخذ من الحثيين مدينتين وجد في احداهما الان اله و والت الحرب سجالاً حتى اضطر ملك الحثيين الى المصالحة فطلبها فقبل رعمسيس ذلك في السنة الحادية والعشرين من حكمه فعقدوا معاهدة كتبت اولا بلغة الحثيين ثم تقشت على لوح من فضة وقدمت الى رعمسيس ومفادها ان الحثيبن بتعهدون الهم أن يعودوا بعد ذلك الى حمل السلاح ضد المصريين وعلى مثل ذلك يتعهد المصريون وان يكون الفريقان متحالفين الى الابد وجعلوا في وسط لوح الفضة وعلى جانبه الاعلى صورة تمثال (ست) معبود المصريين معانقاً المثال (خيتا) معبود الحثيين . وما زالت هذه الماهدة مرعية مدة ست واربعين سنة كانت الراحة في اثنائها مستثبة وتصاهر هذه الماهكان توطيداً للملاقات الودية فاصبح المصريون والحثيون قلباً واحداً وبعد التوقيع الملمكان توطيداً للملاقات الودية فاصبح المصريون والحثيون قلباً واحداً وبعد التوقيع

على المعاهدة بيسير دعا رعمسيس الثاني ملك الحثيبن لزيارته الى مصر فزاره فأكرم مثواه

ولما سكنت الحروب اخذ رعمسيس في تشييد المباني فشاد في كل مدينة معبد" وتم معبد القرنة في الاقصر وكان قد شرع فيه ابوه ، ومن آثاره ايضاً هيكل بناه في شرقي الشيخ عبد القرنة بطيبة سهاه شامبليون « رامسيون » منقوش فيه تفاصيل احدى وقعاته ومنها معابد في العرابة المدفونة ومنف وتل بسطة وغيرها وأسس في الوجه البحري مدناً عديدة دعاها باسمه ، وكان لهذا الملك العظيم في قلوب رعيته من الحبة الى حد الشغف وكان لهم فيه من الثقة الى حد العبادة ، ولما مات دفن في مقبرة بيبان الملوك ثم نقل الى الاقصر لاسباب غير معلومة . ثم نقل الى المتحف المصري وهو هناك الى هذه الغاية

ومن ملوك هذه العائلة « منفتاح الاول » ابن رعمسيس الثاني اتبع خطوات ابيه فيمل يزيد في بنايات الذاتا وتحسبها ثم ثار عليه اهل اسيا الصغرى وطائفة ألليبين فانفذوا اليه بوارجهم في البحر المتوسط الى سواحل ليبيا مماوع " بالعدة والرجال من قبائل مختلفة وما زالوا حتى اتوا السواحل المصرية ودخلوها من غربي الذاتا كل ذلك والمصريون لا يبدون حراكا الا اذاكان للتسليم . ولم يمض كثير حتى اصبح معظم الوجه البحري في ذمة اولئك الوافدين ، فاما علم منفتاح بذلك تجند في منف وارسل فرقة من فرسانه الما بلة العدو ثم امر بتحصين جميع المراكز الواقعة على ضفتي فرع رشيد ، فتناقل الليبيون فائفذ اليهم فرقة شتتهم وعاد المصريون فائرين غائمين بعد ان احرقوا مسكر العدو فعاد الامن الى بلادهم ، و يقال ان الاسرائليين هاجروا مصر في ايام هذا الملك و لهم على ذلك ادلة أعرضنا عن ذكرها لضيق المقام

العائلة المشرون الطيبية (وتسمى الرعمسيسة)

حكمت ن سنة ١٩١٠ ــ ١٧٣٢ ق ما و من ١٢٨٨ ــ ١١١٠ ق م وعدد ماوكها ١٢ من ملوكها حرم من اشتهر من ملوك مصر القدماء و في اول حكمه ثار عليه اهل البادية فهددوا استحكامات الذلتا واهانوا العملة الذين كانوا يستخرجون المعادن من جبل الطور . وخرجت ولايات الشام مرف طاعته وسطا الليبيون على ارضه فاحتلوا بعضاً من الدلتا من جهة الغرب

فلما علم رعمسيس بما كان من تلك الوقاحة سار في جيش من رجاله على البدو

فهزمهم ثم على الليبيين فاقلعهم من محتابهم فعادوا على اعقابهم خاسرين. فلما علم أهل اسيا الصغرى والجزائر اليونانية بماكان جردوا جيوشهم متحالفين على محاربة رعمسيس وما زالوا حتى اتوا الذلتا فلاقتهم الجيوش المصرية عند مصاب النيل بقلوب لا تهاب الموت وفي مقدمتهم رعسيس الثالث غير مبال بما كان حوله من الاسهم المتساقطة عليه من كل الانجاء . وما زالت الحرب سجالاً الى ان فاز المصريون فوزاً تاماً . ولهذه المعركة العظيمة رسم منقوش على جانب الحوش الاولسن مباني مدينة (ابو) بطيبة . واستثبت الراحة في ديار مصر بعد ذلك نحو سنتين ثم عاد الليبيون الى الثورة ثانية وضموا اليهم بعضاً من القبائل المجاورة لبلادهم واغاروا على مصر من غربيها فقاباتهم المصريون بثبات فانتهت الحبرب بنصرة المصربين كل ذلك انتقوش في مدينة (أبو) بطيبة ايضاً . فاضطر الليبيون بمد المعركة الثانية الى رعاية حقوق مصر عايهم فرضخوا لهـــا صاغرين . ثم دخل في ذمة المصريين ايضاً اهل الشام وسكان سيسيليا وغيرهم . ن الايم المتعاهدة فاصبحت مصر دولة مهيبة واسعة النطاق واستعز رعمسيس بالملك . الا أنه لم ينج من بعض المتاعب الداخلية لان اخاه ارمانيس كان يسعى فيه بدسيسة يذهب بها حياته ولم ينجح فعلم رعمسيس بذلك فاتى باخيه ومن شاركه وبعد تحققه ارتكابهم جازى كلاً منهم بما فعل في ما له الدهر فحمل يجدد المباني فبني في مدينة (ابو) قصراً كبيراً نقش على جدرانه ما كان من محارباته ووسع معبد الكرنك واصلح هيكل الاقصر وغيره من مباني الوجه البحري وكانت النجارة في ايامه رائجة ممتدة الاطراف

وتلا هذا الملك ملوك اخرون من هذه العائلة يعرفون برعمسيس الرابع والخامس الح و على الله و الحامس الح و على الله و على الله و اله و الله و الله

العائلة الحادية والعشرون الطيبية والطينية

حكمت من سنة ١٧٣٢ ـــ ١٦٠٢ ق ه او من ١١١٠ - ١٨٠ ق م وعدد ملوكها ٤ اولهم الكاهن (حرحور) اختاس الحكم اختلاسا من العائلة الرعمسيسية على اسلوب دئي منقوش على هيكل (خونسو) بطيبة ثم نفى من نقي من العائلة الذكورة الى الواحات في وسط الصحراء الكبرى وتولى بعده ابنه الكاهن (يعنيخى) وليس له ما يذكر به سوى انه تزوج بابنة ملك الشام

ثم تولى بعده ابنه السكاهن (بينوزم الاول) وفي سنة ٢٥ من حكمه قامت فتنة بين اهالي الوجه القبلي واهالي الوجه البحري بسبب نني العائلة الرعمسيسية والتهت باستدعاء اوائك النفيين من الواحات الى طيبة

وفي ايامه اتى النمرود بجيشه من اشور متظاهراً بالدفاع عن العائلة الرعمسيسية وانما كان قصده الاستيلاء على البلاد المصرية فتحققت اماله واخذها عنوة وضمها الى بلاده ثم توفي النمرود ودفنته امه في العرابة المدفونة وجعلت لمدفنه المرتبات المعتادة وتولى بعده ابنه (ششنق) على مصر واشور واتخذ مدينة (تانيس) سريراً لملكه وسيأتي ذكره في الكلام على العائلة الثانية والعشرين

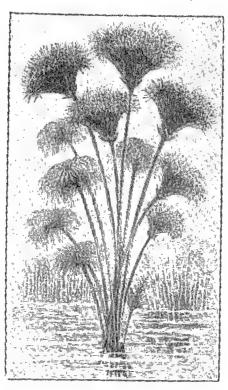
المائلة الثانية والعشرون البسطية

حکمت من سنة ۱۹۰۲ -- ۱۶۳۲ ق ه او من ۹۸۰ – ۸۱۰ ق م

سميت بسطية لان قاعدة ملكها كانت في تمل بسطة بالشرقية قرب الزقازيق وعدد ملوكها تسمة ومدة حكمهم ١٧٠ سنة

اول ملوكها المك د ششنق الاول » ويدعى في التوراة شيشاق وهو سامي الاصل ابن النمرود كما تقدم ، ولد في مصر و نشأ فيها والم استتب له المقام في عاصمته سار الى العرابة المدفو نقلا يارة قبر ابيه فوجه خدمة القبر قد نهبوا ما كان في المعبد من الامتعة الفضية فامر بقتام بعد ان سار الى طيبة واستشار معبودها « امن وع » بذك ، واعاد الى المعبد منهو باته ورتب لاخدمة مرتباتهم ،كل ذلك منقوش على حجر في العرابة المدفونة ومن اعمال هذا الملك أنه سار الى فلسطين ووضع يده على اموال المسجد الاقصى الذي بناه سليان الحكيم وعلى اموال القصور الملوكية وفيها الدروع السليانية الذهبية المشهورة ثم سار الى الاسرائليين فسادوا له القلاع بغير قتال ، وبعد عوده من هذه المغزوة نقش صورته على الجدار القبلي لهيكل الكرنك بالقرب من أيوان البسايطة الذي السمه هو ويجانب صورته اسهاء المدن التي افتتحها مكتوبة في ست وتسعين منزلة ورسم صور الملوك الذين اصبحوا تحت حكمه وفي جملهم الملك رحبعام ابن سلمان مكتوف البدين وراء ظهره وفي عنقه حبل ، وبني عمارات كثيرة في طيبة بحيجارة من جبل البدين وراء ظهره وفي عنقه حبل ، وبني عمارات كثيرة في طيبة بحيجارة من جبل

السلسلة من اعظمها الايوان المتقدم ذكره ولا تزال اثاره باقية الى هذا العهد قبلي هيكل رعمسيس الثالث ويعرف هذا الايوان عند علماء اللغة الهيروغليفية بايوان البسايطة وتوفي بعد ان حكم ٢١ سنة



ش ١٢ - أبات البردي الذي كانوا يصنعون منه البابيروس

وتولى بعده ابنه « اوسوركون الاول » وليس له آثار تذكر وخاف هذا ثلاثة ملوك ليس لدينا شيء من اخبارهم . ثم تولى الملك « تأكلوت الثاني » وله لوح حجري في رواق البسايطة بالكرنك منقوش عليه بالقلم الهيروغليني شيء من سيرته وفي ايامه ضعفت شوكة مصر فعصتها اعهالها واستقات في سلطتها . فاصبحت مصر حقيرة وقد ذهب نفوذها ولا شيء من العزة والمنعة فيها . ثم تولى بعد هذا « ششنق الثالث » « و يبهاي » « و ششنق الرابع » وفي عهدهم تجزات ، صر الى أعهال متفرقة على كل « مها حاكم ايبي تحت ادارتهم فاستبد او ائلك الحكام و تغافل عنهم ملوكهم فزادوا فجوراً وما زالوا حتى ازالوا سلطة او لئك و اخذوا الملك من ابديهم واقبوا انفسهم بالفراعنة

ونزل الملوك الاصليون في بسطة ثم هاجروا منها خوفاً الى منف وانتهى الامر, بعد موت ششنق الرابع بخروج الدولة من يدهم الى ملوك العائلة الثائثة والعشرين

العائلة الثالثة والعشرون الطينية

حكمت من سنة ١٤٣٢ — ١٣٤٣ ق ه او من ٨١٠ — ٧٢١ ق م وعدد ملوكها ٤

قاعدة ملكهم « تانيس » المعروفة الان بصان في الوجه البحري بمدير يةالشرقية وقد كانت عند اول استيلائهم على الوجه البحري مدينة بسطة وكانت طيبة في ايدي الاثيوبيين فنزعها منهم « بتوباستيس » وهو اول ملوك هذه العائلة . وفي ايام هذه العائلة انقسمت ،صر الى عشرين اقلياً تحت كل منها اقسام يتولى القسم منها امير يرجع في معضلات احكامه الى مركز الاقليم وما زال الامركذلك حتى ظهرت العائلة الرابعة والعشرون

العائلة الرابعة والعشرون الصاوية

حكمت من سنة ١٣٤٧ ــ ١٣٣٧ ق ه او من ٧٧١ ــ ١٧٥ ق م وعدد الوكها ه اولهم « تفنخت » وكان احد امراء الاقسام المنقدم ذكرهم . فقويت سطوته شيئاً فشيئاً حتى تمكن من جميع مصر قبليها وبحريها الا اقليم الشرقية فانه تركه للعائلة الملوكية السابقة والما علم ملك اثيوبيا بماكان جرد اليه جيشاً وحاربه فقهره ونقش صورة المحاربه على حجروجد في جبل برقل ثم نقل الى متحف بولاق . فامادخلت مصر في سلطة ملك اثيوبيا واسمه « يعنخي » جعلها ماحقة ببلاده اكنه ابق لوسائها الامتياز وجعل « تفنخت » ملكاً عليهم بالاصالة وبعد يسير مات يعنخي وخلفه آخر لم يكن اهلاً للاحكام فتحرر المصر يون من سلطته فانسحب برجاله الى بلاده وفي اثناءذلك مات تفنخت فتولى بعده ابنه « باكوريس » وكان قوي الادراك فقيهاً بارعاً فجعل مصر الوسطى والسفلى تحت حكمه الا ان الدهر لم يدم له لان الدولة الاثيوبية صارت الى « سباقون » فجاء مصر وافتتحها عنوة والتي باكوريس حياً في النار وبموته ماتت العائلة الصاوية وامست مصر ايالة اثيوبية

العائلة الخامسة والعشرون الآثيوبية

حكمت من سنة ١٣٣٧ ـــ ١٢٨٧ ق ه او من ٧١٥ ـــ ٢٦٥ ق م وعدد ملوكها ٤ اولهم « سباقون » المثقدم ذكره تولى زمام مصر وجعل انفسه القاب الفراعنة واخذ يبث النظام في البلاد ويحسن سياستها فابقى كل رئيس على اقليمه مع حفظ نفوذه عليهم جميعاً بمراقبة امراء اثيوبيين . ثم شاد الجسور واحتفر الترع حرصاً على البلاد ان يمسها غرق او شرق ورمم كثيراً من المعابد واستبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة فاكتسب ثقة المصريين واشتهر بالرافة وحسن التدبير

الا ان ذلك لم يدم له لان مملكة اشوركانت في ذلك العهد قد امتدت سطوتها على الفينيقيين والاسرائليين والفلسطينيين ورغب هو لاء في التخلص من نير الاشوريين فاجعوا على ان يستنصروا «سباقون» في ذلك . فانفذ هوشع ملك اسرائيل اليه هدايا فاخرة وسأله الثحالف معه على «شامنصر» ملك الاشوريين فاجابه سباقون الى طلبه طمعاً منه بالحصول على ما كان لاسلافه من ملوك مصر العظام . فبلغ خبر تلك المعاهدة مسامع شامنصر فاحتال على هوشع حتى اسره وفاجاً قومه بالهجوم فظهر عليهم فاعترفوا له بالسيادة بعد ان قنطوا من مساعدة سباقون ثم سار «شامنصر» فظهر عليهم فاعترفوا له بالسيادة بعد ان قنطوا من مساعدة سباقون ثم سار «شامنصر» الى السامرة وحاصرها لكنه مات قبل افتتاحها وكان اخر ابناء العائلة الملوكية الاشورية فاقيم مكانه « سرجون » رئيس قواده فاقتدي به وسار على خطواته فاتم فتح السامرة ثم سار الى فلسطين وقتل الملك « يهو بيد » احد المتحالفين مع سباقون .



ش ١٣ - سرجون ملك اشور بيده الصولجان

فلما راى سباقون ذلك خاف على بلاده فتقدم بجنوده الى الشام لرد « سرجون » مد ان انضم اليه « حانون » ملك غزة احد المتحالفين فالتقيا بجيوش الاشور يين في

مدينة رفح وانتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت الجيوش المصرية والشامية وأخذ « حانون » اسيراً ونجا سباقون فضل في الصحراء الى ان وجد من اهداه الى طريق مصر . فكانت هذه المحار بة امثولة له لكي لا يطمع فيا هوعاجز عن نيله ، ولم يكن ذلك كل شقائه فانه بعد هذه الهزيمة ثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة اسطيفانيتس احد اقرباء الملك « باكوريس » سعياً في اصلاح شؤون البلاد فانهزم سباقون الى الصعيد واستقل باكوريس بالوجه البحري لكنه لم ترسخ قدمه حتى انقسمت حكومته على نفسها وقام النزاع بين فئنين من طالبي السيادة وفي اثناء ذلك توفي « سباقون » وخلفه ابنه « سيخون » فاغتم فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واستولى عليه . وهذا ما لبث ان ثبتت قدمه حتى قنله « طهراق » وتولى مكانه



ش ١٤ ـــــ اسرحدون يقود طهراق ملك مصر وبعل الك صور بحيل

اما « طهراق » هذا فكان رجلاً محارباً نزع مدينة منف من « استفائيش » شم جاء اسر حدون ملك اشورفاتحاً ففر طهراق (تهراكا اوترهاكه) الى النوبة واستولى ملك اشورعلى منف وطيبة ونهب امتعة هياكلها وقسوسها وارسلها الى بلاده التحفظ تذكاراً لتلك الغلبة . ثم اشتغل في اصلاح شؤون مصرواعاد رؤساء الاقاليم كما كانواكل واحد في اقلميه وضرب عليهم الجزية وبعد ان تم له ذلك سار الى « نينوي » تاركاً بعض جنوده حامية في قلاعه خوفاً من غائلة الاثيو ببين فمر في اثناء الطريق بنهر السكاب قرب مدينة بيروت فنقش على الحيجر الذي كان نصبه رعمسيس الثاني نقوشا كثيرة بين فيها فتكه بلصريين والاثيوبيين

وفي سنة ١٩٩٨ ق م اغتم طهراق فرصة مرض اسرحدون وهاجم المصريين المسترجاع البلاد اليه فلما علم اسرحدون بذلك وعلم بعجزه عن الدفاع تنازل عن الملك لابنه الاكبر « اشوربا ببال » . فسار هذا الى مصر واخرج منها الاثيو بيين واعاد السلطة لرؤساء الاقاليم وعاد الى وطنه . فعاد طهراق الى مشروعه فتحالف مع المصريين سراً على ان يعضدوه فيما يريد فعلم ملك اشور بذلك فقبض على الخائنين من رؤساء الاقاليم وقادهم اليه اسرى الا ان ذلك لم يمنع طهراق مما اراد فهجم على مصر واستولى على منف وابطل عبادة الصنم « اييس » منها . اما ملك اشور فجعل يقرب منه رؤساء الاقاليم المأسورين عنده استحلاً لرضاهم وطلباً لمساعدتهم فخلع عليهم واكثر مرف اكرامهم وارسلهم الى مصر فاخذوا الوجه البحري ثم القبلي ثم ما زالت مصر يتناوبها الاشوريون والاثيوبيون حتى انتهى الامر باغضاء الاشوريين عن تملكها لما يقتضي الالك من المشقة فدخلت في سلطة « نوان ميامون » ملك اثيوبيا بدون كبير مشقة لذلك من المشقة فدخلت في سلطة « نوان ميامون » ملك اثيوبيا بدون كبير مشقة وترى كيفية استيلائه مكتوبة بالهيروغليف نقشا على حجر وجد في اطلال مدينة «نبته » بجبل برقل وهو محفوظ في المتحف المصري

المائلة السادسة والعشرون الصاوية

حکمت من ۱۲۸۷ -- ۱۱٤۹ قی م و ۹۳۰ -- ۲۷۰ ق م وعدد ملوکها ۳

اولهم « بسامتيك الاول » استولى على الوجه البحري والقبلي حتى الشلال الاول وكان اجنبياً وليس من العصبية الملوكية الاانه اقترن بابنة من العائلة الملوكية فاكتسب حق التملك بواسطتها ، فتولى الملك ومصر تئن ضعفاً وقنوطاً لما قاسته من الحروب التي توالت عليها اعواماً بين الاشوريين والاثيوبيين فاخذ في احياء ربوعها واعادة رونقها اليها فبنى المعابد في منف ووجهات معبد فتاح وفتح فيها طرقات على عمد عديدة وبنى القاعة الكبيرة التي كانوا يعلفون فيها العجل « ايس » ورمم ما

كان متهدماً من معبد الكرنك، وباشر جميع هذه الاعمال دفعة واحدة فاصبحت مصر كانها معمل عظيم للبناء والترميم ونشط على الخصوص صناعة الحفر والنقش فبلغت اوجاً رفيعاً. ثم نظر الى مناعة البلاد فرآها محاطة باعداء كثيرين اشد بأساً منهاكالاشوربين والاثيوبيين فأخذ في تحصينها فبنى القلاع والحصون في مضايق طرق الشام من الشرق وفي ضواحي بركة المنزلة وفي مدينة دفنة بالقرب من « تسال » لمنع اغارة الاشوربين وحصن اصوان لدفع الاثيوبيين

على انه عمد بعد الاكتفاء بالدفاع الى الهجوم فهاجم الاثيوبيين وحاربهم فظهر عليهم ثم سار الى الشام فاستولى على فلسطين واخذ مدينة اشدود من الكنعانيين ثم عاد الى بلاده قانعاً بما اوتيه من النصر . وفي ايامه كثر تردد الاجانب الى مصر وفيهم البونان فكان يكرم مثواهم ويقطعهم من بلاده على سواحل بحر طينة ما يبتنون فيه معاقل وبيونا يقيمون فيها

اما اليونان فاعجبتهم مصر وطاب لهم المقام فيها فاخذوا يتعلمون علومها وصنائعها واعجبتهم الديانة المصرية فاصطنعوا آلهتهم على مثال آلهة المصريين. وادخلوا احداثهم المدارس المصرية فنبغوا وقام بينهم فلاسفة لا نزال نستفيد من تعاليمهم الي هذا العهد. ومن هؤلاء الفلاسفة سولون وفيثاغورس وافلاطون وغيرهم وقد كان المصريون قبل ذلك العهد ينظرون الى اليونان نظر الاحتقار ويجتنبون معاشرتهم وكانوا يبالغون جدًّا في وجوب الابتعاد عنهم . اما د بسامتيك > فكان يجبهم ويقربهم منه حتى جعل بطانته منهم والف ميمنة جيشه من رجالهم فاصبحت مصر في قبضة يدهم . فعظم ذلك على المصريين الى حد لم يكنهم معه البقاء في بلادهم ولم يجدوا سبيلاً الشفاء ما في نفوسهم الا بالمهاجرة من مواطنهم ومفادرتها لاوائك النزلاء فاجتمع منهم نحو ٢٤٠ الفاً . وهموا بالجلاء الى اثيوبيا فتبعهم الملك واستعطفهم ان لا يفعلوا فأنوا فقال لهم ولمن تفادرون نساء كم واولادكم قالوا اينما ذهبنا نجد نساء واولادكم واولادكم والواحق دخلوا اثيوبيا فاستقبلهم ملكها واكرم مثواهم وادخلهم في جيشه فتألفت منهم جيوش عرفت بلاسماخ اي حيجاب ميسرة الملك وسهم اليونان بعد ذلك « انو بولس » . اما ولكن هيهات ان تعود مصرالي رونقها وكان هوا الجاني على نفسه ولكن هيهات ان تعود مصرالي رونقها وكان هوالجاني على نفسه

واا توفي تولى ابنه « نخاو الثاني » فاتم تنظيم الجيوش وكان ذا 'فس ابية وهمة عالية فانشأ معامل بحرية لتشييد السفن الحربية على نية افتتاح سواحل البحر الاحمر

والمتوسط وجعل رؤساء تلك المعامل من اليونان . ولاح له لاتمام مشروعه ان يوصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط فحفر ترعة امتدادها اربع مراحل وعرضها يسع سفينتين اولها مدينة بسطة بقرب الزقازيق وآخرها بركة التمساح لان البحر الاحمر كان على مقربة من تلك الجهة وكان قد سبقة الى هذا المشروع (حسب قول بعضهم) ملوك العائلة العشرين ففتحوا هذه الترعة لكنها سدت بعد ذلك بالرمال . وسيأتي امامك كلام مفصل عن تاريخ الوسائل التي اتخذت لايصال البحرين عند الكلام على ترعة السويس من هذا الكتاب

ثم سار نخاوبجيش لافتتاح فلسطين وافتتح معها اكثر البلاد في طريقه اليها وكانت محت سلطة الاشوريين ولما عاد الى مصر كافأ من كان في عساكره من اليونان

ثم ان ملك الاشوريين « نبوخذ نصر » ارسل ابنه بختنصر في جيش لاسترجاع فلسطين والشام من المصريين فسار ولم يبلغ مقصوده حتى بلغه موت ابيه فعاد الى بابل مسرعاً بعد ان استرجع الشام . وحاول « نخاو الثاني » بعد ذلك الاستيلاء على بلاد الشام ثانية فلم يستطع

أم توفي وخلفه أبنه « بسامتيك الثاني » وهذا لم تطل أيام حياته فخلفه « وحابرع » وهو الذي استنجد به « صدقيا » ملك اليهو دعلى محاربة بختنصر ملك بابل في عصر ارميا النبي فسارت جيوش مصر وما لبثت حتى عادت منهزمة فاستولى الاشوريون على اليهود فالتجأت اليهود الي مصر فاقطعهم ملكها ارضاً بقرب دفنة فانتشروا في مجدل ومنف و بعضهم سكن الصعيد

وبختنصر لما استولى على الشام طمع بمصر فجاءها مهاجمًا وقتل ملكها واستولى عليها واقام فيها عاملاً من امرائه وعاد الى بلاده وساق معه جميع من كان في مصر من المملاء الا ان هيرودونس المؤرخ يقول خلاف ذلك

ثم حكم مصر الملك « اموزيس > وهذا كان في خشية من غارات الفرس على بلاده ولذلك كان يحاذرهم لقوتهم على أنه لم ينج من غائلتهم فسلبوه بعضاً من بلاده لكنه بالسياسة وحسن الله بير أمن من اغارتهم على كرسي ملكه فارتاحت مصر في ايامه فاقام فيها البنايات والمعابد والمسلات واتسعت التجارة ولاسها مع اليونان فأنهم كانوا من البارعين فيها فزاد عددهم في مصر حتى بلغ ٢٠٠ الف نفس فاعطاهم اموزيس ارضاً ابتنوا فيها بيوتا لهم بالنوا في اتقان بنائها فاصبحت مدينة من اجمل مدن مصر ثم جعلوا يحصنونها . وبعد يسير سنوا لانفسهم قانونا مخصوصاً . وكانت تجرة مصر في ايديهم فاتسعت وباتساعها يسير سنوا لانفسهم قانونا مخصوصاً . وكانت تجرة مصر في ايديهم فاتسعت وباتساعها

اتسعت شهرة مصر فطمع الناس فيها فاتاها الطلاب من كل الجهات بين فلاسفة وتحجار واجناد . ثم راى « اموزيس » من الحكمة ان يتحالف مع اثينا لعامها تفيده ضد ملك فارس ففعل وتم التحالف

وفي اثناء ذلك مات « قورش » ملك فارس فقام ابنه «كمبيز » مكانه وكانت مطامعه لا تزال قوية في مصر فأخذ منذ توليته الملك يسعى في هذا السبيل فاستكشف انسب طريق يؤدي الى وادي النيل برًّا ولزيادة التأمين عقمه معاهدات مع القبائل البدوية التي في طريقه ليمدوه بالماء الذي يحتاج اليه رجاله وبناءً على هذه المعاهدات سارت الجيوش الفارسية وما زالوا حتى نزلوا امام طينة فبلغهم ان « اموزيس > توفي وتولى مكانه « بسامتيك الثالث ، وهذا جهز جيوشه وعساكره عند طينة لدفع الفرس فيصلت موقعة كبيرة وكان الفرس لشدة مكرهم قد جعلوا امام جيوشهم عدداً عظيما من القطط والبزاة وغيرها من الحيوانات المقدسة عند المصريين فذهب هؤلا ولم يجسروا على رمي السهام مخافة ان تصيب تلك الحيوانات المقدسة فلم يكن لديهم الا الفرار ففروا الى منف. فارسل اليهم «كبيز» رسلاً في مركب يطلب اليهم التسليم فخرج المصريون الى ذلك المركب وكسروه ارباً وقتلوا من كان فيه حميعاً فاستشاط كمبغ غضباً وانتقاماً فسار بجيشه الى منف وفتحها عنوة وقبض على بسامتيك وقيده واهانه واودعه السجن ومن معه وكان بسامتيك صبوراً فاحتمل كل ذلك ولم يبد تضجراً فعجب كمبير لصبره ثم الفق بينًا كان بسامتيك حالساً في السجن مقيداً وكمبيز بجانبه اذمر به احد ندمائه السالفين متردياً بثوب خلق فتأفف بسامتيك وصفع بيده على جهته متأسفاً فقال له كمبيزمابالك تتأسف وتتافف الانوقد احتملت منا أهانة عظيمة ولم تبد في اثنائها اسفاً . فقال انما اتأسف على حالة هذا الرجل فانه كان في عز وقد اصبح كما ترى والرجل أذا حلت به المصائب وتجرد من ذات يده واهين شرفه يحق عليه الاسف فتأثر كمبير من ذلك واسرع الى حل قيوده واعاد اليه شرفه الا انه رآه يعد ذلك يسعى ضده فامر نقتله فانتهت هذه العائلة وابتدات العائلة السابعة والعشرون

المائلة السابعة والعشرون

الدولة الفارسية الاولى

فيها واضاف الى اسمه القاباً فرعونية وكان لفتح مصرعظيم هيبة وتأثيرعند الامم المجاورة فسعوا جميعاً الىكمبيز بالهدايا والجزية وجعلكمبيز مصرحصناً يستعين به في فتح افريقيا . ثم جند الهرطاجنة قلم يفز بها فعاد وجند الى واحات سيوى فلم ترجع من رجاله مخبر ثم طمع في اثبوبيــا وكانت اذ ذاك على جانب من المنعة والثروة فارســل اليها جواسيس معهم الهدايا فساروا وقدموها الى ملك أثيو بياوكان فطنا نبيها فعرف مقاصدهم لـكنه اظهر استحساناً لهديتهم . ثم قال لهم وفي يده قوس كبيرة « الظروا الى هذ. القوس ، ورمي منها سهماً وقال « خُذُوا هُذُه القوس الى ملككم كمبن واخبروه ان الانسب ان يأتي هو بمفرده فقط لفصل ما تحدثه به نفسه حقنا لدم العباد وهذه القوس قولواله اني اوترتها وحدي فاذا استطاع ذلك جاز له شيء مما يكنه ضميره والا فليحمد الالهة لاغضائنا عن بلاده » فلما باغ كمبيؤ ذلك اخذت به سورة الغضب فجرد جيشه وطلب أثيوبياً من اقرب الطرق فسار في صحراء كروسكو وهو لا يدري مسافتها فعطش جيشه وحاع حتى اكل بعضهم بعضاً فاضطر الى العود وفي نفسه من الغيظ ما كاد يذيبه فجاء منف وكان اهلها في احتفال سنوي لاحد معبوداتهم فظنهم فرحين لخيبته فامر بقتل كل الكهنة وشق صوف العجل « أبيس » والقاه للكلاب تا كله ثم سخر بمعبوداتهم فجعل احده! فتاح على هيئة قزم زميم الخلق ونهب جميع ما كان في المدافن القديمة وزاد فجوره حتى قتل اخته وغيرها ممن هم بريئو الساحة وهو مشهور بالقسوة والعسف. وبقي على كرسي اللك ثلاث سنوات ثم قتله شعبه

وتولى بعده دارا ، فاخّد يسعى في وسيلة يستجاب بها رضى المصريين فاتفق موت العجل ابيس في اول حكمه فجاء بنفسه الى المعبد واظهر تاسفه الشديد الملك ووعد بمبلغ وافر لمن يأتي بعجل اخر مثله فاحبه الصريون واتسعت مملكة الفرس في ايامه كثيراً فكان تحتها ٣١ ولاية وقبل ان يبارح مصر زار معبد فتاح بمنف واراد ان يجعل تمثاله بجانب تمثال وعمسيس الثاني فنعته الكهنة بحجة انه لم يأت بعد على ما أتاه وعمسيس الاكبر ان طال عمري بقدر عمره ، وأذعن دارا القول الكهنة بكل احترام

ومن مآثره انه مهد سبل التجارة قاتم طريق التواصل بين البحرين كما سترى عند الكلام على ترعة السويس وفتح طريق قفط للمواصلات برًّا وطريق اسيوط الممتدة الى العرابة المدفونه ومنها الى اصوان واكثر من العساكر للمحافظة على الواحات الكبرى . وكان الفرس القاطنون في مصر مجوساً متعصبين فصرح لهم باتباع دينهم

على ان لا يستخدموا الكتابة الهيروغليفية على الاطلاق

مم ثار اليونان في اسيا فسار بحيش كبير لاقاعهم فاغتهم المصريون فرصة غيابه وشقوا عصا الطاعة وانزلوا ولاة « دارا » وعهدوا الحريم الى رجل يدعى « خبيش » من سلالة « بسامتيك » فعلم دارا بذلك فهم اليه لكنه توفي قبل اتمام مشروعه فأقيم ابنه « شيارش » مكانه فجاء مصر واسترجعها عنوة الا انه كان فاتر الهمة فاطلق تدبير الاحكام لولاة يعيثون بهاكيف شأوا وهكذاكان شأنه في سائر ولاياته فلم بمض مدة من الزمن حتى تجرد من سائر تلك الايالات وقتله من هم حوله وتولى الملك بعده الملك « ارتحشارشا » فاحب المصريون الحروج من طاعته فاستنجدوا عليه اليونان فانجدوهم فحصلت حروب طويلة انتهت بانهزام المصريين وثبوت قدم الفرس فانجدوهم في سنة ٢٥٥ ق م توفي « ارتحشارشا » وخلفه المك « شيارش الثاني » ثم « دارا الثاني » وبه انتهت هذه العائلة وعادت مصر للمصريين « سوغديالوس » ثم « دارا الثاني » وبه انتهت هذه العائلة وعادت مصر للمصريين

العائلة الثامنة والعشرون الصاوية

حكمت من سنة ١٠٢١ – ١٠٢١ ق هاو من ٤٠٦ – ٣٩٩ ق م ليس لهذه العائلة الاملك واحد يدعى « اميرتيوس » ولاه المصريون عند تخلصهم من نير الفرس وحكم مدة سبع سنين كلها اصلاح وترميم

العائلة التاسعة والعشرون الاشمونية

حكمت من سنة ١٠٢١ ـــ ١٠٠٠ ق ه او من سنة ٣٩٩ـــ ٣٧٨ ق م وعدد ملوكها ٤ وليس في تاريخها شي مهم سـوى ان الفرس كانوا يهددونها وقدموا پريدون الاســـتيلاء عليها و لم يظفروا

العائلة الثلاثون السمنودية

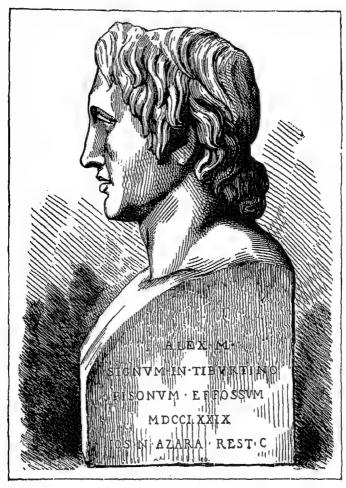
حكمت من سنة ١٠٠٠ سـ ٩٦٢ ق ه او من ٣٧٨ سـ ٣٤٠ ق م وعدد ملوكها ٣ قضوا مدات حكمهم وهم بين دفاع وحذر من استيلاء الفرس وحصل بينهها عدة وقائم كانت قيادة الجيوش المصرية فيها بيد قواد من اليونان مجربين ولم يفز الفرس الا في الواقعة الاخيرة . وكانت حكومة مصر بيد « نكتانيبس » فانهزم الى النوبة وهو اخر من حكم مصر من المصريين الاصليين لانها خرجت من يده الى الفرس ومنهم الى اليونان ثم الرومان ثم العرب ثم الدككا سترى

المائلة الحادية والثلاثون

الدولة الفارسية الثانية

حكمت من ٩٦٢ - ١٥٤ ق ه او من ٣٤٠ - ٣٣٣ ق م وعدد ملوكها ٣

اولهم الملك « اوخوس » الملقب « بارتحشارشا الثالث » والذي نزع مصر من يد المصريين . مات مسموماً غاء ابنه « ارسيس » وحكم سنتين ثم مات وخلفه احد اقاربه المدعو الملك « داراً الثالث » وكان يدعى قبل توليته «كودومانوس » وكان



ش ١٥ __ اسكندر المسكدوني

معاصراً الاسكندر المكدوني الشهير . وفي ايامه جعلت دولة الفرس تتقهقر وبدا مجم اليونان بالاشراق فاخذ الاسكندر في فتوحاته وتوسيع مملكة ابيه ففتح الهند وفارس واستولى على مصر بعد موقعة انتهت بانهزام الفرس ودارا الثالث معهم وقتل كثير من رجاله ثم قتله احد نوابه فانتقل بعده حكم مصر الى اليونان .

العائلة الثانية والثلاثون

الدول اليونائية

حكمت من ٩٥٤ - ٩٤٥ ق م او من ٣٣٢ - ٣٢٣ ق م

اول ملوكها وآخرهم « اسكندر المكدوني ». تغلبهذا الفاتح العظيم على الفرس واخرجهم من مصر ودخلها عنوة فمر ببقعة من الارض على شاطىء البحر المتوسط من حدود مصر فاستحسن موقعها لانه رآها عبارة عن اسان من اليابسة داخل في البحر وعلى احد جانبيه بحيرة مربوط المشهورة فلاح له ان يبتني فيها مدينة فبناها على رسم مخصوص رسمه بنفسه وعهد اتمام العمل الى المهندس « نيوكراتس » فاما تم بناء المدينة دعاها الاسكندرية ولا تزال معروفة بهذا الاسم الى هذا العهد . وفي بناء المدينة الى الهندرية ودفنت فيها في بابل وسنه ٣٣ سنة في السنكندرية ودفنت فيها

العائلة الثالثة والثلاثون

البطالية

حكمت من ٩٤٥ — ٩٥٧ ق ه او من ٣٢٣ — ٣٠ ق م بطليموس الاول سوئر حكم ٣٢٣ — ٢٨٥ ق م

ال توفي الاسكندرجاء بطليموس الاول واسمه سوترمن بابل ووضع بده على مصر وجعل يسعى في اكتساب ثقة اهلها ثم ارسل احد قواده المدعو « بيكانور » في جيش لافتتاح سوريا فسار وحارب وفاز ولم تمض بضع سنين حتىضم الى مصر سوريا وقبرص وفينيقية

ثُمُ شرع في بناء المعابد في الاسكندرية واقام على جزيرة فرعون التي يصلها

بالاسكندرية برزخ صغير برجاً يبلغ علوه الف ذراع على قمته نور يستضيئ به القادمون بحراً وقد هدم هذا البرج الآن ولم يبق له اثر . ومر مآثر هذا الملك مدرسة الاسكندرية الشهيرة فانه جمع اليها العاماء والفلاسفة من اليونان وسائر بلاد العلم والصناعة في ذلك العهد وكان يكرم وفادتهم ويضعهم في مكانهم من الهيئة الاجتماعية وانشأ مكتبة نفسة طار صيتها في الآفاق

بطليموس الثائي فيلا د لفوس ه ٢٨ ــ ٢٤٧ ق م

وفي السنة التاسعة والثلاثين من حكم سو ترعهد الملك لابنه البكر « فيلاذ لفوس » واجلسه على كرسي الملك في حياته سنة ٢٨٥ قبل المسيح ولقبه ببطليموس الثاني ثم توفي سنة ٢٨٣ قبل المسيح فاهتم بطايموس الثاني في توطيد العلاقات مع الدول



شر ١٦ _ قلكي اسكندري يرصد الافلاك

المعاصرة ولا سيا دولة الروم (الرومانيين) ولم يكن بينهما سابق مخابرات مطلقاً وأيتها لم تحصل لانها كانت آخر الامر داعياً لاستيلاء الروم على مصر . ثم عكف هذا الملك على تنشيط العلموذويه فزاد في مكتبة أبيه فبلغت الاسكندية في أيامه مبلغاً عظيماً من العلم والثروة ولم تعد ترى مثله بعد ذلك الحين . فقد كانت محور التجارة ومحط رحال

العاماء والفلاسفة . وفي ايامه ايضاً ترجمت التوراة الترجمة السبعينية المشهورة

ومن مآثره خرائب انس الوجود عند شلال اصوان فانه هو الذي شرع في بناء الهيكل الكبير الذي تشاهد اطلاله هناك الى هذه الغاية على جزيزة فيلوي تجاه اصوان ويدعوها العامة ايضاً جزيرة البربة وهي من الآثار المشهورة وقد اشتغل في اتمام بناء الهيكل كل من جاء بعد فيلادلفوس من البطالسة

بطليموس الثالث افرجيت ٧٤٧ - ٢٢٢ قم

وكانت مدة حكم فيلادافوس ٣٨ سنة ثم توفي وخلفه ابنه « افرجيت الاول » ولقب ببطلبموس الثالث وكان محباً للفتوح فجرد جيوشه الى اسيا مقتدياً برعسيس الثاني فلم يكن حظه منها باقل من حظه لانه دوخ جميع البلاد التي على الفرات فبابل فالفرس هما وراءها وضرب الجزية عليها كلها واعظم ما سر " به المصريين أنه استرجع من الفرس جميع ماكان منقولاً الى بلادهم من تماثيل الآلهة المصرية بامر كمبيز . ثم غزا اثيوبيا حتى « ابريم »

بطليموس الرابع فيلوپاتر ٢٢٢ ـ ٢٠٥ قم

وفي سنة ٢٢٢ قبل المسيح توفي « افرجيت الاول » بعد ان حكم ٢٥ سنة تاركاً الملك لابنه « فيلوپاتر » فتولى الاحكام حال وفاة ابيه ولقب ببطايموس الرابع الا ان المدين الهموه بقتل ابيه فكرهوه وكان فظاً عاتياً فزادهم كرهاً . وبعد جلوسه بيسير سار في جيش عظيم لمحاربة انطيو خس صاحب سوريا فحاربه فطاب الصاح بان يرجع له سوريا وفينيقية فقبل فيلوپاتر وبقي هناك بضعة اشهر ثم عاد الى الاسكندرية . كل ذلك واخته « ارسينوا » معه لم تفارقه يوماً واحداً . فاصبحت الاسكندرية بعد ذلك في رغد ورخاء فعكف فيلوپاتر على الملذات فنسي واجبانه المقدسة محو البلاد فكثر اللغط بين الاهلين وتكررت التظامات وليس من يجيب

وفي ٩ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ٢١٧ ق م او سنة ٢٣٤ قبل الهجرة وضعت ارسينوا غلاماً ولم يكن من وارثي الملك غيره فما كان من فيلوپاتر الا انه قتل ارسينوا بدسيسة بعض ذويه . وفي ٢٩ مارس (اذار) سنة ٢٠٥ قبل المسيح مات فيلوپاتر واخني اصحابه خبره حيناً ريثما يتمكنون من سلب امواله . ثم شاع خسره فاقاموا عوضاً عنه ابنه الوحيد « اپيفان » وهو بطلموس الحامس ولم يكن له من العمر الا خس سنوات فاقيم عليه وصي من سراة الدولة

وفيلوپاتر هو المؤسس الاول لهيكل ادفو (فيما بين الاقصرواصو ان) وقد اتم بناءه

من جاء بعده من البطالسة . والهيكل المذكور من اوضح الهياكل المصرية لانه باق برمته الا ان الرمال قد غطت جزءه السفلي فترى فيه الاعمدة والرواقات والابواب مكشوفة كشفاً تاماً

فلما راى الطيوخس حالة مصر من الارتباك بعد وفاة فيلوپاتر عاد الى ماكان شارعاً فيه ففتح سوريا وفينيقية عنوة وهم الى مصر فعرض له شاغل أكثر اهمية فعقد مع نواب مصر صلحاً على ان يعطي ابنته كيليو بيطرا زوجة لبطليموس الخامس وان يترك له مقابل ذلك البلاد التي فتحها فقبلوا

بطليموس الخامس اپيفان ٢٠٥ ــــ١٨١ ق

وفي ٢٧ مارسسنة ٢٠٥ قبل المسيح أجلس «اپيفان » على كرسي الملك وسلم زمام الاحكام فكتب الكهنة شيئاً عن ذلك نقشاً على حجارة في ثلاث لغات كانت متعارفة في ذلك العهد وهي الهيروغليفية (القلم المصري القديم) والديموطيقية واليونانية وقد وجد احد هذه الحجارة في رشيد وبواسطته توصلوا الى حل وموز القلم المصري القديم كما مرا بك . وفي سنة ١٩٧ زفت «كليوبيطرا» ابنة «الطيوخس» الى اليفان بطليموس الخامس . وفي نحو السنة الثامنة عشرة من حكمه زادت التشكيات والتظامات الدوء تدبيره وضعفه وما زال الاهلون يزيدون عليه حنقاً وحقداً حي يتسوا من الاصلاح فاماتوه مسموماً في سنة ١٨١ قبل المسيح

بطليموس السادس فيلوماتر ١٨١ -- ١٤٦ ق م

فتولى مكانه ابنه « فيلوماتر » وهو بطليموس السادس وله من العمر خمس سنوات في تحت رعاية امه كليوبيطرا فاقامت له اوصياء من رجال دولته العقلاء . وفي السنة الحادية عشرة من حكمه انتشبت الحرب بين مصر وسوريا وما زالت بينهما سجالاً حتى انتهت بانهزام المصريين واسر ملكهم فيلوماتر . وسار السوريون في مصر برًّا الى منف اما الاسكندريون فلما علموا بسقوط منف واسر ملكهم اقاموا عوضاً عنه اخاه افرجيت الثاني وبعد اربع سنوات أخرج السوريون من مصر بمساعدة الروم وعادت مصر لحكم البطالسة فعاد فيلوماتر الى منصبه

بطليموس السابع افرجيت الثاني ١٤٦ — ١١٧ قم

وفي سنة ٧٦٨ قبل الهجرة او ١٤٦ قبل المسيح توفي فيلوماتر بعد ان حكم ٣٥ سنة فاقيم على مصر « افر جيت الثاني » وهو بطلموس السابع وقد كان الحق في

الحكم لابن فيلوماتر الاانه كان صغيراً فقتله عمه وتزوج بامه فكان الوريث الوحيد ولم يكن افرجيت الثاني حسن السياسة فكان يقتل ويسجن ويستبد في احكامه بغير وجه حق فكرهته الرعية وصاروايتوقعون له داهية وبالغوا فياضطهاده الىحد انه لم يعد يمكنه البقاء بينهم ففر من مصر ثم عاد اليها وما زال حملاً تقيلاً على عاتق رعيته الى آخرايام حكمه فاهتدى الى الصراط المستقيم واخذ في تنشيط العلم والصناعة حتى انه كان يمارسهما بنفسه والف نحواً من اربعة وعشرين كتاباً معظمها في علم الحيوان

بطليموس الثامن والتاسع سوتر الثاني واسكندر ١١٧ — ٨٢ ق م

وفي سنة ٢٩٧٩ قبل الهجرة او سنة ١١٧ قبل المسيح توفي افرجيت الثاني بعد ان حكم ٢٩ سنة فاستدعت كليوبيطرا اولادها وكان البكر في قبرص فاتى مصر فولته الملك ودعته « سوتر الثاني » و يسميه العرب « شوطار » فهو بطلموس الثامن ثم سعت في ابعاده لغرض في نفسها فاشاعت انه مضمر قتلها فثارت الرعية عليه ففر الى قبرس ثم الى سوريا فاستدعت اخاه « اسكندر » وولته الملك فكان بطلموس التاسع فيخاف على نفسه ايضاً ففضل الاعتزال على اخطار الملك ففر الى قبرس وكان اخوه « سوتر الثاني » في سوريا يستعد للهجوم على مصرفهما رأت كليوبيطرا قرب اخوه « سوتر الثاني » في سوريا يستعد للهجوم على مصرفهما رأت كليوبيطرا قرب مجيئ الجيوش لمحاربتها اخطرت ابنها اسكندر فعاد من قبرس وبعد يسير عادت الامور الى مجاربها اما كليوبيطرا فكانت رغم كل عاطفة والدية تحاول النخلص من ابنها هذا . اما هو فعلم بما في نفسها وسبقها الى ذلك فذهب بحياتها وفرمن مصر فاستدعى اهالي الاسكندرية سوتر الثاني من سوريا ليستلم زمام الاحكام فقدم فرحب فاستدعى اهالي الاسكندرية سوتر الثاني من سوريا ليستلم زمام الاحكام فقدم فرحب به المصريون الا اهالي طيبة لكنهم ما لبثوا ان اذعنوا

وفي ايام سوتر هذا كانت مملكة الروم آخذة في الاتساع ودولتهم بالقوة والثروة مات سنة ٨٢ قبل المسيح بعد ان حكم في المرة الاولى عشر سنوات وفي الثانية سبع سنوات ونصف

بطليموس العاشراسكندر الثاني ٨٣ - ٨٠ ق م

فتولى مكانه ابنه « اسكندر الثاني » او بطلموس العاشر ولم يحدث في ايامه مايستحق الذكر الا الن دولة الروم كانت قد استولت على سوريا وسيرينيا وليبيا واليونان فاصبحت مصر محصورة لا تستطيع حراكاً وكان اسكندر هذا ساعياً جهده في ارضاء الرعية لكنهم لم يكونوا يحبونه بل كانوا يرون فيه العسف والظلم

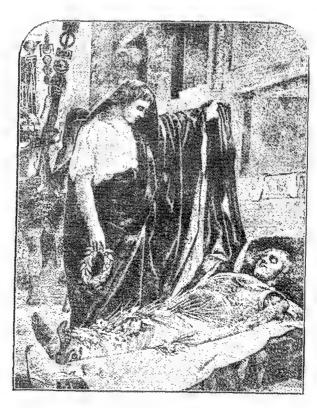
وما زالوا عليه حتى ابعدوه من الاسكندرية فسار الى صور فاعتراه مرض اشتد عليه حتى ذهب بحياته

بطلموس الحادي عشر اوليتس ٨٠٠ ٥ ق م

ولم يبق من العائلة الملوكية من يحكم بعد اسكندر فاتخب الاسكندريون وجلاً منهم يدعى « ديونيسيوس » ولقبود « باوليتس » لانه كان مغرماً بالفلوت (الآلة الموسيقية المعروفة) ولم يكن يهمه امر الملك على ان معهر كانت بغاية الاحتياج الى الحكمة والتدبير ال كان يهددها من المخاطر فثار الاهالي عليه في طاب الاصلاح وهو غير قادر عايه ولم يكن في وسعه اخماد الثورة لان الجيوش الذين هم حامية البلاد كانوا في جملة الثائرين فترك ، سر وفر الى رومية . وكان له ابنتان الواحدة تدعى « كليوبيطرا » والاخرى « برئيس » وبعم بضعة اشهر ماتت الاولى (كايوبيطرا) فتولت الثانية مدة سنتين فعلم اوليتس بذلك فعاد الى مصر وقتل ابنته قصاصاً لها على اختلاسها الملك

آخر البطالسة كليو بيط ا ٥٢ - ٣٠ ق م

وبعد يسير توفي اوليتس فتولت ابنة له ثالثة اسمها ايضاً كايوبيطرا وكانت بالغة رشدها ولولا ذلك لتولى اخوها ديوبيسيوس الثاني وقد كان لحرسه ان يتولى مكانه الا ان كايوبيطرا جاست على كرسي الملك حالاً ودعت نهمها ملكة وكانت مدة حكمها لا ان كايوبيطرا جاست على كرسي الملك حالاً ودعت نهمها ملكة وكانت مدة حكمها مطامع في السيادة وقد ماكت رغم مشقات كثيرة كانت تحول بيتها وبين ماتريد فني الول الامر نازعها احد اخوتها ووافقه الاهلون فاخرجوها من مصر فسارت الى سوريا واستنجدت بجيوش الروم فساعدها يوليوس قيدم القائد الروماني الشهيرواعادها الملك واغرق اخاها في النيل فتولت وتزوجت اخاها الآخر . ثم سارت برفقة قيصرالى رومية وبقيت عنده الى يوم ، قتله سنة غيث ق م ولما جاء يوليوس قيصر الاسكندرية زار قبر الاسكندر وكيشف عن جثته ووضع عليها اكليلاً كما ترى في الشكل ١٧ وفي سنة ٢٠ قبل المسيح قتلن كليوبيطرا اخاها بالسم فخلا لها الجوثم اتفق ان وأنطونيوس واكتافيوس به القائدين الرومانيين كانا في حرب مع «بروتس» فامدت هذا الاخير بعارة بحرية وكانت قبل ذلك قال ولدت ولدا دعته قيصرون لسبة الى قيعرول السائلة في عليها العرب مع «بروتس» فامدت هذا الاخير بعارة بحرية وكانت قبل ذلك قال ولدت ولداً دعته قيصرون لسبة الى قيعرول هذا الأخير بعارة بحرية وكانت قبل ذلك قال ولدت ولداً دعته قيصرون لسبة الى قيعرول والده فكان هو الملك على مصر رسمياً



ش ١٧ ـــ يوليوس قيصر امام جثة الاسكندر

فاما بانع انطوبيوس وهو في طرسوس ان كليوبيطرا انجدت بروتس عدوه بالمال والرجال خلافاً المعاهدة استدعاها الى طرسوس المرافعة فركبت زورقاً جيلا مزخر فا جؤجؤه من ذهب ومجاذيفه من فضة تخرج عند التجذيف بها حوتاً موسيقياً مطرباً وكانت كليوبيطرا من اجمل النساء فلبست افخر ما لديها من اللباس الثمين وجعلت حولها الجواري في احسن ما يكون من التربيب والنظام ونشرت الارواح العطرية في ذلك الزورق. فلما بلغت طرسوس وشاهدها انطوبيوس شغف بها ولم عد يخالف لها امراً فاصدر الحكم كما شاءت وشاء الغرام فعادت الى مصر غائمة

و بعد يسيرزارها انطوسوس في الاسكندرية فاكرمت مثواه فدعاها ملكة الملوك يودعى ابنها قيصرون ملك الملوك بدعوى انه ابن قيصر بحسب الشرع وكان ذلك سنة ٣٦ قبل المسيح فزادت كليوبيطرا عجباً على عجب ولم تعمد تكتفي بالقب الملوك

فدعوها ايزيس الالهة الجديدة . واما انطونيوس فانساه الغرام كل واجباته ولم يعد يعلم اهو نائب القيصر ام هو ملك مصر لانه اصبح اسيراً لكايوبيطرا وكتب اسمه مجانب اسمها

واا بلغ ذلك المشيخة الرومانية اشهرت الحرب على ماكة مصرسنة ٣٧ ق م فبعثت اوكتافيوس بجيش وجعلت نقطة المحاربة في « فارنتو » و « برندزي » فلم يقبل المطونيوس بذلك وطلب ان تكون الحرب في فرساليا ثم أعد جيشه وسار في خسمائة مركب وسارت معه كليوبيطرا في ستين مركباً فائتقى الجيشان في اكتبوم باليونان وابت كليو بطرا الا ان تكون الحرب بجراً

ثم أنها خشيتان تعود العاقبة على جيش انطو نيوس فانسحبت بمراكها شيئاً فشيئاً وكان انطو نيو سمهماً باعداد المهات الحربية غير مبال بالموت في جانب مرضاة سالبة لبه ثم التفت الى مراكبها فاذا هي بعيدة تخترق عباب البحر فاقتنى اثر ها تاركاً رجاله يحاربون ولا يدرون .قره وما زال حتى ادركها وسار بها الى معر

اما الحرب فانتهت بانكسار جيوش انطونيوس

ثم رات كيليو بيطرا ان محبها أنطونيوس لايقوى على حمايتها فالنجأت الى الجانب الاقوى فارسلت صولجانها سرأً الى اوكتافيوس وطلبت مساعدته فوعدها بما تريد بشرط ان تتخلص من انطونيوس فعمدت الى الحيلة فاخفت نفسها وكل امتعتها واشاعت أنها ماتت فاما علم انطونيوس بذلك لم يعد يهوى الحياة بعدها . ثم بلغت خانتها فقتل نفسه

أما اوكتافيوس فاستلم زمام الاسكندرية ونوى بكليو بيطرا سوءاً فاوجست هي خيفة منه وجعات تستجلبه بما استجابت غيره من قبله فلم تفز وفي آخر الامر، قبض عليها ففضلت الانتحارعلى ان يقتالها غيرها فقر بت مباناً ساماً الى صدرها فلدغها فماتت في ١٥ اغسطس (آب) سنة ٣٠ قبل السيح وقال آخرون في كيفية موتها غير ذلك والله اعلم

وكانت مدة حكمها ٢٢ سنة وكان ذلك اليوم آخر حكم اليونان بمصر واول حكم الروم فيها وهي :

(انظر الصورة في الصفحة القابلة



ش ۱۸ _ كليوبيطرا والثعبان يلدغها

العائلة الرابعة والثلاثون

الدولة الرومانية

حکمت من ۲۵۲ – ۲۶۱ ق ه او من ۳۰ ق م – ۳۸۱ ب م

لما ماتت كليو بيطرا على ما تقدم دخلت مصر في حوزة دولة الروم وصارت ولاية من ولاياتهم يتولاها وال منهم يحكم بمقتضى شرائعهم

وهذه الدولة هي آخر دول الدورالجاهلي وقد توالى على مصرفي حوزة دولة الزوم عدة ولاة ليس في سرد اخبارهم ما يستحق الذكرسوى ظهور الديانة المسيحية في العالم ومجيء بعض نصرائها الى مصر وما لاقوه فيها من الاضطهادات العنيفة واشهر تلك الاضطهادات اضطهاد ديوقليطيانس فانه بالغ في مطاردة المسيحيين وقتل منهم جمعاً غفيراً

بين كهنة وعامة . ومن تولية هذا الملك (في ١٣ يونيو (حزيران) سنة ٢٨٤ ب م) يبتدى، التاريخ القبطي المعروف بتاريخ الشهداء وهو المعوّل عليه عند الطائفة القبطية الى هذا العهد . وفي سنة ٣٠٦ ب م جعل قسطنطين المبراطور الروم سرير ملكه في مدينة بيزانس (القسطنطينية) فأنحطت سطوة مصر

وفي سنة ٢٤١ ق ه او ٣٨١ ب م نهى الامبراطور « ثيودوسيوس » المصريين



ش١٩ ١ ـــ ثيودوسيوس الاكبر

عن عبادة الاصنام وامرهم باثباع الديانة المسيحية وانفاذاً لامره هذا اسرع في هدم المياكل وتنزيل الانصاب وابطال النقاليد التي كان يعتبرها المصريون من ضروريات التدين وكل ذلك بمساعدة بطريرك الاسكندرية ثيوفيلوس. وهنا ينتهي الدورالجاهلي ويبتدىء الدور المسيحي

الدورالمسيحي

من سنة ۲٤١ ق هــــ ۱۸ ب هاو من ۳۸۱ ـــ ۹٤۰ ب

لما توفي «ثيودوسيوس» سنة ٣٩٥ ب م قام ولداه «هونوريوس» و «اركاديوس» و الشرقية واقتسها المملكة الرومانية بينهها فجعلاها مملكتين شرقية وغربية وجعلا عاصمة الشرقية بيزانس وعاصمة الغربية رومية وكان كلاهما حاكمين معاً في وقت واحد أما مصر فكانت تابعة للملكة الشرقية

وكان هـذا الانقسام رمزاً عن قرب انحلال هذه الدولة لان الامبراطورين ما فتئا يتناظران والانقسامات الدينية تزيدكل يوم والحرب قائمة سجالاً بين لاهو تبي الاسكندرية . وكان لكل من الفريقين احزاب جمة وكثيراً ما اشتد الخصام بين هذه الاحزاب في الاسكندرية فآل الى اشهار السلاح واهراق الدماء وكان الامبراطوران عبثاً يحاولان التوفيق بينهما

وكان النصارى اذ ذاك قسمين متباينين في اجناسهم وعقائدهم احدهما اهل الدولة وكلهم روم ورايهم ودياتهم باجمعهم الديانة الملكية وعداتهم تزيد على ثلثائة الله رومي

والقسم الآخر عامة اهل مصر ويقال لهم القبط وانسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منها القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فنهم كتاب الملكة ومنهم التجار والباعة والاساقفة والقسوس واهل الفلاحة والزرع واهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية اهل الدولة من العداوة ما يمنع تزاوجهم ويوجب قتل بعضهم بعضاً وعددهم عدة ملايين وهم بالحقيقة اهل مصر اعلاها واسفلها

وفي سنة ٦١٠ للميلاد تولى عرش القسطنطينية الامبراطور هرقل والمملكة لا تزال آخذة بالتقهقر وكانت طائفة القبط قد ظهرت على سواها واتضح أنها ستكون المؤسسة للديانة المسيحية في مصر . على ان دولة الروم كانت ترغب في جعل المصريين على مذهبها في الدين لتثبت لها مصر لكن اولئك لم يغفلوا عن هذا فثبتوا على مباديهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية فترجوا جميع تعاليها اليها ولا

يخفى ان ذلك جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم فقووا وثار في خاطرهم امر الاستقلال وقد كان في وسعهم الحصول عليه لو طابوه

وتما كان زاد الاقباط ثبوتاً ضد الروم أنهم كانوا يشاهدون قرب سقوط هذه الدولة وماكان يهددها من جميع الجهات فالفرس هددوا حدودها الشرقية والمغاربة كانوا ينتظرون اول فرصة لرفع النير عنهم وهكذا غيرهما من الولايات . الا ان التقادير كانت تعد هذه البلاد لامة حديثة نشأت في شبه جزيرة العرب نعني الامة الاسلامية



ش ۲۰ ـــــــ هرقل امبراطور الروم وجنوده

وكانت شبه جزيرة العرب في ذلك العهد جزءًا من مملكة الروم كسائر بلاد سوريا وفاسطين ومصر الا انهم لم يكونوا يسكنون فيها ولا يعتنون بها على انهم لم يأخذوها بالحرب وانما كان تسلطهم عليها لمجرد عظمتهم و نفوذهم ولذلك لم يكن فيها حاميات من جنودهم . وهنا ينتهي الدور المسيحي ويبتدى الدور الاسلامي وهو تاريخ مصر الحديث

تاریخ مصرالحدیث

فصال في

مصادر تاریخ مصر الحدیث

لم ارّ بين المؤرخيين الكثيرين الذين كتبوا في تاريخ مصر الحديث من جاءً على كتابة وافية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة ذلك بعموم الدولة الاسلامية وسائر الدول المعاصرة. فبين مورخي المشرق ولا سيا العرب من اسهب في السكلام عن بعض اقسام مصر وعني بتاريخها على انفراد، ومنهم من انفرد بتاريخ بعض دول مصر دون البعض الاخر ومنهم من اقتصر على تراجم بعض مشاهير حكام مصر او علمائها او ادبائها ومنهم من وصف بعض وقائعها وحروبها بقطع النظر عن تعاقب السنين ومنهم من نظر الى تناسق الحوادث مع نسبتها لنعاقب السنين لكنه اوجز كشيراً فلم يأت بالفائدة المطلوبة ومنهم من جاء على تاريخ مصر عرضاً في اثناء تاريخ الدولة الاسلامية عموماً . فكان قوله متفرقاً فضلاً عن كو نه موجزاً

اما مؤرخو الغرب (الافرنج) ولا سيا المتأخرون فقد اتخدوا في كتاباتهم عن مصر اسلو با اقرب الى المقصود من قبيل تناسق الحوادث وتعاقبها بتعاقب السنين مع بعض الاسهاب ولكنهم في الغالب لا يضبطون الاعلام لان حروف لغاتهم لا تساعدهم على ذلك وقد يغفلون المخاطبات البليغة التي كان بتكاتب بها الخلفاء والامراء والخطب الفصيحة التي كانوا يلقونها في مجالسهم او على جنودهم او اذا لم يغفلوها فانهم يضعونها في الفق على العربي فاذا أربد ترجتها الى العربية لا يتفق ان تأتي مثل اصلها تماماً

فرايت ان لكل من الطرفين حسنات فجمعت بينها ملتزماً صحة النقل وانتقاء اصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الاحكام الثاريخية مع مراعاة الممكنات واغفال ما هومقول بغير قياس ومناقض لاحكام العقل بين مبالغات واختلاقات وتقاليد

فزادت المؤلفات التي اخذت عنها كتابي على بضع عشرات فضلاً عن القواميس الكبيرة وهاك جدولاً فيه اسهاء اشهر المؤلفات العربية والافرنجية التي استعنت بها في تأليف هذا التاريخ:

الكتب العربية

يتاب اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المؤلف
القريزي	عجائب الآثار	الجبرتي
ابن الأثير	بدائع الزهور	ابن ایاس
ن شهاب الدين المقدس	خطط مصر	علي باشا مبارك
سلمين ابن العميد	التبر المسبوك	السخاوي
م بر ابنخلدون	تاريخالدولةالمثمانية	ابراهيم الطبيب
لاعيان ابن خلكان	مصر للمصريين	سليم خليل النقاش
ِفیات ابنشاکر	آاريخ السودان	نعوم بك شقير
أول الاسحاقي	هيرودرتس	ترجمة بسترس
الاعتبار عبداللطيف البغدادة	الامة القبطية	يعقوب نخله
الزاهرة ابوالمحاسن	الخريدة النفيسة	احدالرهبان
لذهب المسعودي		

الكتب الافرنجية

نر نسا ر ي	موثرونك ف	تاريخ الحروب الصليبية
>	مارسل	« مصر الحديث
>	اميديه ريم	« الحملة الفرنساوية
>	ب وھ	﴿ محمد علي
>	مو ټرو	الأنبياء الثلاثة (عرابي وغردون والمهدي)
>	دا فاسيه دي بو نته	المشرق ومصر
>	كلوت بك	لظرة في مصر
>	نترو تسوس بك	تار يخ الدوائر الصحية المصرية
نكايزي	مري ا	الآثار المصرية

نكليزي	شارب ا	تاريخ مصر القديم
>	سلاطين باشا	السيف والنار في السودان
>	شارلس رويل	الحوادث المصرية الاخيرة
>	باثون	تاريخ المهاليك الى وفاة محمد علي
> ā	جمية الرسائل الدينيا	الملكة العثمانية
	القواميس الشهيرة	الانسكله سدما المربطانية وغيرها من

جغرافية مصراكحديثة

حدود مصر واقسامها

كانت المملكة المصرية قبل السلاخ الاقطار السودانية عنها تمتد شهالاً الى البحر المتوسط وجنوباً الى قرب خط الاستواء حيث الجبال الزرق وبحيرة البرت نيازا وشرقاً تبتدىء من العريش على ساحل البحر المتوسط وتسير جنوباً فتضم شبه جزيرة سينا وخليج العقبة حتى تلتقي بالبحر الاحمر مقابل واس بنار على ساحل البحر الاحمر الغربي ومن هناك تمند الى مصوع فخليج عدن حتى بربرا اما في تلك الانحاء الجنوبية فسلطة الخديوي لم تمكن تتجاوز الشطوط فضلاً عن ان الحبشة وقبائل اخرى هناك كانت مستقلة . وغرباً من راس الكنائس عند البحر المتوسط مخترقة عمراء ليبيا حتى دارفور ثم تنعطف شرقاً الى الجبال الزرق

اماً بعد الحوادث السودانية الاخيرة فانحصرت المملكة المصرية في القطر المصري ويحدثُهُ شمالاً البحرالمتوسط وجنوباً الشلال الثاني (وادي حلفا) وشرقاً قنال السويس فالبحر الاحر وغرباً راس الكنائس وصحراء لبيبا

وينقسم القطر المسري الآن الى قسمين عظيمين هما الوجه القبلي والوجه البحري او مصر العليا ومصر السفلى تفصل بينهما القاهرة وكل من هذين القسمين يقسم الى اقاليم او مديريات في كل منها مدينة كبيرة تقيم فيها حكومة تلك المديرية وعلى كل من هذه المديريات حاكم يدعى مديراً وهاك اسماء المديريات وقواعدها وعدد سكانها حسب احساء سنة ١٩٠٧

المديريات وقواعدها

	اولاً الوجه البحري	
عدد سكان المديرية	اسم قاعدتها	اسم المديرية
£45 040	قليوب	* * *
941,+14	شبين الكوم	القلمو بية النوفية
1, £ \ £ , \ \ £	الهنك	
14.,.10	دمتهور	الغربية
14.7, YEY	الزقازيق	البحيرة الشرقية
914,244	المنصورة	الشرقية
	ثانياً الوجه القبلي	44
27.,./	الجيزة	1 1
477,414	ېنی سویف	الجيزة
281 044	بي و. الفيوم	بئي سويف اا:
774 158	المنيا	الفيوم المنيا
۹۰۷ ٤٣٥	اسبوط	اسوط
Y44 45.	سوهاج	اسیوت ج رجا
YA+ A&q	قنا	قنا
742 7.7	اسوان	اسوان
-1.7174		0.5~,

ويشتمل القطر المصري عدا عن المديريات المذكورة على مراكز مستقلة بإحكامها

يسمونها محافظات وهي مع عدد سكانها العلمانياة

عدد سكانها	اسم الححافظة
702 277	القاهرة
737 744	الاسكندرية
ደ٩ አለ٤	بور سمید
11 111	الاساعيلية
14 744	المريش

السويس سينا

السوداله المصرى

اما السودان المصري فقد قسم بعد استقلاله عن مصر الى مدير بات لـكل منها مركز وهذه اسهاءها مع اسهاء بنادرها

البندر	المديرية	البندر	المديرية
المحاس	ا سنار	الخرطوم	الخرطوم
كسلا	كسلا	الدام	٠٠٠ در دوم
كودوك	اعالي النيل	مروى	.ت. دنقلة
واو	بحر الغزال	حلفا	وادي حلفا
الابيض	کردفان	بورسودان	البيحر الاحمر
منجلا	Maria	الدويم	النيل الابيض
		واد مدني	النيل الازرق

سكان مصر

بلغ عدد سكان مصر بناء على تقويم سنة ١٨٨٧ نحو ٧٤٧ ٢٠٠٠ ٢ نفساً منهم م٠٨٨٨ محو ٧٤٧ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ من الاجانب. وباغ حسب احصائها سنة ١٩٠٧ في ١٩٠٠ من الاجانب. وباغ حسب احصائها سنة ١٩٠٧ في وهم على الاكثر يو انيون النفوس الوطنيون منهم ١١٥٠٠٠ والاجانب ١٥٠١لفاً وهم على الاكثر يو انيون وايطاليون وانكليز وفر نساويون واتراك اما العربان المقيمون بالقطر المصري فعدودون في الوطنيين ويبلغ عددهم ٢٠٠٠٠ وغالبهم بدو يقطنون الخيش بالقرب من الزارع والرحالة منهم بهلغ عددهم سدس مجموعهم

ويظهر أن عدد سكان مصر في عهد المصر بين القدماء لم يتجاوز هذا العدد قال هيرودو تس المؤرخ أنه كان في مصر على عهد الملك المسيس ٢٠٠٠٠ مدسة . وقال ديودوروس ان عددالسكان بلغ سبعة ملايين ويوسيفوس يقول سبعة ونصف . اما في الدولة الاسلامية فبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ نفس ثم أمحط في عهد الماليك الى ثلاثة ملايين واخذ في الزيادة من عهد المغفورله محمد على باشا ولا يزال يتزايد الى اليوم

مزروعات مصر

تقسم مزروعات القطر المصري الى المزروعات السنوية والاشجار وقد حسب عدد هذه المزروعات على وجه العموم فبلغ نحو ١٣٠٠ نوع

فن المزروعات السنوية القمح والشعير والذرة والدخان والارز وقصب السكر والفول والعدس والحمص والترمس والبشلة والباميا واللوبيا واللبلاب والبصل والكرات والنوم والخبيزة والخس والكرمب والباذنجان والرشاد والفجل والخيار والقثاء وعبد اللاوي والعجور والشهام والبطيخ والجزر واللفت والبرسيم والحلبة والقطن والكتان والقنب والقرطم والسمسم والنيلة والحناء والفوة والافيون والخردل والكزبرة والمقدونس وغيرها

ومن الاشجار النخل والبرتقال والمندرين (يوسف افندي) والليمون والتين والجيز والموز والمسمش والخوخ والرمان والتوت والعنب والزيتون واللوز والسنط والطرفة والخرنوب والنبق والدوم واللبخ وغيرها

ومعظم هذه الاشجاركان معروفاً لدى المصريين القدماء الا ان بعضها قد دخل الى البلاد حديثاً منها اللبخ وهو مزروع على معظم الشوارع العمومية في المدن الكبيرة للانتفاع بظله

حيوانات مصر

ثقسم الى الحيوا^ثات الداجنة والحيوا نات البرية

فالدا جنة منها الجلل والفرس والحمار والبغل والجاموس والبقر والضان والماعز والخنزير والكلب والهر والدجاج والديك الهندي والوز والحمام . ومن الغريب ان الجمل والجاموس والضان والدجاج لم تكن معروفة لدى المصريين القدماء

والحيوانات البرية منها المختزير البري والضبع والغزال وبقر الوحش وكبش الجبل وابو الحسين والذئب والثعلب والقط البري والنمس والارنب والوطواط والتمساح وحيوانات اخرى من الطيور والزحافات والالهاك لا حاجة بنا الى ذكرها

الدورالاسلامي

دولة اكخلفاء الراشدين

خلافة عمر به الخطاب

من سنة ٣ ١ – ٢٣ هـ او ١٣٤ – ١٤٤ م

مبدأ الدولة الاسلامية

وفي خلال تلك الانقسامات الدينية في مصر كانت نشأة حضرة صاحب الشريعة الاسلامية محمد الهادي بن عبد الله القرشي . ولد في مكة المشرفة نحو سنة ٥٦٩ لميلاد المسيح وهاجر الى المدينة في ١٦ يوليو (عوز) سنة ٢٢٢ ومن هذا اليوم يبتدى التاريخ الاسلامي وهو تاريخ الهجرة النبو ية المعول عليه الآن . وفي آخر السنة السادسة للهجرة كتب الى الامبراطورهر قل ملك القسطنطينية كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام وكتب مثل ذلك الى سائر ملوك العرب والعجم وفي جملتها كتاب الى المقوقس يوحنا بن قرقت حاكم مصر من قبل ملك الروم فبعث اليه المقوقس ار بع جوار منهن مارية ام ابراهيم ابنه فكان ذلك اول الصلات بين دولة العرب ومصر

ثم كانت الغزوات والفتوح المشهورة حتى السنة الحادية عشرة فتوفي صاحب الشريعة وبويع الخليفة ابوبكر الصديق فعمل على استقرارالفتوح حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ او ٦٣٤م

فَمَا لَبِثَ الأسلامَ ان ظهر في شبه جزيرة العرب حتى انتشر بسرعة غريبة الى المراق وفارس والشام وفلسطبن وغيرها جهاداً في سبيل الدين في مدة لا تشجاوز ثنائى عشرة سنة

فلها راى الامبراطور هرقل ماكان من افتتاح العرب لسوريا وغيرها من بلاده عنوة اوجس خيفة على باقيها ولاسيا مصرالا أنه لم يكن في حسبانه أن العرب يقدمون الى مصر مفتتحين حالاً على أثر فتوحهم الكشيرة فعقد بينه وبين الخليفة عمر بن

ش ٢١ ــــ النسخة الاصلية لكمتاب النبي الى المقوقس زعم بعض الستشرقين انه وجدها في الصعيد(راجع الهلال سنة ١٣ صفحة ١٠٣ و ١٦٠)

لخطاب معاهدة مآلها ان يدفع جزية سنوية معلومة لخزينة المسلمين قبالة اغضائهم عن فتح مصر. الاان هذه الجزية لم تكرف تدفع في حينها وبالقدر الممين فاعتسبر الخليفة تلك المعاهدة منقوضة

فتح مصر . سنة ١٨ هـ او ٦٤٠ م

وكان عمر وبن العاص لا يفتر عن ترغيب الخليفة عمر بن الخطاب في مصر وافتتاحها لانه كان قد جاءها قبل ان اعتنق الاسلام وراى فيها من العظمة والحجد ما جعله شديد الرغبة في افتتاحها وكان يقول له « انك ان افتتحتها كانت قوة المسلمين وعوناً لهم وهي آكثر الارض اموالا واعجز عن القتال والحرب » وكان الامام عمر يتخوف من ذلك ولاسيا بعد ان عقد المعاهدة بينه وبين هرقل لكنه بعد ان نقضت على ماتقدم راى ان مجيب طلبه فانفذ اليه ان يسير باربعة الاف رجل اشداء وقال له « رسر اني مستخير الله في سيرك وسيأتيك كنابي قريباً انشاء الله تعالى فان ادر كك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فالصرف وان انت دخلتها فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فالصرف وان انت دخلتها

قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره » وكان ذلك بعد افتتاح بيت المقدس بأيام

فسار عمرو بن العاص ومن معه قاصداً مصر وهو بكاد لا يصدق ان أذِنَ له بذلك . فما بلغ رفح « وهي قرية تدعى الان رفع تبعد نحو عشر ساعات عرف العريش) حتى ادركه رسول من عمر ودفع اليه كَتْمَابًا نْفَافُ انْ يَكُونُ ذَلْكُ الْـكَتَّابُ مؤذناً بالانصراف عن مصر وهو لم يدخلها بعد فاجل فتحه حتى يدخل ارضها وكان اذذاك على مسافة يسيرة منها فأمر بجد السير حتى امسى المساء فسأل اين نحن فقيل له في العريش فعلم انه دخل ارض مصر فأمر بالمبيت هناك . وعند الفجر نهض القوم للصلاة وبعد أتمامها وقف عمرو وفي يده كتاب الخليفة ففضه بكل احترام وتلاه على الجهور بصوت عال وهو « بسم الله الرحمن الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته ١ اماً بعد فان ادر كك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئاً من ارضها فامضواعلم أني بمدُّك » فالتفت عمرو الى من حوله قائلاً « اين نحن ياقوم » فقالوا « في العريش» فقال « وهل هي من ارض مصر ام الشام » فاجابوا « انها من مصر » فقال « ها م بنا نعبر على خيرة الله تعالى » . وهكذا دخل عمرو بن العاص أرض مصر في اربعة الاف رجل في السنة الثامنة عشرة للهجرة وجعلوا يخترقونها جنوباً في قسمها الشرقي وعددهم يزيدكل يوم بمن كان ينضم اليهم من القبائل البدوية التي كانوا يمرون بها في طريقهم

فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتلت الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ثم فتح الله على السلمين وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية الى ان فرغ من حربه . ثم تقدم عمرووهو لا يقاتل الابالام الخفيف حتى الى بابيس فقاتلوه فيها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه وكان في بلبيس ارمانوسة بنت المقوقس حاكم مصر من قبل الروم فأحب عمرو ملاطفة المقوقس استجلاباً لوده فسير اليه ابنته مكرمة في جميع ما لها فسر ابوها بقدومها كثيراً

مم سار عمرو وما زال حتى مر بجانب الجبل المقطم فاشرف على حصن بابل أو بالميون القائم على ضفة النيلالشرقية مقابل الاهرام العظيمة . وكان حصناً منيعاً رفيع العهاد (۱) الى شرقيه جبل المقطم راسخ وعلى وجهه تجعدات تدل على قديم عهده بين

⁽١) و بسميه بعض مؤرخي العرب حصن باب البون او باب الاون وللمؤرخين فيه

الجيل والحصن بقعة من الارض لاشيء من العارة فيها الابعض الايرة والكنائس . ثم اظر الى الغرب فاذا بالنيل منحدر امام ذلك الحصن فيريده مناعة والى ما وراء النيل ارض قد كستها الطبيعة من جمالها حلة خضراء بين اعشاب واشجار خصبة وهي جزيرة الروضة وكانت تعرف بجزيرة مصر والماء محيط بها مدار السنسة . ويقطع النيل بين الحصن وهذه الجزيرة جسر من خشب وكذلك فيا بينها والجيزة يمر عليهما الناس والدواب من البر الشرقي الى الجزيرة ومن هذه الى البرالغربي . وكان هذان الجسران مؤلفين. من مراكب بعضها بجذاء بعض وموثقة بسلاسل من حديد وفوق المراكب اخشاب عمدة فوقها تراب وكان عرض الجسر الواحد ثلاث قصبات



ش ٢٢ - حصن بابل كما كان لما حاصره العرب

و تطلع عمرو الى ما وراء الجزيرة ف اذا بالاهرام العظيمة راسخة كالجبال وقد اثقلت كاهل الدهر فعجز عن هدمها . ثم رمى بنظره الى جنوبي الاهرام فراى ببقايا منف العظيمة ترهب القلوب لما يتجلى فيها من العظمة والفخامة ومن جملنها اهرامها المعروفة الان باهرام سقارة

فامر عمروان تنصب الخيم فيما بين الحصن والمقطم لجهة الشمال قرب مصر القديمة اليوم ولم يكن هناك الا بعض المزارع والغياض وجعل يسرح نظره ويتامل بما يهده من الاخطار في مقاومة هذا الحصن . ثم نظر الى وادي النيل فاذا هو يانع خصب يشتهيه النظر يخترقه النيل المبارك . على غربيه آثار منف والاهرام وعلى شرقيه ذلك الحسن وفيه قد حشدت جنود الروم متأهبين للدفاع ولم يكن قد راى شيئاً من ذلك فما من البلدان فعظم عليه الامر الا انه عاد الى عزمه عند ما تصور ما بلحق به من العار اذا عاد خائباً وما يقع في يده من الحيرات اذا فاز بالنصر بعد الجهاد الحسن واذا لم يفر في جهاده هنا واستشهد فني الاخرة ماهو افضل ماباً

وكان في الحصن المقوقس وقد تقدم أنه حاكم من قبل دولة الروم على مصر العلما

اقوال اظهرها انه حصن بناه الفرس عند تملكهم مصر ودعوه باسم عاصمة إال لانها كانت في حوزتهم

والسفلي ومعظم سكانهما من القبط . وكانت عاصمة حكومته منف على الضفة الغربية والما هذا الحصن فقد انحذه مركزاً حربياً ليمنع العرب من الرور الى عاصمته . وكان المقوقس من حزب الوطنيين ويقال أنه كان بينه وبين الرسول مكاتبة وعلى كل فانه لم يكن له ان يفعل ما يشاء . فلما علم بقدوم جيوش المسلمين جهز جنداً تحت قيادة احدكبراء جيشه المدعو الاعيرج وجاءوا بما لديهم من العدة والسلاح و تحصنوا في ذلك الحصن اما عمروفا خذ في المهاجمة مدة فابطأ عليه الفتح فكتب الى الخليفة يستمده فامده باربعة الافرجل عليهم اربعة من كبار القواد وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذاقة دون مسامة وورد معهم خطاب امير المؤمنين ولصه « اني قد انفذت اليك اربعة الاف على كل الف منهم رجل مقام الف »

فانفذ عمرو احد قواده والعله حذافة بخمسمائة فارس الى الجهة الثانية من الحصن من وراء الجبل فساروا ليلا وكان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له ابواباً وبدروا في اقنيتها حسك الحديد فالتق القوم حين اصبحوا فانهزم المصريون حتى دخلوا الحصن فصارت العرب محيطة بالحصن من كل الجهات الا النيل وكان حول ذلك الحسن الخندق فلم يستطع العرب الهجوم عليه واستمر رمي السهام صباحاً ومساء ثم تشاور عمرو والزبير بشأن ذلك فاقر اعلى تشديد الحصار ففرقا الرجال حول الخندق والحموم عمروعلى الحصن بالمنجنيق ثم خابر القوم بشأن التسليم فلم يفعلوا ، وكان القوقس بريد التسليم تخلصاً من نير الروم لما بينه وبينهم من الضغائن الدينية وان لم يتجرا على النصر ببعيته لان رجاله لم يكونوا كلهم من حزبه ولاسيا الأعيرج . ولما رأى من اقدام العرب وصبرهم على القتال ورغبتهم فيه خاف ان يظهروا على رجاله فنكون الخسارة مزدوجة فعمد برجاله الى باب الحصن الغربي على ضفة النيل وعبر بهم على الجسر الى الجزيرة ثم قعمد برجاله الى باب الحصن الغربي على ضفة النيل وعبر بهم على الجسر الى الجزيرة ثم تبعه الا عيرج ولم يترك في الحصن الغربي على ضفة النيل وعبر بهم على الجسر الى الجزيرة ثم تبعه الا عيرج ولم يترك في الحصن الغربي على ضفة النيل وعبر بهم على الجسر الى الجزيرة ثم تبعه الا عيرج ولم يترك في الحصن الغربي على ضفة النيل وعبر بهم على العرب غير عالين

ولما ابطأ الفتح قال الزبير « اني اهب الله نفسي وارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين ، فعبر المختدق ثم وضع سلماً الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام واخبر عمراً انهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوه جميعاً فما شعر الا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف في يده فتحامل الناس على السلم حتى كادوا يكسرونه لكثرتهم فنهاهم ثم كبر وكبرالناس معه واجابهم من كان خارجاً فظن منكان باقياً في الحصن من الروم ان العرب جميعهم هاجمون فهربوا . وعمد الزبير واصحابه الى باب الحسن ففتحوه واقتحموا

الحصن وتملكوه ثم عمدوا الى الجسر فتعقبوا القبط الى الجزيرة . واما هولا. فساروا الى منف عاصمة ولايتهم . وبعد ان عبروا النيل رفعوا الجسر عنه فتوقف العرب عن تعقبهم اذ لم يكونوا يستطيعون عبور النيل فاصبحوا محاطين بالاء من كل الجهات

المخابرة بشان الصلح

فلما وأى المقوقس ذلك الفد الى عمروكتاباً نصه « انكم قوم قد ولجتم في بلادنا والحيحتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد اطلتكم الروم وجهزوا البيكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا البينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فاعله ان يأتي الامر بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولايقدر عليه . واعاكم ان تندموا ان كان الامر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم فابعثوا البنا رجالاً من اصحابكم لعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء »

فلما اتى رسل القوقس الى عمرو حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس واتما اراد بذلك عمرو ان يروا حال المسلمين

وعند ذلك ردعرو الرسل وكتب الى المقوقس « أنه ليس بيني وبينكم الا احدى الاث خصال أما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وأن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يدوانتم صاغرون وأما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بينسا وبينكم وهو خير الحاكمين »

فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤ لاء قالوا « رأينا قوماً الموت احبُّ الى احدهم من الحياة والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء و يخشعون في صلاتهم >

فاقسم المقوقس قائلاً « لو أن هو لاء التقوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قنال هو لاء احد ولئن لم نغتنم صاحبهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لن يجيبونا بعد اليوم اذا المكنتهم الارض وقووا على المخروج من مواضعهم > وما زال على رجال حكومته حتى وافقوه على طلب الصلح فكتب الى عمرو « ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى وهم الى ماعساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم >

الوفد الى المقوقس

فبعث عمرو عشرة ثفر احدهم عبادة بن الصامت وكان رابط الجاش هائل المنظر اسود اللون طوله عشرة اشبار وجعله متكلم القوم وامره ان لا يجيبهم الى شيء دعوه الا احدى هذه الثلاث خصال قائلاً « ان امير المؤمنين قد تقدم الي في ذلك وأمرني ان لا اقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث » فركبوا السفن حتى اتوا المقوقس ودخلوا عليه فتقدم عبادة في صدر اصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جثته وقال «نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكاهني» فاجابوا « ان هذا افضانا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعاً الى قوله ورايه وقد ام نا الامير ان لا نخاف له امراً » فقال المقوقس « وكيف رضيتم ان يكون هذا مقدماً عليكم وهو السود وانما ينبغي ان يكون دو نكم » فقالوا « كلا وان كان اسود فهو افضلنا »

فقال المقوقس لعبادة « تقــُدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك »

فتقدم وقال « قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سواداً مني وافظع منظراً وجميعهم اشد هيبة مني وانا قد وليت وادبر شبابي واني مع ذلك مجمد الله ما اهاب مائة رجل وذلك انما هولرغبتنا وهمتنا في الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب الاستكثار منها الا ان الله عز وجل قد احل انما ذلك وجعل ما غنمنا منه حلالاً وما يبالي احدنا ان كان له قنطار ذهب او كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها ليسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه في سبيل الله واقتصر على هذا الذي في يده ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس نعيماً ورخائها ليس رخاء انما النعيم والرخاء في الاخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يسك به جوعه ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه »

فلما سمع المقوقس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلسانهم « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هيت منظره وان قوله لاهيب. ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الاسيغلب على الارض كانها » ثم اقبل على عبادة وقال له د ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة

والشدة ما يبالي احدهم بمن لتي ولا من قاتل وانا لنمل انكم ان تطيقوهم لضعفكم وقاتكم وقد اقتم بين اظهرنا اشهراً وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم ماية دينار ولخايفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصر فون الى بلادكم قبل ان يغشاكم ما لا قوام لكم به »

خطاب عبادة بن السامت

فقال عبادة « يا هذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك .. اما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانالا نقوى عليهم فلعمري ماهذا الذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عها نحن فيه وأن كان ما قلتم حقاً فذلك والله ارغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعدر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه أن قتلنا عن آخرناكان أمكن لنا في رضوانه وجنته وماشي واقر العيننا ولا احب لنا من ذلك واننا منكم حينتذ لعلى احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الاخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا . وإن الله عز ً وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . وما منا رجل الا ويدعو ربه صباحاً ومساء ان يرزقه الشهادة وانلايرده آلى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحدمنا هم فيما خلفه وقد استودع كل منا ربه اهله وولده وانما همنا ما امامنا . واما قولك اننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في اوسع السعة لوكانت الدنيا كلها لناما اردنا منها لانفسنا آكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريده فبينه فليس بينناوبيتك خصلة نفيلها منك ولا نجيبك اليها الاخصلة من ثلاث خصال فاختر ايتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل . بذلك امرني الامير وبها امره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل الينا. اما أن اجبتم الى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لايقبل الله غير. وهو دين انبيائهورسله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خالفهورغب عنه حتى يدخل فيه فان فِعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصمحابك فقد سعدتم في الدنيا والاخرة ورجعنا عن قنالكم ولم لستمحل اذاكم ولا التمر ض لكم وان ابيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يدواتم صاغروزوان نعاملكم على شيء نرضى نحن وانتم في كل عام ابداً ما بقيناوبقيتم و نقاتل عنكم من ناواكم وعرض لَهُمْ فِي شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم ال كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخر نا

او نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فالمظروا لانفسكم >

فاعظم المقوقس ذلك وقال « هذا ما لايكون ابدًا ما تريدون الا ان تنخذونا عسدًا ما كانت الدنيا »

فقال عبادة « هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت »

فقال « افلا تجيبوننا الى غير هذه الثلاث الخصال »

فرفع عبادة يديه الى السهاء وقال « لا ورب هذه السهاء ورب هذه الارض ورب كل شيء ما لُكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم »

قالتفت اذ ذاك المقوقس الى ارباب مجلسه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا « أيرضى احد بهذا الذل؟ اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابداً ان نترك دين المسبح بن مريم و ندخل في دين غيره لا نعرفه ، واماما ارادوا ان يسبونا ويجعلونا عبيدًا فالموت ايسر من ذلك فلو رضوا ان نضاعف لهم ما اعطيناهم مرارًا كان اهون علينا »

فقال المقوقس لعبادة « قد ا بى القوم فما ترى فراجع اصحابك على ان نعطيكم في مرتكم هذه ما "منيّم وتنصرفون »

فقال عبادة وأصحابه « لا » . فقال المقوقس لاصحابه « اطبعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما اسكم بهم طاقة وائن لم نجبهم اليها طائعين لنجيبنهم الى ما هو اعظم كارهين »

فقالوا « وأي خصلة نجيبهم اليها » قال « اما دخولكم في غير دينكم فلا يسلم احدكم يه واما قنالهم فانا اعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة » قالوا « فنكون لهم عبيدا ابدا ؟ » قال « نعم تكونون عبيدًا مسلطين في بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم فاطيعوني قبل ان تندموا » فرضوا بالجزية على صلح يكون بينهم يعرفونه

فقال المقوقس لعبادة « اعلم اميرك اني لا أزال حريصاً على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التي ارسل الي بها فليعطني ان اجتمع به انا في نفر من اصحابي وهو في نفر من اصحابه فان استقام الامر بيئنا تم ذلك جميعاً وان لم يتم رجعنا الى ما كذا عليه » فرجع عبادة الى عمرو واخبره بماكان فاستشار اصحابه فقالوا « لا نجيبهم الى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيئاً وغنجة كما

صار لنا الحصن وما فيه . فقال عمرو « قد علمتم ما عهد الي امير المؤمنين في عهـــده فان اجابوا الى خصلة من الحصال الثلاث التي عهد الى فيها اجبتهم وقبلت منم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما ثريد من قتالهم > فوافقوه

عهد الامان المصريين

فاجتمع عمرو والمقوقس واتفقا على الصلح بات يعطى الامان المصريين وهم يدفعون الجزية وهاك نص الشروط

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على الفسهم ودمهم وامواهم وكافتهم وصاعهم ومدهم وعددهم لا يزيد شيء في ذلك ولاينقص ولا يساكنهم النوب وعلى اهل مصر ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذه الصلح وانتهت زيادة نهرهم خسين الف الف وعليه عمن جنى فصرتهم فان أبى احد منهم ان مجبب رفع عنهم من الجزية بقدرهم وذمتنا عمن ابى بريئة وان نقص نهرهم من غابته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله ما هم وعليه ما عليهم ومن ابى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه وبخرجمن سلطاننا وعليهم ما عليهم اثلاثاً في كل ثلث جبابة ثلت ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ما عليهم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا وأساً وكذا فرساً على ان لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر هذا اص

ولما تم الصلح على هذه الصوره كتب المقوقس الى ملك الروم كتاباً يعامه بالامم كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه مافعل ويقول في كتابه «ان ما اتاك من العرب اثناء عشر الفا وبحصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فات عندكم بحصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك آكثر من ماية الف فارسمعهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم حتى تموت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قاتهم وضعفهم كأكلة . العضهم القتال ولا يكن لكم رأي غير ذلك » وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً الى حياعة الروم

فاقبل القوقس على عمرو فقال له « ان اللك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب

الي والى جهاعة الروم ان لا نوضى بمصالحتك والمرهم بقتالك حتى بظفروا بك او تظفر بهم م ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاهدتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن اطاعني وقد تم صلح القبط مما بينك و بينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاقبتهم والما الروم فانا منهم برائح وانا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال ، الاولى الا تنقض بالقبط وادخلني معهم والزمني ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب ، واما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً فانهم ادل لذلك لاني نصحتهم فاستغشو في ونظرت اليهم فاتهموني واما الثالثة فاني اطلب اليك ان انا مت ان تأمرهم يدفنوني بجسر الاسكندرية ، فاجابه الى ما طلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعاً ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق في طريقهم الى الاسكندرية ففعلوا وصارت القبط لهم اعواناً

وصيف مصبر

فانفذ عند ذلك عمرو الى الخليفة رسولا بكتاب يخبره بما تم بينه وبين القوقس فاجابه منشطاً وسأله ان يصف له مصر فكتب اليه

فتح الاسكندرية . سنة ٢٠ ﻫ

ولما تم التعاقد بين المسلمين والقبط على ما تقدم هاجر جميع من كان بين هؤلاء من الروم الى الاسكندرية . اما عمر و فاقام في الحصن حامية وقام برجاله نحو الاسكندرية على نية الفتح وسار معه جهاعة من رؤساء القبط يصلحون له الطرق ويقيمون الجسور والاسواق وكانت خيام العرب مضروبة بين النيل والجبل على ما تقدم فامر عمر و بتقويضها والاستعداد المسير فاذا بجامة قدباضت في اعلاه فقال « لقد تحرمت مجوارنا اقروا الفسطاط في موضعه واوصى به صاحب القصر



ولا يخنى ما كان لهذه الحادثة من التأثير الحسن في قلب من سمعها من الوطنيين فتركوها وساروا في سبيلهم قاصدين الاسكندرية متخدين ضفة فرع النيسل الغربي خطة مسيرهم فلاقاهم في الطريق بعض من هاجر من منف من الروم فقاتلوهم يسيراً وكان من هؤلاء فئة تحصنت في كوم شريك وأخرى في مربوط فتغلب عليها عمرو واحتاهها، اما القبط فكانوا اعواناً المسلمين في كثير من احتياجاتهم حسب امر القوقس فلما بلغ ذلك جماعة الروم في الاسكندرية اشتد غيظهم فاصروا على الحرب واخذوا

يعدون مهات الدفاع

أما عمرو فما زال يتقدم بجيشه الى الاسكندرية وكانت هي قاعدة القطر المصري إلى ذلك العهد وفيها من عظمة الروم ورهبتهم ما يرهب الابطال وحاصرها بر"ًا أما بحراً فكانت الطريق مفتوحة بينها وبين القسطنطينية يأتبها منها ماتحتاج اليه من المؤن والزخائر فطال الجصار رغم الوسائل التي اتخذها العرب فضجر عمرو فجمع اليه رجاله وخطب فيهم فهاجموا الاسوار وهو في مقدمتهم فخرقوها ودخل عمرو وأثنان من قواده هما مسلمة بن مخلد ووردان الا أنهم لم يكادوا يطأونها حتى أقفلت الاسوار وراءهم والتي القبض عليهم واحضروا امام البطريق (الحاكم) فخاطهم قائلا « هوذا اتم اسرى في ايدينا فاخبرونا ما الذي جاء بكم الينا وما الذي حملكم على قتالنا » فاجابه عمرو بقلب لا يهاب الموت « قد اليناكم ندعُوكم الى الاسلام فيكون لكم مالنا أو أن تؤدوا الجزية عن يد واتم صاغرون والا فاننا نقاتلكم الى ان نفي لامر الله » فبهت الرجل من وجوء العرب والعله امير القوم فينبغي أن نضرب عنقه ، وكان وردان عارفاً باللغة اليونانية ففهم ما قاله البطريق والحي يطلع عمراً على ذلك لكمه مستهزئاً وناداه منتهراً « مالك ولهذا القول وانت أدنى من في آلجماعة واقل فاترك غيرك يتكام» فاختلف ظن البطريق وقال «لوكانهذا امير القوم ماكان يفعل به هكذا » فقال مسامة « ان اميرنا كان عازهاً على الانصراف عنكم واراد ان يسير من اكابر القوم من يتفق معكم على شيء تتراضون عليه فان اطلقتمونا مضينا وعرفناه ما صنعتم بنامن الجميل ويتفق الأمر بينكم وننصرف عنكم >

فتوهم البطرين ان الامركذلك فاطلقهم فاما خرجوا قال مسامة العمرو « قد خلصتك لكامة وردان » فوصلوا الى المعسكر وهم على نية تشديد الحصار الى ان يقضى الله بما يشاء

وكان الامام عمر قد استبطأ فتح الاسكندرية . فكتب الى عمرو « اما بعد فقد عجبت لا بطائه عن فتح مصر . انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك الالما احدثهم وأحببتم من الدنيا ماأحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الابصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب في الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم اوائك الاربعة في صدور

الناس ومر الناس جميعاً ان يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم » فجمع عمرو رجاله وتلا عليهم كتاب امير المؤمنين فأثر فيهم تأثيراً عظيماً وعزموا على القيام به

وفي خلال ذلك توفي هرقل ملك القسطنطينية وعقب موته انقسامات داخلية وحروب اهلية سفكت فيها الدماء بسبب ادعاء الملك من هم من غير الاسرة الملوكية وانتهى الامر بان افضى الملك لولده هرقل الثاني او قسطنطين الثالث وهذالم يمضعليه مائة يوم من جلوسه حتى قضى مسموماً بيد مارتين امرأة ابيه ثم بمساعي بطريرك القسطنطينية عقد على الملك بعده الهرقلينة ابنة مارتين المذكورة وبعد بضعة اشهر نصب قسطان بن هرقل الثاني . فيقال اجمالاً أنه كان على القسطنطينية ثلاثة ملوك في وقت واحد فازداد الانشقاق وتعاظم الخصام فضعفت هم الاسكندريين وتضاعف بأسهم فهاجر بعضهم بحراً ولبث البعض الآخر في المدينة يريدون دفاعاً لم يقو واعليه فدخلها عمرو يوم الجمعة غرة شهر محرم سنة ٢٠ للهجرة (او ٢٢ دسمبر سنة ١٤٠ الميلاد) واقام فيها احتفالاً عظيماً تذكاراً لما أوتيه من الفتح المبين ثم كتب الى امبر المؤمنين كتاباً ونصه :

« الى الخليفة عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص عليك سلام الله تعالى وبركاته أما بعد فقد فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة آلاف بنية باربعة آلاف حام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعائة ملعب الملوك واثتي عشر الف بيعون البقل الاخضر »

و بعد أن أستلم عمرو زمام الاحكام أخذ في استجلاب قلوب الاهلين فجعل يقرب منه سراة القوم ووجوههم ويحكم في الناس بالقسط ويجيب التماسهم في كل ما كانوا يسألونه منه حتى اجمع الكل على الميل اليه والاذعان لامره

مكتبة الاسكندرية

وذكر ابن القفطي وابو الفرج الملطي وغيرهما ان عمراً لما فتح الاسكندرية كان في جملة علمائها رجل اسمه يحيى الغراماطيقي فدخل على عمرووقد عرف موضعه من العلوم فاكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع سحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوماً « انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وخمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن اولى به »

فقال له عمرو « ما الذي تحتاج البه » قال « كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكة » فقال له عمرو « هذا مالا يمكنني ان آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . فكتب الى عمر وعرفه قول يحيي فورد عليه كناب عمر يقول فية « واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنها غنى وال كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن العاص في نفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر فاسم ما جرى واعجب ، اه

على أن بعض الكتبة ينزهون الامام عمر بن الخطاب عن تلك الفعلة . وكنا قد جاريناهم في الطبعة الاولى من هذا الكتاب ثم تبين لنا بالبحث ترجيح صحتها وقد فصلنا لادلة على ذلك في الجزء الثالث من تاريخ الثمدن الاسلامي ولا نزال عليه حتى يتبين نا ما ينقضه ونحن موالون البحث في هذا الشأن اذ لاغرض لنا غير تقرير الحقيقة

يناء الفسطاط

ثم كذب عمر الى الخليفة يستفتيه في السكنى بالاسكندرية فسأل الخليفة الرسول دهل يحول بيني و بين المسلمين ماء قال « أهم يا أمير المؤمنين أذا جرى النيل » فكتب الى عمرود اني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني و بينهم شتاء ولاصيفاً فمتى أردت أن أرك اليكم راحلتي حتى أقدم اليكم قدمت » وتلك كانت قاعدة عمر في جمع المسلمين في بقعة لا يحول بينهم و بينه ماء . كذلك فعل بيناء البصرة والكوفة . فاستخلف عمرو في الاسكندرية حامية و أمر فشدت الرحال الى حصن بابل فاما بلغوا المكن الحيث خيمة الامير راوها لا تزال منصوبة و فيها اليام فنزلوا فيها وجعلوا تلك الخيمة مركزاً لمعسكرهم . ثم الضمت القبائل بعضها الى بعض واخذوا في بناء البيوت السكنى الجيوش فاختط عمرو مدينة شمالي الحين دعاها الفسطاط باسم الخيمة فيها نحو عشرين حارة دعاها خططاً واقام أربعة من كبار رجاله ينزلون الناس في الخطط المذكورة بحسب أحزابهم وقبائلهم

حصن بابل او دير الصاري

وفي مكان حصن بابل اليوم كنائس قبطية قديمة العهد يدعون مجملها قصر الشمع او دير النصارى او دير ماري جرجس . فاذا تجاوزت جامع عمرو مسافة بضع دقائق ومصر العتيقة الى يمينك رايت الى يسارك بناء كبير ا يظهر أنه مؤلف من عدة أبنية عليها ملامح الشيخوخة وكأنها محاطة بسور كبير من القرميد الاحمر عند اسفله باب

قديم مصفح بالحديد الغليظ بتصل اليه بانحدار لا يقل عن ثلاثة اذرع هو احدا بواب الحين . وتدخل من هذا الباب في زقاق ضيق تتصل منه الى ازقة كثيرة كلها ضيق من النمط القديم تستطرق الى عدة كنائس قبطية منها كنيسة العذراء وكنيسة ابي سرجة وكنيسة ماري جرجس وكنيسة القديسة بربارة وكنيس لليهود (كان في الاصل كنيسة على اسم القديس ميخائيل) وغير ذلك وقد زرت جميع هذه الكنائس فرايت انها مع تقادم عهدها في البناء قد جدد فيها قدم عظيم وجميعها دا خلة في بناء الحصن

ونما يستحق الانتباء أني شاهدت تُحت كنيسة ابي سرجة مغارة ينزل اليها بعدة درجات يقولون انها كانت مقاماً للسيدة مريم العداراء عند قدومها الى مصر وبلوح لي انها كنيسة من الكنائس التي كان يصلي فيها المسيحيون في ايام الاضطهاد الشديد لانها تظهر المعتامل مبنية على مثال الكنائس الحاضرة ففي صحنها الى كل من الجانبين عدة اعددة بينها نقر في جدار المغارة اشبه بالمذابح وفي المغارة جرن للعادة

اما الحين فاذا تأملت جدرانه الباقية من الخارج رايتها على عمط البناء الروماني وترى احدها وهو الجنوبي لا يزال عبارة عن برجين كبيرين في احدها كنيسة العدراء المعروفة بالمعلقة سميت كذلك لارتفاعها وقد جدد بناؤها منذ بضع سنين. وبين البرجين باب مسدود وقد طمرت الاتربة جزءه السفلي ويشاهد في جدران اخرى آثر مثل هذين البرجين. وتشير هذه الابراج الى ما كان عليه هذا الحين من المناعة (انظر ٢٢) فلا غرو اذا امتنع على العرب سبعة اشهر. اما محلة نابليون التي قد اقيم فيها هذا الحين فلا يمكن معرفة حدودها الآن ولكن يشاهد الى جنوبي الحين بيضع مئات من الامتار دير يقال له دير بابلون يدخل اليه من باب ضيق مصفح بالحديد وفيه الى الآن كنيسة السيدة مربم يجتمع اليها بعض المسيحيين للصلاة وبناء هذا الدير وقيه الى الآن كنيسة السيدة وهو قائم في منخفض بين تلين يقال لهما تل غراب ولم يسق الان غير هذا الدير حاملاً لاسم تلك الحلة

اماً الفسطاط فقد خربت ولم يبق منها الآآكام من الأثربة فيما بين القاهرة ومصر العتيقة يحدها شمالاً اطراف القاهرة وجنوباً السبع السواقي ومصر القديمة وشرقاً اكام من الآثر بة متصلة بالقرافة وغرباً مدافن النصاري

وجّعل عمرو الفسطاط عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة وجعل على الوجه القبلي عبد الله بن سعد بن ابي سرح وتولى بنفسه صلات مصر وخراجها فكان يجبي منها ١٢ مايوناً من الدنانير سنوياً

وكان في جملة القبائل التي شهدت فتح مصر وجاءت لاحتلالها قبيلة همذان فهذه أحبت النزول في الجيزة مع من والاها من المسلمين فاستأذنوا عمرو بن العاص فقال مهلاً ريما استشير امير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بما فتح الله عليهم وبما ارادت همذان فاحابه يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له «كيف رضيت ان تفرق اسحابك بان يحول بينك وبينهم بحر ولا تدري ما يفجأهم فاهلك لا تقدر على غياتهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان ابوا عايك واعجبهم موضعهم بالجيزة واحبوا ما هنالك فابن عليهم من في المسلمين حصناً » فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا واعجبهم موضعهم فبني طم حصناً يقيهم اذا فاجأهم امر

ثم سار عبد الله بن سعد الى الوجه القبلي الله ويخ البلاد فلم يلق معارضاً ومازال حتى اتى بلاد النوبة ففتحها كلها

اصلاح البلاد وتنظيمها

وأخذ عرو من ذلك الحين في تنظيم البسلاد فقسم القطر الصري الى كور او اعمال يرأس كلاً منها حاكم قبطي تأتيه القضايا فينظر فيها ويصدر احكامه الى من هم تحت حكمه رأساً فحصل الاهلون على راحة لم يكونوا راوها منذ ازمان وساد الامن في بلادهم

فام عمرو بترميم مقاييس النيل التي كانت قد تعطلت منها مقياس اصوان ومقياس ارمنت ومقياس منف وغيرها . وكان من عادة المصريين قبل الفتح الاسلامي انه اذا مغي ١٧ يوماً من شهر بؤونه يعمدون الى جارية بكر من ابويها فيرضونهما ويجعلون عليها من الحيلي افضايا شم ياتونها في النيل ضحية له . فابطل عمرو هذه العادة وعوض عن الجارية بتمال من طين . وقد ذكر بعض المؤرخين هذه الحقيقة في سياق حكاية لابأس ، نذكرها وهي انه آنفتي للديل في السنة التالية للفتح انه لم يرتفع الارتفاع اللازم لاي . ولما دخل شهر بؤونة القبطي قال له اهل البلاد « أيها الامير ان انبنا عشرة ليلة النيانا هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها وجعلنا عايها من الحلي والثياب افضل ما يكون شم القيناة افي النيل » فقال لهم عمر « ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله » فمذى بؤونة وابيب ومسرى وهو لا يجري قليلاً ولا كشيراً حتى هموا بالبحلاء فكتب عمرو الى امير المؤمنين عما كان فاجابه « انك قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل

اذا اتاك كتابي ؟

فاما قدم الكناب الى عمرو فقح البطاقة فاذا فيها « من عبد الله امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا مجر واذا كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك بامره فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك » فالقي عمرو البطاقة في النيل وقيل انذلك كان قبل عيد الصايب بيوم وقد هم اهل مصر بالخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تعالى ١٦ ذراعاً فلما رأى المصريون



ش ٢٤ — ضحية النيل

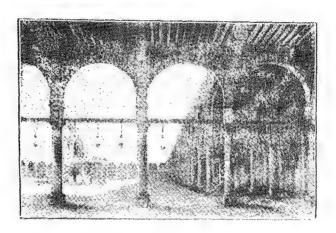
ذلك تعجبوا ووقع في قلوبهم الرعب وزاد احترامهم للخليفة واوامر. وابطلوا تلك العادة القبيحة واستبقوا رمزاً عنها تمثالاً من طين يصنعونه كل سنة عند فتح الخليج يسمونه العروسة فيلقونه في الخليج وما زال ذلك جارياً الى عهد غير بعيد اثراً ال كان يرتكبه المصريون القدماء من العسف كل سنة في شأن الفيضان

ثم اخذ عمرو في تنظيم القضاء وكانت امورها إلى ذلك العهد منوطة بنواب ماليبن

او جهاد بين من قبل حكومة الروم يستبه ون بالرعية كيف شاؤا وليس من ينصف فاوجد لهم عمرو المحاكم النظامية وقسمها الى مجالس دائمة وزمنية مؤلفة من اعضاء ذوي نزاهة واستقامة ومقام رفيع عند الاهلين. ولا بد لنا من ذكر فضل هذا الفاتح بانه اول من اوجد هذه المحاكم بمصر تحت اسم دواوين . اما اعضاؤها فينتخبون من الاهالي والاحكام تجري بمقتضي عدل القضاة وتستأنف عند الاقتضاء لنقضها او ابرامها ولم تكن احكام القضاة المسلمين تجري الاعلى المسلمين باعتبار كونهم من جيش الاحتلال والقضايا التي فيها احد الخصمين قبطي كان انواب القبط حق الدخول فيها والعمل عقتضى قوانينهم الدينية والاهلية

اما اعطيات الجيش فكانت تصرف ممايجي من اموال الخراج وتوزع في الديوان على الامراء والعمال والاجتماد على قدر مراتبهم وبحسب مقاديرهم ويحمل ما يفضل الى سيت المال . وكان يقال الدلك في صدر الاسلام العطاء وما زال ذلك جارياً في الدول الاسلامية الى آخر الدولة الفاطمية ثم صارت منذ ايام صلاح الدين تعطى اقطاعات قفر ق على السلطان وامرائه واجناده

وما فق عمرو يخذ الوسائل الممكنة لاكنساب ثقة المصريين ولم يدع فرصة تفوته في اكنسابها . قيل ان البطريرك بنيامين كان من الطائفة اليعقوبية وقد اضطهده هرقل ملك الروم اضطهاداً عظيماً لمحافظته على خطته الدينية وهو لا يبالي بما كان يهدده من الخاوف والاخطار فشداً وهرقل عليه النكير ومنعه من السلطة الدينية وهدا ده المفتر فقر عللب ملجأ في بعض الادبرة فأقام هرفل مقامه في زمن الحصار رجلاً كان بيد المجلس آلة يدبرونها كيف شاؤا . وكانت مصر حينئذ منقسمة كما تقدم الى قسمين دبنيين ماكبين ويعقوبيدين وكان على رئاسة الطائفة الاولى وهي الاصغر هذا البطريرك الجديد وعلى الطائفة النائيسة بطريرك واساقفة اقامهم هرقل باختياره غير ان الشعب كان يعاملهم بالاحتقار ولم يكن يعتبر الرئاسة الحقيقية الالبنيامين المختار قديماً منهم و فعند ما بادت سلطة الروم ورأى القبط من الاسلام ميلاً ورفقاً عرضوا امرهم الى عمرويا بمسون استرجاع بطريركهم القديم فاستدعاه عمرو وطيب خاطره واقامه في منصب وخلع الذين كانوا مكانه فحسب القبط هذا الامر منة وفضلاً . وازدادوا ثقة وميلاً للمسلمين ولا سيا لما رأوهم يفتحون لهم الصدور ويبيحون فم الكنائس والمعابد في وسط الفسطاط بل وفي وسط جيش الاسلام على حين اله لم يكن للاسلام معبد فكانوا يصلون ويخطبون في الخلاء



ش٥٧ - جامع عمرو

ثم عمد عمرو الى بناء جامع على مثال جامع مكة سعة وشكلاً فبناه في الفسطاط قرب حصن بابل وكان في موضعه خان استولى عليه احد رجال عمرو عند الفتح فلما عا: وا من الاسكندرية طلب اليه عمرو ان يجعل منزله هذا مسجداً فرضي وكان النيل يجري بقربه ثم انحسر عنه بعد ذلك غرباً. واتى عمرو بحجارة ذلك الجامع من بقايا منف العظيمة بينها اعمدة كبيرة من الجرانيت وقطع هائلة من الرخام اقيمت بهاجدرانه وقد قيل ان القرآن كله كان منقوشاً عليها بالذهب، والجامع الذكور لا بزال الى يومنا هذا في مصرالقدية يعرف باسم جامع عمرو يصلون فيه الجمعة الاخيرة من رمضان، مساحته ٢٠٥٠ قدماً مربعاً وقد رمم مراراً بحيث لم يبق من البناء الاصلي الا ثي زهيد. ومن جملة من جدد في بنائه السلطان المؤيد سنة ١٨٤ هـ وآخرهم مراد بك وهذا لم يكن يحاول ذلك الا طمعاً بمخبأة اوعز اليه انها مدفونة في بعض اجزائه كا سترى. واذا زرت هذا الجامع الآن رايته كالخراب وقد سقطت اعمدته الرخامية التي سترى. واذا زرت هذا الجامع الآن رايته كالخراب وقد سقطت اعمدته الرخامية التي كانت على الجانيين وفي صحنه حنفية وشجرة وفي ارض ليوانه صهر يج

وفي هذا الجامع كانت تعطى قبالات الاراضي وهي ان متولي الخراج كان بجلس فية زمان تئين فيه قبالة الارضين (التزامها) ومجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات (وكانت صفقة البيع عند العرب ان يضرب المشتري بيده على يد البائع ان رضي البيع ثم سمي عقد البيع الصفقة) وكتاب الخراج بين بدي متولي الخراج يكتبون ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من بدي متولي الخراج يكتبون ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من

الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى الامر خرج كل من كان تقبل ارضاً وضمنها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه واهله ومن ينتد به لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في ابائه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضائه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجانها بضريبة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين فكان اذا تأخر من مال الخراج البواقي تشدد الولاة في طلبه مرة وتسامح به مرة فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكبوا البلاد كلها وعدلوها تعديلاً جديداً فيزبدون فيا يحتمل الزيادة من غيرضمان البلاد وينقصون فيا يحتاج التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع ابن العاص الى ان بني احمد بن طولون جامعه

مخابرات بين ابن الحتاب وابن العاص

والمفتتحون اجدر الناس باتباع الرفق بمن اصبحوا من رعاياهم وقد ضربتعليهم المسكنة بعد انكانوا اسحاب البلاد وبيدهم الحل والعقد والظاهران عمراً كان على بينة من ذلك وقد جرى عليه لأنه كان يتحمل من المصريين ويمهلهم في دفع الخراج الى حد ان يوقع فيه مظنة الخليفة ويحكي ان الخليفة استبطأ الخراج من عمرو فكتب اليه : «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة وقد اعطى الله اهلها عدداً وجلداً وقوة في هر وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فبها عملاً محكماً معشدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك واعجب مما عجبت أنها لا تؤدي نصف ماكانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب. ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على ارضك من المخراج وظننت ان ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت ان تفيق فترفع الي ذلك فاذا انت تأتيني بمعاريض تعبأ بهما لاتوافق الذي في نفسي . لست قابلاً منكَّ دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست ادري مع ذلك ماالذي نفرك من كتابي وقبضك فلتَن كنت مجرباً كافياً صحيحاً ان البراءة لىافعة وآن كنت مضيعاً نطعاً ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك . وقد تركت ان ابتلي ذلك منك في العام الماضي رجاء ان تغيق فترفع اليَّ ذلك وقد عامت أنه لم يمنعك من ذلك الا أن عمانك عمال السوء وما "والس عليك والفق اتحدوك كهفاً وعددي باذن الله دواء فيه شفاء عما اسألك فيه فلا تجزع ابا عبد الله ان يؤخذ منك الحتى وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحمق ابلج ودعني وما

عنه تلجلج فانه قد برح الخفاء والسلام >

فكتب اليه عمرو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين • ن عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد بلغني كتاب امير المؤمندين في الذي استبطأني فيه من الخراج والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلي واعجابه من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذكان الاسلام وأممري للخراج يومثذ اوفر وأكثر والارض اعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في عمارة أرضهم منا مذكان الاسلام. وذكرت ان النهر يخرج الدرفحابيتها حاباً قطع درها. وأكثرت في كتابك وانبت وعرضت وتربت وعلمت ان ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجئت لعمري بالمقاطعات المقدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القولـ رصين صارم بليغ صادق. ولقد عملنا لرسول الله (صام) ولمن بعده فكنا محمد الله مؤدين لامانتنا حافظين لما عظم الله من حق أمتنا نرى غير ذلك قبيحاً والعمل شيناً فنعرف ذلك لنا وتصدق فيه قباننا . معاذ الله من تلك الطع وشر الشيم والاجتراء على كل مأتم فامض عملك فان الله قد نزهني عن تلك الطع الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ولمتكرم فيه آخاً والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني اشد غضباً لنفسي ولها انزاهاً وأكراماً.وما عملت من عمل ارى عليه فيه متعلقاً ولكنني حفظت ما لم تحفظ ولوكنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك و لنا وسكتُ عن اشياء كنتُ بها عللاً وكان اللسان بها مني ذلولاً ولكن الله عظم من حقك ما لا تجهل >

فكتب اليه الخليفة « من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الي ببنيات الطرق وقد عامت اني لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك الى مصر اجملها لك طعمة ولا لقومك ولكني وجهتك كما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام >

فكتب اليه عمرو «بسم الله الرحن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد الناني كتاب امبر المؤمنين يستبطئني بالخراج ويزعم اني احيد عن الحق وانك عن الطريق واني والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني ان تدرك غلمم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من ان نخرق بهم فيصيروا الى بير ما لا غنى لهم عنه والسلام >

فكف الخليفة وقد كان محمولاً على ما أنبه به ممن كان يناظر عمراً على ولاية مصر فتح دمياط وتانيس

فهذه المعاملة وامثالها جعلت للعرب منزلة رفيعة عند المصريين فرضخوا لهم الا الهاموك حاكم دمياط وهو من السباء المقوقس فانه المتنع عن التسليم واستعد للحرب فانفذ اليه عمر والمقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين نخرج البهم الها، وك وحاربهم حتى قتل ابنه بالحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه اصحابه فاستشارهم في امره وكان عنده حكم قد حضر الشوري فقال له « ايها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استغنى به احد الاهداء الى سبيل الفوز والنجاة من الهلاك وهولاء العرب من بدء امرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة واسنا باشد من جيوش الشام ولا أعز وامنع واز القوم قد أيدوا بالنصر والظفر والراي ان تعقد مع القوم صايحاً تنال به الامن وحقن الدماء وصيانة الحرم فما انت باكثر رجالاً من المقوقس » فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عاقل وله دار ملاصقة للسوو فخرج الى المسامين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها فلم برز الهاموك للحرب لم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد فاستأمن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط واخبروا عمراً بذلك . ثم خرج شطا بن الهاموك بعد ان اسلم الى ألبرلس والدميرة واشموم طناح فحشد اهل تلك النواحي وجعلهم مدداً للمسلمين وسار بهم مع المسلمين افتح تانيس فبرزلاهلها وقاتلهم حتى قتل في المعركة في ليلة الجمعة نصف شعبان بعد ما أتكلُّ فيهم فحمل من العركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط يحيون فيه ليلة لصف شعبان منكل سنة . ولم يكف المسامون عن تابيس حتى فتحوها

الفتح الاسلامي احتلال عسكري

اا فتح المسلمونالبلاد لم يتولوا حكومتها كماراً يت بل نزلوا خارجها في معسكراتهم كالمحتلين يستولون على الخراج والجزية ويراقبون الاحكام . فعمرو بن العاص وجنده لما فتحوا مصر نزلوا في الفسطاط والاسكندرية وتركوا سائر قرى مصر بايدي القبط. ولم يسكن احد من المسلمين بالقرى وانما كانت رابطة تخرج الى الصعيد حتى اذا جاء اوان الربيع انتشر الاتباع في القرى لرعي الدواب ومعهم طوائف من السادات وكان الخليفة عمر بن الخطاب مع ذلك ينهي الجند عن الزرع ويبعث الى

امراء الاجناد بإعطاء الرعية اعطياتهم وارزاق عيالهم ويتهاهم عن الزرع

وكان عمرو يقول لرجاله اذا رجعوا من غزوهم « أنه قه حضر الربيع فمن احب منهم ان يخرج بفرسه بربعه فليفعل ولا اعلمن ما ينفع من اسمن نفسه واهزل فرسه . فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيرورتكم » وذكر القريزي خطبة لعمرو في هذا المعنى رواها عن بحير بن ذاخر المعافري وفيها وصف عمرو بن العاص وابهته قال المعافري :

« رحت انا ووالدي الى صلاة الجمعة تهجيراً وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع أذ اقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقات يا أبت من هولاء فقال يا بني هولاء الشرط. فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلاً ربعة قصير القامة وافر الهامة ا دعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأنلق عليه حلة وعهمة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمداً موجزاً وصلى على النبي صلى لله عليه وسلم ووعظ الناس وامرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويامر بالاقتصاد وينهي عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال على ذلك فقال:

« يا معشر الناس ايا كم وخلالاً اربعاً فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة ايا كم وكثرة العيال واخفاض الحال و تضييق المال والقيل بعد القال في غير درك ولا بوال . ثم أنه لا بد من فراغ يؤول اليه المرع في توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها . ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيجوز من الخير عاطلاً وعن حلال الله وحرامه غافلاً . يا معشر الناس آنه قد تدات الجوزاء وذات الشعرى وأ قلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر في لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره وابنه وخرافه وصده واربعوا خيولكم وأ سمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأ نفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً واياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن يقول ان الله سيفتح عليكم بعدي عصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لهم فيكم صهراً وذمة فكفوا ايدبكم وعفوا فروجكم وغضوا ابصاركم . ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن فكفوا ايدبكم وعفوا فروجكم وغضوا ابصاركم . ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن خسمه وأهزل فرسه واعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه واعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه

من غيرعلة حططته من فريضته قدر ذلك . واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية . وحدثني عمراً ميرالمؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له ابو بكررضى الله عنه ولم يارسول الله . قال لانهم وازواجهم في وباط الى يوم القيامة . فاحدوا الله يا معشر الماس على ما اولاكم فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم فاذا ينس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر في المي فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن احد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة احياله على ما اطاف من سعته او عسرته ، أقول قولي هذا واستحفظ الله عليكم > اه

خليج امير المؤمنين

ومن الاعمال العظيمة التي أجريت على يد عمرو بن العاص احتفارا لخليج الموصل بين النيل والبحر الاحمرسنة ٢٣ هـ ودعاه خليج امير المؤمنين. وسبب ذلك أن الناس بالمدينة اصابهم جهد شديد في سنة الرمادة فكتب الخليفة الى عمرو بن العاص ما نصه: < من عبد الله عمر المير المؤمنين الى العاصي بن العاصي سلام . اما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي اذا شبعت انت ومن معك ان اهلك أنا ومن معي فياغو ثاه ثم ياغو ثاه ، فكتب اليه عمرو « الى امير المؤمنين من عبد الله عمرو بن العاص اما بعد فيالبيك ثم بالبيك قد بعثت اليك بعير أو لها عندك و آخرها عندي والسلام، أراد بذلك أنهار سل له قافلة من الجمال عظيمة الجمل الاول منها في المدينة والآخر في مصر يتبع بعضها بعضاً. فلما قدمت على الخليفة وسع بها على الناس ودفع الى اهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام ليًّا كلوا الطعام ويأتدموا بلحمه ومجتذوا بجلده وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعـــام فيها ارادوا من لحاف وغيره . فلما راى الخليفة ذلك حمد الله وكتب الى عمرو أن يقدم اليه هو وجماعته من أهل مصرفقه موا . فانفرد بعمرو وقال له « يا عمروان الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة البخير والطعام وقد التي في روعي لما احببت من الرفق باهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين والعرب قد تشاءمت بي وكادت ان تغلب على رحلي وقد عرفت الذي اصابها . وليس جنه من الاجناد ارجى عندي ان يغيث الله بهم اهل الحيجاز من جندك فان استطعت ان تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى » فقال عمر ﴿ مَا شَئْتَ يَا امير المؤمنين قد عرفت انه كانت تاتينا سفن فيها مجار من اهل مصرقبل الاسلام من خليج

كان مفتوحاً بين النيل المبارك وبحر القلزم فابا فتحنا مصر انقطع ذلك المخليج واستد وتركه التجارفان شئت ان نحفره فننشىء فيه سفناً يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلته » فقال الخليفة لعم فافعل ولما خرج عمرو من حضرة امير المؤونين لاقاء الذين اتوا معه من مصر فذكر لهم ماكان من حديث الخليفة فقالوا « ماذا جئت به اصلح الله الامير اتريد ان تخرج طعام ارضك وخصها الى الحجاز وتخرب هذه فان استطعت فاستقل من ذلك » فاستصوب قولهم ثم جعل يتردد بين الامرين

فلما حان اوان عوده الى مصر ذهب لوداع امير المؤمنين فقال له « يا عمرو الظر الى ذلك الخليج ولاتنسين حفره » فاجاب عمرو « يا امير المؤمنين انهقد انسد و تدخل فيه نفقات عظيمة » فقال له « اما والذي نفسي بيده افي لاظنك حين خرجت من عندي حدثت بذلك اهل ارضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك اعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفناً » فقال عمرو « يا امير المؤمنين انه متى ما يجد اهل الحجاز طعام مصر و خصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد » فقال الخليفة « افي سأجعل من ذلك امراً ألا يحمل في هذا البحر الا رزق اهل المدينة واهل مكم » فافحم عمرو وعاد الى مصر وباشر لساعته حفر اليخليج ومعالجته وجعل فيه السفن ودعاه « خليج امير المؤمنين » ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد ذلك عمر بن عبد المزيز ثم ضيعة الولاة فأهمل وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على ترعة السويس في ايام الخديوي اسهاعيل باشا

وفي خلال ذلك تجند عمرو الى الغرب ففتح برقة وصالحه اهلهـ ا على الجزية ثم سار الى طراباس الغرب ففتحها ايضاً وكتب الى الخليفة بذلك سنة ٢٢ للهجرة

-66600000

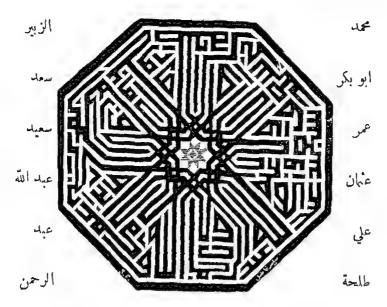
خلافة عثمان بن عفان

من سة ٢٣ - ٣٥ ه او من ١٤٤ - ٥٥٠ م

و بعد فتح طرابلس الغرب بقليل قتل الامام عمر بن الخطاب قتله عبد فارسي يقال له فيروز الملقب بابي لؤاؤة كان عبداً للمغيرة بن شعبة في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ بعد ان تولى الخلافة عشر سنين وخمسة اشهر وثمانية وعشرين يوماً

ونادى قبل وفاته بعبد الرحمن بن عوف فصلى في الناس ثم قيل لو استخلفت يا أمير المؤمنين فقال « دعوني اعهـــد الى النفر الذين توفي رسول الله (صلعم) وهو عنهم

راض » ثم دعا علياً وعثمان والزبير وسعداً فقال « انتظروا اخاكم طليحة ثلاثاً فارباء والا فاقضوا امركم فقد قبض رسول الله وهوعنكم راض واني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكني اخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا فيها ثلاثة ايام ولاياً تين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم . ويحضر عبد الله بن عمر (ابنه) مشيراً ولاشيء له من الامر . وطلحه شريككم في الامر قان قدم في الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا امركم . انشدك الله يا علي ان و ليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس انشدك الله يا عثمان ان و ليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني معيط على رقاب الناس انشدك الله يا سعد ان و ليت من امور الناس شيئاً ان تحمل اقاربك على الناس فتشاوروا واقضوا امركم وليصل بالناس صهيب » . و ترى في الشكل السادس والعشرين اسم الجلالة واسم الرسول واساء الصحابة المتقدم ذكرهم مع اساء الخلفاء الراشدين مكتوبة بالحرف الكوفي في شكل جيل



ش ٢٦ - اسماء الجلالة والرسول والصحابة بالحرف الكوفي

وبعد وفاة عمر تشاور الصحابة فيما اوصاهم به عمر فبايعوا عثمان بن عفان في ٣ محرم سنة ٧٤ هـ . وفي سنة ٢٥ عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن ابي سرح اخاه من الرضاعة وكان عاملاً على الصعيد في امارة عمرو. فلما تولى امارة مصر جبي خراجها للسنة الاولى ١٤ مليوناً من الدنانير وكان عمرو لا يجبي اكثر من ١٢ مليوناً فقال عثمان لعمرو « يا ابا عبد الله درّت اللقحة باكثر من درها الاول » فاجابه عمرو « لقد اضررتم بولدها ذلك ان لم يمت الفصيل »

وفي اثناء ذلك انفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين وسبب ذلك أن الروم في القسطنطينية عظم عليهم فتح السلمين الآسكندرية وظنو اأنهم لايمكنهم المقام في بلادهم بعد خروج الاسكندرية من يدهم فكاتبوا .و كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فاحابوهم لانهم رأوا الجو خالياً لهم بعد موت الامام عمر لانهُ كان يبمثكل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالاسكندوية . وكان على الولاء لايغفلها ويكنف مرا بطها ولايأمن الروم عليها . فسارت الجيوش من القسطنطينية في المراكب تحت قيادة منويل الخصي. فلمابلغوا الاسكندرية كان عليها المقوقس فمنعهم من الدخول فنزلوا في ساحلها وانضم اليهم من كان فيها من الروم اما المقوقس ومن معه من جماعة القبط فلم ينقضوا عهدهم مع المسلمين فسأل اهل مصر الخليفة ان يقرعمرو بن العاص حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل . فنزل عمرو الفسطاط يتأهب لمناهضة الروم. وكان حول الاسكندرية سورفحاف عمرو لئن اظفره الله عاييهم ليهدمن سورها حتى تكون مثل بيت الزانية تؤتى من كل مكان . فقال خارجة ابن حذافة العمرو « ناهضهم قبل ان يكثر مددهم فلا آمن ان تنقض مصر كام ا » فقال عمرو « لاولكن ادعهم حتى يصيروا الي فانهم يصيبون من مرُّوا به فيخزي الله بعضهم ببعض » فغر جوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا يز لون القرية فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينهبون ما مروا به فسار اليهم عمرو ولم يتعرض لهم حتى بلغوا نفيوس فلقوهم في البر والبحر فبــدات الروم القبط بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئًا وكانت الروم قد تأهبت صفوفًا خلف صفوف فبرز احد كبار الفرسان من الروم عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زبيه يقال له حومل يكني ابا مذحج فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ثم التي الرومي الرمح واخذ السيف فالتي حومل رححه واخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح ابا مذحج فيجيبه لبيك والناس على الجانبين وقوف في صفوفهم كان على رؤوسهم الطير فتجاولاساعة بالسيف ثمحمل الرومي فاحتمله حومل واخترط خنجرا كان في منطقته فضربه به في نحره فسقط ميتاً فو ثب اليه واخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك ودفن في المقطم . فاشتد المسلمون وأنهزم الروم فطلمهم المسلمون حتى الحقوهم بالاسكندرية

وقتلوا منويل الخصي وأنحنوا في رجاله فاستنجدوا المسامين فامر عمرو برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً دعاه مسجد الرحمة اشارة الى رفع السيف هناك وهدم سور المدينة . ثم جمع ما اصاب منهم فجاءه اهل تلك القرى من لم يكن نقض فقالوا «قد كنا على صلحنا وقد مرعلينا هو الاء اللصوص فأخذوا مناعنا ودوابنا وهو قائم في يديك > فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه واقاموا عليه البينة فقال بعضهم لعمرو « ما حل لك ما صنعت بنا فقد كان لذا ان ثقاتل عنا لاننا في ذمتك ولم ننقض فاما من نقض فابعده الله > فندم عمرو وقال يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية

ولما انهزم الروم وسكنت القلوب اراد الخليفة ان يكون عمرو على جند مصر وعبدالله بن سعد على خراجها فقال عمرو « انا اذاً كقابض على البقرة بقرنيها وآخر يستدرها» فأبى عمرو وتنحى عن مصر فعاد عليها عبد الله بن سعد

وفي سنة ٢٧ ه غزا عبد الله بن سعد افريقية فقتل ملكها جرجير وضم البلاد الى حكمه

وفي سنة ٢٨ ه غز ا قبرص مع معاوية بن ابي سفيان فصالحهم اهلها على جزية سبعة آلاف ديناركل سنة يو دون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من ذلك وعليهم ال يو ذنوا المسلمين ان يجعلوا طريقهم الى العدو اليهم

وفي سنة ٣١ ه نقضت بلاد النوبة فغزاها عبد الله بن سعد وحصر رجالها في دنقله حصاراً شديداً ورماهم بالمنحنيق ولم تكن النوبة تعرف وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك فطلب ملكهم « قليدوروث » الصلح وخرج الى عبد الله وابدى ضعفاً وتواضعاً فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلاثماية وستين راساً في كل سنة . وفي هذه السنة غزا ذا الصواري ايضاً

، قتل عثمان

وفي سنة ٣٣ هكثرت الاشاعة بالامصار بالطعن على عثمان وعاله وكتب بعضهم الى بعض في ذلك وتوالت الاخبار لى اهل المدينة فجاؤا الى عثمان واخبروه فلم يجدوا عنده علماً منه فقال « اشيروا على واتم شهود المو منين » قالوا «تبعث من تشق به الى الامصار يأتوك بالخبراليقين » ففعل فبعامته الاخبار فكتب الى اهل الامصار « اني قد رفع الي اهل المدينة ان عهالي وقع منهم اضرار بالناس وقد اخلتهم ان يوافوني في كل موسم فن كانله حق فليحضر يأخذ بحقه مني اومن عهالي اوتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين »

وفي سنة ٣٥ ه بعث الى عهل الامصار فقدموا اليه في الموسم وفيهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح من مصر فقال النخليفة « ويحكم ماهذه الشكاية والاذاعة وانبي اخشى والله ان يكونوا صادقين وانها الامركائل وبابه سيفتح ولا احب ان يكون لاحد علي حجمة في فتحه وقد علم الله اني لم آل الناس خيراً فسكنوا الناس وبينوا لهم حقوقهم ، تم قدم المدينة ودعا عليا وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فكلمهم فأظهروا له وجمه اجحافه بالحقوق

وكان عبد الله بن سعد قد استخلف على مصرعند قدومه الى عثمان عقبة بن عامر وكان فيها محمد بن إي حذيفة بمن ثاروا على عثمان فجمع اليه عصبة واخرج عقبة بن عامر من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وعرض على عثمان بكل شر يقدر عليه فاعترلته شيعة عثمان ونابذوه وهم معاويه بن حديج وخارجة بن حذافة وبسر بن قرطاط ومسلمة بن مخاد في جمع كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وما صعنه ابن ابي حذيفة فبعث سعد بن ابي وقاص يصلح امرهم فخرج اليه جماعة فقلبوا فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا . واا اقبل عبد الله بن سعد من مكة منعوه ان يدخل فالصرف الى عسقلان

وازداد المسلمون تعصباً على عثمان فتكاتبوا من امصارهم في القدوم الى المدينة خفية " فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في الف وخرج اهل الكوفة والبصرة وكلهم في مثل عدد اهل مصر ، وخرجوا جميعاً في شوال مظهرين للعجم فلما اتوا المدينة واجه المصريون عليا وهوعند احجار الزبت فعرضوا اليه امرهم فصاح بهم وطردهم وفعل مثل ذلك طاحة مع البصريين وزبير مع الكوفيين فانصر فوا الى بعد . فتفرق اهل المدينة ظنا منهم ان القوم قد رجعوا عن مرادهم فلم يشعروا الا والتكبير في نواحيها وقد احاط المصريون بعثمان ونادوا بأمان من كف يده فغدا عليهم على فقال « ماردكم بعد ذهابكم » قالوا « اخذنا كتاباً مع بريد بقتانا والكتاب موقع على فقال « اخذنا كتاباً مع بريد بقتانا والكتاب موقع عليه من عثمان > فدخل على عثمان واخبره برجوع المصريين فاشرف عثمان على الجمع وخطب فيهم يويد زجرهم فنادوه من كل ناحية « اتق الله يا عثمان وتب اليه » المعلم وخطب فيهم يويد زجرهم فنادوه من كل ناحية « اتق الله يا عثمان وتب اليه » ما فعلت واتوب اليه فليأت اشراف كم يروثي وأيهم فوالله ان ردني الحق عبدا الاستن بسنة العبد ولاذان ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليسه فوالله لاعطينكم الرضا ولا حتجب عنكم » . ثم بكي و بكى الناس ورجع الى منزله فدخل عايه على و محدب بن مسلمة وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه عليه وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلف ما كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فعله ما كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فعله على منالله فلا عام ثم دخل عليه على وسألوه عن التبراف كلا المحدود على مناله فلا كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسكلو المحدود على مناله فلا كتب ولا عام ثم دخل عليه على وسكلو المحدود على التبراك المحدود على الناس ورجع المحدود على التبراك المحدود على المحدود على المحدود على التبراك المحدود على المح

المصريون وقالوا له < جئنا لقتلك فردنا علي ومحمه وضمنا لنا النزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا رسولك ناقلاً كتاباً وفيه امرك لابن ابي سرح (ولم يكونوا عالمين باعمال ابن ابي حديفة) مجلدنا والمثلة بنا وهو بيد غلامك وعليه خانمك ، فحلف عثمان لاكتب ولا امر ولا علم . فقالوا ﴿ كَيْفَ يَجِتَرَأُ عَلَيْكُ بَمْنُلُ هَذَا فقد اسْتَحَقَّقْتُ الْخَلَعُ عَلَى النَّقَديرين اذ لا يحل ان يولى الامور من ينتهي الى هذا الضعف فاخلع نفسك » فقال « لا أنزع ما البسني الله ولكني اتوب وارجع ، قالوا ﴿ رأيناك تتوب وتعود فلا به من قتلك » و خرجوا . وبقي محصوراً اربعين يَوماً منع عنه الماء في اواخرها وفي ١٨ ذي الحجة دخل عليه اربعة فيهم محمد بن ابي بكر فقتلوه والقرآن في يده فنخضب بالدماء . وهجمت نئلة امراته لنحميه بيدها فاصيبت بضربة قطعت اصابعها . وبقي في بيته ثلاثاً ثم جا، حكيم بن حزام وجبير بن مطعم الى على فأذن لهما بدف فخرجا به ومعهما الزبيروالحسن وابوجهم ابن حَدْيَفَةً وَمَرُوانَ فَدَفَتُومَ فِي حَشَ كُوكِ بِعَدَانَ تُولَى الْخَلَافَة ١٢ سَنَةَ الا ١٢ يُومَأُ واا علم أهل مصر بقتل عثمان ثار المتشيعون له فيها وعقدوا لمعاوية بن حديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان فساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن ابي حذيفة خيـــلاً فهزمت ومنى ابن حديم الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابي حديفة جيشاً آخر فالتقي به في خربتا في اول شهر رمضان سنة ٣٦ فاقتتلوا وكانت النصرة لشيعة عُمَان وانهزم الجيش واقامت شيعة عثمان في خربتا

خلافة علي بن ابي طالب

من سنة ٣٥ ــــ ٤١ هـ أو من ١٥٥ ــــ ٢٦١ م

اما ماكان من امر الخلافة فان طلحة والزبير والمهاجرين والانصار اجتمعوا الى على ببايعونه فأبى وقال «اكون لكم وزيراً خيرمن ان اكون اميراً ومن اخترتم رضيته» فالحوا عليه قائلين « لانعلم احق منك ولا نختار غيرك » فبايعوه في المسجد بالمدينة يوم الجمعة في ٢٤ ذي الحجة سنة ٣٥ واول من بايعه طلحة ثم الزبير ثم بايعه الناس وبايعته الانصار وتاخر منهم قليلون فخطب خطبته الاولى في الناس بعد حمد الله فقال « ان الله انول كتاباً هادياً ببين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر ، الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يود كم الى الجنة ، ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل

حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والنوحيد حقوق المسلمين . فالمسلم من سلم المسلمون من اسانه ويده الا بالحق ولا يحل دم امره مسلم الآيم يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم السماعة تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس اخراهم . اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم اطبعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشرفدعوه واذكر وا اذاتم قايل مستضعفون في الارض »

ثم رجع الى بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدد من اصحابه فقالوا « يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هولاء القوم قد اشتركوا في قشل هذا الرجل واحلوا بانفسهم » فقال « يا اخوتاه اني است اجهل ما تعلمون ولكن كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ها هم هولاء قد ثارت معهم عبدا نميكم وثابت اليهم اعرابكم وهم أخلاطهم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعاً لقدرة على شي مما تريدون » قالوا لا . فقال « فلا والله لا ارى الا راياً ترونه ابداً الا ان يشاء الله . ان هذا الام ام عاهاية وان لمؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذاً بها ابداً ان الناس من هذا الامران حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة ترى ما لا ترون فاهداً وا عنى وا نظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتدوا على قريش » نفرجوا من عنده وقد اضمروا له شراً

وكان معاوية لما توجه الى ولايته في الشام اخذ قبيص عثمان الملطخ بالدما واصابع مثلة امراته وعلق القميص في المنبر وجعل يخطب في الناس ويغرس في اذهانهم ان قاتل عثمان انما هو علي ويحتمهم على معاملة القاتل بالقتل وشدد النكير على على على معاملة القاتل بالقتل وشدد النكير على على على فالنفت حوله دعاته رغبة في الانتقام

و مما زاد اعدا الامام علي عدداً أنه لم تدخل سنة ٣٦ ه حتى عزل جميع من كانوا على الامصار في ايام عثمان وولى مكانهم من راى من المتقربين فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الدكوفة وعبدالله بن عباس على البين ولما علم بقتل محد بن ابي حذيفة ولى مكانه قيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام عوضاً من معاوية . أما سهل فحرج حتى أذا كان في تبوك لقيته خيل ففالوا من أنت قال أمير قالوا على أي شيقال على الشام فقالوا « أن كان بعثك عثمان فاهلاً بكوان كان بعثك غيره فارجع » قال أما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى على

قيس بن سعد على مصر

اما قيس بن سعد فكان صاحب راية الانصارمع النبي وكان من ذوي الرأي والباس و كان ضخماً جسماً صغير الراس طويلاً جداً مطاعاً جواداً كريماً بعد من دهاة العرب وال ولاه عليٌّ على مصرقال له «سر الى مصر فقد وليتُدكم ا واخرج الى رجلك واجمع اليك ثقاتك ومن احببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك ارهب لعدوك واعز لوليك واحسن الى المحسن واشكُّ على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق بمن^، فقال له قيس « اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم ادخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا ادخلها ابداً فانا ادع ذلك الجند لك تبعثهم في وجوهك » فخرج قيس حتى دخل مصر في مستهل رجب سنة ٣٧ ه بسبعة من أصحابه قصعه المنبر وأمر بكتاب الخليفة فقرئ على اهل مصر بامارته ويأمرهم بمبايعته واعانته على الحق وقال ﴿ الحمد لله الذي جاء بالحق وامات الباطل وكبت الظالمين . ايها الناس انا قد بايعنا خيرمن نعلم بعد نبينا فقوءوا فبايعوء عـلى كـتاب الله وسـنة رسوله فان نحن لم نعمل لـكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم ، فقام الناس وبايعوا واستقامت مصر . وبعث عليها عماله الأ خربتا وفيها من قد اعظموا قتل عثمان وعليهم رجل من بني كنانة اسمه يزيد بن الحرث فبعث الى قيس يدعوه الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب ايضاً بدم عثمان فارسل اليه قيس « ويحك اعليَّ تنب فوالله ما احب أن لي ملك الشام الى مصر واني قداتك » فبعث اليه مسلمة « اني كافٌّ عنك ما دمت على مصر » وكان معاوية لا يزال ساعياً على علي فلما راى مصر قد استقام امرها خاف ان يقدل علي في العراق وقيس في مصرفيقع هو بينهما فكتب الى قيس « سلام عايك اما بعد فانكم نقمتم على عثمان ضربة بسوط او شنيمة رجل اوتسييرآخر واستعمال فتى وقد عامتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيماً وجِئتم امراً ادًّا فثب الى الله يا قيس فاك من المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقناً انه هو الذي اغرى الناس وحملهم حق قتلوه وانه لم يسلم مِن دمه عظم قومك فان شئت يا قيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافمل وتابعنا علىأمر ناولك سلطان العراقين اذا ظهرت مابقيت ولمن احببت من أهلك سلطان الحبجاز ما دام لي سلطان وسلني ما شئت فاني اعطيك واكتب اليَّ برأ يك » فالم جاءه الكتاب احب ان يرافعه ولا يبدي له امره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه « اما بعــد فاني لم اقارف شيئاً بمــا ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شي منـــه وما ذكرت ان عظم عشيرتي لم يسلم فاول النساس كان فيه قياماً عشيرتي واما متابعتك

فهذا امرلي فيه نظر وفكرة وليس هو مما يسرع اليه . وانا كاف عنك وليس بأتيك من قبلي ما تكرهه حتى ترى ونرى ان شاء الله تعالى م فلها قرا معاوية كتابه رآه متقارباً متباعداً فكتب اليه « اما بعد فقد قرأت كتابك فلم ارك تدنو فاعدك سلماً ولا تتباعد فاعدك حرباً وليس مثلي يصالع الخادع وينخد غللمكايد ومعه عددالرجال واعنة الخيل والسلام » فلها قرأ فيس الكتاب وراى انه لا تفيد معه المرافعة والماطلة عمد الى مكاشفته بما في فلها قرأ فيس الكتاب وراى انه لا تفيد معه المرافعة والماطلة عمد الى مكاشفته بما في أفسه فكتب اليه « اما بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في واستسقاطك اياي اتسومني الخروج عن طاعة اولى الناس بالامارة واقولهم بالحق واهداهم سبيلاً واقربهم من رسول الله (صلعم) وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الامر واقوكم بالزور واضلهم سبيلاً وابعدهم من رسول الله وسيلة ولد الضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس ، واما قولك اني مالى محمل عليك مصر خيلاً ورجلاً مضلين طاغوت من طواغيت ابليس ، واما قولك اني مالى معليك مصر خيلاً ورجلاً فوالله ان لم اشغلك بنفسك حتى تكون اهم اليك انك لذو جد والسلام »

فلها رأى معاوية كتابه قنط منه وثقل عليه مكانه ولم تنجع فيه حيله فجعل يسمي في كيده افساداً بينه وبين على فقال لاهل الشام « لا تسبوا قيساً ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة تاتينا كتبه ونصيحته سراً الا ترون ما يقع باخوانكم الذين عنده من اهل خربتا يجري عليهم اعطياتهم وارزاقهم ويحسن اليهم واتقانا لمكيدته افتعل كتاباً عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأ م على اهل الشام فبلغ ذلك علياً فاعظمه واكبره فدعي ابنيه وعبدالله بن جعفر واعلمهم بذلك

فقال ابن جعفر « يا أمير المؤمنين دع ما يريبك الى ما لا يريبك لعزل قيس عن مصر » قال علي « ابني والله ما اصدق بهذا عنه » فقال عبد الله اعزله فان كان هذا حقا لا يعتزل لك . فبينها هم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر أمير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر « ما اخوفني ان يكون ذلك ممالاً ق منه فمر بقتالهم » فكتب اليه يامره بقتالهم فلما قرأ قيس الكتاب كتب جوابه « اما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فاطعني يا امير المؤمنين واكفف عنهم فان الراي تركهم والسلام »

محمد بن ابي بكر على مصر

فقرأ على الكتاب بحضور ابن جعفر فقال له « يا امير المؤمنين ابعث محمد بن ابي بكر على مصر واعزل قيساً » فبعث على محمد بن ابي بكر الى مصر فلما وصلها قال له قيس « ما بال امير المؤمنين ماغيره ادخل احد بيني وبينه؟ قال لا . وهذا السلطان سلطانك

فقاك قيس د والله لا اقيم » وخرج من مصر مقبلاً الى المدينة وسار الى علي واخبر. الخبر فعلم انه كان يقاسي اموراً عظاماً من المكايدة

اما محمد بن ابي بكر لما قدم مصر على ما تقدم جمع اليه سراة البلاد ورجال الدولة وتلا عليهم كتاب أمير المو منين ثم قام خطيبا فقال « الحمد لله الذي هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق و بصرنا واياكم كثيراً بما كان عمي عنه الجاهلون • الا أن أمير المو منين ولاني امركم وعهد الي ما سمعتم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب فان بكن ما ترون من امارتي واعمالي طاعة لله فاحمد الله على ماكان من ذلك فانه هوا لهادي له وان رايتم عاملاً لي عمل بغير الحق فارفعوا الي وعاسوتي فيه فاني بذلك اسعد وانتم جديرون وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمته »

وفي سنة ٣٨ ه خرج معاوية بن حديج السكوني وطلب بدم عثمان فالنف عليه قوم كثيرون وفسدت مصر على محمد بن ابي بكر

فتح عمرو بن العاص مصر ثانية

اما معاوية فكان قد استفحل امر، وكثر متشيعوه فبايعوه على الشام ولم يكن له هم الا مصر وكان يختى منها لقريها منه وكان يعتقد أنه أذا ظهرعليها مكنته من الظهور على على فتكون الخلافة كلها له . فاجتمع بعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وغيرهما من سراة قومه وقال لهم « اندرون لما جعتكم فاني جعتكم لامر لي مهم »

فقال عمرو « دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصرفان كنت جمعتنا لذلك فأعزم واصبر فنم الراي رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعزاصحابك وكبت عدوك وذل اهل الشقاق علىك »

فقال معاوية « اهمك يا ابن العاص ما أهمك » وكان عمرو قد صالح معاوية على قتال على على ان له مصر طعمة ما بقي حياً . فنظر معاوية الى من حضر من اصحابه وقال لهم « القد اصاب ابو عبد الله فما ترون »

فقالوا « ما نرى الا ما رأى عمرو » قال « فكيف اصنع فان عمراً لم يفسر كيف اصنع »

فقال عمرو « ارى ان تبعث جيشاً كشفاً عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتشق به فيأتي مصر فانه سيأتيه من كان على مثل راينا فيظاهره على عدونا فإن اجتمع جندك ومن بها على رأينا رجوت ان ينصرك الله »

قال معاوية ﴿ أَرَى أَنْ نَكَاتُبُ مِنْ بِهَا مِنْ شَيْعَتْنَا فَعَنْيُهُمْ وَنَأْمُمْ ۚ ۚ بِالنَّبَاتُ وَنَكَاتُ

من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فانكان ما اردنا بغير قتال فذاك الذي اردنا والاكان حربهم من بعد ذلك . انك يا ابن العاس بورك لك بالشدة والعجلة وانا بورك لي بالتؤدة »

فقال عمرو « افعل ما ترى فما ارى امرنا يصير الا الحزب »

فكتب معاوية الى مسامة بن مخال ومعاوية بن حديج السكوني وكانا قدخال عاياً يشكر هما على ذلك ومحثها على الطاب بدم عثمان ويعدها المساواة في سلطانه فاجاب مسامة ابن مخلد الانصاري عن نفسه وعن ابن حديج بمانصه « أما بعد فان الامر الذي بالناله انفسنا واتبعنا به أمر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خافنا و تعجيل النقسة على من سعى على اما ننا . اما ما ذكرت من المواساة في سلطانك فنالله ان ذلك امر ما له نهضنا ولا اياه اردنا فعجل الينا بخيلك و رجلك فان اعداء نا اصبحوا لناهائين فان يأتني مدد يفتح الله عايك والسلام » فجاءه الكتاب وهو في فاسطين فدعا او ائك النفر وقال لهم ما ترون فقالوا نرى ان تبعث جنداً فعهد الى عمرو ان يسير في ستة الاف رجل واوصاه با تؤدة و ترك العجلة

مقتل محمد بن أبي بكر

فسار عمرو فنزل اداني ارض مصر فاجتمعت اليه دعاة العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابي بكر كتاباً ونصه «اما بعد فتنح عني بدمك يا ابن ابي بكر فاني لا احب ان يصيبك مني ظفر. ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم هسا وك فاخرج منها اني لك من الناصحين » وبعث معه كتاب معاوية بالمدنى ايضاً . فارسل محمد الكتابين الى علي واخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه راى التثاقل ممن عنده ويستمده فكتب اليه علي بأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه ويأ ره بالصر العدوه وقتاله

فقام محمد بن ابي بكر في الناس وندبهم الى الخروج على عدوهم فانضم اليه ثلاثة آلاف فالما رأى ذلك عمرو بعث الى معاوية بن حديج يستمده فامده والتقى الجيشان فظهرت رجال عمرو وتفرقت اصحاب ابن ابي بكر . فا زال عرو بجيشه حتى اقبل على محمد وكان قد تخلى عنه رجاله ففر من وجه عمرو يطلب ماجاً فانهى الى خربة بناحية الطريق فاوى اليها . وساو عمرو حتى دخل الفسطاط ثم ارسل معاوية بن حديج في طلب محمد بن ابي بكر فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسا لهم عنه فقال احدهم « دخلت تلك الخربة فرايت فيها رجلاً جالساً » فقال ابن حديج « هو هو احدهم « دخلت تلك الخربة فرايت فيها رجلاً جالساً » فقال ابن حديج « هو هو

فامسكوه » فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً واقبلوا به نحو الفسطاط فو ثب اخوه عبد الرحمن بن ابي بكر إلى عمرو وكان في جنده وقال « انقتل اخي صبراً فابعث الى ابن حديج فانهه عنه » فبعث اليه يأمره ان يأتيه به فجاؤا به وقد اعياه الظماً فقال لهم « اسقوني ماء »

فقال له معاوية بن حديم « لاسقاني الله ان سقيتك قطرة ابداً انكم منعتم عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والفساق »

فقال له محمد « يا ابن اليهودية النساجة ايس ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقى اولياء ويظمئ اعداء انت وامثالك . اما والله لوكان سيفي بيدي ما باغتم مني هذا » فقال له ابن حديم « اندري ما اصنع بك ؟ الدخلك جوف سمار ثم احرقه عليك بالنار » فقال محمد د ان فعلت بي ذلك فطالما فعلم ، ثمله باولياء الله واني لارجو ان يجعلها

فقال محمد د أن فعلت بي ذلك فطالما فعلم مثله باولياء الله وابي لارجو أن يجعلها عليك وعلى اوليائك و معاوية وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيراً». فغضب منه وقتله وجعله في جيفة حمار والقاء في النار . فلما بلغ ذلك عائشة اخته جزعت عليه جزعاً شديداً وقنت في دير السلاة تدعو على معاوية وعمرو واخذت عال محمد اليها فكان القاسم ابن محمد بن ابي بكر في عالهم ولم تعد تا كل من ذلك الوقت شواء . هكذا تهم فتح مصر لمعاوية على يد عمرو بن العاص فاتحها الاول

اما الامام على فكان قُد اجهد تفسه المجمع مدداً الى محمد فلم يأته من رجاله الا نفر قليل و بينما هو يحث الناس على ذلك جاء الخبر بقتل محمد بن أبي بكر وفتح مصر فاشتد غيظه وخطب في الناس قائلاً :

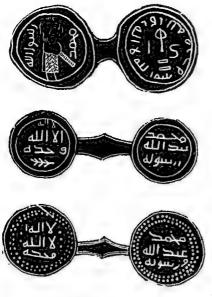
« الا ان مصرقد افتتحتها اهل الفيجور أولو الجور والظامة الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً الا وان محمد بن ابي بكر قد استشهد فعندالله محتسبه اما والله ان كان كما علمت لمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن اني والله ما الوم نفسي على تقصير واني لمقاساة الحروب لجدير خبير واني لأ تقدم على الامر واعرف وجه الحزم واقوم في كم بالرأي المصيب واستعرضكم معلماً واناديكم بداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي امراً حتى تصير بي الامور الى عواقب المساءة فائم القوم لا يدرك بهم النارولا تنقض بكم الاوتان. دعوتهم الى غياث الحوائكم من بضع وخسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجنل الاشدق وشاقلتم الى غياث الحوائكم من بضع وخسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجنل الاشدق وشاقلتم الى الارض تثاقل من ايست له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الالجريم خرج الى منكم جنيد متذانب كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف له الكم عنه منزل.

وفي ١٧ رمضان سنة ٤٠ ه قتل الامام على بن ابي طالب وبويع ابنه الحسن مكانه وبتي هذا على كرسي الخلافة ستة اشهر فدخلت سنة ٤١ ه وفيها تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان خايفة الشام ومصر وهذا لم يحل عن مقصده حتى بلغه فنودي به اميراً للمؤمنين وبويع لخس بقين من ربيع الاول سنة ٤١ ه نقود الطفاء الراشدين

اما النقود فقد كان العرب في الجاهلية يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية حق ظهر الاسلام وافتتحوا البلاد واسسوا الدولة الاسلامية فعمدوا الى انشاء بمدنهم فكان في جملة عوامله السكة ، فضربوا الدراهم والدئانير اولاً ، مشتركة ينهم وبين الروم أو الفرس . منها قطعة ضربها خالد بن الوليد في طبرية في السنة الخامسة عشرة للهجرة وهي رسم الدئانير الرومية تماماً بالصليب والتاج والصولجان ونحو ذلك وعلى احد وجهيها اسم خالد بالاحرف اليونانية (XAAEA) وهذه الاحرف (BON) ويظن الدكتورمولرالمؤوخ الالماني انها مقتطعة من « ابوسايمان كنية خالدبن الوليد وهناك فطعة أخرى ضربت باسم معاوية . والكنها على مثال دينارمن دئانيرالفرس برسمه وشكله الا اسم معاوية عليه (راجع الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي)

وذكر الدميري ضرباً من النقود يقال لما البغلية قال انرأس البغل ضربها لعمر ابن الخطاب بسكة كسروية عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية «نوش خور» اي كل هنيئاً

وذكر المرجوم جودت باشا أنه رأى نقوداً ضربها الامراء والولاة في عهد الخلفاء الراشدين اقدمها ضرب سنة ٢٨ ه في قصبة هرتك طبرستان وعلى دائرها بالخط الكوفي لا بسم الله ربي » وراى نقداً مضروباً سنة ٣٨ ه على دائرته هذه العبارة ايضاً ونقداً ضرب سنة ٢٨ ه في يزد على دائرته هي يزد على دائرته (ميرالمؤمنين)



ش٧٧ — نقود المخلفاء الراشدين

بخط بهلوي . وهناك نقود تحاسبة ضربت على عهد الراشدين بغاية البساطة وعلى بعضها رسوم قادوابها نقود الفرس كما تقدم (انظر ش ٢٧)

الدولة الاموية

من سنة ٤١ -- ١٣٢ هـ او من ٢٦١ -- ٧٥٠ م

خلافة معاوية بن ابي سفيان

من سنة ٤١ — ٦٠ ه او من ٦٦١ — ١٨٢م

هكذا كانت نهاية دولة الخلفاء الراشدين وبداية دولة خلفاء بني أميـــة واولهم معاوية بن ابي سفيان . وكانت الخلافة على عهــد الخلفاء الراشدين انتخابية وقصبتها المدينة فجعلها معاوية وراثية وجعل قصبتها دمشق فأنحصرت اعقابه . وشرع في تولية العمال على الامصار وكانت مصر من اهم تلك الامصار فعهد بامرها لعمرو بن العاص لما عرف من علوهمته وحسن سياسته وجعلها له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة في مصلحتها . فعقد عمرو لشريك بن سمي لغزو البربر في شمالي افريقيا فغزاهم وصالحهم ثم انتقضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة ايضاً على غزوهوارة وعقد لشريك علىغزولبدة فغزواهما في سنة ٤٣ ه ولما قفلاكان عمروشديد الدنف يتقلب على فراش الموت فتوفي ليلة الفطر من السنة المذكورة وكان قصير القامة يخضب بالسواد وكان من افراد الدهر دهاءً وحزماً وفصاحة الا انه كان يتلجلج بكلامه ولما علم معاوية بوفاة عمرو تكدر كدراً عظيماً جداً الآنه لم يعد يعلم لمن يعهد بولاية مصر بعده . وبعد التردد في الامر لم يربدًا من تولية احد اهله فارسل اليها عتبة بن ابي سفيان أخاء في ذي القعدة من سنة ٤٣ فــاراليها وبعد ان اقام اشهراً عرض له سفر الى اخيه معاوية بدمشق فاستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان في شدة وعسف فكره المصريون ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عثبة فاضطر الى الرجوع الى مصر ولما جاءها صعد منبر الخطامة فقال:

« يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم أبعض الجورعايكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أبيتم دراً كم بيده فان أبيتم دراً كم بسيفه ثم رجى في الاخير ما أدرك في الاول. أن البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولسكم علينا العدل وأينا عدر فلا ذمة له عند صاحبه » فناداه المصريون من جنبات المسجد « سمعاً سمعاً » فناداهم «عدلاً عدلاً عدلاً وزل وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية في اثنى عشر الفاتكون لها رابطة

وتوفي عتبة في الفسطاط في ذي الحجة سنة ٤٤ ه وكانت مـــدة ولايته سنة كاملة فاقام معاويةعوضاً عنه عقبة بن عامر, بن عبس الجهيني وجعل له صلاتها وخراجها وكان عقبة قارئاً فقيهاً مفرضاً شاعراً له الهجرة والصحبة والسابقة الاانه لم يكن من السياسة وحسن التدبير على ما يرضي معاوية فولى مكانه مسلمة بن مخملد بن صامت الانصاري وكان من سراة المدينة وامره ان يكتم ذلك لبينما يخرج عقبة من مصر بحيلة فني ١٩ ربيع الاول سنة ٤٥ ه انفذ معاوية امره الى عقبـة ان يسير الى رودس بحراً فقدم مسلمة ورافق عقبة الى الاسكندرية وهو لايغلم بإمارته فلمسا توجه سائراً استوى مسامة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال ﴿ أَخَلُّما وَعْرِبَة ﴾ وكانت مــــــــة ولايته ثلاثة اشهر وقيل سنتين وثلاثة اشهر . واخذ مسلمة في اجراء الاحكام وجم مدينة القيروان واقام حولها حصوناً ومعاقل وجعل فيها حامية . وفي سنة ٥٣ هـ في امارته نزات الروم البرلس وقتل يومئذ وردان مولي عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وامر مسلمة بابتناء منارات المساجد وهو اول من احدث المنائر بالمساجد والجوامع • وفي سنة ، ٦ ه سافر مسلمة بن مخلد الى الاسكندرية واستخلف على مصر عابس بن سعيد وفي هذه السنة توفي معاوية في دمشق في غرة رجب وسنه تمـــان وسبعون سنة ومدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام

خلافة يزيد بن معاوية

من سنة ٣٠ - ٦٤ هـ او من ٢٨١ - ١٨٤ م

وفي يوم وفاة معاوية بوبع ابنه يزيد فأقر مسامة بن مخلد على مصر فكتب اليه باخذ البيعة فبايعه الجند الاعبد الله بن عمرو بن العاص فهددوه بالحريق فبايع ولم يكن يزيد اهلا للخلافة ولولا قانون الوراثة الذي سنه ابوه ما بلغ عمره هذا المنصب لانه كان متبعاً هوى نفسه متغاضياً عن واجباته . فحرك ذلك الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير على اقامة الحبجة عليه وكانا في المدينة فبعث يزيد الى حاكمها ان يقبض عليهما ففرا منها وسار الحسين الى العراق لان اكثر شيعة ابيه هناك وقد التف عليه حزب كبير من اهل الكوفة وغيرها فأرسل يزيد الى عبيد الله بن زياد عامله هناك بدفعه فبعث اليه جنداً قتلوه افظع قتلة وأنوا برأسه الى يزيد . لكنه لم يكد يبلغ مناه بقتل الحسين المسين

حتى قام عبد الله بن الزبير في مكة فشدد عليه النكير وهو يطلب الخلافة لنفسه . وكانت مصر في اثناء ذلك ساكنة آمنة وفي ٢٥ رجب سنة ٢٦ هـ توفي اميرها مسلمة بن مخلد بعد ان تولاها خس عشرة سنة واربعة اشهر فولى الخليفة مكانه سعيد بن يزيد الازدي من اهل فلسطين فدخل مصر في مستهل رمضان سنسة ٢٦ هـ فتلقاء عمر بن تحزم اليخولاني وقد شق عليه تولية من هومن غير بلاده عليه فقال « يغفر الله لاميرالمؤمنين اماكان فينا مئة شاب كلهم مثلك يولي علينا احدهم » ثم جعل اهمل مصر يورضون عنه و يعارضونه في احكامه ولكنه كان حازماً لم يثنه ذلك عن اقامة الحد واتباع العدل فسادت الراحة واستنب النظام الى اخر ايامه

وما زالت الاحزاب في مُكة والمدينة يشددون النكير على يزيد الى ان المجموا على خلعه رغم كثرة دعاة الامويين واخرجوا من كان منهم في المدينة فانفذ يزيد ١٢ الفاً من رجاله عليهم مسلمة بن عقبة المرسي لمحاصرة المدينة وامرهم ان لا يكفوا عنها الا اذا اذعنت فاذا مضت ثلاثة ايام ولم تفعل فليحرقوها وهكذا حصل فانها اصبحت غنيمة للنار بعد الافاضة في النهب والقتل والاسر . وكان ذلك في سنة ٦٣ ه

وفي سنة ٦٣ ه بويم عبدالله بن الزبير على الخلافة في مكة باجاع من كان فيها من اهلها والمهاجرين اليها من المدينة والحجاز فارسل يزيد الحصين بن الهير الى مكة فاصرها وقاتل اهلها ورماها بالمنجنيق فاحرق الكعبة . كل ذلك وابن الزبير فيهايد افع بالشيء المكن الى ان جاء الخبر بوفاة بزيد فقطع قول كل خطيب وكانت وفاته في حوارين من اعمال حص في ٤ ربيم اول سنة ٢٤ ه بعد ان تولى الخلافة ثلاث سنين وتسعة اشهر الا بضعة ايام وسنه ٣٩ سنة

خلافة معاوية بن يزيد

شم عبدالله بن الزبير شم مروان بن الحكم من سنة ٢٤ ــ ٢٥ ه او من ١٨٤ ــ ١٨٤م

وفي يوم وفاة يزيد بويم ابنه معاوية وسنه عشرون سنة ويدعوه بعضهم معاوية الثاني تمييزاً له من معاوية بن ابي سفيان جده وبعد ٥٥ يوماً من مبابعته توفي ولا ولد له

وفي ٥ رجب من تلك السنة هتف اهل الحجاز بمبايعة عبدالله بن الزبير بالاجاع ويقال ان معاوية بن يزيد تنازل له عن الخلافة من يوم بايعوه الم راى من كثرة احزابه وعجزه عن مناهضته فزهد في الدنيا عم صغر سنه وطلبان يكتب على قبره «الدنيا غرور» وكان عبدالله بن الزبير رجلاً مؤدباً فطناً جع بين شرف النسب وعلوا لهمة والاقدام حضر عدة وقائع وهو شاب ولما افتتح عمر و بن العاص مصركان عبدالله وابوه الزبير واخوه عمد من جيشه ولما كتبت معاهدة الصلح بين عمرو والاقباط وضع هؤلاء الثلاثة اختامهم عايها شهوداً ، ولما ارسل الخليفة عثمان بن عفان عبدالله بن سعد امير مصر في اختامهم عليها شهوداً ، ولما ارسل الخليفة عثمان بن عفان عبدالله بن الزبير معه ، ومن الخلافة انه كان منابراً في اعماله أبتاً في مقاصده فلم ينفك منذ اختلاس معاوية بن ابي سفيان الخلافة من الخلفاء الراشدين وهو في سعي دائم عليه ثم على ابنه يزيد ثم على ابن ابنه معاوية الثاني حتى ظفر بمرامه والم جانج الخبر بوفاة يزيد كان في مكة محاطاً بجيش من الزبديين والموا على اعقابهم الى الشام فاستولى عبدالله على المدينة والحجاز والمين وبايعه من فيها ثم شرع في ترميم الكعبة فهدمها حتى الحقها بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنية وجعل الحجر الاسود عندها وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر

اما مصر فكان عايها سعيد الازدي كما مر وكان عبدالله بن الزبير على بينة من امم مصر واهميتها فانفذ اليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم واوصاه ان يدعو الناس الى مبايعته غير ان سعيداً الازدي كان لا يزال متشيعاً للامويين فام يقبل على دعوة عبدالله من المصريين الابعضهم ولم ترسخ قدم عبدالله بن الزبير في الخلافة الا بعد وفاة معاوية ابن يزبد اذ رأى الكوفة والبصرة والموصل والعراق وقسماً من مصر يدعو باسمه فلم يعد في خشية من شيء فصرح بخلافته . ثم هم باخضاع مصر فعقد على امارتها لعبد الرحمن بن عتبة الذي كان ارسله اليها وكيلاً فوصلها في شعبان سنة ٦٤ ه واخرج من كان فيها من دعاة الامويين وفيهم سعد الازدي فبايعه الناس وفي قلوب بعضهم غلاً

أما أهل الشام فلما علموا بوفاة معاوية بن يزيد بأيموا مروان بن الحسكم من بني أمية فعظم ذلك على عبد الله بن الزبير وقام لنصرته الضحاك بن قيس في جيش من وجاله فساروا إلى قرب دمشق فاتصل خبرهم بمروان فسارمن الجابية لملاقاتهم فالتتى الجيشان في مرج راهط فحصلت بينهما وقائع كبيرة شفت عن انقلاب جيش عبدالله

وكان مروان قد انفذ ابنه عبد العزيز في جيش من اهل الشام لفتح مصر اما بعد

ظفره بجيش ابن الزبير في مرج واهط فاشدت عزيمته وحمل بكل جيشه على مصر فلم علم اميرها عبد الرحمن بن عتبة بذلك اخذ في الدفاع فحفر حول الفسطاط خندقا عميقاً لا يزال اثره باقيا في القرافة فنزل مروان قرب المطرية ومعه عمرو بن سسعه فيخرج عبد الرحمن اليه واقتئلا شديداً مدة يومين ولم يظفرا حدهما بالاخر، وبينها كان الجيشان في شغل بين هجوم ودفاع سار عمرو بن سعد في نخبة من رجال مروان قاصداً الحيشان في شغل بين هجوم ودفاع سار عمر و بن بداً مر المصالحة فتصالحا ودخل الفسطاط فدخلها فلها علم عبد الرحمن بذلك لم ير بداً مر المصالحة فتصالحا ودخل مروان مصر في ١٠ جادي الاولى سنة ٢٥ ه فكانت مدة امارة ابن جحدم تسعة اشهر و في هذا اليوم توفي عبدالله بن عمرو بن العاص فاتح مصر فلم يستطع القوم الخروج بجنازته الى المدافن لشغب الجند عمرو بن العاص فاتح مصر فلم يستطع القوم الخروج مروان فلم يكن واثقاً بالمصريين واخلاصهم وخاف ان يستغيبوه و يعقدوا لعبد الله بن مروان فلم يكن واثقاً بالمصريين واخلاصهم وخاف ان يستغيبوه و يعقدوا لعبد الله بن الزبير فولى عليهم ابنه عبد العزيز

وفي الحال وضع مروان يده على جميع خزائن مصر وأبطل العطاوات فبايعه جميع الناس الا جماعة من قبيلة المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فقطع اعناقهم وعنق ابن همام رئيس قبيلة لخم وكان من قتلة عثمان بن عفان فخافت الناس واجمعوا على مبايعته

فاقام مروان في مصر شهرين ثم عهد بمهامها الى ابنه عبد العزبز وهم بالرحيل فقال له ابنه « يا امير المؤمنين كيف المقام في بلدة ليس بها احد من بني ابي » قال له مروان « يا بني عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني ابيك واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم واوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عيناً على غيره وينقه قومه اليك وقد جعلت معك اخلك بشرا مؤلساً وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك يا بني ان تكون اميرا باقصى الارض . اليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخولك في مئزلك ؟ » ثم اوصاه عند خروجه من مصرالى الشام قائلاً « اوصيك بابك وخولك في سر امرك وعلائيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واوصيك ان لا تجمل لداعي الله عليك سبيلاً فان المؤذن يدعو الى فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقو تا واوصيك ان لا تعد الناس موعداً الا ان اندته لهم ولو حملته على الاسنة . واوصيك ان لا تعجل في شي من الحيم حتى تستشيرفان الله لو اغنى احداً عن ذلك لاغنى نبيه محداً (صلعم) عن ذلك بالوحي الذي يأنيه . قال الله عز وجل : وشاورهم في الامر ، وخرح مروان من مصر لهلال رجب سنة ٥٥ هـ والحرب وجل : وشاورهم في الامر ، وخرح مروان من مصر لهلال رجب سنة ٥٥ هـ والحرب

خلافة عبد الملك بن مروان

من سنة ٦٥ ـــــ ٨٦ هـ او من ١٨٤ ــــ ٥٠٠ م

وفي غرة رمضان من تلك السنة توفي مروان وله من العمر ٣٣ سنة فبويع أبنه عبد الملك فاقر اخاه عبد العزيز على مصر واخذ في متابعة مشروع أبيه فانفذ الاجناد الى جهات العراق والبصرة والجزيرة سعياً في تعميم خلافته . وفي آخر الامر ارسل اليه الحجاج بن يوسف فحاصر عبد الله بن الزبير في مكة مدة سبعة اشهر وفي نهاية سنة ٧١ ه قتل عبدالله بن الزبير فخلا الجو لعبد الملك وكانت وفاته فصلا نهائياً لذلك الخصام بعد أن استمر عشر سنين متوالية ومملكة الاسلام تتنازعها خلافتان الواحدة في دمشق والاخرى في مكة

وفي سنة ٦٩ هـ أمر عبد العزيز بن مروان ببناء قنطرة الخليج الكبير في طرف الفسطاط بالحراء القصوى و بنى مقياساً للنيل في حلوان وهو اول مقياس بناه المسلمون في مصر ويقول بعضهم ان عمرو بن العاص بنى مقياساً قبدل ذلك ولا دليل على صحة هذا القول

وفي سنة ٧٠ه وقع الطاعون في مصر فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارًا وجعل فيها الاعوان وبنى فيها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها

وفي سنة ٧٧ هدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه وفي أيام عبد الملك ضربت الدنانير المنقوشة الفضية والذهبية

وفي آخر ايام هذا الخليفة تم بناء القصر الجميل المدعو الدار المذهبة في شارع سوق الحمام

وكانت طائفة الكهنة الاقباط معفاة من الضرائب والعوائد فضرب على الشخص الواحد منهم ديناراً وعلى البطاركة ثلاثة آلاف دينار سنوية

وسنة ٨٦ ه توفي عبد العزيز بن مروان في الفسطاط في ١٣ جهادى الأولى بعد ان حكم فيها عشرين سنة وعشرة اشهر و١٣ يوماً وكان جواداً حلياً حازماً بشوشاً فتولى بعده عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وسنه ٢٩ سنة وطلب اليه ابوه ان يقتفي آثار عمه عبد العزيز بالفطنة والدراية

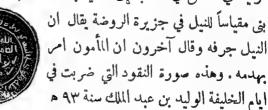
خلافة الوليد بن عبد الملك من ٨٠ – ٩٦ ه او من ٧٠٥ – ٧١٤ م

وفي هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك الملقب بابي العباس فاقر ً اخاه عبد الله على مصر . وفي ايام الامير عبد الله جعلت السكتابة في دواوين مصر باللغة العربية وكانت لاتزال الى ذلك الحين بالقبطية يتولى امرها انتناش فعزله وولى مكانه بن يربوع الفزاري من اهل حمس . وغلت الاسعار في امارته فنشاءم الناس به وقالوا انه كان يقبل الرشوة ثم وفد على اخيه في صفر سنة ٨٨ ه واستخلف عبد الرحمن بن عمر بن قحزم الخولاني واهل مصر في شدة عظيمة وضيق عيش مخيف اما الوليد بن عبد الملك فقد حكم في الاسلام حكماً حقاً ووسع نطاق المملكة الاسلامية وحارب حروباً كثيرة عاد منها ظافراً . منها الحروب الهائلة مع أمراء تركستان والفرس والهند وملك القسطنطينية وقد فتح طوانه من بلاد الروم والاندلس وسمر قند

وفي ١٣ ربيع اول سنة ٩٠ هاقيم على مصر قرة بن شريك من اهل قنسرين بدلا من عبد الله بن عبد الملك واحيا قرة بن شربك بركة الحبش وغرس قيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل القماش

وقد تشكى القبط من جوره فهم يقولون انه كان يحتقر اعتقاداتهم ويدخل احياناً الى كنائسهم ومعه رجال من حاشيته ويوقفهم عن صلاتهم

وفي سنة ٩٣ هـ اعاد قرة بن شريك بأمر الوليد بن عبد الملك بنا، جامع عمرو . وفي سنة ٩٦ هـ ثوفي قرة في الفسطاط فأقيم مقامه عبد الملك بن رفاعة بن خالد وكان قرة سيء التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاسقاً وبعد ثلاثة اشهر من امارته توفي الخليفة الوليد في دمشق في ١٥ جمادي الثانية بعد ان حكم ٩ سنين ونصف وسنه ٤٨سنة وقد



ش ۲۸: نقود الوليد بن عبد الملك

خلافة سليمان بن عبد الملك

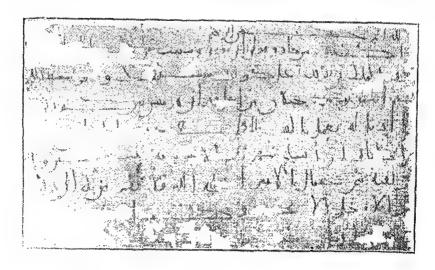
من سنة ١٩ هــــ٩ ه او من ١١٤ ـــ ٧١٧ م

وبعد وفاة الوليد بويع اخوه مليان بن عبد اللك الملقب بابي ايوب فسار على خطوات اخيه في توسيع نطاق مملكته فني اول سنة من خلافته فتح طبرستان وجورجيا وارسل اخاه مسامة بن عبد الملك شاصر القسطنطينية حصاراً شديداً وعند اول خلافته اقر عبد الملك بن رفاعة على مصر وجعل على خراجها اسامة بن يزيد المشهور بالظلم ولقبه بعامل الخراج وقد اتفق جمهور المؤرخين من مسلمين واقباط على استبداد هذا الرجل وعسفه . ومما جعلهم يزيدون تظلماً منه أنه لم يكتف باعلان الرهبان باستمر ار الضريبة عليهم على حين انهم كانوا ينتظرون رفعها عمهم لكنه امران يلبس كل منهم في كل سنة خاتماً من حديد في اصبعه عليه اسمه يأخذه من جابي الخراج اشارة الى خلو طرفه ومن يخالف ذلك تقطع بده فاذا اصر على المخالفة ورباكانوا يرون قتلها واجباً . وكان اسامة مع ذلك يظهر رغبة شديدة في اصلاح شوءون البلاد وزيادة محصولاتها فكان من وقت الى آخر يتفقد الارض وربها وينتبه شوءون البلاد وزيادة محصولاتها فكان من وقت الى آخر يتفقد الارض وربها وينتبه خصوصاً لمقاييس النيل التي يعرف منها مقدار المحصولات . فعلم سنة ٩٦ هه بسقوط مقياس حلوان فأعلم الخليفة بذلك فام باغفاله واقامة مقياس آخر في جنوبي الجزيرة مهيان المعروف بالروضة

ومن ضرائب اسامة ضريبة فادحة مقدارها عشرة دنانير تطلب من المار في النيل صاعداً او نازلاً ولا يمر الا من كان في يده جوازمو ذن له بذلك بعد اداء المبلغ المفروض ويما يحكى ان ارملة سافرت في النيل مع ابن لها بعد دفع المفرض ونيل تذكرة المرور بكل مشقة نظراً لضيق ذات يدها فحدث وهي في اثناء المسير ان ابنها هذا تطاول الى النيل مستقياً فاختطفه تمساح وابتلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه ، واا وصلت المكان المقصود اعترضها صاحب التذاكر وابى الاان تبرز تذكرتها فاخبرته ماكان من امم ضياع ابنها على مشهد من الناس فاغلق اذنيه عن صراخها ولم يفرج عنها حتى باعت ما في يديها ودفعت الفلس الاخير

كل هذه الاجرآات وغيرها جعلت المصريين في قنوط فثاروا على اسامة يطلبون الانتقام وبينها هم في ذلك جاءهم النبأ بوفاة الخليفة سليان بن عبد الملك فسكن جاشهم على

امل ان ينالوا ما يريدون بمن يخلفه وكانت وفاته في ٢١ صفرسنة ٩٩هـ وهو يبني مدينة الرملة في فلسطين بعد ان حكم سنتين وتمانية اشهر وخمسة ايام وسنه ٤٥سنة فبويع ابن عمد عمر بن عبد العزيز الملقب بابي حفص لأنه لم يكن من اخوته وولده من يصلح للخلافة



ش ٢٩ – صورة رسالة عربية على البابيروس في أيام بني أمية

REVOICE TRO-

خلافة عمر بن عبد العزيز

من ۹۹ – ۱۰۱۵ او من ۷۱۷ – ۷۲۰م

وكان الخليفة عربن عبد العزيز محباً للمدالة فرفع اليه المصرير ن شكواهم على اسامة فأمر بعزله وتولية ايوب بن شرحبيل . وكان هذا ورعاً منزماً مستقيماً عادلاً فزاد في الاعطائيات وعطل الحانات فانسى المصربين ماكان من استبداد اسامة وغلاظته ثم بعث اليه النحليفة بالقبض على اسامة وتكبيله بالحديد وتسميريديه ورجليه باطواق من الخشب وارساله اليه ففعل فحات اسامة في الطريق

وكان على الجيش في مصر حيان بن شريح فبلغ عمر بن عباء العزير الحه يطالب المسلمين بالجزية فعظم عليه ذلك وكتب اليه «أري يا حيان ان تضع الجزية عمن اسلم من اهل الذمة فان الله تعالى ذال فان تابوا واقاموا الصلاةوا أوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله

غفو ورحيم وقال قانلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يله وهم صاغرون ، فأجابه حيان « اما بعد فأن الاسلام قد اذهر الجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار بهمت بها عطاء اهل الديوان فأن راى امير المؤمنين ان بأمر بقضائها فعل ، فكتب اليه عمر «اما بعد فقد بالمني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولي بضربك على راسك عشرين سوطاً فضع الجزية عمن اسلم قبح الله رايك فأن الله بعث محمداً (صاعم) هادياً ولم يبعثه جابياً واعمري اعمر اشتى من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » وفي ٢٥ رجب سنة واعمري الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد ان حكم سنتين وخمسة أشهر و ١٤ يوماً فرجعت الخلافة لابناء عبد الملك حسب اشتراط سليان قبل موته فبويع يزيد بن عبد الماك

خلافة يزيد بن عبد الملك

من ۱۰۱ -- ۱۰۰ ه او من ۷۲۰ -- ۷۲۶ م

فأقر يزيد ايوب بن شرحبيل على مصر ثم انفد اليه ان يسام الحمكم ابشر بن صفوان السكابي وبعد يسير امره ان يتوجه الى افريقية واقام مكانه حنظلة بن صفوان وفي ايامه امر الخليفة بتكسير ما بقي من التماثيل والاصنام في مصر فكسر معظمها . وفي سنة ١٠٤ ه عزل حنظلة وتولى الامارة محمد بن عبد الملك اخو الخليفة . وفي ٢٠ شعبان سنة ١٠٥ ه توفي الخليفة يزيد بن عبد الملك في حران فبويع اخوه هشام ولم ير المصريون في مدة خلافة يزيد يوم نعيم

خلافة هشام بن عبد الملك

من ١٠٥ - ١٢٥ ه او من ٢٧٤ - ٢٤٧م

فالم بويع هشام أمر بصرف محمله بن عبد الملك عن مصروأقام عليها الحر بن يوسف وفي امارته كان اول النقاض القبط سنة ١٠٧ ه ثم وفد الى الخليفة واستعفى من الامارة في سنة ١٠٨ ه فولى مكنه حفص بن الوليد وفي سنة ١٠٨ ه استبدل حفص بعبد الملك ابن رفاعة وفي تلك السنة توفي ابن رفاعة فتولى مكنه بأمر أمير المؤمنين اخوه الوليد ابن رفاعة

وفي ولايته نقلت قبيلة قيس الى مصر ولم يكرف فيها أحد منهم فائزلوا في الحوف الشرقي (الشرقية) وفي أيامه خرج وهيب اليحصبي شارداً في سنة ١١٧ ه من أجل ان الوليد أذن للنصارى في ابتناء كنيسة يومنا بالجمراء . وفي هذه السنة توفيت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب . وتوفي الوليد في الفسطاط وهو وال أول جادى الآخرة سنة ١١٧ ه بعد أن حكم تسع سنين . فتولى مكانه عبد الرحمن بن خالد الفهمي وبعد سنة توفي عبد الرحمن وخلفه حنظلة بن صفوان فحكم في مصرها المرة ست سنوات وكان عاتباً غشوماً رغم رغبة الخليفة اليه ان يعامل الناس بالرفق والمعروف ولم يكذف بالضرائب المفروضة على الانسان ففرضها على الحيوا نات وكان يقطع بدكل من لم يكن ناقلاً هذا الرسم من المسيحيين

فَى كَاتَبِ المَصرِيونِ الخُليفة بِشَأَن ذَلَكَ فَأَنفَذَ اليه في سنة ١٧٤ هـ يعزله عن مصر ويأمره ان يتوجه الى أفريقية ففعل فولى مكانه حفص بن الوليد الحضرمي وهذه هي المرة الثانية لأمارته . وفي ٦ ربيع آخر من سنة ١٧٥ه توفي الخليفة هشام بن عبدالملك وسنه ٥٦ سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و٧ اشهر و ١١ يوماً ومن أعساله التي تستحق

الذكر انه تغلب على الروم

وهذه صورة النقود التي ضربت في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنسة ١٠٧ ه كما ترى في الشكل

الثلاثين



ش ۳۰ نقود الحليفة هشام

خلافة الوليد بن يزيد

من ١٢٥ ـــ ١٢٦ م او من ٧٤٧ ـــ ٧٤٤ م

ولما توفي هشام بويع الوليد بن يزيد المقب بابي العباس أمر بصرف حفص عن مصر مع ما عرف به من النزاهة والاستقامة وثقة الاهالي فيه وأقام عوضاً عنه عيسى ابن أبي عطاء على النزاج فقط ولم يكن عيسى من السياسة على شيء فأثار بسوء تصرفه خواطر المصريين ثانية ، والنخليفة لم يكن أحسن سياسة منه لانه جمع جميع الصفات التي تحط من قدر الملوك فأثار عليه رعاياه ولاسيا أهل الشام فشقوا عصا الطاعة وطلبوا أن يبدل بيزيد بن الوليد بن عبد الملك وطلبوا من هذا اذا كان يقبل ذلك فاجاب بالايجاب وجعل لمن يأنيه برأس الوليد بن بزيد ماية الف دينار ثم قتل الوليد وسنه ٤٢ سنة واحدة وشهرين و ٢٠ يوماً

خلافة يزيد بن الوليد ثم ابراهيم بن الوليد من ١٢٦ ـــ ١٢٧ ه او من ٧٤٤ ـــ ٧٤٠ م

فبويع يزيد بن الوليد الملقب بابي خالد في ١٨ جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ هـ الا أن تلك المبايعة لم تكن كافية لتسكين خواطر الناس لان الثورة كانت قد امتدت الى أطراف العالم الاسلامي حتى هددت المملكة بالسقوط ، فان اهل حمص لم يبايعوا يزيد بل قاموا يطالبون بدم الوليد . وسليان بن هشام نجا من سجنه في عمان وجمع اليه أجناداً وسار الى دمشق يطالب مجقوق المخلافة ، وأهل فلسطين ثاروا على أميرهم وقتلوه . ومروان بن محمد الحمار جرد من أرمينيا مطالباً بدم الوليد ، وكان جيشه غفيراً فلما بلغ حران خافه يزيد فكاتبه وعاهده على ان يخلي له مابين النهرين وارمينيا واذر بيجان حقناً لدماء العباد ، وبعد ذلك بيسير توفي يزيد بالطاعون وسنه ، ٤ سنة ولم يحكم الاحمسة اشهر وعشرة ايام

وفي يوم وفاة بزيد بويع الراهيم بن الوليد اخوه من ابيه ولم تكن تلك المبايعة مفرحة له لانه جاء الخلافة وهي في معظم الاضطراب. فلما علم مروان بن محمد بوفاة يزبد نكث المعاهدة وجرد جيشاً من ٨٠ الف مقاتل الى قنسرين ينكر المبايعة على ابراهيم فبعث ابراهيم مائة الف مقاتل تحت قيادة سليان بن هشام لملاقاته في حمص وكان

مروان ينتحل سبباً يسوغ له الهجوم على دمشق فادعى انه جاء لانقاذ الحسكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد من سجن دمشق وقبل مباشرة الحرب كتب مروان الى سلمان بن هشام في حمص يسأله اذا كان يوافقه على خلع الخليفة ابراهيم وتولية أحد ابناء المخليفة اللسابق فأبى فحاربه مدة ففر سلمان ورجاله الى دمشق . فلما دخلها تعاقد مع المخليفة ابراهيم وجعلا ايديهماعلى الخزائن ثم اخرجا ابني الوليد من السجن وقطعاعنقيهما لابهما منشأ تلك المتاعب لعلهما يتخلصان من المقاومين فجاء الامر بالعكس اذ عظمت دعوى مروان فادعى ان المخليفة الذي يقتل ابناء اخيه بغير الحق لايصلح للخلافة وطلب خلعه وما زال حتى دخل دمشق في الشهر الثاني من سنة ١٢٧ هـ ووضع يده على الاحكام ودعا الى مبايعته فبايعه الجميع حتى الخليفة ابراهيم لانه اشترى حياته بهدنه المبايعة وكانت مدة خلافة ابراهيم ٢٩ يوماً وعاش بعد النجلع ست سنوات

خلافة مروان بن محمد

من ١٢٧ ـــ ١٣٢ هـ او من ٧٤٤ ـــ ٥٠٠ م

وكان لمروان بن محمد ثلاثة القاب الأول أبوعبد الملك لقب به يوم ولادة ابنه البكر والثاني الجادي نسبة الى عمه جاد بن درهم والثالث الحمار وكان مشهوراً به اكثر مما بغيره واصل تلقيبه به انه كان ثابتاً في الحروب فلقبوه بحيار الوحش ثم اهمات الكلمة الثانية فتنوسيت وبقيت الاولى وحدها . فلما تمت له المبايعة سنة ١٢٧ ه ابدل حفص ابن الوليد أمير مصر بحسان بن عناهية النجيبي فشق ذلك على المصريين فوشبوا عليه وقالوا لانرضي الابحفض وركب جاعة منهم الى السجد ودعوا الى خلع مروان وحبسوا توليته وأخرجوا معه عيسى ن أبي عطاء صاحبالخراج فولى مروان على مصرالحفض توليته وأخرجوا معه عيسى ن أبي عطاء صاحبالخراج فولى مروان على مصرالحفض ابن الوليد وهي المرة الثالثة لولايته عليها . وفي سنة ١٢٨ هصرفه مروان وولى مكانه الحوثرة بن سهل بن عجلان والمصريون غير واضين بذلك فسار البها في الاف باول الحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان الحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان حوثرة وولى مكانه المفيرة بن عبيت الله الفزاري وبعد يسير توفي الغيرة وولى مكانه حبد الله به المائة الفزاري وبعد يسير توفي الغيرة وولى مكانه عبد الله بي كان والها على الخراج فلما تولى الامارة امر باتخاذ المنابر في الحروب في المناب عبد الله بين موسى وكان والها على الخراج فلما تولى الامارة امر باتخاذ المنابر في الحروب

ولم تمكن قبله وكان ولاة المكور يخطبون على العصي الى حانب القبلة ، والمغيرة آخر من تولى مصر من قبل الدولة الاموية . لانها كانت على شفا السقوط وقد انتشر الفساد في أنحاء المملكة الاسلامية فثارت حمص على مروان وكانت اول من جاهر بدعوته كما علمت فسامها الرضوخ فأبت ، ومثل ذلك فعات دمشق وكانت اول من دعا الى بيعشه وبويع سليمان بن هشام على البصرة ثم تقدم بجيشه الى قنسر بن فحار به مروان وقتل من رجاله ثلاثين الفاً فانهزم سلمان الى حمص وحاصر فيها فجهز اليه مروان وحاصره هناك

وكثر منازعو مروان على الخلافة وفي مقدمتهم أبو العباس الهاشمي أول خلفاء الدولة العباسية وكان قد بايعه الفرس في اقصى الشرق (خراسان) بمساعدة أبي مسلم الخراساني وكان قد ارسله اليها داعياً وهو لم يبلغ التاسعة عشرة من العمر لمكنه أظهر همة ودراية لاتتفقان الا بالرجال العظام فتملك قلوب الناس وجمع كلمتهم اليه وحارب جيوش مروان في خراسان فظفر بهما فتقسدم الى العراق حق أتى الكوفة فافتتحها وخطب فيها لابي العباس ، أما مروان فلم يظفر بحمص وسار الى الوصل فاضطهده اهلها فقنط من الفوز فعاد على اعقابه الى سوريا فرآها مجمعة على عصيانه فلم ير له ملجأ الا مصر لانهاكانت لاتزال الى ذلك الحين على بيعته

أما أبو العباس فلما استتب له الامر في الكوفة جعل على البلاد التي صارت تحت حكمه ولاة اختارهم من ذويه م بايعه اهل الشام ومن والاهم . وهكذا كانت نشأة الدولة العباسية التي أقيمت على انقاض الدولة الاموية . ثم رأى أبو العباس تثبيتاً لقدمه في الخلافة ان يقتل كل من بقي من ابناء الدولة الاموية ودعاتها ولو بايعوه فامم بالقبض عليهم وهم ثما نون نفساً بين نساء ورجال واولاد فامم بذبحهم معاً بغير شفقة فلقب من ذلك الحين بالسفاح ، ولم ينج من هذه المذبحة الاشاب يقال له عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام فر" إلى الاندلس (اسبانيا) وأسس فيها دولة اخرى اموية

اما مروان فجاء مصر على ان يستبقيها له فارسل عبد الله عم ابي العباس اخاه صالح بن على يقتفي اثره وامره ان يقبض عليه باي وسيلة كانت فسار صالح في جيش عظيم ومعه ابو عون عبد الملك بن يزيد ونزل على جبل يشكر حيث جامع ابن طولون اليوم وكان قسماً من الفسطاط في اول عهدها ثم صار خراباً. فأمر ابو عون اصحابه بالبناء فيه فابتنوا وقاموا فيه معسكرهم ودعوه بالعسكر واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه بعد ذلك دار الامارة وجامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وصار بعد ذلك مدينة ذات اسواق ودور عظيمة وصار امراء مصر بنزلون فيه من بعد ابي عون

الى ان بني احمد بن طولون القطائع واقام فيها قصره

ثم اخذ صالح بن علي في مطاردة مروان فأدركه في قربة بوصير من الجيزة وقتله في ٢٧ جادي الآخرة سنة ١٣٧ ه وسنه سبعون سنة وقال آخرون ٥٩ ونقل راسه الى ابي العباس السفاح ، وكانت مدة خلافة مروان خس سنوات وشهراً واحداً وهو آخر خليفة من الدولة الا.وية بالشام

الدولة العباسية للمرة الاولى

من سنة ۱۳۲ - ۲۵۷ هـ او من ۷۵۰ ـــ ۸۷۰ ر

خلافة ابي العباس بن محمد

من ۱۳۲ - ۱۳۱ ه او من ۵۰۰ - ۲۰۷ م

بويع الخليفة ابو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح في ١٣ ربيع اول سنة ١٣٧ هوهو من سلالة العباس بن عبد المطلب واول الخلفاء العباسيين فأقال ولاة الامصار الذين كانوا قبل خلافته وابد لهم بولاة من اقاربه ودويه . فجعل على مصر عمه صالح بن على قاتل مروان . فسار صالح حتى دخلها في محرم سنة ١٣٣ ه وبعد يسير بعث الى الخليفة وفداً من اهل مصر بمبايعتها شم قبض على عبد الملك بن موسى وجماعته وقتل كثيراً من دعاة بني أمية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقانسوة من ارض فلسطين وفي غرة شعبان سنة ١٣٣ ه ورد اليه كتاب امير المؤمنين بامارته على فلسطين وان يستخلف على مصر من اراد فاستخلف ابا عون عبد الملك بن يزيد نائباً عنه وساد ومعه عبد الملك بن نصير وعدة من اهل مصر

وفي ١٧٧ ذي الحجة سنة ١٣٦ ه توفي ابو العباس في الهاشمية سرير خلافته بعد ان قضى على دست الخلافة ٤ سنوات و٨ اشهر و٢٦ يوماً وسنه ٣٣ سنة ونصف وهو اول من اتخذ وزيراً لان خلفاء بني أُمية لم يكونوا يستوزرون ولكنهم استكتبوا

خلافةالمنصور بن مجمه

من ۱۳۱ - ۱۸ ۱۸ او من ۲۵۷ - ۷۷۵ م

وخف ابا العباس اخوه المنصور بن مجمد الملقب باي جهفر واتخذ الهاشمية سريراً لملكه كما فعل سلفه . وفي سنة ١٤٠ ه عهد ولاية مصرالي ابي عون الذي كان نائباً فيها وفي سنة ١٤١ ه عزل ابا عون عن معسر وولى موسى بن كعب وكان احد نقباء العباسيين فدخل مصر في ١٥ ربيع آخر من السنة المذكورة ونزل العسكر . وفي ٥ ذي الحجة من تلك السنة عزل موءى وولى محمد بن الاشعث الخزاعي واراد توليته امم الخراج فابي فتولاه نوفل بن الفرات ثم راى بعد حين ان اهل الدواوين مالوا بكايتهم نحو صاحب الخراج فندم وآل الامم الي نفور بينه وبين نوفل . وفي ٥ رمضان سنة نحو هدا وولى حيد بن قحطبة بن شبيب الطائي فجاء مصر بجيش . وفي ٢٢ دي القعدة سنة ١٤٤ ه صرف محمد الإبهابي

فتري آنه تقلب على مصر في مدة لا تتجاوز سبع سنوات ستة امراء الامر الدال على ما فطر عايه المنصور من التقلب فأنه كان لا يثق باحد ولا يقر على امر وكان كثير الهواجس والظنون سريع الحكم ويدلك على ذلك ماكان من امره مع ابي مسلم الذي له الفضل على جميع الخلفاء العباسيين اذ لولا مساعيه ما وصات الخلافة الى يدهم. فأنه بمجرد ما قيل له ان ابا مسلم متشيع لاهل البيت امر بقتله ، ولشدة هواجسة ترك الهاشمية التي كانت الى ذلك العهد (سنة ١٤٥ه) سرير الاخلافة العباسية وشرع في بناء مدينة دعاها مدينة السلام ثم دعيت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ، ثم خلع عن ولاية العهد ابن اخيه عيسى بن موسى وكان السفاح قد اوسى له بها بعده ، وبايع لابئه محمد المهدي بن المنصور مكانه على ان يكون عيسى المذكور خليفة بعده

اما يزيد بن حاتم فتولى مصرفي ايام المنصور نحواً من عماني سنين عمل فيها بامانة . وفي امارته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر وتكام بها الناس و بايع كثير منهم لعلي ابن محمد بن عبد الله وطرق المسجد في ١٠ شوال سنة ١٤٥ هم قدمت الخطباء براس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي في ذي الحجة فنصب في المسجد. وفي تلك السنة منع يزيد اهل مصر من الحج و لم بحج منهم احد و لامن اهل الشام لما كان في الحجاز من

الاضطرابات بامر بني حسن . وفي سنة ١٤٦ ه وردكة ب ابي جعفر يأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى الفسطاط وان يجعل الديوان في كنائس القصر من اجل لملة المسجد

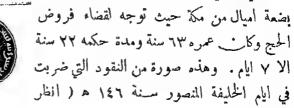


ش٣١ - خريطة بنداد

وفي هذه السنة كان الفراغ من بناء مدينة بغداد فتحول اليها الخليفة ابو جعفر النصور في صفر فلما دخلها ام ان تجقع اليه العلماء والفلاسفة . وفي سنة ١٤٧ ه حج يزيد واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب شرطته وبعث جيشاً لغزو الحبشة من اجل خارجي ظهر هناك فظفر به الجيش وقدم راسه في عدة رؤوس فحمات الى بغداد . وفي سنة ١٤٨ه ضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو اول من فعل ذلك . وفي سنة ١٥٠ ه خرج القبط في سخا فبعث

اليهم جيشاً فرجع منهزماً . وفي سنة ١٥٧ ه توفي يزيد بن حاتم واقام المنصور عوضاً عنه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وهذا لم يحكم مصر الا ٣ سنين . وفي سنة ١٥٥ ه أبدل باخيه محمد بن عبد الرحمن . وفي سنة ١٥٥ ه توفي محمد المذكور فولى مكانه موسى بن علي بن رباح . ولداعي هذه النغييرات الكثيرة في امارة مصر لم يرتح اهلها فلم يكن لها فرصة للتقدم خطوة نحو الامام لاعتقاد كل حاكم أنه عن قليسل معزول فبدلاً من أن يسعي في زرع ما ربحا لا يستغله كان يسعى فيا فيه نفعه الشخصي ولذلك كان كل واحد منهم يزيد في مقدا والضرائب المفروضة أو يخترع ضرائب جديدة بحيث أنه لم يبق شيء معنى من الضرائب حتى الفعلة وبائعي البقول وقادة الجمال وكل الصناع حتى المتسولين كل هؤلاء كانوا يدفعون الضرائب فعم البسلاء واشته الجوع فاكل الناس السكلاب ولحم الادميين

وفي ٦ ذي الحبجة سنة ١٥٨ ﻫ توفي ابو جعفر المنصور وهو في بير ميمون على



ش ٣٢ ـــ تقود المنصور

ش ۳۲)

خلافة محمد المهدى

من سنة ۸ ه ۱ ـ ۱ ۲۹ ه أو من ۷۷۰ ـ ۷۸۰ م

فالفه محمد المهدي ابنه وهو الحليفة الثالث من بني العباس وكان كابيه متقلباً متردداً وفي سنة ١٥٩ هصرف موسى بن علي عن مصر وولى محمد بن سليان من اهالي سوريا ثم عزله واعاد موسى بن علي . وفي سنة ١٦٠ ه صرف هذا وولى عيسى بن لقان الجمعي . وفي سنة ١٦٠ ه صرف عيسى وولى واضحاً مولى ابي جعفر وبعد يسير ابدله بمنصور بن يزيد الرعيني وهو ابن خال الخليفة المهدي . وفي سنة ١٦٣ ه ابدله بحيى بن داود الملقب بابي صالح من اهل خراسان وكان ابوه تركياً وهو من اشد الناس

واعظمهم هيبة واقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فمنع من اغلاق الدروب ليلاً ومن اغلاق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب. ومنع حراس الحامات ان يجلسوا فيها وقال « من ضاع له شيَّ فعليَّ اداؤه ، فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول « يا ابا صالح أحرسها » فكانت الامور جارية على هذا النمط مدة ولايته وامر الاشراف والفقهاء واهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بهما عليه يوم الاثنين والحنيس بلا اردية . وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخذف الله . وفي سنة ١٦٤ ﻫ عزل ابو صالح وولي سالم بن سوادة الثميمي . وفي ١٥ محرم سنة ١٦٥ عزله المهدي وولى ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فابتني داراً عظيمة بالوقف من العسكر . وخرج دحيه بن المعصب من إسل عبد العزيز بن مروان نابذاً ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه ابراهيم ولم يحفل بامر. حتى ملك عامة الصعيد فسيخط المهدي على ابراهيم وعزله عزلاً قبيحاً في ٧ ذي الحجة سنة ١٦٧ هـ وولى موسى بن مصعب بن الربيع من أهل الموصل . ولما جاء هذا مصر اخذ من ابر اهيم و بمن كان معه ثلثمائة الف دينار ثم سيره الى بغداد . وشدد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدار ضعف ما يقبل وجعل يقبل الرشوة وضرب خراجاً على الحوانيت وعلى الدواب فتضايق الاهالي وكره الجند ذلك ونابذوه وثارت قيس واليانية وكاتبوا اهل الفسطاط فاتفقوا عليه فبعث بجيش لقتال دحية بالصعيب وخرج في جند مصركايهم لقثال اهل الحوف فلما الثقوا أنهزم عنه اهل مصر باجمعهم واساموه فقتل في ٩ شوال سنة ١٦٨ هـ من غير ان يشكلم احد منهم . وكانت ولايته عشرة اشهر وكأن ظالماً غاثماً . فولى المهدي مكانه اسامة بن عمر وقتياً الى ان انفذ اليها الفضل بن صالح اخا ابراهيم المتقدم ذكره اميراً فاخذ يسمى في اخماد ثورة اهل الحوف وخاف خروج دحية لأنالناس كانوا قدكاتبوه ودعوه فسير الفضل عساكره اليه وكان قد اتى بها من الشام فانهزمت رجال دحية وقبض عليه وسيق الى الفسطاط فضر بت عنقه في جمادى الآخرة سنة ١٦٩ ه وكان يقول للفضل أنا أولى الناس بولاية مصر لاني قمت في امر دحية وقد عجز عنه غيري ويقال انه ندم على قتل دحية وفي تلك السنة بني الفضل الجامع بالمسكر وكان الناس يجتمعون فيه

و بقيت مصر في راحة وهدوء تامين بعد اخماد ثورة اهل الحوف وكذلك كانت سائر الامارات الاسلامية فسكن بال الخليفة المهدي من قبيل داخلية المملكة فعكف على توسيع نطاقها فغزا ملك اليونان مجند تحت قيادة ابنه الثاني هارون الرشيد فتغلب

هارون على بلدان عديدة ضمها الى مملكة ابيه ووضع على القسطنطينية جزية مقدارها لى الف دينار فاطهر هارون شجاعة واقداماً وقعا في عيني ابيه موقعاً عظيما في عاني ابيه موقعاً عظيما في عاني ابن جعل له حق الخلافة بعد اخيه موسى الهادي



رفي ٢٢ محرم سنة ١٦٩ هـ تو في الخليفة الهدي وله من العمر ٢٤ سنة ومدة حكمه عشر سنين وشهران ولصف

وهذه صورة المقود التي ضربت في عهد الخليفة المهدي سنة ١٦٣ هـ (انظر ش ٣٣)

ش ٣٣ -- نقود الحابقة المهدي

خلافة موسى الهادي

من سنة ١٦٩ ـــ ١٧٠ ه او من ٧٨٥ ـــ ٧٨٦ م

فبويع موسى الهادي وهو الخايفة الرابع من بني العباس وحالما استلم زمام الاحكام عزل الفضل بن صالح عن مصر وولى على بن سليمان وحاول الغاء وصية ابيه القاضية بخلافة هارون من بعده على نية ان يجعل الخلافة لابنه لكنه لم يأت على ادراك مناه حتى ادركه الموت في يوم الجمة الواقع في ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ ه وعمره ٢٤ سنة ولم يحكم الاسنة وشهراً و٢٢ يوماً

خلافة هارون الرشيد

من سنة ١٧٠ ــــــ١٩٣ م أو من ٧٨٦ ـــــ ٨٠٩م

فبويع ابنه هارون الرشيد يوم وفاة اخيه وهوالخليفة الخامس من بني العباس وفي أيامه بلغت دلة والعرب من العمران والحجد مافاح ارجه في اقاصي الارض المعمورة ولم تمد ترى عصراً مثل ذلك العصر وكأن شمس الدولة العربية في أيامه باخت خطالها جرة بم اخذت تنحدر بعده رويداً رويداً نحو الافق . وفي يوم مبايعته ولد له غلام دعاه عبدالله وهو بكر أولاده وولي عهده ولقب بعدئذ بالأمون

واقر هارون الرشيد علياً على مصر فاظهر هذا في ولايته حزماً وسياســـة فأمم بالمعروف ونهى عن المنكر ومنع الملاهي والحنور لكنه عكف على هدم الكنائس الحدثة في مصر فبذل له النصاري خسين الف دينار على أن يتخلى عن هدمها فأبي . وكانكثير الصدقة فعلق به الاهلون حتى قالوا آنه أهل للخلافة فطمع فيها فسخطعليه هارون الرشيد وعزله وولى مكانه موسى بنعيسي العلوي في ٦ ربيع أول سنة ١٧١ هـ وحللا استبر زمام الامارة أذن للمسيحيين بابتناء الكنائس التي هدمت بامر علي بن سليمان فابتنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة . وفي ١٤ رمضان سنة ١٧٧ﻫ عزل بعــد ان تولي الامارة سنة وخمسة اشهر وتولى مكانه مسلمة بن يحيي وفصل بين ادارة الحكومة والمالية او الخراج وجعل على الخراج عمر بن غيلان وفي ٥شعبان سنة١٧٣ هـ عزل مسامة بن يحيي عن الصلاة وتولى محمه بن زهير وفي غاية ذي الحبجة سنــة ١٧٣ هـ عزل و تولى مكانه داود بنيز يد بن حاتم بن قبيصة . وفي ٧ صفر سنة ١٧٥ هـ عزل داود بالخلافة لابنه الثاني محمد الملقب بالامين وهو لم يبلغ الخامسة من العمر واخوه المأمون في السادسة . وسبب ذلك أن الامين كان أبن زييدة أبنة عم الخليفة وأما الأمون فكان ابن جارية فارسـية فغضبت زبيدة لحرمان ابنها من الخلافة وكان الرشيد يحبها فاوصى بالخلافة لابنها الامين على ان يكون للمأمون حق الخلافة بعد.

وفي ٢٦ صفر سنة ٢٧٦ ه عهدت امارة مصر الى ابراهيم بن صالح ثانية وكان قله ثولاها في خلافة ابي جعفر كما تقدم . وفي ١٨ رمضان سنة ٢٧٦ ه بولى امارة مصرعبدالله ابن المسيب بن زهير الضبي اخو محمد بن زهير ثم صرف في رجب سنة ٢٧٧ غلفه استحاق بن سليمان من بني العباس فلما وصل مصر زاد في خراج المزارعين زيادة احجفت بهم فحرج عليه اهل الحوف فحار بهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن اعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه اهله بالطاعة واذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فسر الخليفة نما آناه هرثمة من النصر فصرف استحاق ابن سليمان وولى مكانه هرثمة في ٢ شعبان سنة ١٧٨ ه وبعد قليل ارسل الرشيد هرثمة الى افر يقية وولى على مصرعبد الملك بن صالح الحا ابراهيم بن صالح على الصلاة وارسل معه عبد الله بن المهدي شقيق الخراج ، وفي ١٢ محرم سنة ١٧٩ ه ابدل عبد الملك بن صالح بعبيد الله بن المهدي بن عيسي بعبيد الله بن المهدي بن عيسي بعبيد الله بن المهدي المرة الوسي بن عيسي بعبيد الله بن المهدي المرة الهرارة الوسي بن عيسي المرة الثالثة لاماره ، وفي سنة ١٨٠ ه عادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي وفي سنة ١٨٠ هادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي وفي سنة ١٨٠ هادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي وفي سنة ١٨٠ ه عادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي

ثانية . وفي ٧ رمضان سنة ١٨١ ه سلمت امارة مصرالي اسهاعيل بن صالح وكان خطيباً بليغاً فقال فيه ابن عفير «ماراً بت على هذه الاعواد اخطب من اسهاعيل بن صالح وفي ١٤ جادي الآخرة سنة ١٨٧ ه صرف الرشيد اسهاعيل بن سالح وولي اسهاعيل ابن عيسي العباسي ثم صرف هذا وولي الليث بن الفضل البيوردي من اهل بيورد فقدم مصر في ٥ شوال سنة ١٨٧ ه و خرج منها في رمضان سنة ١٨٧ الى التخليفة بالهدايا والمال واستخلف اخاه الفضل بن علي في مصر ثم عاد في آخر السنة و خرج ثانيسة بالمال في ٢١ رمضان سنة ١٨٥ ه واستخلف هاشم بن عبدالد من بن معاوبة ابن حديج ثم عاد في ١٤ عرم سنة ١٨٦ ه فكان كلما اغلق خراج سنة و فرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤونين هارون الرشيد مع الحساب

ثم بعث بمساح يمسحون الاراضي ومن جملتها اراضي اهل الحوف فانتقض لهم من القصبــة اصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع منهم فتجهزوا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث في أربعة آلاف من جند مصر في شعبان سنة ١٨٦ ه فالثقي بهم في رمضان وَا بَهْرُم عَنه الْجِند فِي ١٢ منه وبقي في نحو المائثين فحمل بمن منه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم على ارض جب عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بمانين رأساً من رؤوس القيسية . ولما عاد الى الفسطاط عاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعرا الخراج فسارالليث الى الخليفة هارون الرشيد في محرم سنة ١٨٧ه وطلب اليه الجيوش لانه لايقدرعلى استخراج الخراج من اهلالحوف الانجيش ببعث به معه وكان محفوظ ابن سليم بباب الرشيد فرقع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصرعن آخره بلاسوط ولا عصاً فولاه الخراج وصرف الليث بن الفضل عن صلاة مصر وخراجها . وفي ٢٥ جادي الآخرة سنة١٨٧ه عزل واقيم مقامه احمد بن أسماعيل بن صالح . وفي ١٨ شعبان سنة ١٨٩ ه ابدل بعبد الله بن محمد العباسي الملقب بابن زنيبة . وفي هذه السنة ابدل عبدالله المذكور بحسين بن جيل التختاخ وفي ايامه امتنع اهــل الحوف من الخراج فبعث الميه الخليفة هارون الرشيد يحيي بن معاذ في امرهم. فنزل بلبيس في شوال سنة ١٩١ ه وصرف الحسين بن جميل عن المارة مص في شهر ربيع الاخرسنة ١٩٣هـ وولى مالك بن دلهم وفرغ بحي بن معاذ من امر الحوف وقدم الفسطاط في جمادى الثانية فورد عليه كتاب آلرشيد يأمره بالخروج اليه فكتب الى اهل الحوف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك بن دلهم وادخل بينكم وبينه في امرخراجكم . فدخلكلرئيس منهم من اليانية والقيسية وقد اعد لهم القيود فامر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد

فقيدهم وتوجه بهم في منتصف رجب وفي السنة الثالية عهدت الى الحسين قيادة الجيش والخراج فضلاً عن الامارة • وفي ١٢ ربيع آخرسنة ١٩٢ هابدل بمالك بن دلهم وكان على الخراج الخصيب بن عبد الحميد واليه تنسب مدينة منية خصيب

واخيراً في ٤ صفر سنة ١٩٧ ه عادت امارة مصر الى الحسن بن جيل الى ان توفي الخليفة هارون الرشيد في ٣ جهادى الآخرة من تلك السنة في طوس وسنه ٤٧ سنة ومدة حكمه ٢٧ سنة وشهر و١٩ يوماً . ولاحاجة لشعداد خلال هذا الخليفة الذي رفع شأن الخلافة الاسلامية الى حد من العظمة لم تدركه في سائر اطوارها فقد كان حازماً عادلا تقياً باسلاً وديعاً محباً للعلم والفضل واهلهما ولدينا من الاحاديث عن كرم اخلاقه ما تحدث به العامة والخاصة فنكتفى بانه جعل الخلافة علماً هومسهاها فاذا قيل لنا ان الامر الفلائي حصل في ايام الخليفة نفهم انه حصل في خلافة هارون الرشيد ويما يحكى عنه انه كان بينه وبين شرلمان ملك فرنسا في ذلك العهد صداقة وولاء



وانه اهدى اليه اشياء كثيرة من اعمال الشرق منها الساعة الشهيرة المكتوب عليها بالحروف المكوفية . وهذه صورة النقود التي ضربت في ايام الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩١ هـ (انظر ش ٣٤)

ش ٣٤ – نقود هارون الرشيد



خلافة محمد الامين

من سنة ١٩٨ — ١٩٨ هـ او من ٨٠٩ ـــ ١٩٣ م

وفي يوم وفاة الرشيد خلفه ابنه محمد الامين اما المأمون فكان ابوه قبل وفاته قد وهبه جميع حلله واسلحته الخصوصية وولاه خراسان بما فيها من العدة والرجال وان يكون عليها حاكماً مستقلاً عن اخيه الامين . فالامين عند استلامه زمام الخلافة انكر على اخيه وصية ابيهما ولم يسلمه شيئاً مما له الحق يه ويقال ان كل ذلك كان بدسيسة الفضل بن ربيع . فتنافر الاخوان والامين اشدهما ضغينة فارسل الى المحبة فأتى بالسكتابين الذين جعلهما الرشيد هناك بيعة الامين والما مون فاحرقهما الفضل وجعل

ولاية العهد لموري بن الامين فلم يبق بعد ذلك باب للمصالحة ببن الاخوين. وكان الامين محباً للهوو معاقرة الحمرة. اما المامون فكان متيقظاً يتحين الفرص فدعا الى مبايعتمه بخراسان فالتف حوله حزب كبيريد عون الى نصر ته الرؤافيه من العدل وكرم الاخلاق شم جعل المامون يجمع قواته ويستنصر دعاته واتحد معه هرثمة بن اعين الذي كان اميراً على مصر قبل ذلك الحين فعظم الامر على الامين فولى حاتم بن هرثمة على مصر سنة على مصر قبل ذلك الحين فعظم الامر على الامين فولى حاتم بن هرثمة على مصر سنة المون

وفي سنة ١٥٩ ه انفذ الامين جيساً فيه اربعون الف مقاتل الى خراسان لمقاتلة اخيه فلاقاهم طاهر بن الحسين قائد جند المأمون وارجعهم على اعقابهم فعظم المأمون في عيون المسلمين عموماً فبايعه اهل خراسان وتابعهم كثيرون و فلما رأى الامين ذلك ورأى ان تولية حاتم بن هرثمة على معمر لم تجده نفعاً عزله وولى جابر ابن الاشعث في السنة عينها و وابتني حاتم بن هرثمة في سفح جبل المقطم حيث القلمة الآن قبة عظيمة دعاها قبة الهواء بقيت الى انقراض دوله بني طولون وخراب القطائع وبعد تولية جابر على مصر اشتد ازر الامين وطمع بالفوز على اخيه فيد جنداً آخر مؤلفاً من ٤٠ الفا لمحاربته وجنداً آخر انفذه من جهة الحرى تحت قيادة عبد الله بن حميد بن قحطبة الذي كان ابوه اميراً على مصر في عهد ابي العباس و اما طاهر بن الحسين فسار لملاقاتهم ولم يبال بتلك الجيوش لكنه عبد ابتق بهم فتقدم الى الاهواز

وكان على مصر جابر بن الاشعث كما تقدم فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السري بن الحكم غضباً للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا المأمون في ٢٢ جادى الاخرة سنة ١٩٦ه ه. وقام في بغداد الحسين بن على احد سراتها ودعا الناس الى خلع الامين وتولية المأمون فاجابوه وبايعوا في ١١ رجب من تلك السنة . ووثب العباس بن عيسى على الامين ووالدته زبيدة واودعها السجن موثقين . ثم تمكن الامين ببهض الوسائط من تسلق كرسي الخلافة ثانية فبايعه من في بغداد فقط . اما خلافة المأمون فكانت على الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها ، وعقد على مصر لحاتم بن هرثمة بن اعين وارسل البها عباد بن محمد ومصر وغيرها ، وعقد على مصر لحاتم بن هرثمة بن اعين وارسل البها عباد بن محمد

وفي سنة ١٩٧ هـ حمل طاهر بن الحسين وهرئمة بن اعين على بغداد وحاصراها نحواً من سنة فضجر الاهالي وملوا من طول هذه المحاصرة وصاروا ينظرون لهما

نهاية فلم يروا لها حلاً الا يخلع الامين فخلعوه العرة الثانية ففرً وبعد قليل قبض عليه وقتل وجيء برأسه والخاتم والقضيب والبردة الى المأمون ولم يكن عمر الامين عند موته الا ٢٩ سنة و٣ اشهر و بضعة ايام ومدة حكمة اربع سنين وثمانية اشهر وثمانيسة عشر يوماً وكفّت بموته الحروب وحقنت الدماء

خلافة عبد الله المأمون

من ۱۹۸ - ۲۱۸ م او من ۱۹۸ - ۸۳۳ م

فبويع المأمون مبايعة قطعية في ٢٥ محرم سنة ١٩٨ ه يوم قتل اخيه الامين . فاستقدم عباد بن محمد الذي كان عينه نائباً في مصر وعهد امارتها الى المطلب بن عبد الله الخزاعي . وبعد اشهر قليلة أبدل بالعباس بن ،وسى بن عيسى الذي تولى على مصر ثلاث مرات في ايام هارون الرشيد فنولى صلاتها وخراجها . وفي سنة ١٩٩ ه تخلى العباس بن موسى عن امارة مصر فارسل المأمون عوضاً عنه المطلب بن عبد الله سلفه وبعد قليل أبدل بالسري بن الحريم . واخذت من ذلك الحين تنشر في المملكة الاسلامية الاان الايام تلد العجائب فنأتيك كل يوم بنباً جديد

فان العلويين سلالة الامام علي بن ابي طالب لم يكفوا عن المطالبة مجقوقهم في الخلافة فدعوا الناس الى مبايعة على بن موسى ، فلما علم المأمون بذلك وكان لا يزال في خراسان استشار وزيره الفضل بن سهل في الامر فنصح له ان يوصي بالخلافة في خراسان استشار وزيره الفضل كان شيعياً . الا ان تلك السياسة لم تفد الا زيادة الخرق اتساعاً فتضاعف التمرد ونحت الاحزاب وقد شق ذلك خصوصاً على بني العباس لانهم رأوا الخلافة قد خرجت من ايديهم الى العلوبين فشاروا في بغداد سنة العباس لانهم رأوا الخلافة قد خرجت من ايديهم الى العلوبين فشاروا في بغداد سنة سخورة شفت عن خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن الهدي . اما سطوته فلم تتجاوز سور بغداد لانه لم يكن اهلاً للاحكام فارت قواه دون ذلك فعجز الذين اقاموه عن استبقائه اكثر من سنة وبضعة اشهر فشازل عن الخلافة سنة ٢٠٣ ه وفر هارباً فعاد الأمون الى بغداد في سنة ٤٠٠ ه فدخلها في حلة خضراء علوية و بعد اسبوع عادت الجنود الى الملابس السوداء العباسية

وفي هذه السنة توفي الامام محمَّد بن ادريس الملقب بالشافعي صاحب المذهب الشافعي

وكانت وفاته في الفسطاط ولم يبلغ من العمر اكثر من ٥٤ سنة . وتوفي ايضاً السري البن الحكم امير مصر واقيم مقامه محمد بن السري بمبايعة الجند له بقطع النظر عن اوامر الخليفة بهذا الشأن . وفي سنة ٢٠٧ ه توفي طاهر بن الحسين رئيس قواد الأمون في مرو عاصمة خراسان وكان قد اقامه المأمون هناك حاكماً فقدم ابنه عبد الله ابن طاهر الى مصر واقام في بلبيس

ونظراً لما بين مصر ودار الخلافة من بعد المسافة اصبح الناس لا يعبأون بالاوامر التيكانت تأتيهم منها . وزد على ذلك ان الدولة اصبحت في ضعف شديد لما كان يهددها من تمرد عمالها واحتقار رعيتها لها ولا سيما الصريين فانهم كانوا لا ينفكون عن خرق حرمتها ومخالفة اوامرها حتى عقدوا لعبد الله بن السري عليهم بمبايعة الجند كما تقدم وما زالوا على ذلك نحوا من خس سنوات . وفي سنة ٢١١ ه محصن عبد الله بن طاهر في بلبيس فالنفت عليه عصبة من اهلها وبايعوه فاستفحل امره فسار الى الفسطاط في وبيع الاول من تلك السنة وانزل عبد الله بن السري وجعل على الفسطاط عباد بن ابراهيم . وفي سنة ٢١٢ ه ابدل عباد بعيسى بن يزيد الجلودي

وفي سنة ٢١٣ ه انفذ المأمون الى عبد الله بن طاهر ان يقف عند حده وينسحب من مصر وعقد على مصر وسوريا لاخيه المعتصم واعطاه خمسائة الف دينار وام عثل هذا المبلغ هبة لعبد الله بن طاهر للتعيش . ويقال انه امر بمثل ذلك ايضاً لابنه العباس . فيكون جملة ما اخرج من خزينته في يوم واحد مليوناً وخمسائة الف دينار وهذا منهى السخاء

واستخلف المعتصم عمير بن الوليد التميمي على الصلاة في ١٧ صفر نخرج ومعه عيسى الجلودي لقتال اهل الحوف وكانت بينهم معارك عظيمة قتل فيها عمير فاستخلف مكانه عيسى الجلودي فحارب اهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم في رجب واقبل المعتصم الى مصر في اربعة الاف من اتراكه فقاتل اهل الحوف في شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط في ٢٧ منه وقتل اكابر الحوف ثم خرج الى الشام في اول محرم سنة ٢١٥ ه في اتراكه ومعه جمع من الاسارى في حر وجهه شديد ، وولى على مصر عبدويه بن في اتراكه ومعه جمع من الاسارى في حر وجهه شديد ، وولى على مصر عبدويه بن جبلة على الصلات نفرج اهل الحوف في شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر . بهم ، ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الى مصر في ٣ ذي الحجة ومعه على بن عبد العزيز الجروي لاخذ ما له فلم يدفع اليه شيئاً فقتله وصرف عبدويه ، وخرج الى برقة وولى عيسى بن منصور الرافعي فولي من قبل المعتصم اول سنة ٢١٦ ه على الصلاة فانتقضت عيسى بن منصور الرافعي فولي من قبل المعتصم اول سنة ٢١٦ ه على الصلاة فانتقضت

مصر السفلي عربها وقبطها في جمادى الاولى واخرجوا العال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة في منتصف جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فاوقها بالقوم واسرا منهم وقتلا ، ثم رجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى ان قدم الخليفة عبد الله المأمون في ١٠ محرم سنة ٢١٧ ه فسخط عكى عيسى وحل لواءه واخذه مبله البياض عقوية له وقال له « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عالك حملتم الناس ما لا يطيقوث وكشمتم الخبر حتى تفاقم الام واضطر بت البلاد » ثم ولى كيدر الصفدي بالنيابة عن المعنصم

وسبب قدوم الخليفة الى مصر انه كان عائداً من محار بة الروم فرأًى الله يمر : صر لمراقبة شوُّ ونها وكان تلقاً عليها لما بلغه من تمرد اهلها ونقض عالها فدخلها وجعل بمر بقراياها بشفقد احوالها . و يقال انه كان ببني له في كل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر حوله وكان يقيم في القرية يوماً وليلة . و بلغ الفسطاط في يوم الجمعة ٩ محرم سنة ٢١٧ه وما زال يتحرى أصول الفساد و يقتلعها الى ان برح مصر في آخر صفر من تلك السنة قاصداً دمشق

ولم يفتر المأمون في اثناء تجواله بمصر عن تنظيم احوالها واصلاح داخليتها وتأبيد محالسها واحكامها وامر بثرميم مقياس النيل الذي بناه اسامة في الروضة وبناء جامع فيه ومقياس اخميم آخر في بنبذودا (الصعيد) وترميم مقياس اخميم

و بعد ان برح المأ مون مصر بلغه ان الدواوين في مضر سارت على خطة لا يرضاها من حيث قبول الزيادات وفسخ عقود الفهانات وانتزاعها بمن كابد المشقة والثعب في اصلاحها واسهادها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا نصب ، فلما علم بذلك انكره ومنع ارتكابه واصدر اوامره الصارمة باعفاء الكافة اجمعين والضمناء والعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه و يستولون عليه ما داموا مغلقين و باقساطهم قائمين و تضمر ذلك منشور قرىء على الناس ينبههم فيه الى ما جاء في الكثاب العزيز « يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود »

وفي ١٩ رجب سنة ٢١٨ ه توفي الخليفة المامون عَلَى اثر حمى حادة عَلَى نهر البذندون في سليسيا ودفن في طرسوس وعمره ٨٨ سنة و بضعة اشهر ومدة خلافث. عشرون سنة وخمسة اشهر و ١٣ يوماً

أَمَا آ ثَارِ المَّامُونَ فَاجِلِ آ ثَارِ الخَلْفَاءُ لانهَا تَدَلَّ عَلَى مَا بَلْغَهُ العَلْمُ وَمَا بَلْغَت اليه الصناعة من السعة والانقان . وقد كان لشدة تعلقه بالعلم والصناعة يتعاطاها بنقسه و يأخذ بناصرهما

وكان يبذل النفس والنفيس في سبيل تقدمها ولولاه لفات العرب كثير من المؤلفات التي كتبت بالفارسية او السريانية او اليونانية او الهندية او اللاتينية فهو الذي سعى في نقل اكثرها الى اللغة العربية ونشط رعيثه لمطاامتها والاستفادة منها ، ولا يقتصر فضله من هذا القبيل عَلَى ابناء اللغة العربية فان اهالي اوروبا عمومًا مدينون له لانه حفظ لهم كتابات كثيرة يونانية ولاتينية لولا نقلها الىالعربية وحفظها فيها لازالثها يد الزمانكما ازالت غيرها مما نسمع به ولا نراه . وكان كلفًا بمجالسة العلماء والحكاء لا يخلو مجلسه منهم ولم يكن يقتصر عَلَى العلماء من شعبه وملته لكنه استدعى اليهجماعة من علماء النصاري واليهود واليونان والفرس حتى المجوس والهنود وقر بهم منه ولم يفرق ببن احد منهم بالاكرام والسخاء . وكان اذا صرفهم انما يصرفهم مثأسفًا عَلَى مفارقتهم وهم اشد اسفًا منه على ذلك لانهم كانوا يرتاحون الى مجالسته لما كانوا يشمثعون به من لطفه ودعته

والفلسفة العقلية وغيرها . منهم احمد بن كثير الملقب بالفرغاني وعبد الله بن سهل ومحمد بن موسى وماشاء الله اليهودي و يحيى بن ابي المنصور وقد اقام بواسطتهم الارصاد الكثيرة -وكان عالمًا بالفلك فكان يعاونهم بالرصد احيانًا في مرصد الشماسية قرب بغداد واحيانًا في المرصد عَلَى جبل قيسون قرب دمشق . ومن الاطباء الذين كانوا يجالسونه سهل بن سابور وجبرائيــل الذي بحث في الرمد عَلَى الخصوص ويوحنا بن البطريق الملقب بالترجمان لانه

ترجم الكتب الطبية من اليونانية الى العربية (١)

فني خلافة المامون وأُ بيه بلغت دولة العباسيين مجداً عظيماً واتسع نطاق مملكتهم فبلغت حدود الصين شرقًا فاستولوا عَلَى الهند ومنها شمالًا الى السواحل المتجمدة من البحر الشمالي الى اقصى عشائر الاتراك وساروا في بلاد البونان الى البوسفور ومن الجنوب الى جبال الحيش العليا الوعرة المسلك الى القبائل البربرية في داخلية افريقيا ومن الغرب الى الجزائر فطرابلس الغرب ومنها شمالاً في اروبا الى ما وراء الاندلس في ارض فرنسا. فكانت حدود تلك المملكة تلاطها امواج الاوقيانوس الاتلانتيكي غربًا والاوقيانوس الهنـــدي والعربيه جنوبًا و بِكاد عسمًا الاوقيانوس المنجمد شمالاً . الا انها قبل وفاة المامون اخذت بالانقسام عَلَى نفسها فانحطت شوكتها وابتدأ ذلك في غربيها فانفصلت عنها الاندلس واستقلت بنفسها من زمن المنصور وتوليها دولة اموية جديدة . وتمرد طاهر بن الحسين في خراسان (قبل وناته) فشق عصا الطاعة واستقل بالحـــكم نففسه وجعابه ارثًا لنسله

⁽١) راجع الجرء الثالث من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي

من بعده بالاستقلال الثام عن بغداد وتعرف دولتهم هذه بالدولة الطاهر بة ومشل ذلك فعلت اكثر الامارات اقتداء بن سار امامها فطابت كل منها استقلالها . اما مصر فقد كانت مقطعة للعنصم وظلت تابعة لخلافة بغداد . وهي لم تبق الا لطمع العنصم بالخلافة بعد المامون

خلافة محمد المعتصم

من ۲۱۸ ـــ ۲۲۷ هـ او من ۷۴۳ ـــ ۸٤۲ م

فلما توفي الخليفة المامون خلفه اخوه محمد المعتصم بن هارون الرشيد الثالث في ١٨ رجب سنة ٢١٨ ه وهو اول من اتخذ لفظ الجلالة في لقبه فلقب نفسه المعتصم بالله وكان قد اقر امارة مصر لكيدر الذي كان نائباً عنه فيها ثم كتب اليه يامره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم . فني شهر ربيع آخر سنة ٢١٩ ه توفي كدر وتولى مكانه المظفر بن كيدر . وفي سنة ٢٢٠ ه توفي المظفر وتولى مكانه موسى بن ابي العباس الملقب بالشيباني و بلقيه آخرون بالشامي . وفي سنة ٢٢٤ ه استدعي موسى من مصر فاستخلف مالكاً الذي يلقيه بعضهم بالهندي والبعض الآخر بالكندي وهو ابن كيدر المنقدم الذكر . وفي سنة ٣٠٥ ه عزل مالك وعهدت ولاية مصر بامر الخليفة الى ابي جعفر اشناس وهو آخر من ولي مصر بامر المعتصم

وفي سنة ٢٢٧ ه اصيب الخليفة المعتصم بحمى في سامرًا وفي ١٨ ربيع اول من تلك السنة توفي . ومن الغريب ما لهذه الخليفة من الحظ في الرقم (٨) فان بينه و بين ابي العباس اول الخلفاء العباسيين ثمانية اعتماب وولد في شعبان وهو الشهر الثامن من السندة القمرية وهو الخليفة الثامن من بني العباس وتولى الخلافة سنة ١١٨ وسنه ٣٨ سنة وثمانية اشهر ومدة حكمه ٨ سنين و٨ اشهر و٨ ايام وتوفي في ١٨ ربيع في السنة الثامنة والاربعين من عمره وترك ثمانية اولاد ذكور وثماني اناث وحضر ثماني مواقع حربية واخيراً وجد في خزينته عند موته ثمانية ملابين من الدئانير وثمانون الف درهم وقد قيل انه بناء على هذا الاتفاق الغريب دعي « بالمشمن »

وقد كان هذا الخليفة نقطة ابتداء تقهقر دولة العرب ولعله كان السبب في ذلك التقهقر لانه كان ضعيف السياسة بعيداً من الفضائل والاداب امياً لا يعرف الكثابة لكنه كان قوي البدن يحمل ما وزنه الف رطل (ليبرا) ويمشي به خطوات وكان مع ذلك شجاعاً ومحباً على نوع خصوصي للحرب ولاقتناء الاسلحة والخيل الجياد والعساكر المنظمة وهو اول من جند الاتراك واستعان بهم في الحرب



وهذه صورة التقود التي ضربت في عهد الخليفة المعتصمسنة ٢١٩ للمجرة او ٨٣٤ للميلاد (انظر شكل ٣٦)

ش ٣٦ ــ نقود المنتصم بالله

and the state of t

مبدأ الدولة الطواونية

ان الامة العظيمة التي يدعوها بعض المؤرخين تركية و بعضهم تتربة وفيها شعوب التركيان والمغول والتترتشفل بقعة من الارض في اسيا الشهالية تمسد من نهر جيحون الى حدود الصين ويحدها شالاً الاوقيانوس المتجمد ، ونظراً لما بينها و بين شبه جزيرة العرب من الابعاد والجبال والاودية والانهار بما لا يسهل تخطيه كانت في مأمن من غزوات العرب وفتوحهم وفي غنى عن معاهداتهم او غير ذلك مما يستدعي ارتباطها الواحدة بالاخرى ، الا ان الشعوب التركية اخذت من عهد الخلفاء الراشدين في غزو بلاد التترتما يلي بلادها والعرب ايضاً كانوا يفعلون مثل ذلك مما يلي ولاياتهم وما زالوا يفتحون فيها حتى بلغوا حدود تركستان وما وراءها فافضي الامر الى تزاحم هاتين الامتين فننازعنا فقامت الحرب ينهما سجالاً مدة طويلة في اماكن مختلفة وكان الاستئسار بينهما مثبادلاً فكان العرب يرسلون باسراهم من الترك الى بلاط الخلافة بمثابة الجزية لاستعالم في منازل المخلفاء وكبار الامراء و بدعونهم بالماليك

والماليك الذين كانوا في دور الخلفاء كانوا بمتازون غالبًا بالقوة البدنيه والعقلية وكانوا يتقر بون من اسيادهم شيئًا فشيئًا حتى استخدموهم في بلاطهم

وقد كان الماليك في باديءُ امرهم في ظلمات من الجهل الهمجية وعَلَى ابعاد من

الفضيلة وشعائر الدين لايمر فورف القراءة لكنهم بمخالطتهم الامراء ورجال الدولة اصبحوا على جانب من التهذيب والاستنارة لاعتناقهم الديانة الاسلامية ثم تدربوا شيئاً في شؤون الدولة فبرعوا في السياسة وتدبير الاحكام وادارة الاعمال فعظموا في عين الخلفاء فلما كثر تمرد ولاة الامصار صار الخلفاء يعهدون اليهم ولاية الامصار فكثر انصارهم فاقاموا لهم احزاباً من ابناء البلاد يتجدونهم عند الحاجة ، ولم يكن ذلك كل ما فعله الخلفاء لكنهم كانوا ببذلوث المبالغ الوافرة في ابتياعهم ينتقون منهم الممتازين جمالاً وقوة وذكاء ليدخلوهم في خدمتهم الخياصة ، ومن ذلك مافعله الخليفة المعتصماذ رغب في تعزيز حاشيته فابتاع من أولئك المهاليك الوفا فوق ماكان عند ممنهم وامر بتدريبهم على استعمال السلاح والحاقهم بالجيش ليختار منهم متى شاء من يصلح البطانته فيكبرت نفوسهم وجعلوا يعيثون فيمن حولهم فكثرت التشكيات في حقهم وكثر الهرج في بغداد حتى اضطر المعتصم الى بناء مدينة سامراً الاقامته معهم

وكان للمعتصم بالله بطانة من الماليك عليهم رئيس يقال له ه طولون » من قبيلة الطغرغراحدى الاربع والعشر من قبلة التي تتألف منها تركستان وكانت عائلته مقيمة في جوار بحيرة لوب في بخارا الصغرى فأسر في احدى المواقع الحربية وجيء به الى ابن اسد الصهمي وكان من عمال المأمون بدفع له جزية سنوية من الماليك والخيول التركية واشياء اخرى فني سنة ٢٠٠ هكان طولون في جلة من ارسلهم ابن اسد من الماليك وكان متناسب الأعضاء قوي البنية فاعجب المأمون يه فالحقه بحاشيته وما زال يراقبه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر . وهذا المنصب لم يكن يناله الا من كان المخليفة ثقة خصوصية بامانته واخلاصه ليكون محافظاً على حياته الشخصية . وبعد ان صرف طولون نحواً من ٢٠ سنة في هذا المنصب في ايام المأمون والمعتصم اصبح ذا عائلة والاد منهم احمد الذي لقب بعد ذلك بابي العباس وهو مؤسس الدولة الطولونية ، ولعدان ولد في بغداد وقال آخرون في سامرا سنة ٢٢٠ ه من والدة تركية تدعى قاسمة ويدعوها بعضهم هاشمة كانت في عاد السراري . وقال آخرون انه ابن المهلبي خادم طولون وان طولون وان طولون رباه صغيراً والله اعلم



خلافة الواثق بن المعتصم

من سنة ٢٢٧ ـــ ٢٣٢ هـ او من ٨٤٧ ـــ ٧٤٨ م

وقبل ان يترعرع احمد بن طولون توفي المعتصم بالله وبويع ابنه هارون ابوجعفر فلقبوه بالواثق بالله وفي السنة الاولى من خلافته عزل القسم الاعظم من ولاة الامصار واصحاب المناصب الذين كان قد ولاهم ابوه وكان في نيته اقالة اشناس من امارة معمر لكنه لم يكه يفعل حتى توفي اشناس في الفسطاط سنة ٢٢٨ ه فأقام مقامه على بن يحيى الاروي وبعد نحو سنة ابدل بعيسى بن منصور المرة الثانية . وفي سنة ٢٣١ ه توفي الخليفة الواثق بالله في ٢٤ ذي الحجة وسنه ٣٤ سنة وودة حكمه ٥ سنواث و٩ اشهر و١٣ يوماً

خلافة المتوكل بن المعتصم

من ۲۳۲ ـــ ۲٤۷ ماو من ۸٤٧ ـــ ۲۳۲ م

وعند وفاة الخليفة تواطأ وزيراه احمد بن ابي داود ومحمد بن عبد الملك الملقب بالزيات مع واصف التركي رئيس الحجاب على ان يبايعوا محمد بن الواثق ويلقبوه بالمهتدي بالله الاهم رأوا سنه لا يجنز له تعاطي الاحكام فعدلوا عنه الى جعفر بن المعتصم فبايعوه والقبوه بالمثوكل على الله . وقد كان الواثق والمتوكل اخوين من اب واحد ووالدتين والدة الاول جارية يونائية تدعى قراطيس ووالدة الثابي جارية تركية تدعى سرجه

وفي سنة ٢٣٧ ه عقد المتوكل على مصر لهرثمة بن نصر الجبلي وفي السنة التالية ابدله بابنه المنتصر بن المتوكل وسنة ٢٣٤ ه تولاها حاتم بن هرثمة . وفي ايامه ثارت البيجة في النوبة بعد ان كانوا عاهدوا المأمون على الصاح فانفذ المتوكل لحربهم محمد ابن عبد الله فخرج البهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة على المراكب في النيل فاجتمع البجة في عدد عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فبعث البهم محمد بن عبد الله كتاباً لفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي اعناق الخيل الاجراس فانزعرت جمال البجة ولم تثبت امام صلصلة الاجراس فركب المسلمون اقفيتهم واثخنوا فيهم وقتلوا كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث يطلب الهدنة

فصالحوه على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل وصولح على اداء الادوات والبقط واشترط عليه ان لا يمنع المسامين من العمل بالمعدن

وفي تلك السنة ابدل حاتم بنهرثمة بعلي بن يحيي الارمني (ثانية) وفي سنة ٢٣٥ ابدل هذا باسحق بن يحيي الجبلي وفي هــده السنة اوصى المتوكل بالخلافة بعده لابنه المنتصر وبعده لابنه الثاني المعتر بالله وبعد هذا لابنه الثالث المؤيد بالله وجعل مملكته حصصاً فولى المنتصر افريقية وكل المغرب من العريش الى آخر حدود المغرب بما فيه مصر واضاف الى ذلك قنسربن وسوريا وبين النهرين وديار بكروالموصل وكل البقاع التي يرويها دجلة ومكة والمدينة واليمين وحضرموت والبحرين والسند وسامرا والكوفة وكل توابعها . وولى المعتز خراسان وطبرستان وفارس وارمينيا واذربايجان وولى المؤيد دمشق وحمص والاردن وفلسطين . أما المنتصر فلم يقنع بما قسم له وطمع بتو ابته الخلافة قبل وفاة ابيه فاخذ يسعى في خلعه

وفي سنة ٢٣٦ هـ اقيم على مصر خوط عبد الواحد بن يحيي وفيسنة ٢٣٨ هـ ابدل بعنبسة بن اسحق وفي سنة ٢٣٦ ﻫ أمر المتوكل ببناءحصن في مدينة الفرما وحصون أخرى في دمياط وتنيس وتولى بناءها عنبسة وانفق عليها ا.والا طائلة وقاية من غزوات الروم اكنهم لم يكادوا يتحصنون حتى هجم الروم على دمياط وملكوها ومرخ فيها وقتلوا جمعاً كثيراً من المسلمين وسبوا النساء والأطفال واهل الذمة فلمساعلم بذلك عنبسة ركب اليهم يوم النحرفي جيشه ونفركثيرمن الناس فاخبروه ان الروم قلا ساروا الى تنيس وتحصنوا في اشموم فلم يتبعهم عنبسة فكتب يحيي بن الفضل الى الخليفة المتوكل على الله رسالة فيها هذه الابيات

أترضى بان يوطأ حريمك عنوة وان يستباح المسلمون ويحربوا حمار اتى دمياط والروم وثب بنانيس راي العين منه وأقرب مقيمون بالاشموم يبغون مثاما امابوه من دمياط والحرب ترتب فما رام من دمياط شبراً ولادرى من العجز مايأتي وما يتجنب فلا تنسا أنا بدار مضيعة بمصروات الدين قد كاديدهب

وفي ٢٠ رجب سنة ٢٤٢ ه سار المنتصرالي ابيه في سامرا واخذ يسعى بالدسائس والتواطؤ مع المفسدين على ابيه واستخلف على مصر يزيد بن عبد الله . وفي سنة ٧٤٥ ه خراج يزيد بن عبدالله الى دمياط مرابطاً ثم رحل فبلغه نزول الروم في الفرما فرجع اليها فلم يلقهم . وفي سنة ٢٤٧ ه بني مقياس النيل في جزيرة الروضة وكان قد

سقط بزلزلة فاعاد بناءه فعرف من ذلك الحين بالمقياس الجديد أو الكبير وهو المقياس الباقي هناك الى هذه الغاية . وجرت على العلويين في ايام يزيد شدة . هذا ما كان من امريزيد

اما المتوكل فني سنة ٢٤٣ ه انتقل الى دمشق على نية ان يتخفها مستقراً الى حين فتبعه المنتصر وما زال ساعياً بالمفاسد توصلا الى بغيته حتى سنة ٢٤٤ ه اذ قارب الفوز بغرضه الوخيم فثارت عصبة من الاتراك المجندين في دمشق على الخليفة بدعوى تأخر دفع من تباتهم وكان ذلك بدسيسة المنتصر فتلافى الخليفة الشر بدفع المتأخر لهم وبرح دمشق عائداً الى سامرا . وفي سنة ٢٤٧ ه علم الخليفة بمقاصد ابنه فأمر به اليه فو بخه على مسمع من الناس . وفي يوم الاربعاء الرابع من شوال من السنة المذكورة ذبح المتوكل على فراشه في منتصف الليل بيد احد ضباط الحرس التركي المدعو بغا

الصغير بدسيسة المنتصروكانسن المتوكل عند موته 13 سنةومدة حكمه ١٤ سنة و١١شهر و٣ ايام. وهذه صورة النقود التي ضربت في عهد المتوكل على الله سنة ٢٤٥ ه (انظر شكل ٣٧)

ش ٣٧ __ نقود المتوكل على الله

خلافة المنتصرين المتوكل

من سنة ٢٤٧ — ٢٤٨ هـ أو مِن ٢٦٨ ـــ ٢٢٨ م

فاستوى المنتصر على منصة الحلافة قبل ان تفارق اباه رجفة الموت فاما استتب له الملك حدثته نفسه ان يحرم الحويه مما لوصى به ابوه لهما على مامر بك . فحملهما سنة لا الملك حدثته نفسه ان يوقعا على صك بحرمانهما من الحلافة ومما اوصى لهما به ابوهما من المحلافة ومما اوصى لهما به ابوهما من المدن . وساعد المنتصر على ذلك وصيف التركي وشركاؤه بقتل المتوكل مخافة ان يلقوا جزاء مافعلته ايديهم اذا وصلت الحلافة الى احد الاحوين . على ان حياة المنتصر لم تكن اقصرها تستحق كل هذه الاحتياطات لانه اصيب بعد توليته بايام بداء اعيا الاطباء وما زال حتى ذهب بحياته وهو يتقلب على مثل جمر الغضا من الالم

خلافة المستعين بن محمد

من سنة ۲۶۸ ــــ ۲۵۲ هاو من ۸۶۲ ــــ۲۶۸ م

وبعد وفاة المنتصر تشاور وصيف التركي وبغا الصغير وبغا الكبير والوزراء والاعيان فيمن يجب ان يكون الخليفه عليهم فاجعوا على حرمان ابناء المتوكل ووقع اختيارهم على أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه يوم وفاة المنتصر ولقبوه بالمستعين بالله ، ولم يكد بتم ذلك حتى قامت عصبه يريدون استخلاف المعتر بالله الا أنهم كانوا نفراً يسيراً فتفرقوا ولم تكن النتيجة الا القبض على ولدي المتوكل وسجنهما

احمد بن طولون

ومن ذلك الحين اخذ نجم أحمد بن طولون بالظهور في افق الاعمال السياسية فتوفي والده سنة ٢٣٩ ه وهو لم يبلغ التاسعة عشرة من العمر وكان ذلك في أيام الخليفة المنتوكل في الثماني السنوات الاولى فراى في احمد اللياقة ليخلف اباه على امارة الستر. وكان احمد قد تعلم و تربى تربية حسنة وكان تقياً رضي الخلق كريم النفس لين العريكة مع اقدام و بسالة وعلم بالسياسة وكان مغرماً بمطالعة الحديث فاكتسب شهرة بالتقوى والعدالة فاحبه جميع الضباط الاتراك الذين كانوا في بلاط الخليفة وفيهم احد كبرائهم برقوق فازوج احمد ابنته فجاءه منها غلام دعاه عباساً

ومن الغريب أن أحمد بن طولون شب بين الدسائس والمفاسد ولم يصب اليها ولم تحدثه نفسه يو ما باتباعها بلكان يمجها وينفر منها . أما آدابه ومعارفه فكانت تتسعيوميا بالاختبار والمراقبة فقد كان على كثرة شواغله لا يترك فرصة تفو ته في توسيع دائرة علمه فكان يسير من وقت الى آخر الى ترسوس في اسيا الصغرى للتعلم في مدارسها وكان لشدة كلفه بالعلم كلفا بالعلماء . فالتمس من عبيد الله بن يحيى رئيس وزراء الخليفة اذنا بالتوجه الى ترسوس لملازمة دروسه فاذن له مع استبقاء مركزه ولقبه ومرتباته كالعادة فسار اليها ثم دعته والدته ان يأتي اليها فجاء سامرا في خلافة المستعين بالله غير عالم بشيء مما حصل في غيابه من قتل المتوكل وتولية المنتصر

ويبيماكان عائداً من ترسوس هذه المرة وسنة ١٩ سنة هجم بعض اهل البادية على الركب الذي كان هو برفقته يريدون سلبه وفيه مايساوي مبالغوافرة كلها محمولة الى الخليفة المستعين بالله فخافت حامية الركب وكاد اللصوص يظفرون فدفعهم أحمد بعزم شديد واعادهم على اعقابهم القهقرى . فلما بلغ الركب سامها اخبروا الخليفة

بما كان من بسالة ابن طولون فنفحه بجائزة الف دينار وأنزله منزلة الامراء ووهبه احدى جواريه واسمها مية وهي التي ولدت له ابنه الثاني « خمارويه » سنه ٢٥٠ ه وهي اول سني ظهور نجمه

وفى اثناء ذلك ثارت عصبة كبيرة تريد خلع المستعين وذلك أن المهاليك الاتراك الذين كانوا يخدمون فى بلاط الخلفاء وجندهم على ماتقدم كانوا يزدادون عدداً وقوة منذ أيام المعتصم لتقابهم فى المنساصب العالية فامسوا وفى ايديهم ازهة الدولة يديرونها كيف شاؤا. وقد كانوا قبل وفاة المتوكل يقتنعون بعزل وتولية الامراء والوزراء وقتل من شاؤا عن ليس على غرضهم لكنهم بعد ذلك لم يعد يرضيهم الا التداخل في عزل الخلفاء وتوليتهم. فكانوا اذا لم يعجبهم خليفة سعوا فى استبداله فيستنجدون احزابهم وينفذون ما ربهم. وقد كانت تولية المستعين بالله بمساعي بعض كبراء الحرس الخاص فاستاء البعض الآخر وجعلوا يسعون فى خاعه نفلعوه سنة ٢٥٧ ه بعد ان تولى امر ها ثلاث سنوات و ٨ اشهر

خلافة المعتزين المتوكل

من سنة ٢٥٢ - ٥٥٠ هاو من ٢٨٦ - ٢٨٩ م

وبعد خلع المستعين بايعوا ابن عمر المعتز بالله وهو ابن المتوكل على الله واخو المنتصر وكان محروماً من حقوق الخلافة منذ قتل ابيه وعمره اذ ذاك ١٨ سنة وبضعة اشهر. وكان بعد النفي فرَّ من سجن سامرا مع اخيه المؤيد بالله قد اعادهما ابن عمهما المستعين الى القيود. فالاحزاب التي قويت بعد ذلك وخلعت المستعين لم يكن لها دخل في قتل المتوكل فحلوا قيود المعتز وبايعوه يوم الجمعة في ١٤ محرم سنة ٢٥٢ ه وجاوًا الى المستعين واجبروه على ان يتنازل ففعل فنقلوه الى قلعة وجعلوا عليه حراساً ثم ارسلوه الى واسط في سرب تحت قيادة احمد بن طولون فقتل في الطريق. ويقال ان الحاجب سعيداً هو الذي قتله بناء على اواس سرية من المعتز بالله . وقال البعض ان الحمد بن طولون هو الذي فعل ذلك بيده . غير ان الجمهوراً جمع على تبرئته من هداه التهمة الفظمة

والاظهر ان الاحزاب التي دعت الى خلع المستعين واجباره على الاستقالة امروا البعاده الى واسط ولم يريدوا ان يصحبه الا من لا يرتاب احد في امانته له واخلاصه

فلم يجدوا انسب من ان طولون وكان الى ذلك العهد مكتسباً ثقة الطرفين فعهدوا اليه تلك المهمة فقام بها حق القيام . ثم ان الاحزاب في سامرا مع فوزهم بخلع المستعين وتوليسة المعترز اوجسوا شرًّا من بقاء الاول في قيد الحياة فاوعزوا الى الثاني ان خلافته لا ترسخ الا بقتل المستعين . فكتبت فتيحة ام المعترز الى احمد بن طولون وهو في طريقه الى واسط تحثه على قتل المستعين وتعده بولاية واسط مكافأة له فرفض ذلك احمد بنفس ابية فارسلت حاجباً يدعى سعيداً وبيده اوامر الى احمد بن طولون مؤذنة بتسليم المستعين الى سعيد وعود احمد الى سامرة فاذعن احمد الى الاوامر فسلم المستعين الى سعيد . فسار به في الصحراء ثبعاً للاوامر السرية التي كانت معه وذبحه في فسطاطه وعاد برأسه الى المعتر ورمى به الارض بين اقدامه

اما احمد بن طولون فدخل الى خيمة المستعين بعد ذهاب سعيد فرأى الجئة بلا رأس فعلم الدسيسة وتكدر من هذا الفعل الوحشي الذي قضى بقتل البرئ من هم الى الجئة فغسلها وكفنها ونقلها الى سامرا حيث صلى عليها ودفنت . وقد قال احمد بن طولون عند استيلائه على مصر وسوريا ما مفاده « و عدت بولاية واسط على ان اقتل المستعين فابيت محافظة على القسم الذي قسمته وما زلت في تقوى الله وقد كافأني من فضله بولاية مصر وسوريا ولا يفلح الظالمون >

وكانت مصر في اثناء جميع هذه الحوادث ينتاجها ما ينتاب غيرها من الامارات الاسلامية . فان يزيد بن عبد الله الذي كان استخلفه المنتصر على مصر اصبح عليها الميراً عند ما صار المنتصر خليفة . و بقي يزيد قائماً باعباء مصلحته طول مدة خلافة المستمين بالله . أما المعتز بالله فبعد ما جلس على دست الحلافة عزله في ٣ ربيع اول سنة ٣٥٧ هر وولى من احم بن خاقان من اعيان الاتراك الذين ساعدوه في حصوله على الحلافة . ومن اعماله انه اكثر من الايقاع بسكات النواحي وولى الشرطة ارجوز فنه النساء من الحمامات والمقابر وسيحن الؤنثين والنوائح . وفي رجب منها منع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع . ولم يزل اهل مصر على الجهر بها في الجامع منه الاسلام الى ان منع منها ارجوز . واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك وجلا الاسلام الى ان منع منها ارجوز . واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك وجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وامر اهل الحلق بالتحوق عن القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التي يستند اليها ومن الحصر التي كانت للمجالس في الجامع وامر ان تصلى التراويح في رمضان خس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها سنا الى وامر ان تصلى التراويح في رمضان من الشوب وامر بالاذان في يوم الجمعة في مؤخر المسجد وان

للمس بسلاة الصبح ونهي أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجه أو يحلق شعر أو تسيح امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه ، وفي ه محرم سنة ٢٥٤ ه توفي مناحم فتولى أبنه احمد بن مزاحم . وفي تلك السنة استقال هذا فعين المعتز مكانه بأكباك احد كبار الاتراك ، وكان هولاء يتولون الامارات اسماً بلا رسم لانهم لم يكونوا يبرحون مجلس الخليفة . أما الاحكام في الامارات فكانت موكولة الى نواب يعهدون اليهم امرها ، وكان عدد مثل هؤلاء النواب في مصر يكثر احياناً فقد يكون منها نائب في الفسطاط وآخر في الاسكندرية وآخر في الصعيد الح . وكان يستبد احدهم بالاعمال العسكرية والآخر بالاعمال الادارية والآخر بالقضاء وهكذا ، ونظراً لما كان لاحمد بن طولون من السمعة الحسنة انتخب أيا كباك التقدم ذكره وجعله قائداً للقوة العسكرية في الفسطاط . أما الادارة المالية او الخراج فعهد بهما الى احمد بن المدبر ودعاه مفتش الخراج

ابن المدير

وابن المدبر هذا لم يكن من التدبير على شيء بل كان عاتباً غشوماً فزاد الضرائب وشدد الوطأة خصوصاً على السبحيين ، وكان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع في مصر بدعاً صارت مستمرة من بعده لاتنقض فاحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ماكان مباحاً لجميع الناس وقرر على المكلاء الذي ترعاه البهائم مالا سهاه المراعي وقرر على ما يطعمه الله من البحر مالاً سهاه المصائد فانقسم مال مصر الى خراجي وهلالي ، أما الخراجي فهو ما يؤخذ مسائهة من الاراضي التي تزرع حبوباً ونحلا وعنباً وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وغيره مو طرف الريف ، وأما الهلالي فعلى نوعين سهها بالرافق والمعاون ، وهو ما يؤخذ من الضرائب على مشل المدبر كما تقدم ، فكره الاهلون هذه المعاملة وجعلوا يسعون الى الكيد به ما ابتدعه ابن المدبر كما تقدم ، فكره الاهلون هذه المعاملة وجعلوا يسعون الى الكيد به وقد كان عالماً بذلك فجعل في حاشيته الخاصة نحواً من مائة غلام هندي ممتازين بالقوة والشجاعة كانوا يرافقونه الى حيث توجه

فلما قدم احمد بن طولون الى الفسطاط ليستلم زمام القوة العسكرية فيها قدم احمد اين المدبر مجاشيته للقائم واهدى اليه هدايا قميتها عشرة الاف دينار وقدم معه شقير الخادم غلام فتيحة ام المعتزوهويتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام قد تقدمت الاشارة اليهم وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وبأس شديد عليهم اقبية ومناطق ثقال عراض وبايديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا بقفون بين يديه في حافق مجلسه اذا جلس . فاذا ركب ركبوا بين يديه

فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدورالناس ، فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون ودها عليه فقال ابن المدبر ان هذه لهمة عظيمة ومن كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف شخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غيرايام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول «قد كنت اعزك الله اهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز ان يغتنم مالك كثره الله فرددناها توفيراً عليك ونحب ان نجعل العوض منها الغلمان الذين وأيناهم بين يديك فانا اليهم احوج منك » فقال ابن المدبر الم بلغته الرسالة «هذه اخرى بين يديك فانا اليهم احوج منك » فقال ابن المدبر الم بلغته الرسالة «هذه اخرى الرجال ويثابر عليهم » ولم يجد بدًا من ان ببعثهم اليه فتحولت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون فكتب ابن المدبر الى ابن طولون فكتم ما في نفسه ولم يبده

وفي ٢٥٥ رجب سنة ٢٥٥ هكرث دسائس الاتراك في بغداد بمساعدة الحاجب صالح بن واصف احد قتلة المتوكل فاوعز الى المعتز وعمره اذذاك ٢٤ سنة ان يتنازل عن الخلافة ولم يحكم فيها الائ سنوات و٦ اشهر فتنازل في ذلك اليوم فاودعوه السجن وقطعوا عنه الغذاء فات جوءاً بعد سنة ايام فاقاموا عوضاً عنه ابن عمه المهتدي بالله بن الواثق وعمره ٣٧ سنة

خلافة المهتدي بن الواثق ثم المعتمد بن المتوكل

من ٥٥٥ - ٢٥٧ ه او من ٨٦٩ - ٨٧٠ م

وفي ايام المهتدي بن الواثق ظهر لابن طولون عدو آخر في مصر هو ابراهيم السوفي مأمور اقليم اسنا وكان قد وضع بده على البلاد التي حوله وقتل كل من كان يحاول مقاومته فانفذ اليه ابن طولون فرقة من جيشه فاربها وغلبها فرجعت متقهقرة الى قرب الحميم وهناك التها نجدة امحدت معها فتغلبت على جيوش ابن الصوفي ففر المذكور في البرية ملتجناً الى الواحات في بطن الصحراء الكبيرة مع من بقي معه من الرجال

وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدبر بسبعائة وخمسين الف دينار حم

وفي رجبسنة ٢٥٦ ه ذيج المهتدي في سامرا وبويع العمد على الله وسنه ٢٥٥ منة وهو ابن المتوكل الثالث فبايعه الجميع الا ابن شيخ فانه لم يدع له ولم يبايعه لا هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينيا فوق ما معه من بلاد الشام وفسح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عملها فدعا حينئذ للمعتمد وبايعه ثم كتب الخليفة سر اللى المابن طولون ان يتأهب الى حرب ابن شيخ واز بزيد في عدته وكتب لابن المدبر ان يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال واثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وجهز كل ما يحتاج اليه وخرج في احتفال عظيم وجيش كبير وبعث الى ابن شيخ يدءوه الى طاعة الخليفة ورد ما اخذ من المال فاجاب بجواب قبيح فسار احمد في اليه كتاب الخليفة يدعوه الى العود فعاد الى الفسطاط ودخلها في شغبان واتى عوضاً اليه كتاب الخليفة يدعوه الى العود فعاد الى الفسطاط ودخلها في شغبان واتى عوضاً عنه لحاربة ابن شيخ وعليهم ابنه فحاربهم اماجور وتقد ما خدمة واستولى اماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بارمينيا وتقلد اماجور اعمال الشام كلها وهداً ت الاحوال

القطائع

اما ابن طولون فلما عاد الى الفسطاط شرع في بناء الاستحكامات وتحصين البلادوكان الى ذلك الحين يسكن القصر الذي كان يسكنه اسلافه من ولاة الاحكام ولم يكن هذا القصر داخل سور الفسطاط بل كان في ضاحية العسكر وكان العسكر اشبه بمدينة فيها الاسواق والشوارع والبناياب الجيلة وكان كافياً لسكنى رؤساء الجيوش وولاة الامور اما في ايام ابن طولون فضاق ذرعاً عن سعة مهانه وعبيده وتحفه فاخذ يسعى في البحث عن محل ايام ابن طولون فضاق ذرعاً عن سعة مهانه وعبيده وتحفه فاخذ يسعى في البحث عن محل آخر بني بالمقصود مع قربه من الفسطاط فصعد الى المقطم ولظر الى ماحوله فراً ى بين العسكر والمقطم بقعة من الارض مساحتها نحو ميل مربع لاشيء فيها من العمارة الا بعض المدافن للنصارى واليهود فاختارها للبناء فأمر بحرث المدافن وهدمها واختط في بعض المدافن للنصارى واليهود فاختارها للبناء فأمر بحرث المدافن وهدمها واختط في موضعها بناء عظيماً دعاه القصر ومحلاً آخر بالقرب منه دعاه الميدان وتقدم الى اسحابه وغلمانه واشباعه ان يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا و بنوا حق اتصل البناء بعمارة الفسطاط وعلمت الى قطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها فكانت العلمان النوبة قطيعة مفردة تعرف بهم ولفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولفلهان الروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم

ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القواد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحساف والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق العيارين وسوق الفاميين وهكذا البقالين والشوايين الح ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع المذكورة مدينة كبيرة اعمر واحسن من الشام . وكان للقصر مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ومن يخرج

واتسعت احوال ابن طولون وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيسه فبلغ ذلك أماجور والي الشام فاخذته غائلة الحسد وخشي من مد سلطة ابن طولون اليه فاخذ يسعى في خلعه فكتب الى الخليفة المعتمد على الله مانصه «ان قوات ومهات ابن طولون اصبحت اعظم مما كانت لابن شيخ الذي لما أار في سوريا لم نخضعه الا بعد شق الانفس وهذا ابن طولون قد كثرت حاشيته وقويت سطوته بالرجال والمال وصار يخشى منه والامر لامير المؤمنين » . وكتب ابن المدبر مفتش الخراج ايضاً مثل ذلك وفي قلبه من احد ما تعلم من الضغائن وتواطأ على ذلك مع كاتب سره شقير الخادم

فارسل المعتمد الى ابن طولون ان يتخلف عن مصر حالاً الى سامرًا ويستخلف مكانه من يشاء فلما بلغ ابن طولون ذلك الامر همَّ الى القيام به وهو لا يدري ما وراء الاكمة فجاء من ذويه من اطلعه على مهنى هذا الاستدعاء الى سامرا فلما علم بدخيلة الامر جهز احمد الواسطي كانب سره وصديته وارسله مكانه الى سامرا بالهدايا الفاخرة الى الوزير فاستجلب خاطره فسمى امام الخليفة فالغى الامر السابق واصدراً مراً آخريزيد مدة ولاية ابن طولون في مصر ويصرح له بنقل عائلته جميعها المها وقد كانت الى ذلك اليوم في سامرا ، فسر ابن طولون بهذا الفوز وفرق في الناس الزكاة

وفي سنة ٢٥٧ ه حكم على با كباك امير مصر الاصيل الذي كان قد عين ابن طولون قائداً للقوة العسكرية بقطع الراس لجناية ارتكبها وعين مكانه برقوق حو احمد بن طولون وهذا حالما استلم الامر بالامارة عهد الى صهره بالنيابة العامة ليس فقط على الفسطاط بل على سائر القطر المصري فامر عيسى بن دينار متولي الاسكندرية أن يسلم زمامها اليسه فتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلم ادارتها ثم سلمها لعيسى المذ كور واقر معليها فاصبحت سياسة مصر جميعها بيد احمد بن طولون ، وفي السنة التالية توفي برقوق فو لي احمد مكانه والياً عاماً على القطر المصري

الدولة الطولونية

من سنة ٧٥٧ — ٢٩٢ هـ او من ٧٠٠ __ ٥٠٠ م

حكم احمد بن طولون

من سنة ۲۵۷ — ۲۷۱ هـ او من ۸۷۰ — ۸۸۶ م

كان احمد بن طولون قد عرف دسائس ابن المدبر وشقير الخادم وكان الوزير قد ارسل اليه جميح الكتب الواردة منهما مجقه . وبعد يسير توفي شقير خوفاً وهم ابن طولون بعزل ابن المدبر لكنه عرف بعد ذلك ان اخاه على خزينة الخليفة فاغضى عنه اما ان المدر فكان قد مل مناظرة ابن طولون وهو لا يقوى على كيده فطلب الي اخيه ان ينقله الى وكالة خراج سوريا ففعل وقبل تركه مصراعاد صلات المودة مع ابن طولون فازوج ابنته لحمارويه بن احمد بن طولون ووهبه معها الاملاك التي كانت له في مصر ثم ارسل المتمد يستحث ابن طولون في جمع الخراج فاجابه لست اطيق ذلك والخراج في يد غيري فاحيل الخراج اليه فاصبحت جميع اعمال مصر الادارية والعسكرية والمالية بيده فألغى الخراج الهلالي الذي وضعه ابن آلمبروقبلالغائه حسب مقداره فبلغ مائة الف دينار سنوياً فأحب أن يستشير بشأنه فتشاور مع عبد الله بن دسومة امين متولي الخراج وكان عاتياً طهاعاً فقال ان امنني الاميرتكلمت بما عندي فقال له قد امنك الله عز وجل فقال « ابها الاميران الدنيا والآخرة ضرَّان والحازم من لم يخلط بينهما والمفرط من خلط بينهما فيتلف اعماله ويبطل سعيه وافعال الامير ايده الله الخير وتوكله توكل الزهاد واپس مثله من ركب خطة لم يحكمها ولوكنا نشق بالنصر دائماً طول العمر ال كان شيء عندنا آثر من التضييق على انفسنا في العاجل بعيارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات. وترك الانسان ما قد امكنه وصار في يده تضييعُ ولعل الذي حماه من نفسه يكون سعادة لمن يأثني من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للامير ايده الله بما قد عزم على اسقاطه من الهلالي في السنة بمصر دون غيرها مائة الف دينار وان فسخ ضياع الامراء والمتقبلين في هذه السنة لانها سنة ظمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفرتوفراً عظيماً فيضاف الى مال الهلالي فيضبط نه الامير ايده الله امر دنياه وهذه طريقة امور الدنيا واحكام امور الرئاسة والسياسة وكل ما عدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدنياه وهذا رايي والامير ايده الله على ما عساه يراه »

فغال ابن طولون ننظر في ذلك ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد ان قضى اكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلاً من اخوانه الزهاد في طرسوس وهو يقول « ليس ما اشار عليك من استشرته في امر الارتفاق والفسخ برأي تحمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه فامض ماكنت عزمت عليه » . فلما اصبح انفذ الكتب الى سائر العمال بذلك فابطل الضرائب المتقدم ذكرها و نشرت في سائر الدواوين بامضائه ، ثم دعا ابن دسومة واخبره بماكان فقال له « قد اشار عليك رجلان الواحد حي في اليقظة والآخر ميت في النوم وانت الى الحي اقرب و بضائته او ثق » فقال له « دعنا من هذا فقد قضي الامر ولست قابلاً منك ما تقول »

وفي غد ذلك اليوم ركب احمد نحو الصعيد فلما امن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس احد غلمانه فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتق فتح فتقدم احمد وامرهم ان يحفروا هنا ففعلوا فاصاب فيه من المال ماكان مقداره مليون ديناروهوالكنز الذي شاع خبره وكتب الى العراق يخبر به المعتمد ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها فأذن له فبنى منه مستشفى وحصناً وسبيلاً وجوامع وفرق قسماً منه على الفقراء اصلاحاته

واول جامع شاده ابن طولون جامع الثنور ابتناه على قمة جبل المقطنم في مكاف كان يدعى تنور فرعون بقال انه سمي كذلك لانه على مرتفع فكانوا يضرمون فيسه النار ليلاً فظن بعض المشايخ ان في ذلك المكان كنزاً فاخذ يحتفر فيه فلم يظفر بشيء فعلم ابن طولون فاحتفر فاصاب مالاً اكثر كثيراً من ذي قبل وعند ذلك امر ببناء الجامع هناك ودعاه جامع التنور واحتفر ابن طولون بئراً عند بركة الحبش تعرف ببئر عفصة وابتنى ساقية وقناطر خارج المغافر عرفت بقناطر ابن طولون ناظر بناءها مهندس مسيحى ماهر ولا تزال آثارها باقية

وفي سنة ٢٦٠ ه اعاد احمد بن طولون حفر ترعة الاسكندرية وكانت قد سدت بالرمال المحمولة اليها وبني في الاسكندرية آباراً مسقوفة بالبناء العقدوا حواضاً تحت الارض لكي يأني منها بالماء العذب النقي ما يكني المدينة . وفي تلك السنة ركب مع رئيس خزنته ابي ايوب والفاضي بقال في جزيرة الروضة فراى المقياس محتاجاً الى اصلاح فأمر

باصلاحه اسلاحاً متقناً انفق عليه عشرة آلاف دينار . واقام ابو ايوب بعد يسيرمقياساً آخر في دار الاسلحة في الجزيرة المذكورة حيث بنيت السجون ولكن لم يبق منها الى ايام المقريزي الا اثر طفيف

وفي او اخرالسنة المذكورة توجه احمد بن طولون الى الاسكندرية لتفتيش الاشغال التي كان امر باجرائها واوصى بها لابنه البكر العباس ثم امر بترميم منارة الاسكندرية واقام فوقها القبة ويقال ان هذه المنارة كان ارتفاعها خمسائة قدم

وامر ابن طولون ببناء المستشفى (المارستان) في العسكر وقد كانت الفسطاط قبله مجردة من مثل ذلك وخصص لاجل النفقات اليومية للمستشفى والبنايات الاخرى اطياناً واسعة تأخذ محصولاتها وخصص لها ايضاً دخل مبيح الرقيق وكان يأتي بنفسه لزيارة المستشفى وتفقد سير الاطباء فيه وعيادة المرضى والحجاذيب . واتفق ذات يوم ان احد الحجاذيب في المستشفى هم بقتله ولولا القضاء لذهب مجياته ولم يكن شيء من ذلك ليثني عزمه عن العيادة . وبنى في العسكر حمامين وقد بلغ مقدار نفقات بناء المستشفى والحامين والحجامع عند جبل المقطم ستين الف دينار ، وبقيت هذه البنايات رغم التقلبات السياسية التي كان يخشى ان تذهب بها ولايز الكثير من آثارها الى هذه الغاية

قلنا ان ابراهيم بن الصوفي فرَّ من وجه احمد بن طولون والنجأ الى الواحات السكبرى في الصحراء فهذا تمكن بعد ذلك من التجنيد والتقدم نحو مدينة اشمونين فبلغ ذلك ابن طولون فانفذ اليه جيشا تحت قيادة ابن ابي الغيث وهذا لم يلتق بحيش ابن الصوفي فسار لحاربة عبدالرحن العمري وكان معتدياً على حدود النوبة وبعد حرب شديدة سار ابن الصوفي الى اصوان فلاقاه ابن ابي الغيث مغضياً عن ابي عبد الرحمن وحاربه ففر من وجهه وسار من طريق عيذاب الى مكة حيث قبض عليه وارسل الى احمد بن طولون فالقاه في السجر مدة ثم صرفه مؤذناً له بالسكني في المدينة وبقي فيها الى ان توفاه الله

أما أبو عبد الرحمن العمري فاستفحل امره واقام الاستحكامات في النوبة فشق ذلك على احمد ولم يستظع صبراً فانفذ اليه جيشاً آخر تحت قيادة شبه الببكى الى اصواف فلما بلغها رأى ابا عبد الرحمن مشتغلاً بمقاومة جيوش زكريا ملك النوبة والحرب بينهما قائمة فقال هذه فرصة لا يصح ضياعها فهجم على حصوت ابي عبد الرحمن بدون ان يستأذن من ابن طولون فلم يعبأ ابو عبد الرحمين بشكائر الاعداء عليه فجعل رجاله فرقتين وحارب الفئنين وتغلب على شبه واعاده على اعقابه صفر اليدين الى الفسطاط فلم

يصادف من ابن طولون الااحتقاراً وانتهاراً

و بعد ذلك بقليل قدم الفسطاط عبدان يحملان رأس ابي عبد الرحمن العمري فرمياه بين اقدام احمد بن طولون فسألها عما اتى بهما اليه وما حملهما على قتل سيدهما فاجابا ان لاغرض لهم الا الحصول على رضا امير القطر المصري . فقال لهما احمد « ان ما ارتكبتموه تستوجبون عليه عقاب الله وعقابي » وامن بقتلهماوغسل واس ابي عبد الرحمن ودفنه بما يلزم من الاحترام • وحقيقة الامن ان العبدين لم يقتلا سيدهما بايديهما وانما قتل بمكيدة محمد بن حارون شيخ قبيلة مضر فسولت لهما النفس ان يقطعا واسه ويحملاه الى ابن طولون فينالا جائزة عظيمة وما علما ان المروءة وكرم الاخلاق تأبيان مثل ذلك

تم ثار ابو نوعة صديق ابن الصوفي القديم فالضم اليه عصبـة من الاتباع فجاهر بالعصيان ضدابن طولون فارسل اليه حملة فغلبها فانجدها ابن طولون فغلبته وفر ابو نوعة الى الواحات واضطر اخيراً الى التسليم

و بعد سنة من هذه الحادثة ثار محمد بن فاراب الفرغني وتابعه اهالي برقة جميعهم فارسل البهم احمد بن طولون لؤلؤا وقال له نج المدينة من العصاة فشكون عليها واليا في المدينة من العصاة فشكون عليها واليا في المدينم لؤلؤ وفازعليهم فجعله ابن طولون واليا على برقة ومتعلقاتها

وفي السنة نفسها اضطر ابن طولون الى محاربة شديدة كان يخشى عليمه منها وهي محاربة ابي احمد طلحة الملقب بالموفق بالله احد ابناء المتوكل على الله واخو المعتمد على الله الخليفة . وذلك ان صاحب الزنج (بجوار زنجبار) ادعى انه من سلالة على بن ابي طالب فقدم البصرة سنة ٢٥٤ ه واستولى عليها وعلى السكوفة وغيرهما واستفحل امره فانفذ امير المؤمنين المعتمد على الله يستقدم اخاه ابا احمد الموفق بالله من مكة وكان الخليفة المهتدي بالله قد بعثه البها منفياً فقدم سنة ٢٥٧ ه فاوصى المعتمد بالخلافة من بعده لابه المفوض و بعده للموفق و جعل غربي المهاليك الاسلامية للمفوض وشرقيها للموفق و كتب

بينهما بذلك كناباً ارتهن فيه ايمانهما بالوفاء بما قد وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد الحاه المعتمد على الخلافة ولا يراه اهلاً لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابنه ثم الموفق بعده شتى ذلك عليه وزاد في حقده وكان المعتمد متشاغلاً بملاذ نفسه من الصيد واللعب والنفرد بجواريه فضاعت الامور وفسد تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلداً عملاً بما تقلده

وكان في الشروط التي كثبها المعتمد بين المفوض والموفق انه ما يحدث في عمل كل

ولما كانت البصرة والكوفة واقعتين في حصة الموفق كان عليه محاربة الزنوج ودفعهم فتأهب في جيش كبير وسار اليهم والعضهم فطال زمن المحاربة حتى انقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد النياس عن حمل الميال الذي كان يحمل في كل عام واحتجوا باشياء اخرى فدعت الضرورة الموفق الى ان كشب الى احمد بن طولون في مصر في حمل مايستمين به في حروب صاحب الزنج وكانت مصر في قسم المفوض لانها من المالك الغربية الا ان الوفق شكا في كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى االل بسبب ما هو في سبيله و بعث المكتاب مع تحرير خادم المثوكل ليقبض منه المال

فا هو الآ ان وصل تحرير الى ابن طولون واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه بأمره فيه بحمل المال اليه على وسمه مع ماجرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكشباليه ايضاً كتا بأسريا يقول فيه « ان الوقق انما انفذ تحريراً اليك عيناً ومستقصياً على اخبارك وانه قد كانب بعض اصحابك فاحترس منه واحمل المال المنا وعجل نفاذه »

وكان تحرير الخادم لما قدم الى مصر انزله احمد بن طواون معه في داره بالميدان فمنعه من الركوب والخروج من الدار التي انزله بها حتى سار من مصر وتلطف في الكتب التي اجاب بها الموفق ولم يزل بتحرير حتى اخذ جميع ماكان معه من الكتب التي وردت من العراق الى مصر و بعث معه الى الوفق الفالف دينار ومائي الف دينار وماجرى الرسم بحمله من مصر واخرج معه العدول وسار بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وكان قد ارسل الى اماجوره تولي الشام فقدم عليه بالعريش فاسلمه خادم الموفق والمال واشهد عليه بتسليم ذلك و رجع الى مصر و نظر في السكتب التي اخذها من تحرير فاذا هي الى جهاعة من قواده باسماتهم الى الموفق فقبض على اربابها وعاقبهم حتى هلسكوا في عقو بنه

فالم وصل جواب ابن طولون الى الموفق ومعه المال كتب اليه كتاباً ثانياً يستقل فيه المال ويقول « ان الحساب يوجب اضعاف ماحمات » وبسط اسانه بالقول والتمس ممن معه من يخرج الى مصر ويتقلدها عوضاً عن ابن طواون فلم يجد احداً عوضه الكان من دعة ابن طولون وملاطفته وجوه الدولة

كتاب ابن داولون الى المرفق

فلما وردكتاب الموفق على ابن طولون قال ﴿ وَا يَ حَسَابُ بَيْنِي وَبَيْنُـــُهُ أَوْ حَالَ توجب مكاتبتي بهذا او غيره » وكتب اليه بعد البسملة « وصل كتاب الامير ايده الله تعالى وفهمته وكان اسعده الله حقيقاً بحسن التيخير لمثلى وتصييره اياي عمدته التي يعتمد عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي يتقي الاعداء بحده لاني دائب في ذلك وجعلته وكدى واحتملت الكاف العظام والمؤن الثقال باستجذاب كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغني وكفاية بالثوسعة عليهم وتواصل الصلاة والمعاون لهمصيانة لهذه الدولة وذباً عنهاوحسهاً لاطهاع انتشوفين لهاوالمنتحرفين عنها . ومن كانت هذه سبيله في الوالاة ومنهجه في المناصحة فهو حري ان يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومنكل حال جليلة حظه ومنزاته . فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء في المخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم ا كانف على الطاعة جملاً والزم في المناصحة ثمناً وعهدى بمن استدعى مااستدعاء الامير من طاعته ان يستدعيه بالبذل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام لاان يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة و ثقلاً واني لا اعرف السبب الذي يوجب الوحشة ويوقمها بيني وبين الامير ايده الله تعالى ولا ثمَّ معاملة تقتضى معاملة او تحدث منافرة لان العمل الذي انابسبيله لغيره والمكاتبة في أموره الي من واه ولاانا من قبله . فانه والامير جعفر المفوض ايده الله تعالى قد اقتسم الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض عهده اواخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالأمة بربئة منه ومن بيعته وفي حل وسعة من خلفه. والذي عاملني به الامير من محاولة صرفي مرةواسقاط رسمي اخرى ومايا تيه ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد لعهده. وقد التمس اوليائي وأكثروا الطَّلب في اسقاط اسمه وازالة رسمه فآثرت الابقاء وازلم يوثره واستعملت الاناة وازلم تستعمل معي ورايت الاحتمال والكظم اشبه بذوى المعرفة والفهم فصبرت نفسي على أحرمن الجمروأم من الصبروعلى مالا يتسع به الصدر والاميرايده الله تمالي اولي من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده واتوخاه من تأكيد عقده بحسن المشرقوالانساف وكف الاذى والمضرة وانلا يضطرني الى مايعلماللة عزوجلكر هياه ان اجعل ما أعددته لحياطة الدولة من الحيوش المنكانفة والعساكر المتضاعفة التي قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عاييم عن الخياوب مصروفاً إلى نقضها ، فعندنا وفي حيزنا من يرى انه احق بهذا الامرواولي من الامير. ولو امنوني على انفستهم فضلاً عن ان يعثروا •ني علي ميسل او قيام شصرتهم

لاشتدت شوكتهم واصعب على السلطان معاركتهم . والامير يعلم أن بازائه منهم واحداً قد كبر عليه وفض كل جيش انهضه اليه على أنه لا ناصر له الا لفيف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركناً منيعاً وناصراً مطيعاً وما مثل الامير في اصالة رأيه يصرف مائة الف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من الاسير اعتاب أو رجوع الى ما هو أشبه به وأولى والا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مادة شره وأجرءنا في الحياطة على أجل عادته عندنا والسلام »

فأها وصل الكتاب الى الموفق أغاظه غيظاً شديداً فاحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة واشد اهلها بأساً واقداماً فتقدم اليه في صرف احمد بن طولون عن مصر وتقليدها اماجور فامتثل وكتب الى اماجور كتاب التقليد وانفذه اليه فاها وصل اليه الكتاب توقف عن ارساله الى احمد بن طولون العجزه عن مناهضته . ثم خرج موسى ابن بغا عن الحضرة مقدراً أنه يدور عمل المفوض اليحمل الاموال منه ولما علم بتوقف اماجور عن مناهضة احمد بن طولون كتب اليهما يأمرهما بحمل الاموال وعزم على قصد مصر والايقاع بابن طولون واستخلاف اماجور عايها فسار الى الرقة

وبلغ ذلك ابن طولون فاقلقه ليس لأنه يقصر عن مناهضة موسى بن بغا لكن لتحمله هتك الدولة وان يأتي سبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الا انه لم يجد بدًا من المحاربة ليدفع عن نفسه ما يكره فتأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فاراد لكبر همته وتدبره ان يبني حصناً على الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة (جزيرة الروضة) يكون معقلاً لحرمه وذخائره وخاصته ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتي من البر

وقد زاد فكره في من يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربي سوى ما يضاف اليها من العلابيات والحائم والعشاريات والسنابيك والزوارق وقوارب الحدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبيروان بمنع ما يجي اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفاً مما سيجي من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سايمان من بعده باولاده كانه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عرف هذه الجزيرة وانفذ الى الصعيد والى اسفل الارض المنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يا تي من البر الميرة

واقام موسى بن بغا بالرقة عشرة اشهر وقه اضطربت عليه الاتراك وطالبوه

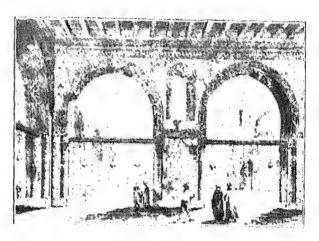
بارزاقهم مطالبة شديدة حتى استتر منهم كاتبه عبيدالله بن سليان لتعذر المال عليمه وخوفه على نفسه منهم نخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة في صفر سنة ٢٦٤هـ

هذا واحمد بن طولون يجد في بناء الحصن على الجزيرة وقد الزم قواده ونقاته امر الحسن وفر قه عليهم قطعاً قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكد نفسه فيسه وكان يتعهدهم بنفسه في كل يوم وهو في غفلة عما صنعه الله له من الكفاية والغنى عما يعانيه . ومن كثرة ما بذل في العمل قدر ان كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح . يعانيه . ومن كثرة ما بذل في العمل قدر ان كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح على ما من به عليه من صيائته عما يقبيح فيه عنه الاحدوثة وما راى الناس شيئا كان اعظم من عظيم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاستحار حتى كان اعظم من عظم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاستحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء انفسهم من غير الستحثاث لكثرة ما سخا به من بذل المال . فلما انقطع البناء لم ير احد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها كانما هي نار صب عليها مائه فطفئت لوقتها . ووهب للصناع مالاً جزيلاً وترك لهم جميع ما كان سلفاً معهم ، وبلغت نفقات هذا الحصن تمانين الف دينار ذهباً وقال سعيد بن القاضي من ابيات بشأن ذلك

وان جثت رأس الجسر فانظر تأملاً الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر ترى اثراً لم يبق من يستطيعه من الناس في بدو البلاد ولا حضر مآثر لا تبلى واث باد اهلها ومجد يؤدي وارثيمه الى الفخر اما الموفق فايا تفرق جيشه لم يعد يرى بدًّا من الاغضاء عن مقاومة احمد بن

طولون اغضاء وقتيآ

بناء الجامع وكثر اتباع ابن طولون ورجال حاشيته وجنده حق ضاق جامع العسكر ذرعاً عن احصائهم ايام الجمعة للصلاة فرفعوا اليه ان يبتني لهم جامعاً آخر اكثر الساعاً فاستجاب التماسهم على ان يبتنيه على جبل يشكروكان لهذا الجبل شأن ديني عندهم وكانوا يقولون ان موسى الدكايم ناجى ربه عليه مراراً وانه اقتبل في ذلك المكان بعض الشرائع المقدسة وعزم احمد ان يجعل ذلك الجامع اعظم ما بني من الجوامع الى ذلك العهد وان يقيمه على ثلثمائة عمود من الرخام . فقيل له ان مثل هدندا العدد لا يتيسر الحصول عليه وانه اذا اصر على عزمه لا يترك للمسيحين ما يقوم ببناء معابدهم فتردد بين ان يتم مشروعه وان لا يحرم الطوائف الاخرى من التمتع مجقوقها الدينية في بناء المعابد



ش ۳۸ - جامع ابن طولون

وكان المهندس المسيحي الذي تقدم ذكره ويسمى ابن الكاتب الفرغاني ومن ذوي الاطلاع والمعرفة بفن الهندسة وصنعة البناء وقد اودع السجن الهمة توجهت نحوه بغير الحق. فلهابلغه ماكان من عزم ابن طولون وتردده كتب اليه من السجن انه قادر على اتمام مشروعه وانه لايحتاج في ذلك الى اكثر من عمودين يجعلها عمودي القبلة . فاستحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه وطلب اليه ان يشرح له ذلك فرسم الجامع على الكيفية التي كانت في ذهنه فجاء كشير الشبه بجمامع سامراً . فاعجب ابن طولون كثيراً وامر باطلاقه وخلع عليه وجعل تحت امره مائة الف دينار وقال له انفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك ، وامر ابن طولون ان بكون بناء الجامع من القرميد والجير ونهى عن ادخال اي مادة كانت نما يقبل الاشتعال قائلاً « ورغبي من ذلك انه اذا طرأ على الفسطاط دمار بالماء ام بالنار فلا يكون على جامي بأس فيبقى ولو دمن جمعها »

ولما اتم بناء هيكل الجامع اخذ في زخرفته فبيضه وعلق فيه القناديل الجميلة النحاسية بالسلاسل النحاسية الطوال وجعل على افاريزه آيات من القرآن الشريف لايزال معظمها ظاهراً الى هذا اليوم وفرش الحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القراء والفقهاء . ويقال انه هو الذي رسم القبلة والمنارة بنفسه وجعاها منفصلة عنه رواق يحيط بالجامع ويفصل المنارة عن صحن ثان خارجي وقد هدم بعض هذه المنارة الاان الناظر اليها لا يسعه الا التعجب من عظمتها ويقال ان تجاه المنارة المذكورة الباب الكبير

وجعل للجامع ٣٣ شباكاً . واقام بجوار الجامع بناء دعاه دار الامارة يستطرق الى الجامع من كوة في جداره القبلي قرب المحراب والمنبر من بن بالستائر . وفي الدار الساند الجميلة والطنافس الثمينة . فكان ابن طولون بنزل في تلك الدار اذا ذهب الى العسلاة بوم الجمعة فانها كانت تجاء القصر والميدان فيجلس فيها ويجهد وضوءه ويغير ثيابه وفي موضعها الآن سوق الجامع

ومن يزر هذا الجامع اليوم يره خراباً مهجوراً وقد استعمالته الحكومة مراراً منازل للحجاج والفقراء فبنوا في قناطره فسدوها. وقد هدم بعض تلك القناطرو بعض المنارة وفي صحن الجامع الميضاة ولا يزال اثر المنبر الخشبي باقياً وفي جوار المنارة غرف يقال انها كانت مصلي احمد ابن طولون وذريته

وقد استغرق بناء هسذا الجامع سنتين فانتهى في رمضان سنة ٣٦٣ ه فاذن ابن طولون بالصلاة فيه ولكن الفقهاء لم يكونوا يدخلونه لئلاٌّ يكون مبنياً بمال لم تكتسب بالحق والعدل فاقسم لهم أنه لم ينفق عليه درهماً من الدراهم التي وجدها أتفاقاً فصدقوم واحتفل بتدشينه في يوم الجمعة التالي وصار يرد اليه الجماهير من المسلمين . وتذكاراً لذلك الاحتفال نقشوا على الواح كبــيرة من الرخام الابيض بعض الآيات من القرآن الكريم. وقال المقريزي انهم كانوا يحرقون اقراص النه في اثناء الصلاة فيعبق الجامع بدخانه والمؤمنون في الصلاة . وكان القاضي بكار بن قتيبة الامام الاولوربيـع بنسليان الخطيب الاول لهذا الجامع . وفي ذلك ألحين الشأ محمد بوث ربيع مدرسة في احدى غرف الجامع وكان أبن طولون واولاده وجميع حاشيته لابتركون الجامع الابعد ان يتم محمد تدريسه . وكانت دروس هذه المدرسة محصورة في الحديث . وبمن كان يحضر عليه أبناء احمد بن طولون وكانوا بواظبون على الحضور والانصراف كسائر التلاميذكل ذلك بأمر والدهم . وفي مساء يوم التدشين عاد ابن طولون الى دار الامارة لاعادة الوضوء وتغيير الثياب فمكث مدة طويلة في الجامع يصلي لله ويشكره على ما اولاه من النعم بخساح اعماله ووهب الجامع عشرة آلاف دينار وخصص له رواتب تدفع من ماليرما بقي حياً . وبني ابن طولور بجوار الجامع خارج صحنه حوضاً وفسقية لاوضوء ثم بني صيدلية يحضر فيها بأس مكل يوم جمعة طبيب يعالج الفقراء مجاماً ولا سيما الذين يأثون للصلاة . وحسبت نفقات البناء فبلغت مائة وعشرين الف دينار غير الاوقاف . ويقال ان احمد بن طولون وجد ما عدا الكنزين المتقدم ذكرهما كنزا ثالثاً من الذهب النقي ويقال انهذا الذيجعله يضرب الدينارالاحمدي الذي اشتهر بنقاوته والمفضل علىسائر

انواع الذهب القديم للتذهيب به

وفي اثناء بناء الجامع توفي اماجورالذي كان حاكمًا في سوريا فخلفه ابنه على فاغتنم احمد بن طولون تلك الفرسة ليضم سوريا الى مصر والوفق مشغول عنه عحاربة الزنج فاظهر انه عازم على محاربة الروم جهاداً في سبيل الدين وجمع جيشاً جراراً فيه كثيرون من المتطوعين فكتب الى ابن الماجوريستنصره في تلك الحرب وان يبايعه على سوريا لان الخليفة اقطعه إياها فاطاعه

عصيان المهاس

وفي غرة سنة ٢٦٥ ه برح احمه بن طولوبن مصر مستخلفاً ابنــه العباس وسنه اذ ذاك ٢٣ سنة وعهد بتدبير الاحكام الى وزيره احمد الواسطي . ولما احتشدت جيوش ابن طولون في فلسطين اتاه محمد حاكم الرملة خاضعاً فأقره في منصبه ولمسا بلغ دمشق رحب به على بن اماجور وأمر بان يخطب باسمه فاقره في منصبه ايضاً . وهكذا فعل في حمص وعليها عيسى فاقره عليها ثم استولى على حلب وحماه وكانتا من اعمال انطاكية وحاكمها يدعىسيما الطويل فكتب اليه احمد بن لمولون يطلب مبايعته فوعده والكنه لم يف فأعاد الطلب فوعد ايضاً ولما تكرر منه الوعد والاخلاف تقدم احمد بجيشه الى اسكندرونه ثم هاجم الطاكيــة من جهة باب البحر فلم يقدر عليهِ لانه كان منيماً فهاجمها ثانية وثالثة بلا فائدة وما زال حتى كاد يتولاه اليأس فاتاه بعض اهالي المدينة ينبئونه بباب آخرفي الجهة المقابلة يدعى باب الفرس لجهة الجبال وقالوا انهسهل المأخذ فسار احمد بجيشه وهاجم المدينة من ذلك الباب وما طلع الفجر الا والمتاريس في يده. واما سيا فدافع دفاعاً حسناً حتى قتل وجيء برأسه الى آحمد بن طولون فشق عليه قتله لانه كان صديقاً له . واما المدينة فذهبت فريسة الفتك والنهب حتى نودي بالطاعة فسكنت الغوغاء ووضع احمد يدء علىباياس واطنة وطرسوس . وبينما هو يهم بالنقدم في فتوحه الى ما وراء ذلك جاءه من مصران ابنه العباس الذي استخلفه عليها قد شق عدا الطاعة ومد يده الى الخزائن والاحكام واستبد فيهها فلم يرد احمد الرجوع الى مصر قبل أتمام عمله في سوريا فسار الى محاربة محمد بن المش صاحب الرقة ثم اخيه موسى فأسره ولم يرجع الى مصر الا في نهاية سنة ٢٦٥ ه بعد ان فتح الشام وبعض اسيا الصغرى واستخلف في الرقة غلامه لؤلؤاً

اما العباس فبغد ان نبذ طاعة والده انقياداً لذوي الاغراض شعر بخطاعه وخاف سوء العقبي فجمع اليه الخزينة وفيها مليونان من الدنانير واستدان فوقها ٣٠٠ الف

دينار وفر بمِن معه الى الجِيزة على ضفة النيل الغربية وساق معه احمد الواسطي وزير والده مغلولاً . ولكنه خشي ان لا يكون مكانه هناك اميناً فعهد بحكومته فيه الى اخيه ربيع مظهراً السفر الى الاسكندرية وسافر الى برقة

فلما وصل احمد بن طولون الى الفسطاط ونزل العسكر ورأى من امرابنه ما راى احب استقدامه بالحسني فكتب اليهكتباً كامها نصح واستعطاف وارسامها مع بكار بن قتيبة فعاد بلانتيجة وكان ذلك بدسيسة من النف حوله وهم الذين اغرو. علىكل ما فعل وقد اصبحوا يخافون غضب ذلك الامير الخطير فأوعزوا الى العباس ان يمعن في افريقية . فني سنة ٢٦٧ هـ جمع اليه رجال دعوته وسارفي داخلية البلاد ساعياً جهده في اجتذاب مشائخ القبائل اليه فلم يفز الامع القليل منهم فكتب الى ابراهيم بن الاغلب صاحب القيروان ان يبايعه على أفريقية مدعياً أن الخليفة قلده أياها وكان سعيه مع هذا باطلاً ايضاً . ثم هاجم حصن لبدة ففتحت له ابوابها فدخلها وامعن اتباعه في النهب والقتل فاستاء الاهالي فكتبوا الى الياس بن منصور النفوسي رئيس الاباضية فوعدهم بالمساعدة وفي اثناء ذلك سار ابراهيم ساحب القديروان بجيش الى طرابلس الغرب اقتال العباس فقاتله في الايل وكان العباس مشهوراً بالشجاعة والحماسة وكان شاعراً بنشه الاشمار الحماسية في اثناء القتال ومما انشده قوله

للَّه دري اذا اعسدو على فسرسي الى الهياج ونار الحرب تستمرُ وفي يدي صارم افري الرؤوس به في حده ألوت لا يبقى ولا يذر ان كنت سائلة عني وعن خبري فها انا الليث والصمصامة الذكر من آل طولون اصليمان سألت فما فسوق المفتخر بالجود مفتخر لوكنت شاهدة كري بلبدة اذ بالسيف اضرب والهامات تبتذر

اذاً العماينت مني ما تبادره عني الاحاديث والانباء والخبر

وفي الصباح النالي وصل الياس ومعــه ١٢ الفاً من الأباضية مدداً لابر اهم، فضمها الى جيشه واستأنف الحرب وخسر العباس في هذه الواقعة اكثر ضباط جيشه واشجع جنوده وجميع المؤن والمهمات العسكرية التي اتي بها من مصر. اما هو فتمكن بعه الجهيد من الفرار الى برقية فبلغ ذلك اباه فانفطر له قلبه رغم عصيانه ومناواته ٠ وفي اواخر سنة ٢٦٧ هـ انهذ احمد جيشاً الى برقة وبعد بضعة ايام آتى بنفسه الى الاسكندرية في جند كبر قيل انه كان مؤلفاً من مائة الف رجل فاناه احمد الواسطي وكان قد تخلص من المهاس فانفذه ابن طولون بجيش الى برقة ليهاجم من فيها من

المساة فهاجهم وقتل العدد الاعظم منهم ، اما العباس فقيض عليه حياً وجاء به الى ابيه في منتصف سنة ٢٦٨ه و بعد بضعة ايام عاد ابن طولون الى الفسطاط ومعه ابنه العباس ولما بلغ الفسطاط اعتقله في قصره

و بعد ثلاثة اشهروصلت الجيوش ومعهم الاسرى الباقون فاحضرهم والعباس معهم فأمره ابوه ان يقطع ايدي هؤلاء المفسدين وارجلهم بيده ففعل . ثم التفت اليه وعنفه بكلام تنفقت له الحجارة شمام بان يضرب مائة جلدة امر بذلك وقلبه يقطر دماً . ثم اعاده الى الاعتقال وامر بقتل من بتي من العصاة والقاء جثهم في النيل

اضطرابات خارجية

وما كادت مصر تخلص من هذه الأضطرابات الداخلية حتى داهمتها اضطرابات خارجية الله وطأة واصعب مراساً. فإن الضغائن بين احمه بن طولون والموفق كانت لا تزال كامنة الى ذلك العهد وما اصاب الاموال من السلب وما تكبده ابن طولون على أثر ذلك من النفقات في الحروب حمله على الاقتصاد في النفقة والاعتدال بالسخاء فساء ذلك بعض الذين كانوا بتقربون منه طمعاً بالمال وفيهم غلامه اؤلؤ الذي كان فارقا بالمامه وقد ولاه بلاداً واسعة فاضمر له شراً بايعاز كاتبه محمد بن سليان الذي لم بكن بالمامه وقد ولاه بلاداً واسعة فاضمر له شراً بايعاز كاتبه محمد بن سليان الذي لم بكن ابن طولون محمد بن مليان الذي لم بكن الموفق ويبايعه على ما في يده فطار الموفق فرحاً. اما القواد الذين كانوا مع لواو فلم يكن بينهم وبين احمد بن طولون ما يوجب العداء فاعلموه بغدره فادرك العواقب الناجمة عن هذه الخيانة ولكنه اتخذ الحزم والتأني نبراساً فكتب الى لواو يدعوه الى طاعته بعبارات لطيفة فأى

فنظر أحمد في الاس نظراً بعيداً فرأى العاقبة محمودة فكتب الى المعتمد سراً يعانه انه يتخاف خيانة ربماكان فيها خطر على حياة الخليفة ويدعوه الى مصر قائلاً و الدينا هنا مائة الف مقاتل مستعدة للدفاع عن امير المؤمندين وقم عدوه (يعني الموفق) واعادة السلطان اليه» وبعث مع هذا العكتاب هدية تساوي مائة الف ديدار وسار في جيش جرار سنة ٢٦٩ ه وتقدم الى دمشق ومعه ابنه العباس واستخلف على مصر ابنه الثاني خارويه وجاهر انه قدم لامرين انقاذ الخليفة المعتمد ومعاقبة لؤلؤ فلم يظفر بلؤلؤ لانه كان قد انضم الى الموفق في محاربة الزنج

وثارت في اثناء ذلك فرقة من الجندكان قد أرسلها احمد الى سليسيا وعست قائدها خلفاً فتمكن هذا من النجاة بحياته الى دمشق فاغتنم سكان طرسوس هذه الفرسة لخلع طاعة ابن طولون فابطلوا الصلاة باسمه فحمل عليهم اقتصاصاً منهم . ثم ورد السه

كتاب من المعتمد اوقفه عن عزمه . وذلك ان الخليفة المشار اليه ادرك ان ايس في يده من الخلافة الا اسمها وان الحاء الموفق اضر بنفوذه ضرراً بليغاً . فلما جاء كتاب ابن طولوث تقبله بسرور واجابه شاكراً له وشاكياً من تصرف اخيه . والتي اليه ان يتصرف بالامر بمقتضى حكمته وان يلاقيه في الرقة ، فانفذ اليها ابن طولون جيشاً للاقاته لان المعتمد احب ان يغتنم اشتغال اخيه بالحرب مع الزيج للقدوم الي احمد فتظاهر بالخروج في حاشيته للصيد . وسافر في جمادى الاولى حتى بلغ الى أسحق بن كنداج امير الموصل وما بين النهرين وكان قد كتب اليه وزير الموفق بماكان وامره ان يحتسال في القبض على الخليفة . فاستقبل اسحق الخليفة باكرام واحترام وشيعه

فلماقارب عمل ابن طولون ارتحل الاتباع والغلمان الذين مع الممتمد وقواده ولم يترك ابن كنداج اسحابه يرحلون . ثم خلا بقواده عند المعتمد وقال لهم انكم قرب عمل ابن طولون والامر امره وتصيرون من جنده وتحت يده افترضون بذلك وقد علمتم انه كواحد منكم . وجرت بينهم في ذلك مناظرة حق تعالى النهارولم يرحل المعتمد ومن معه فقال ابن كنداج قوموا بنا نتناظر في غير حضرة امير المؤمنين فاخذ بأيديهم الى خيمته لان مضاربهم قد سارت فلما دخلوا خيمته قبض عليهم وقيدهم واخذ سائر من مع المعتمد من القواد فقيدهم . فلما فرغ من امورهم مضى الى المعتمد فعزله في مسيره من دار ملكه وملك آبائه وفراق اخيه الموفق على الحال التي هو بها من حرب كأنه يريد قتله وقتل اهل بيته و زوال ملكهم ثم حمله والذين كانوا معه حتى ادخلهم سامرا فعلم الموفق بذلك فسر كلكنه خشي ان يعود اخوه من ثانية الى قصده الاول

فارسل اليه من يراقب حركاته ووهب استحق جميع البلاد التي كانت من اعمال ابن طولون فاصبح حكمه ممتدًا من بغداد الى اطراف افريقية واهداء سيفين واقبه بذي السيفين اشارة الى تسلطه على الشرق والغرب

فلما علم ابن طولون بذلك اشته غيظه فجمع اليه من كان في دمشق من فقهاء بلاده وعلمائها واشرافها واعلمهم ان الموفق هتك حرمة الاخوة نحو اخيه وحاول الاستقلال بالدولة الاسلامية وان الخليفة امير المؤمنين قد اصبح في حالة يرتى لها يقضى نهاره بالاسف والكدر الشديدين . وما زال ينهض همتهم ويحرك عواطفهم حتى اقروا على ان يذكر الخطيب بعد صلاة الجمعة حالة الخليفة ويطلب الى الله ان يحفظه ويكبت اعداءه . وزادوا على ذلك ان الموفق عاص على الخليفة فهو محروم من حقوق الخلافة ثم زاد هو على هذا ان الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة .

فاعترض بعض الحضور على ذلك ومنهم بكار وقال ان كتب الخليفة تخالف ما قررتموه لانه اوصى ان يكون الموفق وارثاً للمخلافة قطمياً فاجابه ابن طولون ان الخليفة لم يكن حرًّا بما فعل ، والتي بكاراً في السجن ريما يرد من الخليفة الجواب على ذلك وانتهى الامر باقرار الجبيع على ماسبق ذكره وان يحافظوا على كل كلمة فاهوا بها وان ينادوا بذلك في الجماهير بالصلاة كما تقدم

فاماً بلغ الموفق ذلك اوعز الى اخيه المعتمد ان يخلع ابن طولون . وما انفك حق اجابه الى طلبه فجاهر على المنابر بعبارة ونسها : « اللهم العنسه لعناً يفلُّ حده ويتعس جداً و واجعله مثلاً للغابرين انك لا تصلح عمل المفسدين » فصرح ابن طولون بلعن الموفق في جميع بلاده وارسل جيشاً للاستيلاء على مكة فانفذ حاكمها هارون الى الموفق الخبر فارسل اليه مدداً تحت قيادة جعفر فحاربوا المصريين في مكة فغلبوهم بعد ان قتلوا مائتي رجل منهم واسروا قائدهم فنودي بلعن ابن طولون في مسجد مكة

آلا ان هذا جميعه لم يكن ليثني ابن طولون عن عزمه في اعماله الاخرى فانه سار الله سليسيا لاخاد الثورة ومقاصة المعتدين فر في طريقه بدمشق وبني قبة فوق مدفن الخليفة معاوية كان قد هدمها العباسيون وزينها بالقناديل واقام فيها من يتلو القرآن ثم قدم اطنه لمقاصة بزمار حاكمها لامتناعه عن مبايعته وكان بزمار قد قبض على رسل ابن طولون فشق ذلك على ابن طولون فاسرع الى قتاله بفرقة من الجند فحو ل بزمار نهر سدنس على جيش ابن طولون وكانوا في منتصف الشتاء ففاضت مياهه وساعدها البرد القارس فاهلكا معظم الجند فاضطر احمد الى رفع الحصار وتأجيل الاستقام وانتقل لنجدة جهات اخرى كان يهددها الروم فسار بفرقة من رجاله الى باياس فانطاكية حيث كان ينتظره القضاء المبرم وذلك انه شرب فيها مقداراً كبيراً من فاطل كية حيث كان ينتظره القضاء المبرم وذلك انه شرب فيها مقداراً كبيراً من فاهمل أنذاره وتفافل عن الاحتماء الصايم فاشتد مرضه كثيراً فاسرع الى مصر عمولاً على الاذرع في محفة لكن الضعف لم يسمح له بالاستمرار على هذه الكيفية فنزل عند الفرما ثم حمل الى الفسطاط في النيل فبلغها في آخر السنة وهو في حالة خطرة ونادى اليه الاغباء وهدده بالقتل اذا لم يبذلوا الجهد في شفائه

فَدَتُ فِي مُصَرَ مِنَ القلاقل مَا شَغُلُ أَبِنَ طُولُونَ عَنِ الاهْبَامِ بِصَحَتَهِ . وَذَلكُ اللهِ احد العلوبين واسمه احمد بن عبد الله لما بلغه حال احمد بن طولون من المرض شق عصا الطاعة فانضمت اليه فرفة من رجال الصعيد فانفذ اليها احمد فرقة

من رحاله ففرقتها وعادت برأس قائدها وعاد معها الامن واستتبت الراحة الصالحة

اما الموفق فبعد ان حارب الزنج طويلاً فاز بهم لكنه مل الحرب ومال الى السكينة وكانت شعائره العدوانية نحو آبن طولون اخذت على طول الزمن في الخود فرغب في حقن الدماء واقامة الحدود . ولم تكن رغبة ابن طولون في المصالحة اقل من رغبة الوفق . والظاهر أن المرض أضعف منه حاسة الانتقام في ال الى صرف القلاقل . وكان الموفق اشد رغبة في صرفها فعهد الى سعيد بن مخلد وجماعة من ذويه ان يكتبوا الى ابن طولون كتابة يوهمونه أنها منهم بغير علم الموفق يبينون له أن ما حصل أنماكان من عواقب التسرع في الحسم وان يتفقوا معه على المصالحة ففعلوا كما امرهم. فاما اطام ابن طولون على هذه الكتب علم أنها من تدبير الموفق. على أن ذلك لم يمنع قبوله بالمصالحة فوافقه على نسسيان ما مضى من سوء التفاهم ووعده باعادة الصلات الودية على ان يصرح الموفق جهاراً بتنازله عن شعائر الحقد أو الانتقام . فعلم الموفق من مطالعة الكتاب أن أبن طولون كشف ضميره فأجابه أنه آسف على ما فرط منسه وعامل على استئصال جراثيم الحقد وانه يرغب الى صديقه الجديد ان يقبل تلك المصالحة فقبل. اما المعتمد فسر" جدًّا لما دار بينهما وكتب بخط بده الى ابن طولون يحمد سعيه ويطلب اليه ان يبقى مسالمًا لاخيه الموفق واخبره أنه قد ابطل لعنـــه . فلم تبلغ مصر رسالته الابعد وفاة ابن طولون لان صحته كانت تتأخر يوماً فيوماً والالم المعدي المنسبب عن افراطه من اكل لبن الجاموس يشتد عليه مصمو بأ بحمى شديدة وضعف عام ثم رافق ذلك زرب ذهب بما بقي من قواه

فلما احس احمد بدنو الاجل استغاث بصلوات شعبه على اختلاف معتداتهم . فصعد المسلمون بقرآنهم والمسيحيون باناجيلهم والبهود بتوراتهم الى المقطم فاقاموا فروض الدعاء الى الله ان يشني ملكهم . وكان في جملة من حضر الاحتفال الفقهاء وطلاب العلم وكانت جوامع المدينة غاصة بالجماهير يقراون القرآن والحسنات "فرق في الفقراء بسخاء فانتفع الناس في موته كما انتفعوا في حياته . ولما تأكد قرب الساعة صلى قائلاً « اللهم ارحم عبدك وعلمه قدر نفسه لانه لم يعرف لها قدراً وانصفه برحمتك » واخذ بعد ذلك يكرر الشهادة الى ان قضى . وقبل وفاته بقليل اخرج بكاراً من السجن لكنه لم يلبث بعد وفاة ابن طولون الااياماً حق توفي ودفن في الفسطاط بكاراً من السجن لكنه لم يلبث بعد وفاة ابن طولون الااياماً حق توفي ودفن في الفسطاط

ولا يزال مقامه معروفاً . وكانت وفاة احمد بن طولون يوم الاحد العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ (الموافق ١١ مايوسنة ١٨٨٤ م) ودفن عند سفح المقطم على طريق المتوجه الى القرافة الصغرى

ولما بلغ المعتمد وفاة أبن طولون حزن حزناً شديداً ورئاه بقصيدة تدل على أن المعتمد كان شاعراً أكثر من كونه حاكماً . وحكم أبن طولون ١٨ سنة كانها حروب وظفر . ومن تأمل سيرة حياته يجدد فخره أنما كان بكثرة المصاعب وهي التي كانت تثير فيه الهمة وتحمله على توسيع نطاق مملكته وقد خلف ثروة قدرها عشرة ملايين دينار وعدداً كبيراً من الاسلحة والامتعة و ٧ آلاف مملوك تحت السلاح و ٢٤ الف مملوك بغير سلاح و ٢٤ الف مملوك بغير سلاح و كثيراً من الخيل والبغال والجمال وحيوانات اخرى . ويقال أن غلة مصر باغت في ايامه مائة مايون دينار سنوياً . وقال آخرون أنها لم تباغ عشر هذا القدر وهو الارجح وكان شجاعاً هماماً حايماً شفوقاً

وذاقبه

ومن امثال شفقته آنه ركب في غداة باردة الى المقس في ضواحي الفسطاط فاصاب بشاطيء النيل صياداً عليه ثوب خلق لا يواريه منه شيء ومعه صبي في مثل حاله وقدالقي شبكته في البحر. فاما رآه رق لحاله وقال « نسيم ادفع الى هذا عشرين ديناراً » فدفعها اليه ولحق ابن طولون. فسار ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميناً والعبي يبكي و يصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله واخذ الدنائير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبي عن أبيه فقال له هذا الغلام (واشار الى نسيم الخادم) دفع الى ابي شيئاً فلم يزل يقلبه حتى وقع ميناً. فقال فتشه يانسيم. فنزل وفتشه فوجد الدنائير معه بحالها فحرض الصبي أن يأخذها فابي وقال هذه قتلت أبي وأن اخذتها قتاتني. فاحضر أبن طولون قاضي المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبي داراً بخمسائة دينار تكون غلة وأن قاضي المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبي داراً بخمسائة دينار تكون غلة وأن تدريج والا قتل صاحبه. «ذا كان يجب أن يدفع اليه دينار بعد دينار حتى تأتيه هذه المحلة على تفرقة فلا تكثر في عنه

واحمد بن طولون اول من جلس في مصر للنظر المظالم فكان يجلس لذلك يومين في كل اسبوع في محل يقتبل فيه التظامات وينصف اصحابها . وكان تقياً يحترم الشعائر الدينية كثيراً فكان له في قصره حجرة جعل فيها رجالاً سماهم المكبرين يبيت منهم في كل ليلة اربعة يتناوبون البيل نوباً يكبرون ويشبحون ويجمدون ويهللون ويقراون

القرآن تجويداً بالالحان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان

ومن مناقبه الحميدة حبه لعمل الخير المجرد والتصدق على كل من طلب الصدقة . فكان ينفق في سبيل ذلك الني دينار شهرياً سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النع . وسوى مطابخه التي اقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويفرق للناس في القدو والفخار والقصاع على كل قدر او قصعة الكل مسكين اربعة ارغفة في اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران بما في القدر وكانت تعمل في داره وينادى من احب ان يحضر دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسرته ذلك ويحمد الله على نعمته . ولقد قال له من البراهيم بن قراطقان وكان متوليا تفريق الصدقات « ايد الله الاميرانا نقف في المواضع الراهيم فيها الصدقات فيها الحديد والكف فيها الحديد فيها الخاتم »

فقال « يا هذا من مد يده اليك فاعطه فهذه هي اللطيفة المشهورة التي ذكرها الله في كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف . احذر ان ترد يدا امتدت اليك » وابن طولون اول من بني قلعة في يافا . وترك عند وفاته ٣٠ ولداً ١٧ ذكراً و١٣ انتى ولم يكن عمره عند وفاته اكثر من خمسين سنة . واوصى ان تكون الاحكام لبنيه من بعده أيكون له من اسله دولة تخلد ذكره . الا ان هذه الدولة لم تمكث بعده الا





وهذه صورة النقود التي ضربت في عهد ابن طولون سنة ٢٥٧ ه وعليها اسمه واسم الخليفة المعتمد (انظر شكل ٣٩)

ش ٣٩ — نقود المعتمدوعليها اسم ابن طولون



خمارویه بن أحمد

من سنة ٧٠٠ ــــ ٢٨٢ هـ او من ٨٨٤ ــــ ٥٨٠ م

وبعد وفاة ابن طولون اقيم ابنه خمارويه حالاً في مكانه في ذي القعدة سنة ٢٧٠ ه وسنه ٢٠٠ سنة ولقب بأبي الجيش فسر الناس من توليته . واما العباس فكان لا يزال في السبجن وقدكر هنه الامة لما كان من عقوقه . وقال بعضهم ان اباه ناداه قبل وفاته وعفا عما كان منه واوصى له بامارة الشام تحت امارة اخيه خمارويه لكنه مالبث ان اقيم اخوه على الاحكام حق ذهبت حياته بأمره ، ولم يشأ خمارويه ان يجعل مركز حكومته في الفسطاط كما فعل ابوه فجملها في القطائع التي كان قد بناها ابوه مقراً الرجاله

واول شيء اتاه خمارويه اله قرب قلوب الرعية اليه بنزاهته و نسرته لاحق. ذلك ان كنيسة الاسكندرية كانت سنة ٢٦٨ه تحت رعاية البطريرك ميخائيل وكان هذا قدعزل الاسقف سكا لسوء سيرته وتعاليمه فسارهذا الاسقف الى الفسطاط مضمراً شرًا فسمى الى احمد بن طولون فساداً وادعى ان البطريرك وافر الثروة وهو لايحتاج الى المال. وكان احمد اذذاك يتأهب للمسير الى سوريا وفي احتياج للنفقات فاستحضر البطريرك المذكور وقال له د ان من كان في مكانك ايها البطريرك لايحتــاج الى أكثر من الطعام والاباس وقـــ عامت انك ذو ثروة والبـــ لاد في احتياج الى نفقات كبـــيرة فادفع مالديك الى بيت الممال > فاجتهد البطريرك في رفن تلك التهمة عنمه فذهب اجتهاده عبثاً . والقي في السجن ومعه احدثهامسته المدعوا بن المنذرسنة كاملة فاخذيو حنا وابراهيم ابنا موسى كاتب احمد بن طولون على عائقها ان يطلق البطريرك بعد ان يدفع مبلغاً يجمعه من رعاياه المسيحيين . فكنب على نفسه صكاً بمبلغ ٢ الف ديدار يدفعه على دفعتين لكنه لم يستطع الدفعة الاولى الا بعد العناء الشديد والاستقراض وسيم اوقاف الكنيسة لأن ما فرضه على ابناء الكنيسة لم يكن وافياً بالطلوب. فاصبح البطريرك في حالة اليأس وانزوى في دير القديسة مريم في قصر الشمع بجوار الفسطاط لايملم كيف يقوم بدفع المبلغ الباقي فاكثر الضرائب على الاسقفيات آلى حد لم يكن في الامكان القيام بدفعه فنسب اليه الاستبداد وهو براء منه . ولما آن وقت الدفع لم يكن قادراً عليه فقيد ثانية الى السجن وبعد يسير توفي ابن طولون . فاما تولى خمارويه رأى من المدالة ان يخلى سبيله وببرى، ذمته بما كان باقياً عليه ففعل وكان لذلك وقع عظيم عند الاقباط

حدائق خارويه واصطبلاته

ثم أخذ في تدبير الاحكام فلم يغير شيئاً مما كان في ايام ابيسه فابقي ارباب المنساصب كاكانوا فبقيت قيادة جيش الشام في يد ابي عبدالله وقيادة مابقي من الجيوش في يد سعيد الايسر، والحي يتأكد مناعة الشام ارسل البها مراكب حربية تطوف في مياهها، ولما الطيان بالله من قبيل ذلك عكف على الداخلية فاقبل على قصر ابيه وزاد فيه واخذ الميدان فجمله كله بستاناً وزرع فيه انواع الرياحين والشجر المطعم العجيب وانواع الورد والزعفران وكسا اجسام النخل نحاساً مذهباً وجعل بين النحاس واجسام النخل من ارب الرساس واجرى فيها الماء المدبر وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتمهده البستاني بالقراض حتى لاتزبه ورقة على ورقة وطعموا له شهر المشمش باللوزوا شباه ذلك، وبني في البستان برجاً من خشب الساج المنقوش باللقر النقوم مقام الاقفاص وسرح فيه من اصناف القاري والدباسي والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت. وجعل فيه اوكاراً تفرخ الطيور فيها وسرح في البستان من الطير العجيب كالمطواويس ودجاج الحبش ونحوها. وعمل في داره مجلساً في رواقه من العبر العجيب كالمطواويس ودجاج الحبش ونحوها. وعمل في داره مجلساً في رواقه من العبر العجيب كالمطواويس ودجاج الحبش ونحوها وصور حظاياه والمغنيات اللاتي حيطانه صوراً بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتي يغنينه بما عليهن من اللباس بالوانه وجعل عليهن من الحيمئل ما اعتدن لبسه

وجمل امام هذا البيت فسقية ملاً هازئيقاً . وسبب ذلك انه شكا الى طبيبه الارق فاشار عليه بالتفميز فانف من ذلك فقال تأمر بعمل بركة من زئيت فعمل بركة يقال انها ٥٠ ذراعاً طولا في ٥٠ عرضاً وملاها من الزئيق وجعل في اركان البركة سككا من الفضة الخالصة وجعل في السكك زئانير من حرير في حلق من الفضة . وعمل فراشاً من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده وباقي على اللك البركة وتشد زئانير الحرير التي بحلق الفضة في سكك الفضة وينام على هذا الفراش ولا يزال هذا الفراش يرج ويتحرك بحركة الزئيق مادام عليه . ولم يعرف ملك قط تقدم خارويه في عمل هذه البركة

و بني ايضاً بالقصر قبة تضاهي قبة الهواء سهاها الدكة وكانكثيراً ما يجلس فبها ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره و يرى الصحراء والنيل والجبل و جميع المدينة . و بنى ميدا نا آخر اكبر من ميدان ابيه . و بنى ايضاً في داره داراً للسباع « عمسل فيها بيو نا آزاج كل بيت يسع سبعاً ولبوته و بجانب كل بيت حوض من رخام و جعل لتلك بيو نا آزاج كل بيت يسع سبعاً ولبوته و بجانب كل بيت حوض من رخام و جعل لتلك السباع سياساً يقومون بما تحتاج اليه من الطعام والشراب والتنظيف وكان من جملة

هذه السباع سيم ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذي احداً ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم ، فاذا نصبت مائدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه يلتقط ما يرميه اليه من فضلاتها ، فاذا نام جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير وبض بين يدى السرير واذا كان على الارض فبجانبه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة

واتسعت ايضاً اصطبلات خمارويه فعمل لـكل صنف من الدواب اصطبلاً مفرداً وعمل للمفورداراً مفردة ومثل ذلك للفهود وللفيلة والزرافات كل ذلك سوى الاصطبلات التي في الجيزة ، وكان له ايضاً بمصر اصطبلات تنتج فيها الخيل لحلبة السباق ولارباط في سبيل الله برسم الغزو، وبلغت مرتبات الجيش في ايامه تسعيلة الف دينار في كل سنة ، وكانت حلبة السباق في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر العساكر والغامان على كثرتهم بالسلاح التام والعدة الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كا يجلسون للاعباد وكان له معرض للخيل فريد

وقد تقدم ان خمارويه قتل اخاه وكان ذلك بايعاز ابي عبد الله قائد جنود الشام ثم خاف ابوعبدالله ان يعود خمارويه الى الانتقام منه اذ يندم على قتل اخيه فعمدالى المكيدة فكاتب الموفق يقول له «ان هذا الغلام خمارويه لايفهم من امورالاحكام الا انها وسيلة للتمتع بالملاهي » وكتب اليه غيرذلك مما شوق الموفق الى الاستيلاء على مصر. واخذت العداوة تنمو بينهما من ذلك الحين. وفي سنة ٢٧١ ه حصلت واقعة عظيمة بين احمد ابن الموفق الملقب بالمعتضد بالله وخمارويه تدى واقعة الطواحين

واقمة الطواحين

وتفصيل واقعة الطواحين ان احمد بن الموفق لولا ماكان في قلبه من البغض لمارويه لم يستول على دمشق لان ابا عبد الله سامه اياها بدون حرب . فلما علم خارويه لم يستول على دمشق لان ابا عبد الله سامه اياها بدون حرب . فلما علم خارويه بدلك جردجيشه قاصداً استرجاعها حتى بلغ الرملة ومعه سعيد الايسر قائد المجنود المصرية العام فبلغ ذلك المعتضد بالله فسار من دمشق نحو الرملة الى عساكر خارويه فاتاه الخبر بوصول خارويه الى عساكره وكثرة من معه من الجموع فهم بالعود فلم يمكنه اصحاب خارويه الذين صاروا معه . وكان المعتضد قد اوحش ابن كنداج وابن ابي الساج ونسبها الى الجبن حيث انتظراه ليصل اليهما ففسدت نياتها معه ، ولما وصل خارويه الى الرملة نزل على الماء الذي عليه الطواحين فلكه فنسبت الواقعة البه . ثم وصل المعتضد وقد عبى اصحابه وكذلك ايضاً فعل

خارويه وجعل له كميناً عليهم سعيد الايسر. فحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خارويه فانهزمت، فلما راى ذلك خارويه ولم يكن راى مثله قبله ولى منهزماً في نفر من الاحداث الذين لاعام لهم بالحرب ولم يقف دون مصر فنزل المعتضد الى خيام خارويه وهو لا يشك في تمام النهس . فخرج الذين عليهم سعيد الايسر وانضاف اليهم من بقي من جيش خارويه و نادوا بشعارهم و حملوا على عسكر المعتضد وهم مشغولون بالنهب ووضع المصريون السيف فيهم فظن المعتضد ان خارويه قد عاد فركب والهزم و بي يلوعلى شيء . فوصل الى دمشق ولم يفتح له اهلها بايها فمضى منهزماً حتى بلغ طرسوس وبتي العسكران يتضار بان بالسيوف وليس لواحد منهما امير . فطلب سعيد الايسر خارويه فالم يجده فاقام اخاه ابا العشائر وتحت الهزية على العراقيين وقتل منهم خلق كثير وقال فلم يجده فاقام اخاه ابا العشائر وتحت الهزية على العراقيين وقتل منهم خلق كثير وقال الجند عن الشغب بالاموال . وسير البشارة الى مصر ففرح خارويه بالظفر و خجل الهزية غيرانه اكثر الصدقة و فعل مع الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله . فقال لاصحابه ان غيرانه اكثر الصدقة و فعل مع الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله . فقال لاصحابه ان هؤلاء اضيافكم فاكرموهم ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اختار منكم القيام عندنا مله الارام والمواساة ومن اراد الرجوع جهز زاه وسيرناه . فنهم من اقام ومنهم من سار مؤلاء اضيافكم فاكر خارويه الى الشام ففتحتها اجمع فاستقر ملك خارويه له . وهذه مكرماً وعادت عساكر خارويه الى الشام ففتحتها اجمع فاستقر ملك خارويه له . وهذه

الواقمة كانت الاخيرة بين خمارويه والموفق ثم هادت الصلات الودية بين الاثنين وضربا النقود وعليها السهاهما واسم المعتمد في وقت واحدكما ترى في الشكل الاربعين

ش ء ٤ -- نةود عليهااسهاء المعتمدوالموفقوخمأرويه

وفي سنة ٢٧٨ ه توفي الموفق وبابع قواده بولاية العهد لابنه المعتضد بعد المفوض ابن اخيه وفي اول سنة ٢٧٩ ه خلع المعتمد ولاية العهد عن ابنه المفوض وجعلها المعتضد . وفي تلك السنة توفي الخليفة المعتمد على الله بعد ان حكم ٤٣ سنة فبويع ابن اخيه المعتضد بالله فاغتنم خارويه الفرصة لتوطيد العلائق بينه وبين الخليفة الجديد فانفذ الحسين بن عبد الله المعروف بابن القصار وفداً الى بغداد ومعه الهدايا النمينة يعلن الخليفة ان مصر ستؤدي الخراج وقدره مائنا الف دينار . وأنها ستدفع ايضاً عن السنين الماضية ٥٠٠ الف دينار . فاجابه الخليفة بتثبيته في امارته لمدة ٣٠ سنة على ماكان تحت امارته او امارة ابيه وارسل اليه ايضاً الخلعة والسيف المختصين بهذا المنصب

فدفع خمارويه الدفعة الاولى تماماً لمكنه تأخر بعد ذلك رويداً رويداً على انه لم يكن يغفل عن توطيد علائق المودة بينه وبين الخليفة فأرسل اليه وفداً يعرض عليه زفاف ابنته قطر الندى لابن المعتضد فقبل الخليفة بان يكون الزفاف له . وحصل ذلك على اعجب سبيل فحملت قطر الندى الى المعتضد وذهبت معها عمها العباسة بنت احمد بن طولون مشيعة لها الى آخر اعمال مصر من جهة الشام ونزات هناك وضربت فساطيطها و بنيت هناك قرية فسميت باسمها وقيل لها العباسة

ولما استقر له السلام على هذه الصورة مع الخليفة جعل يوسع سلطانه فام، طفيح ابن جف امير دمشق ان يتقدم بفرقة من عساكر طرسوس الى بلاد الروم . ففعل وحارب الروم واستولى على عدة مدن وعاد بالغنائم . وفي سنة ٢٨٧ ه التي كانت زاهية بزفاف قطر الندى سودت بموت خمارويه مقتولاً في دمشق . وذلك انه نمي اليه ان بين بعض نسائه وبعض كبراء خدامه علائق حبية سرية فشق ذلك عليه فأخذ في تحقيق الامر وتأكيد الجرم على فاعله ومقاصته بما يقتضيه العدل فخشي هؤلاء من العقاب الشديد فاتفقوا مع نسائه على قتله لينجوا كلهم من شره فقتلوه على فراشه في ليلة من ليالي ذي الحجة من سنة ٢٨٧ هوقال آخرون في كيفية قتله غير ذلك . وبعد موته التي القبض على عشرين من الخدم الذين وقعت عليهم الشبهة بعد النحقيق تأكدت الجريمة على العشرين في عليهم بالاعدام فنقات جثة خمارويه الى مصرود فنت بسفح الجريمة على العشرين في المها مدد . وكانت مدة حكمه ١٢ سنة و١٨ يوماً وكان من احسن الناس خطاً ، وحال موته بويع ابنه جيش الملقب بأبي العساكر وهوصغير لم يبلغ رشده

- como

جيش بن خمارويه

من سنة ۲۸۲ ــــ ۲۸۳ ماو من ۸۹۰ ــــ ۲۸۸ م

وفي سنة ٢٨٣ هابى طغج بن جف حاكم الشام مبايعة جيش على بلاده وبعديسير ثارت الجيوش في مصر بدعوى انهم لابقبلون موضع احمد بن طولون صبياً لم يبلغ رشده ولا يعرف شيئا من امور الاحكام ، وكان اذا ابدل رجلاً بآخر قالوا قد اختار من هو في سنه او على شا كلته ، وبعد تسعة اشهر من حكمه ثار عليه الجليع وقتلوه ونهبوا قصره واحرقوا المدينة

هارون بن خمارویه

من سنة ٣٨٧ - ٢٩٢ مار من ٢٩٦ - ١٠٤م

واقام زعماء الثورة اخاه هارون مكانه . وقيل ان المعتضد ثبته على مصر لانه وعده بمال يحمله اليه مقداره مليون من الدنانير . وفي السنة المذكورة توفي اؤلؤ وهو الذي كان يسمى بين احمد بن طولون والموفق سعياً آل الى حرب بين الفريقين . وكان اؤلؤقد ضم جيشه الى جيش الموفق في محاربة الزنج الا انه لم يأته ذلك الضم بفائدة تذكر . والا دصل احمد بن طولون الى الشام لم يستطع القبض على لؤلؤ نفسه فقبض على ماكان له في ومشق من الاهل وفيهن نساؤه واولاده وسراريه وباعهم في سوق الفسطاط . فلما بلغ ذلك لؤلؤ ا اخذ منه الغيظ كل مأخذ فتوجه الى الموفق وطلب اليه ان يعطيه جنداً ليغزو به مصر ويمتلكها وينتقم من ابن طولون ، وكان الموفق قد عقد صلحاً مع ابن طولون كم تقدم ولم يشأ ان يجيب لؤلؤ آسلباً فوعده بنيل مرغوبه وكرو الوعد مرادا وانما فعل الموفق ذلك على نية ان يستبقيه عنده لعله يحتاج الى مصالحة ابن طولون فيرسله اليه الموفق ذلك على نية ان يستبقيه عنده لعله يحتاج الى مصالحة ابن طولون فيرسله اليه الموفق ذلك على نية ان يستبقيه عنده لعله يحتاج الى مصالحة ابن طولون فيرسله اليه الموفق دلان على نية ان يستبقيه عنده عما يعتاج الى مصالحة ابن طولون فيرسله اليه المواله وطرده من خدمته فاتى مصر حيث بيعت نساؤه واولاده و بقي فيها الى ان مات شر موتة

وفي سنة ١٨٤ هاي بعد تنصيب هارون بسنة اخد الاهلون ورجال الحكومة يقالمون من الطاعة له ويحتقرون اوامره شيئاً فشيئاً حتى صاروا في استعداد كلي لنبذ الطاعة والحجاهرة بالعصيان ورئيس هذه الثورة طغيج بن جف صاحب الشام وفي سنة ٢٨٥ ه علم المعتضد بما كان من تقسيم بلاد هارون وكره الرعايا له فراى ان يغتنم الفرصة لاسترجاع تلك البلاد لسلطانه كماكانت في عهد اسلافه و فتقدم نحو آمد فبايعه حاكمها محمد بن احمد بن عيسى بن شيخ وكان مستقلاً بها ثم تقدم الى قنسرين وتملكها فلما بلغ ذلك هارون اوجس خيفة ولم يعد يعلم ماذا يفعل وله من رعاياه اعداء ألداء فكاتب المعتضد انه مستعد لتسليمه البلاد التي هي قريبة من العصيان عليه وكتب ايضاً الى حكام قنسرين والعواصم جميعها ان يدعنوا لسلطة الخليفة المعتضد فقبل المعتضد تلك العطية بكل سرور فوضع يده على تلك الاماكن فبايعه اهلها

القرامطة

وفي سنة ٧٨٩ هـ زادتالقلاقل التي كانت تهدد هارون بانتشار القرامطة فيسوريا. ومنشأهذه الطائفة بالبحرين سنة ٢٨١ه ويقال في كيفية ظهورها أن رجلاً يعرف يحيي بن المهدي قصد قطيف فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلي بن حمدان مولى الزياديين وكان يغالي في التشيع . فاظهر له يحيي انه رسول المهديوانه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى امره وان ظهوره قد قرب. فوجه على بن العلى الى الشيعة من اهل القطيف فجمعهم واقرأهم الكتاب الذيمع يحيى بن المهدي اليهم من المهدي. فاجابوه انهم خارجون معه اذا ظهر امره . ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فاجابوه وكان فيمن أجابه سعيد الجنابي وكان ببيع للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم . ثم فاب عنهم يحيي بن المهدي مدة ثم رجم ومعه كتاب يزعم انه من المهدي الى شيعته ونصه «قد عرفني رسولي ابن المهدي مسارعتكم الى امري فليدفع اليه كل رجل منسكم سنة دنانير وثلثين ، ففعلوا ذلك ثم غاب عنهم وعاد ومعمه كتاب مفاده ادفعوا الى يحيى خس اموالكم فدفعوا اليه الحمٰس . وكان يحيي يتردد في قبائل قيس ويورد لهم كتباً ويزعم انها من المهدي وانه ظاهر فيكونون على اهبة . وصار امر هؤلاء ينتشر وعددهم يتعاظم حتى طمعوا بالغزو فبلغوا الشام واستفحل امرهم حتى حاربوا طغج صاحب دمشق وحاصروها سنة ٢٩٠ ه فاجتمع اليها جميع قوات الشام وهاجموا القرامطة وشتتوهم بعدان قتلوا شيخهم يحيي وفي سنة ٢٩٢ هكان على دست الخلافة العباسية الخليفة المسكتفي بالله بن المعتضد فاحب ان ينفذ ماكان نواه سلفه في سوريا ومصر فانفذ جيشاً الى الشاّم تحت قيادة محمد أبور سلمان فتملكها حالاً وكانت له مباء ثم هجم على مصر فاخترقها حتى بلغ عاصمتها (الفسطاط) فاستعد هارون للمدافعة ورجاله ينقصون يوماً فيوماً لما كان يسيرمنهم الى صفوف الاعداء بعد كل وقعة . ولم يكن ذلك منتهى الشقاء فان معسكر هارون نفسه كان مرسحاً تتلاعب فيه الدسائس وينمو فيه الخصام بين رجاله . واشتد القتال بينهم يوماً فركب هارون جواده واخذ في ردهم بعضهم عن بعض فاصيب بطعنة من احد المغاربة فسقط ميتاً في ١٨ صفر سنة ٢٩٢ ﻫ وكانت مدة حكم هارون ٩ سنوات كلها تعماسة وشقاء ويقال ان عمه شيران هو الذي قتله

شيبان بن أحمد من سنة ۲۹۲ ـــ ۲۹۲ هاو من ۹۰۶ ـــ ۹۰۶م وانقضاء الدولة الطولوبية

وفي يوم موته اقيم عمه شيبان مكانه الا انه لم يهنأ بالحسكم لان الناس رفضوه بصوت واحد وخابروا محمد بن سليمان ان يعطيهم الامان فأمنهم ثم حرضوه على المسير الى مصر فسار حتى زل الباسة فلقيه طغيج في اناس من القواد كثيرين فساروا به الى الفسطاط مواقبل اليهم عامة اصعاب شيبان

ولما رأي شيبان اصرارهم على ذلك ولم يبق لديه احد بمن يعتمد عليهم وافقهم على التسليم فاستلم محمد بن سليان زمام الامور فاعطاهم الامان فبايعوه . أما شيبان فلم يكن يأمن من سكناه في مدينة أقام فيها مغتصبها منه ففر من المعسكرليلاً فبعث محمد بن سليان من يقبض عليسه فلم يظفر به وقال آخرون أنه لم يفر ولكنه قتل جزاء قتله هارون بعد عشرة أيام من قتله . وهكذا أنهت الدولة الطواونية بعد أن حكمت ٣٧ سنة و يضعة أشهر

ويوم الحميس اول رسيع اول من تلك السنة التي محمد بن سليان النار في القطائع ونهب اصحابه الفسطاط وكسروا السجون واخرجوا من فيها وهجموا على الدور واستباحواوهتكوا وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغيرذلك . واخرجوا ولد احمد بن طولون وهم عشرون انساناً واخرجوا قوادهم ولم يبق في مصر منهم احد يذكر . وخات منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطات منهم المنازل وحل بهم الذل بعد اجهاع الشمل و نضرة الملك ومساعدة الآبام . ثم سيق اصحاب شيبان الى محمد بن سليان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه . وقتل من السودان سكان القطائع خلق كثير وهكذا بادت دولة بني طولون فرثهم الشعراء من السودان سكان القطائع خلق كثير وهكذا بادت دولة بني طولون فرثهم الشعراء والكتباء . وقد وقفنا على قصائمه لكثير من الشعراء المعاصرين للدولة المذكورة يرتونها بها ويبالغون في الاسف عليها منهم احمد بن محمد الحبيشي واحمد بن يعقوب واسماعيل ابن ابي هاشم وسعيد بن القاضي واحمد بن اسعاق الجفر وعمد بن طسويه وغيرهم . في قاله سعيد بن القاضي من قصيدة طويلة قد من بعضها قوله

جرى دمعه ما بين سحر الى نحر ولم يجر حتى اسامته بد الصبر وهل يستطيع العبر من كان ذا اسى سيت على جر ويضحى على جر

وغدر من الايام والدهر ذو غدر ذوي الدين والدنيا بقاصمة الظهر امر على الاسلام فقداً من القطر حيل الحيا لا يبيت على وتر واشراقها في عصره ليسلة القدر محلقة بين السماكين والغفر يخبر عنه بالجيلية من الامر له مسجد يغني عن المنطق الهذر على جبل عال على شاهق وعر ويهديبه فيالليل ان ضل من يسري وعين أجاج للرواة وللطهر لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر وتوسعة الارزاق للحول والشهر الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر من الناس في بدو البلاد ولاحضر كما قام ايث الغاب في الاسل السمر فاصبح مسلوباً من النهى والامر كذاك أبو الاشبال ذو الناب والهصر ولكن جيشأكان مستقصر العمر على كظف من ضيق باع ومن حصر عقاربه من كل ناحيسة تسري لفقيدهم فليبك حزناً على مصر فبورك من دهر وبورك من عصر

تتابع احداث يضيعن صبره اصاب على رغم الانوف وجدعها وفقــد بني طولون في كل موطن وكان أبو العباس أحمد ماجداً كأن ليالي الدهركانت لحسبها مدلُّ على فضل ابن طولون همة فان كنت تبغى شاهداً ذا عدالة فبالجبل الغربي خطة يشكر وتنُّـور فرعون الذي فوق قلة بني مسجداً فيمه يروق بناؤه وعين معين الشرب عين زكيــــةُــُــ بينه لو ان الجن جاءت بمثله ولا تنس مارستانه واتساعه وان جئت رأس الجسر فانظر تأملاً ترى اثراً لم يبق من يستطيعه وقام ابو الجيش ابنــه بعـــد موته اتته النسايا وهو في امر • داره وورَّث هارون ابنـه تاج ملـكه وقد كان جيش قبله ' في محله ِ فقام بام الملك هارون مدة وما زال حتى زال والدهر كاشح فن يبك شيئاً ضاع من بعد أهله ليبكِّ بني طولون اذ بان عصرهم

اما القرامطة فاغتموا غياب الجيوش لمحاربة مصر وعادوا الى ماكانوا عليه في سوريا فعلم محمد بن سليمان بذلك فسافر الى بغداد مستخلفاً في مصر حاميتها وجيش الخليفة . الا ان الامورلم تكن قد سكنت تماماً فثار ابن قلندج وضم اليه عصبة سببت اضطراب الراحة فاستدركها ابن كيغلغ حاكم سوريا فترك دمشق ومعه جيش الخليفة الذي كان

نحت قيادته وجاء لاخماد ثورة مصر فاغتنم القرامطة فرصة اخرى واستولوا على دمشق وتقدموا الى طبريا فنهبوها ولكنهم لم يتجاوزوها مخافة ان تلاقيهم الحيوش التي كانت في مصر فعادوا قاصدين الكوفة وكان هناك من المواقع ما لا علاقة له بهذا التاريخ

الدولة العباسية للمرة الثانية

من سنة ۲۹۲ --- ۳۲۳ ه او من ۹۰۰ -- ۹۳۴ م

المسلمة المسلمة المسلمة

خلافة المكتني بن المعتضد

من ۲۹۲ ـــ ۲۹۰ ماو من ۹۰۰ ـــ ۹۰۸ م

فعادت مصر الى سلطة الدولة العباسية في خلافة المكتفي فاقام عليها عيسى النوشري . وبعد ٣ سنوات توفي المكتفي يوم الاثنين في ١٣ ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ وعمره ٣١ سنة و٣ اشهر بعد ان حكم ٦ سنوات و٧ اشهر و٢٢ يوماً

خلاقة المقتدر بن المتصد

می ۱۹۵ ـ ۲۹۰ م او ۲۰۹ ـ ۲۹۴م

وفي يوم وفاة المكتفي بويع اخوه جعفر المقتدر بالله وعره ١٣ سنة . فام يحدث قي الامارات تغييراً يذكر فاقر عيسى النوشري على مصر . على ان هذا اضطر بعد حين ان يخلى عنها لمحمد بن الخليج ولم يلبث بضعة اشهر حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري فعاد فتو لاها نحو ٣ سنوات وفي شعبان سنة ٢٩٧ه توفي فابدل بتكين الخزري اليه منصور وبقي الى سنة ٢٠٠٧ ه فأقيل واقيم مقامه زكا الرومي ابو حسن الاعور . فتولى محمر خس سنوات ومات في ربيع الاول سنة ٣٠٠٧ ه فأعيد تكين ثانية . وبعد فتولى محمر خس سنوات ومات في ربيع الاول سنة ٣٠٠٧ ه فأعيد تكين ثانية . وبعد

ايام توفي تكين تاركاً ولداً يدعى محمداً . وهذا وضع يده على حكومة مصر بدون اذن الخليفة . اما الخليفة المقتدر فقتل في ٢٨ شوال سنة ٣٢٠هـ وعمره ٣٨ سنة بعــــــ ان حكم ٢٤ سنة و ١٦مـــــــ وماً



خلافة القاهر بن المعتضد

من ۲۲۰ ـــ ۲۲۲ ه او من ۹۳۲ ـــ ۹۳۶ م

فبويع اخوء القاهر بالله الابن الثالث للمعتضد بالله . فاراد هذا ان يقاص محمد بن تكين على جسارته فولى على مصر ابا بكر محمد بن طغيح ومن هذا نشأت دولة حكمت مصر وسوريا مدة من الزمن عرفت بالدولة الاخشيدية

مبرأ الدولة الاخشيدية

وكان ابو بكر محمد ابن طغم في ذلك الحين حاكماً في دمشق واحله من أولاد فرغانة . وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جاب اليه من فرغانة جماعة من اقوياء الرجال ووصفوا له جف (جد ايي بكر محمد) وغيره بالمياسيحاتة والتقدم بالحروب فوجه المعتصم من احضرهم . فاما وحلوا اليسه بالغ في اكرامهم واقطمهم بالحروب فوجه المعتصم من احضرهم . فاما وحلوا اليسه بالغ في اكرامهم واقطمهم قطائع في سامراً (او سر من رأى) وحباء الاولاد وتوفي في بغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل الاربعاء في ٣ شوالسنة وحباء الاولاد وتوفي في بغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل الاربعاء في ٣ شوالسنة به به بلؤلو غلام ابن طولون وهو اذ ذاك مقيم بديار مدمر (في ما بين النهرين) فاستخدمه على ديار مصر ثم المحاز طغم الى معالم المن طولون وجرى الصلح بين ابنه خمارويه وبين اسحق بن معه الى ان مات احمد بن طولون وجرى الصلح بين ابنه خمارويه وبين اسحق بن كنداج . ونظر ابو الجيش خارويه الى طغم بن جف في جملة اسحاب اسحق قاعجب به واخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقاده دهشق اوطبرية ولم يزل معه به واخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقاده دهشق اوطبرية ولم يزل معه الى ان قتل ابو الجيش فرجم طغم الى الخليفة المكتفى بالله نفام عليه وعرف له ذلك . الى ان قتل ابو الجيش فرجم طغم الى الحليفة المكتفى بالله نفام عليه وعرف له ذلك . وكان وزير الخليفة يو مئذ العباس بن الحسن فسام طغم ان يجرى بالنزاف بحرى غيره ،

فكبرت نفس طغح عن ذلك فاغرى به المكتني فقبض عليه وحبسه وابنه ابا بكر محمه ابن طفيج المذكور فمات في السجن و بتي ولده ابو بكر معه محبوساً مدة ثم اطلق وخلع عليه . ولم يراسل العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى اخذ بثار ابيه هو واخوه عبيد الله في الوقت الذي قتله فيه حسين بن احمد بن حمدان

وخرج ابو بكر واخوه عبيد الله في سنة ٢٩٦ ه وهرب عبيد الله الى ابن ابي الساج ، وهرب ابو بكر الى الشام واقام متغرباً بالبادية سنة ثم اتصل بابي منصور تكين الخزري فكان اكبر اركانه ، وبما كبر به اسمه سريته في البعث الى الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم سنة ٣٠٦ ه وهو حينئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين المذكور وظفر بهم ونجا الحجاج وقد فرغ من امرهم بقتل من قتله واسر من اسره وشرد الباقين ، وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امراة تعرف بعجوز فحدث المقتدر بالله بما شاهدت فانفذ اليه خلعاً وزاده في رزقه . ولم يزل ابو بكر في صحبة تكين الى سنة ٣١٦ ه ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ٣١٨ ه فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ٣١٨ ه فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى ان ولاه القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة ٣٢١ ه وحصل في تلك في رمضان سنة ٣٢١ ه وحصل في تلك الايام اضطرابات في الخلافة بلغ صداها القطر المصري

خلافة الراضي بن المقتدر

من سنة ٢٢٢ ـــ ٣٢٣ هـ اومن ٣٤٤ ـــ ١٩٣٤م

وفي ٥ جهادى الأولى سنة ٣٢٧ه عول القاهر بالله عن دست الخلافة بعد ان حكم سنة و٦ اشهر وستة ايام وفي اليوم الثاني بوبع ابن اخيه الراضي بالله بن المقتدروحال توليته الخلافة عول ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لاستلام الامارة فامتنع ابن كيغلغ من تسليمه وتخاصها حتى عمدا الى السلاح وبعد محاربات شديدة كان الفوز لمحمد بن طغج وفر احمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه الى برقة ومنها الى القيروان

مبدا الدولة الفاطمية

وكانت القيروان وسواحل الغرب تحت سلطة دولة مستقلة عن العباسيين تدعي الدولة الفاطمية نسبة الى الفاطميين وهم من كتامة بالقرب من فاس في الطرف الغربي من افريقية ويدعون انهم من سلالة اسماعيسل الامام السادس من سسبط على وبعبارة اخرى من سلالة فاطمة ابنة النبي ومنهالقبهم، ويلقبون ايضاً بالاسماعيليين والعبيديين والعلوبين وكانوا قد اخذوافي نشر سلطتهم منذ سنة ٢٦٩ه في شمالي افريقيا وغربيها في احراب من الاغالبة والادريسيين كانوا قد خلعوا طاعة الخلفاء العباسيين في بغداد وخلفاء بني امية في الانداس

وفي سنة ٧٨٠ ه استولى زعيم الفاطميين ابو محمد عبيد الله على القسيروان . وفي سنة ٢٩٦ ه راى من نفسه القوة فادعى الحلافة فبويع ولقب بالخليفة عبيدالله المهدي وانه آخر الائمة العلويين الذي يدعي انه منهم وانه احق من سواه بالخلافة . فاصبحت الدولة الاسلامية بذلك منقسمة الى ثلاث دول على كل منها خليفة يدعى الاحقية بالخلافة وهم بنو امية في الاندلس وبنو العباس في بغداد والفاطميون في القيروان . فلما سمع عبيد الله المهدي زعيم الفاطميين عن حالة مصر مع ما هي عليه من الثروة والخصب تاقت نفسه اليها واخذ يسعى في الاستيلاء عليها

و بعد خلافته بخمس سنوات اي في سنة ٧٠١ ه بعث الى مصرار بعين الف مقاتل في ٣ فرق مع الرجاء الوطيد بفوزها . فعلم الخليفة المقتدر بالله بما نواء المهدي فجهز جيشاً لدفع هذه الرزيئة عن مصر فجرت بين الفريقين وقائع عديدة شفت عن فوز الجيوش المصرية . فعاد الفاطميون على اعقابهم وطاردهم المصريون حتى اخرجوهم من حدود مصر . فراى عبيد الله بعد هذا الفرار ان يؤجل افتتاح مصر لوقت آخر ولكنه راى ايضاً حصوله غير كافية فاسس مدينة دعاها المهدية نسبة اليه على ان تكون عاصمة وقتية ريثها يفتح مصر فيجعل عاصمته . لانه كان مصمهاً على افتتاحها الا ان ذلك الافتتاح لم يتيسر لعبيد الله ولا لخلفه الاول ولا الثاني . وفي سنة ٢٢٣ ه توفي عبيد الله المهدي وسنه ٢٣ سنة بعد ان تولى الخلافة الفاطمية ٢٠سنة فتولى ابنه المهدي بالقايم بام الله وكان آكثر تشوقاً للافتتاح من أبيه

وفي أيام القائم هذا جاء أحمد بن كيغلغ مطروداً من مصريطلبماجاً عنده وجعل يحمد على المسير الى مصروافتناحها فراى القائم ان في افتناحها عظمة وفخراً فجهزاليها ملم محمد بن طغج ذلك فعصن الحدود الغربية لمصروجعل فيها حامية قوية . لكن ذلك

لم يمنع من نزول القضاء لان الفاطميين فتحوا الاسكندرية وبعد ان مكنوا قدمهم فيها تقدموا بجيوشهم حتى دخلوا الفسطاط واحتلوا قسما كبيراً من الصعيد . ثم راى القايم بامر الله ان جنده لايقوون على افتتاح العاصمة فاجل ذلك ريثما تضعف شوكة الدولة العباسية اكثر من ضعفها اذ ذاك فيسهل عليه افتتاحها

أما الدولة العباسيسة فكانت في غاية الضعف لان اماراتها اخذت تستقل عنها شيئاً فشيئاً. قاستولى القرامطة على سوريا وقسم من جزيرة العرب والسامانيون على خراسان والامويون على الأنداس والفاطميون على افريقيا والحمدانيون على مايين النهرين وديار بكرو بنو بويه على بلاد فارس ولم يبق للعباسيين الابتداد و بعض ضواحيها ومصر

الدولة الاخشيدية

من سنة ٣٢٣ ـــ ٣٥٨ هـ او من ٩٣٤ ـــ ٩٦٨م

محمد الاخشيد

من سنة ٣٢٣ -- ٣٣٤ هـ أو من ٩٣٤ -- ٩٤٦ م

فلما وأى ابو بكر محمد بن طغيج امير مصر ماكان من انحلال الدولة العباسية وانقسام الدولة الاسلامية على متقدم طلب نصيبه من تلك القسمة فصرح باستقلاله في مصر سنة ٢٧٤ ه فاضطر الخليفة الى تثبيته وملكه فوق ذلك سوريا مع أنها لم تكن بيده . وفي ٢٧٧ ه لقبه بالاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من اولادهم ومفاد هذه اللفظة في لغتهم ملك الملوك وكان كل من ملك فرغانة القبوه بالاخشيد كما يلقب الفرس ملكهم كسرى والروم قيصر والترك خاقان واليمن تبع والحبشة النجاشي الح. ومن سلالة ابي من الحيرة الى ساحل النيل فنقلت من الحيرة الى ساحل النيل فنقلت

وفي سنة ٣٢٨ ه اعطى الخليفة الراضي بالله القب امير الامراء لمحمد بن رائق صاحب وفي سنة ٣٢٨ م اعطى الخليفة الراضي بالله وعليها الامير بدر بن عبد الله وللسطين وكان مستقلاً عنه، فلاح له ان يغزو الشام وعليها الامير بدر بن عبد الله الاخشيد لأنجاده مستخلفاً الاخشيدي من قبل الاخشيد فحاربه فهرب بدر فنهض محمد الاخشيد لانجاده مستخلفاً

في مصر اخاه الحسن وعسكر في الفرما وكانت جيوش محمد بن رائق قد بلغت الى هناك فتوسط بعض الامراء في الامر فانصرفت النازلة بالتي هي احسن وتصالحا . فعاد محمد الاخشيد الى الفسطاط وما بلغها حتى انبيء ان محمد بن رائق برح دمشق وفي بيته ان يهاجم مصر . فاسرع الاخشيد حالاً إلى ما كان عليه فعاد بجيشه الى الشام فالتتى بمقدمة جيش ابن رائق في العريش فحملت واقعة شفت عن انهزام جيش محمد بن رائق الى دمشق . فوضع محمد الاخشيد يده على الرملة واسر خمسمائة رجل من جيش ابن وائق وفي هذه الواقعة قنل حسين اخوالاخشيد . فما كان من ابن وائق مع ما كان بينه وبين الاخشيد من العدوان الاانه انفذ اليه ابنه من احماً ومعه كتاب يعزي الاخشيد فيه على فقد اخيه ويعتذر بماجرى ويحلف انه ما ارادقتله وانه قدا نفذ ابئة ليفديه به ان احب فقد اخيه ويعتذر بماجرى ويحلف انه ما ارادقتله وانه قدا نفذ ابئة ليفديه به ان احب ذلك . فلما بلغ مزاحم محمداً الاخشيد اكرم مثواء وخلع عليه واصطلحا على ان تكون البلاد من الرملة الى حدود مصر للاخشيد وباقي الشام لحمد بن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة الى حدود مصر للاخشيد وباقي الشام لحمد بن رائق ويحمل اليه على د بجبشه الى مصر سنة ٢٥٠ هدا من الرملة الى مصر سنة ٢٥٠ هدا الله عدة الماهدة

وفي ٦ ربيع اول من هذه السنة توفي الخليفة الراضي بالله وعمره ٣٦ سنة وشهور ومدة حكمه ست سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام فبويع الخوم ابو استحاق ابراهيم الملقب بالمتقى لله

ش ٤١ — نقود الراضي مأللة

وفي سنة ٣٣٠ ه اقر المتقيلة محمد الاخشيد على مصر . ثم انصل بمحمد الاخشيد ان محمد بن رائق قتله الحمدانيون فنهض لاسترجاع البلاد التي كان اقام بينه وبين ابن رائق المعاهدة عليها فدخل الشام مسرعاً ولم يعد الى مصر حتى استولى على دمشق وما جاورها . وسنة ٣٣١ ه تأكد محمد الاخشيد ثبوت قوته فأوصى بالحسكم من بعدم لابنه ابي الفاسم محمود الملقب بانوجور

وفي سنة ٣٣٧ ه حصل شغب في بغداد وسببه ان لقب امير الامراء الذي كان يهبه الخليفة لحبار الاثراك اصبح في نظرهم اشرف من الخلافة فناله توزون وجمل بقاوم

الخليفة في احكامه حتى اضطر الخليفة الى ترك بغداد وهاجر الى الموصل. فاستجار هناك بناصر الدولة وسيف الدولة من بني حمدان واستنصرهما فنصراه وجردا جيشاً قوياً" وسارا ومعهما الخليفة الى بغداد فهاجموا توزون فغلبهم وعادوا على اعقابهم الى الموصل فخلع الخليفة على كل من الاميرين الحمدانيين خلعة الشرف وهي غاية ماكان للخلفاء ان يهبوه في ذلك العهد . ثم سار الخليفة من الموصل الى الرقة فلاقاء كتاب توزون يدعوه للعود الى بغداد . فلما رأى الخليفة ان لصراءه من بني حمدان عجزوا عن نجدته لاح له قر ول ما دعاء اليه توزون وقبل ان يهم بذلك جاءه محمد الاخشيد من مصريدعوه اليها مباء له فرفض فألح عليه الاخشيد وعاهده ان يقوم بكل مايحتاج الخليفة اليه من النفقات والارزاق بشرط ان لايعود الى بغداد وياقي نفسه بين ايدي توزون . فتردد الخليفة بينالامرين . فلما را ى توزون المذكور تمنع الخليفة عن القدوم الى بغدادخشي ان يكون على ثقة بمن ينصره عليه فجاءه بنفسه وترامى على قدميه والح عليه أن يتوجه معه الى بغداد زاعمًا انه لايعرف احدًا غيره خليفة على المسلمين ، فسارمعه ولم يكد يبلغ تلك العاصمة حتى خلعه في ٢٠ صفر سنة ٣٣٣ ه بعد ان حكم ٤ سنوات و١١ شهراً وولى مكانه ابا القاسم عبد الله بن الكـتني ولقب بالمستكفي بالله . وفي ٢٢ جهادى الثانية سنة ٣٣٤ هـ عزل المستكفي بعد ان حكم سنة و٤ اشهر ويو.ين . فبويع مكانه الفضل ابن المقتدر ولقب المطيع لله ونتي هذا على دست الخلافة ٣٠ سنة وهو آخر. من كانت له السيادة على مصر من الخلفاء العباسيين

مدرسوالله و المحادث ا

وهذه سورة النقود التي ضربت على عهد الخليفة المطبع لله سنة ٣٥٣ ه كما ترى في شكل ٤٢

ش ٢٢ — نقود الحلية: المطبع لله

اما محمد الاخشيد فلما رأى الخليفة المتي ميالاً الى مطاوعة توزون في آلسير الى بغداد مكث في دمشق بضعة ايام ثم عاد الى مصر . فسار سيف الدولة الى حلب وكان حاكمها يانس المونسي من قبل الاخشيد فحاربه فاستولى عليها . ثم سار متعقباً ابراهيم الأوكيلي قائد الجيوش المصرية وغلبه بين سرمين والمعرة واستولى على دمشق وكانت الى ذلك العهد في حكم محمد الاخشيد. فارسل محمد الاخشيد في الحال كافوراً الى الشام وكان من مواليه وله فيه الثقة التامة وارسل معه جيشاً كبيرًا

وكان كافورعبدا اسود خصيا مثقوب الشفة السقلي بطينا قبيح القدمين معتل البدن

جلب الى مصر وعمره عشر سنين فما فوقها في سنة ٢١٠ ه فباعه الذي جلبه لمحمد بن هاشم احد المتقبلين للضباع ، فباعه لابن عباس الكاتب واتفق ان ابن عباس الكاتب ارسله يوماً الى الامير ابي بكر محمد بن طفح الاخشيد وهو يومئذ احد قواد تكين امير مصر فأخذ كافورًا وردَّ الهدية فترقي عنده بالخدمة حتى صار من اخص خدمه ، فلم مصر فأخذ كافورًا وردَّ الهدية فترقي بان سيف الدولة علي بن حمدان اخدها وسار الى يكن باسر ع من ورود الخبر من دمشق بان سيف الدولة علي بن حمدان انهم لا محار بون الرملة حتى خرج لملاقاته فالتق الجيشان يوم الجمعة فاعتذر بنو حمدان انهم لا محار بون في هذا اليوم المبارك فتركوا معسكرهم وساروا يطوفون في الخلاء المجاور فهجم كافور في هذا اليوم المبارك فتركوا معسكرهم وساروا يطوفون في الخلاء المجاور فهجم كافور الى عبوره بعيشه حياه ومنها الى رستو فتبعه كافور وكان سيف الدولة في انتظاره هناك بقدم ثابتة فلما قدم جيش كافور وجد بينه وبين العدو نهر العاصي فاضطر الى عبوره بجيشه فاغتنم سيف الدولة فرصة في غاية المناسبة والعساكر المصرية سابحة في الماء وهم عليهم فأخذ منهم خمسة آلاف اسير وجميع امتعتهم وفر صحافر الى حمص ومنها الى دمشق

فلما بلغ ذلك محمد الاخشيد سار من مصر بجيش كبير حتى اتى المرة . فعلم سيف الدولة بمجيء الجيوش المصرية بقيادة الاخشيد فهاله لامر ولكنه لم يشأ الفرار فعزم على ان يهاجم العدو مهاجمة اليأس . فارسل خزائمه وعبيده وحرمه الى ما بين النهرين وقدم بجيشه الماجيشه الماخشيد في الاخشيد بيشه الى فرقتين جمل الرماحة الى الامام وسار هو في عشرة الاف رجل من نخبة الرجال الى الوراء ، فهاجم سيف الدولة الفرقة الامامية وشدتها اما فرقة الاخشيد فكانت راسخة القدم فلم يقدر سيف الدولة على تشتيها تماماً لكنه استولى على بعض مناعها . فافترق الجيشان ولم تنته الغلبة لاحدها ، وسار سيف الدولة الى منبح فعبر بحيرتها قاصدًا ما بين ولا تربن . فحرض في الرقة وكانت جيوش محمد الاخشيد هناك ويفصل الجيشين نهر الفرات وبقيا عدة ايام بدون حرب . ثم اصطلحا على ان تكون حمص وحلب وما بين الفرات وبقيا عدة ايام بدون حرب . ثم اصطلحا على ان تكون حمص وحلب وما بين وحفروا خندقاً بين فو ومن حدود حمص الى حدود بلاد العرب تبتى لحمد الاخشيد ، وتأبيداً الهذا الصلح تزوج سيف الدولة ابنة محمد الاخشيد وعاد كل منها الى طبيعية . وتأبيداً الهذا الصلح تزوج سيف الدولة ابنة محمد الاخشيد وعاد كل منها الى بلاده . الا ان المصالحة المذكورة لم تابث حتى نقضت وحصل بين الاخشيد وبني المدولة آلت الى استرجاع حلب للاخشيد

وفي سنة ١٩٣٤ هـ توفي محمد الاخشيد في دمشق في ذي الحبجة وعمره ستون سنة ومدة حكمه ١١ سنة وسما الشهر ويومان ودفن في القدس الشريف . وكان ممتازاً بصفات حيدة اخصها البسالة والتدبير في الحرب فكان ملكاً حازماً شجاعاً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن القدير مكرماً للجند شديد العضل لا يكاد يجر غيره قوسه . وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة الفان منهم ويوكل بجانب خميته الحدم اذا سافر ثم لايشق حتى يمضي الى خيم الفراشين . وكان لا ينام لياتين متواليتين في مكان واحد فلم يكن احد يعلم بمكان نومه ، على ان المؤرخين لم يطلعونا على شيء في مكان واحد فلم يكن احد يعلم باختلاف الازمان وان قالوا انها محو المملكة الطولونية في زمانها أي انها تشمل وحر وفلطسين وسوريا الى الفرات وقسماً كبراً و بلاد العرب . وقد شكى المسيحيون من جوره ، فكان اذا جرد حملة واحتاج لاعانة اخذها منهم ولو باعوا اثاث سوتهم اوكنائسهم في سبيل ذلك . وقال احد المؤرخين المعاصرين ان شمد الاخشيد انه منهم ولو باعوا اثاث سوتهم اوكنائسهم في سبيل الاعانة و مما يبرئ ساحة الاخشيد انه خلفر بمخبأة في بعض الآثار القديمة اصاب فيها اشياء تساوي مبالغ وافرة فلم يكن والحالة خلفر بمخبأة في بعض الآثار القديمة اصاب فيها اشياء تساوي مبالغ وافرة فلم يكن والحالة عذه في حاجة الى سلب مال الاهاين

هده في حاجمه الى سنب مان المشايل وهذه صورة النقود التي ضربت في عهد عمد الاخشيد سنة ٣٣٢ ه كما ترى في الشكل ٣٤

ش ٢٢ — نقود محمد الاخشيد

- TO RELEASE TO THE

انوجور بن الاخشيد

من عسم به عسم ماو من ۲۶۹ مرادم

وتولى بعد محمد الاخشيد ابنه ابو القدم محمد الملقب بانوجور . وكان صغير السن طعيف الرأي فعهد بتدبير الاحكام الىكافور وزير ابيه . وكان كافور يعمل لابي القسم بامانة و نشاط يستوجب عليهما المدح . فعزل ابا بكر محمداً جابي الخراج لتعدد التشكيات وأبوتها عايه واقام مقله رجلاً من ماردين يقال له محمد كان عفيفاً مستقماً . فعلم سيف الدولة بوفاة محمد الاخشيد وسفر ابنه الى مصر فشخص هو الى دمشق سيف الدولة بوفاة محمد الاخشيد وسفر ابنه الى مصر فشخص هو الى دمشق

واستولى عليها. واسرع كافور بجيش عظيم فلاقى سيف الدولة في الرملة قادماً من دمشق والتحم الفريقان فانهزم سيف الدولة الى الرقة واستولى كافور على دمشق قبل ان يستقر سيف الدولة فيها

وفي سنة ٣٤٥ هـ افار ملك النوبة على مصر حتى اتى اصوان فارسل كافور جيشاً تحت قيادة محمد بن عبد الله الخازن عن طريق البر وانفذ عمارة بحرية في النيل وفرقة سارت في البحر الاحمر فنزات على سواحله ومنها الى ما وراء النوبة السد على النوبيين السبيل. فتضايق النوبيون وفروا يطلبون النجاة تاركين حصنهم في ابريم (على ١٥٠ ميلاً وراء اصوان) في ايدي المصريين

ابو الحسن علي بن الاخشيد

من ۳٤٩ - ه ه ۳ م او من ۹۲۱ - ۹۲۱م

وحكم ابو الحسن على مصر خس سنين وشهرين ويومين وكان كافور مع علي كما كان مع اخيه انوجور . وفي سنة ٣٥١ ه لم يرتفع ماء النيل الارتفاع اللازم للري . وكان في السنة التالية اقل ارتفاعاً ثم هبط بغتة والارض لم ترتو فحصل في مصر جوع شديد تعاقب القحط بعده ٩ سنوات رافقه اضطراب آل الى الانشقاق بين أبي الحسن وكافور

وفي اثناء هذه الاضطرابات الداخلية في سنة ٣٥٤ ه قدم روم القسطنطينية تحت قيادة الامبراطور نيسوفورس فوكاس الى سوريا ودخلوها بجيش جرار فاستولوا حلب وكانت لاتزال الى ذلك الحين في حوزة بني حمدان والتقوا يسيف الدولة فحاربوه فتجند صاحب دمشق تحت رعاية الاخشيديين واسرع لمساعدة بني حمدان بعشرة آلاف رجل وعلم نيسوفورس بمجيء هذا المدد فاختار الرجوع

كافور الاخشيدي

من ۵۰۰ ــ ۷۵۷ م او من ۹۶۱ ــ ۹۹۸ م

وفي محرم سنة ٣٥٥ ه توفي ابو الحسن علي فخافه كافور وتلقب بالاخشيدي وطاب من الخليفة المطيع لله ان يثبته في مصرففعل . وهكذا عادت ساطة العباسيين الى مصر . وكان يدعى لكافور على المنابر بكة و الحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشتى وحلب وانطاكية وطرسوس وغيرها

و بقي كافور في المصبه هذا سنتين و عاشهر وكان الفاطميون قد استولوا على الفيوم والاسكندرية كما تقدم فاخذرا في المدسلطتهم رويداً رويداً الى سائر الصعيد . وتوفي كافور في ١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧ ه ودفن في القرافة الصغرى . وقبته معروفة هناك

احمد ابو الفوارس بن علي

من ٣٥٧ ــــ ٨٥٨ ه أو من ٩٦٨ ـــ ٩٦٩ م

فالف كافوراً احمد ابو الفوارس بن ابي الحسن على بن محمد الاخشيد ولم يكن لابي الفوارس من العمر اكثر من احدى عشرة سنة فلم يثبته الخليفة في الحمم . أما سوريا وغيرها من البلاد الخاضعة للاخشيديين فبايعت حسيناً الاخشيدي الا أنه ما لبث أن استتب له المقام حتى جاء القرامطة واخذوا البلاد من يده ففر الى مصر قاصداً اغتيالها من احمد ابي الفوارس

ولما انقسمت العائلة الاخشيدية على نفسها قرب حين انقراضها شأن المهالك والدول. فلما رأى رجال الدولة ما حصل من الانقسام بين اعضاء الاسرة الحاكمة ملوا الانتظار فساروا يستنجدون الفاطميين وكانوا قد تملكوا قسماً عظيماً من مصر فلبوا الدعوة ففر "حسين الى سوريا واستولى على دمشق. واما احمد ابو الفوارس فعزل من مركزه وهو آخر من تولى مصر من الدولة الاخشيدية وبعزله انتهت ايام هذه الدولة ولم يدم حكمها أكثر من ٣٤ سنة و ٢٤ يوماً

الدولة الهاطمية

من سنة ١١٧١ . . . ٧٦٥ ما أومن ٩٦٩ - مد ١١٧١ م

manustry - graphic "granders of the same

خلافة المعز لدين الله

من سنة ٢٥٨ --- ٢٦٥ ماو من ٢٦٩ -- ٩٧٥ م

و كانت الدولة الفاطسية اذ ذاك في خلافة معد ابي تميم الملقب بالمعز لدين الله إبن الله إلى القائم بامرالله وقاعدتها المهدية وسلطها منتشرة على افريقية (يراد بها شمالي افريقية من برقة الى مراكش) ومالطة وسردينيا وحقلية واكثر جزائر البحر التوسط. وما فق هذا الخليفة منذ جلوسه على دست الخلافة يمد سطوته في القطر المصري وقد حاول افتتاحه غير مرة ولم يفز . حتى اذا كان الخلاف بين ابي الحسن على وكافور تقدم . فاما تولى كافور على هذه الديار بنفسه توقف المعز قايلا . وعند نهاية حكم كافور جرد جيشاً ارسله تحت قيادة جوهر

وجوهر هذا مملوك رومي رباه المعز لدين الله وكناه بابي الحسن وعظم محله عند. وفي سنة ٢٤٤ همار في رتبة الوزارة فصيره قائداً للجيوش وبعثه في صفر منها في جيش الى تاهرت فاوقع في عدة اقوام وافتتح مدناً وسار الى فاس فناز لها مدة ولم يأخذ منها ثيئاً فرحل الى سيجالهة ومنها الى ان بانع البحر المحيط (الاتلانتيكي) واصطاد منه سمكاً وجعله في قلة ماء وبعث به الى مولاد المعز واعامه انه قد استولى على كل ما مر به من البادان والامم حتى انتهى الى البحر المحيط . ثم عاد الى فاس والح عليها بالقتال حتى افتتحها عنوة . ثم عاد في اخريات هذه السنة وقد عظم شأنه و بعد سبته

ولما قوي المعز عزم على تسيير الجيوش لاخذ مصروقد تهيأ امرها. فقدم القائد جوهر فبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة الف فارس وبين يديه اكثر من الف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه كل يوم ويخلو به ويتداول معه سرًا واطلق يده في بيوت امواله فاخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه . ويحكى ان المعز خرج يوماً فقام جوهر بين يدية وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جو هر وقال « والله لو خرج جَوهر هذا وحده الهتج مصرولتدخلن مصر بالأردية من غير حرب ولثنزان في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا » وامر المعز بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة للعيان وامر اولاده واخوته الامراء ووليالعهد وسائر اهلالدولة ان يمشوا فيخدمة جوهر وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر ان يترجلوا مشاة في خدمته . فاما قدم برقة افتدى صحبها ترجله ومشيه في ركابه بخمسين الف دينارذهباً فابي جوهر الا ان يمشي في ركابه ورد المال فمشي

ولما رحل من القيروان الى مصر في ١٤ ربيـم اول سنة ٣٥٨ ء ودعه اهلهــا .

ومما قاله محمد بن دانئ بهذا الشأن قوله:

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع وقد راعني يوم من الحشر اروع غداة كأن الافق سات بمشله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع فلم ادر اذ ودعت كيف اودع ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع ومنها قوله:

تحل بيوت العز حيث محله وجم العطايا والرواق المرفع رحلت الى الفسطاط اول رحلة بايمن فأل بالذي انت تجمع فان يك في مصر ظاء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

اذا حلَّ في ارض بناها مدائناً وان سار عن ارض غدت وهي بلقع

فا زال جوهر في طريقه الى مصر برًّا حتى دخلها وسار نحو الصعيب واسرع جنوباً ايرد هجات ملك النوبة الذي كان نازلاً نحو مصر ولم يدركه جيش جوهر حتى بانع اصوان وقد نهبها وذبح اهاها واستعباء من بقى حياً وعاد الى بلاده . أما جوهر فكان قد تملك الصعيدكله

ولما توفي كافور ووقع الخلاف بين ابي الفوارس وحسين كان جوهر على حدود الفسطاط فاتاه الاهاون والامراء ومعهم الوزير جعفر وجماعة من الاعيان الى الجيزة في يوم الثلاء ١٢ شعبان سنة ٣٥٨ ه والتقوا بالقائد ونادى مناد فنزل الناس كلهم الا الشريف والوزير فترجلوا وسلموا عليه واحداً فواحداً والوزير عن شاله والشريف عن يمينه ولما فرغوا من السلام ابتدأو في دخول البلد من زوال الشمس وعليهم السلاح والعدد ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه وعليه ثوب ديباج مثقل وتحته فرس اصفر ونزل في ماهو موضع القاهرة اليوم . ثم نزل الى الفسطاط بمن معه وخطب في جامع عمرو باسم المعزلدين الله وازال الشعار الاسود العباسي والبس الخطباء الثياب البيض فبايعه الناس . وبعد يسير اصبحت جميع البلاد المصرية خاضعة للدولة الفاطمية بدون مقاومة فكتب لمولاه المعز بما اتاه الله من الفتح

وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر أن يزاد عقيب الخطبة « اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسرف والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. اللهم وصل على الاعة الطاهرين أباء المؤمنين » وفي أيامه صار بذكر بالآدان حي على خير العمل

فساد الاحكام في الدولة العباسية

وكانت الدولة العباسية لا تزال في قبضة المطيع لله وقد فسدت الامور وذهب نفوذ الخليفة واصبح الفوذ ضائماً بين الوزراء والقواد وكلاهما لا يرجون من وراء عنايتهم وجهدهم منفعة لانفسهم غير مايكتسبونه من المال في اثناء نفوذ كلمتهم فاصبح عنايتهم وجهدهم منفعة لانفسهم غير مايكتسبونه من المال في اثناء نفوذ كلمتهم فاصبح الغرض الاول من تمشية الاحكام انما هو حشد المال . فالوزير الذي يتولى امور الدولة ولا يدري ما يكون مصيره بعد عام او عامين من عزل او قتل او حبس لا يهمه غير الكسب من اي طريق كان ولا يبالي بما قد يترتب على ذلك فيما بعد عملاً بالفاعدة التي وضعها ابن الفرات كبير وزراء ذلك العصر وهي قوله « ان تمشية امور السلطان على الخطأ خير من وقوفها على الصواب » واثبه الخلفاء الى مطامعهم فاصبحوا اذا عزلوا وزيراً صادروه واخذوا امواله . ثم عمت المضادرة سائر رجال الحكومة حتى الرعية . واصبحت بتوالي الايام المصدر الرئيسي لتحصيل المال . فالعامل يصادرالرعية والوزير يصادر العمال والخليفة يصادر الوزراء ويصادر الناس على اختلاف طبقاتهم حتى انشأوا للمصادرة ديواناً خاصاً مثل سائر دواوين الحكومة فكان المال يتداول بالمصادرة كما يتداول بالمصادرة ديواناً خاصاً مثل سائر دواوين الحكومة فكان المال يتداول بالمصادرة كما يتداول بالماحرة

فلما فسدت الاحكام على هذه الصورة واستبه الوزراء والقواد اراد العمال في الولايات ان يجتزئوا من ذلك في ولاياتهم فاخذوا يستقلون فتشعبت المماكة العباسية

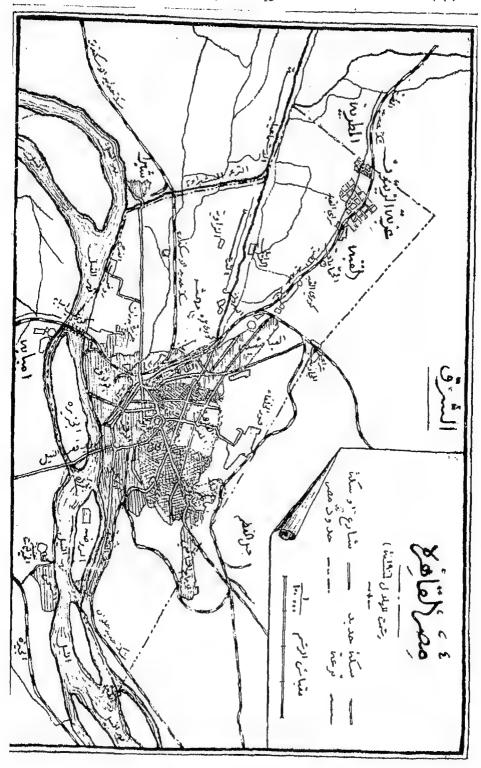
الى ممالك بحكمها الامراء من الفرس والاتراك والاكراد والعرب وغيرهم . ومنها ما جاءها للتغلب من الخارج ففتحها كما اصاب مصر لما فتحها الفاطميون . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي

فلم يأل القائد جوهر جهداً في تثبيت قدم هذه الدولة في الديار المصرية وقد اخذ على عاتقه صلاتها وخراجها وكان قد هجرها النظام منث داخل بهما الفساد وساد فيهما الخصام الناتج عن زيادة الضرائب وسوء الاحكام ، فاخذ في تخفيض الضرائب وحفر الترع فارتوت الارض فزادت غلتها فشبع الزارع وربح التاجر فاستتب النظام وساد الامن وبلغ خراج مصر في السنة التي دخلها فيها جوهر *** **

فالها رأى جوهر مناعة الديار المصربة ووفرة عزها لم يقنع لها بالفسطاط عاصمة فشرع ببناء مدينة جديدة جعلها قاعدة القطر المصري دعاها بالقاهرة . وكان تشييب المدن سنة عمومية في ملوك الاسلام اذ ذاك فكانوا يبتنون المدن وينقلون اليها عظمتهم والغالب ان يكون سبب بنائها ان يجعلوها حصناً لهم تقيم فيه رجاهم وجنبه ثم يبني حو لها الناس . فقد كانت قاعدة المملكة المصربة في عهد الفراعنة منف ثم ابدات بطيبة ثم يغيرها فغيرها الى عهد اليونان فاستبدلت بالاسكندرية . ولما جاء المسلمون ابتنوا الفسطاط . حق اذا كانت الدولة العاولونية استبدلت الفسطاط على نوع ما بالعسكر والقطائع الى ان جاء جوهر القائد فرغب في تخليد ذكره وذكر هو لاء فعمد الى بناء عاصمة الفاطميين ليفاخر بها بغداد عاصمة العباسيين

بناء القاهرة المعزية

فني سنة ٣٥٩ ه شرع جوهر ببناء القاهرة فاختط بقعة من الارض حيث اناخ جماله يوم جاء الهتح الفسطاط فانه نزل الى شماليها بين الجبل والخليج وكانت همذه البقعة رمالاً ولما نزل فيها جوهر لم يكن فيها الابساتين قليلة منها بستان كافور الاخشيدي شرقي الخليج وميدان الاخشيد ودير للنصارى كان يدعى دير العظام فيه بئر تعرف ببئر الجامع الاقر وتسميها العامة بئر العظمة . وكان في تلك البقعة موضع يعرف بقصير الشوك ثم عرف بعد بناء القاهرة بقصر الشوك . فامر جوهر ببناء القاهرة في ذلك المكان وابتنى فيها قصرين احدهما أكبر من الآخر عرفا بالقصر الكبير والقصر الصغير جعلها لاقامة المعز عند قدومه الى مصر . مكانهما الآن محل الحكمة الشرعية المعروف بيت القاضي يتصل اليه من شارع النحاسين



فني نحو ثلاث سنوات تم بناء القاهرة (في اواخر سنة ٣٦١ه ه) وقد بني حولها السور وفيه الابواب ولم يزل بعض اثارها باقياً الى هذا العهد. فبعث جوهر الى مولاه المعز بذلك فترك المنصورية التي بناها ابوه وسار قادماً الى عاصمته الجديدة مستخلفاً على افريقية وزيره يوسف بن زيري فركب في عمارة بحرية الى جزيرة سردينيا ومنها الى صقلية قضى فيها بضعة اشهريتفقد احوالها ثم سار منها الى طرا بلس الغرب فالاسكندرية فالقاهرة فوصلها في شعبان سنة ٣٦٢ ه وكان دخوله اليها باحتفال عظيم من باب زويلة يصحبه يعقوب بن يوسف بن كلس. وكان ازويلة بابات متلاصة ن بجوار زاوية سام بن نوح المجاورة لسبيل العقادين بجوار الخرنفش. فدخل المعز من الباب الملاصق ولم يبق له اثر الان فتيامن الناس به وهيجروا الباب الاخر حتى جرى على الالسنة ان من مرسم. به لا تقضى له حاجة

تاريخ القاهرة المعزية

كانت عاصمة الديار المصرية يومئذ مدينة الفسطاط (بين القاهرة ومصر القديمة الآن) فلما جاء جوهر بجنده سنة ٧٥٧ه نزل شماليها في البقعة التي تقدم ذكرها وفيها اليوم الجامع الازهر وبيت القاضي وشارع النحاسين وخان الخليلي وما جاورها من المنازل والاسواق بين المقطم والخليج الذي ردموه اليوم واجروا فوقه قطر الترمواي بين جنوبي القاهرة وشماليها

وكانت تلك البقعة الم عسكر فيها جوهر رمالاً يمر بها المسافر من الفسطاط الى المطرية . فلمسًا فتح جوهرالفسطاط بني القاهرة في تلك البقعة وسهاها القاهرة المعزبة نسبة الى مولاه ، وكانت مربعة الشكل تقريباً يحدها من الشرق الجبل ومن الغرب الخليج وطول هذا الحد ١٢٠٠ متريسير فيه السور بموازاة الخليج وعلى بعد ٣٠ مترًا منه نحو الشرق ، ومن الشهال خط يمتد من الخليج قرب باب الشعرية الآن على موازاة سكة مرجوش الى الجبل وطوله ١١٠٠ متر ، ومن الباب الحيوب خط نحو هذا الطول يبدأ بباب الخلق عند التقاء الخليج بشارع محمد علي الآن قرب محافظة مصرويسير شرقا الى الجبل ، ومساحة هذه المدينة بين هذه الحدود ٤٠٠٠ فداناً او ٤٠٠٠ ١٨ متر مربع بني فيها قصراً سهاه القصر السكبير الشرقي شغل خمس ونحوها . وقاء دلانا على مكانها في الخيارطة بيقعة بيضاء ، وظات الاسواق واماكن ونحوها . وقاء دلانا على مكانها في الخيارطة بيقعة بيضاء ، وظات الاسواق واماكن

البيع والشراء ومساكن الاهالي في مديئة الفسطاط . اما الارض خارج المدينة حيث الآن الفجالة والظاهر والمهمشة والعباسية والازبكية والتوفيقية والاساعيلية وبولاق فكان اكثرها بسائين ومزارع وبركا

ولم تتسع القاهرة في اثناء مدة الفاطميين الا قليلاً فصارت مساحتها على عهد امير الجيوش في اواخر القرن الخامس الهجرة ٠٠٠ ١٦٨٠ متر. حتى اذا دالت هذه الدولة ودخلت مصر في حوزة الايوبيين وتماكها السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ ه اباح الناس سكني القاهرة وبني القلعة في سفح المقطم له ولجنده يعتصم بها من اعدائه لانه كان يخاف الشيعة الفاطمية على ملكه. فاقدم الناس على بناء المنازل جنوباً خارج القاهرة بينها وبين النيل وامر ببناء سور كبير يحيط بها وبالقلعة وبالفسطاط جيعاً اكمله من جاء بعده فبلغ طوله نحو ٢٤٠٠٠ متر في شكل كثير الاضلاع وبلغت مساحة القاهرة ضمنه ١٩٤٨ فدانا او ٢٠٠ ١٦١ ٨ متر مربع

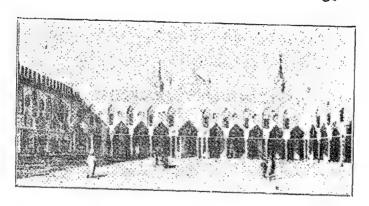
وتولى به د الايوبين السلاطين الماليك و تفيد شكل القاهرة في ايامهم ثم نقصت مساحتها واستنزف عمرانها في ايام الامراء الماليك ولكنها عادت في زمن الاسرة المحمدية العلوية الى النهوض فبلغت مساحتها في اواخر ايام محمد على باشا ٥٠٠٠٠ ٩ مترمر بع وحدودها من الشرق الجبل المقطم وهن الغرب شارع باب الحديد وشارع عابدين بخط منعدر في نحو باب اللوق ثم يعود الخط شرقا الى قرب عابدين ويسير جنوباً حتى يقطع الخليج قرب باب غيط العدة ومن هناك الى باب السيدة زينب وكان يحدها من الشمال شمارع الفجالة وما بعده شرقا الى باب الشعرية فباب النصر وباب الفتوح الى الجبل ويحدها من الجبل ويحدها من الجبل باب الشعرة زينب فباب طولون الى باب القرافة وقد دلانا على مكانها في الخارطة مخطوط متقاطعة والقاهرة المزية في داخلها وقد دلانا على مكانها في الخارطة مخطوط متقاطعة والقاهرة المزية في داخلها

واتسعت مساحتها في عهد الخديوبين بعد محمد على حتى صارت سنة ١٨٨٠ تبيل الحوادث العرابية ١٨٨٠ متر . واسرعت في الاتساع بعد الاحتلال الانكابزي حتى صارت مساحتها الآن اكثرمن ستة اضعافها قبله واكثر من خمسين ضعفها لما بناها القائد جوهر بما دخل في حدودها من الضواحي العامرة عاما بعد عام

دخول المنز قصره

وفي يوم الثلاثاء ٥ رمضان سنة ٣٦٢ ه دخل المعز لدين الله قصره بالقاهرة وعند دخوله خرَّ ساجدًا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر في قصره باولاده وحشمه وحواص عبيده والقصر يومئذ بهجة وكله تحف ومثمنات وبعد ذلك باسبوع اذن بدخول من يريد مقابلته للتهنئة وجلس في الايوان فدخل اولا الاشراف ثم اذن بعدهم للاولياء وسائر وجوء الناس وكان القائد جوهر قائماً بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ، و بعد وصوله بيسير امر بيناء تربة في القصر الكبير دفن فيها اجداده الذين استحضرهم معه بتوابيت من بلاد المغرب . وصارت بعد ذلك مدفئاً يدفن فيه الخلفاء واولادهم و نساؤهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وكان موقعها حيث خان الخليلي الآن . فلما المشأ الامير جهاركس الخليلي خانه اخرج ماشاء من عظامهم فألقيت على المزابل

وفي سنة وصوله عهد ليعقوب بن يوسف بن كلس بخراج مصر وجميع وجوه الاموال والحسبة والاعشار وجميع مايضاف الى ذلك في سائر الاعمال ويعقوب هذا كان يهوديا جاء مصر وتقلد بعض مصالحها في ايام كافور الاخشيدي واسام طمعاً بالدنيا فاحبه كافور ورقاه واشترك مع يعقوب في امر الخراج عسلوج بن الحسن وكتب المعز لهما سجلا بذلك فجلسا في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على الضباع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات (الالتزام) وطالبا بالبقايا من الاموال على المتقعيا بالطلب ونظرا في المظالم فتوفرت الاموال وزيد في الضياع وتزايد الناس وتكاثفوا وحسنت الاحوال وكثر ضرب النقود الى حد فقوق التصديق



الجامع الازهرمن داخله

ثم ابتنى جوهر جامعاً دعاه الجامع الازهر وهو اقدم جوامع القاهرة الا جامع ابن طولون واكثرها اتساعاً ولذلك لقب بالجامع الكبير. واقام جوهر في الجامع المذكور بامر الملك العزيز الاتي ذكره مكتبة نفيسة ومدرسة ذاع صيتها في الافاق وكان

القصد الرئيسي من بناء هذا الجامع اقامة الشعائر الدينية وتأبيد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد . وكانت هذه الشيعة قد قاست الامرس تمت سلطة العباسيين من قتل و نفي . فاما تأتى لهاتفابها على مصر جعلتها عاصمة دواتها وانشأت القاهرة معقلا لجندها والجامع الازهر لتأبيد مذهبها لان العامة لا تحكم بمثل الدين . وكان المصريون يومئذ على مذهب الامام الشافعي لأن هذا الامام قضى اخريات ايامه بمصر ومات فيها وقبره معروف في ضواحي القاهرة . وكان الفاطميون يعترفون بهذا المذهب ايضا واما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة . فتوافق بعترفون بهذا المذهب ايضا والما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة . فتوافق الفاطه يون والمصريون في المذهب فهان على الفاتحين تأبيد سلطانهم وتوسيع دائرة نفوذهم فقر بوا الفقهاء والعلماء واستقدموهم من سائر اقطار العالم الاسلامي واجروا على عامة الفقهاء عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاوال . وكانت بحالسهم تمقد في الازهر على عادة الفقهاء في ذلك العهد فتراحت فيه الاقدام وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بابنية ينشئونه ا بجانبه ويوسعون دوره حتى اصبحت سعته الان نحو ٢٠٠٠ متر مربع . وكانت اقل من ويوسعون دوره حتى اصبحت سعته الان نحو ٢٠٠٠ متر مربع . وكانت اقل من نصف ذلك . وتضاعفت اساطينه مراراً وكان عددها يوم بني ٢٦ اسطوا بة متفرقة في الحرائه . وصارت ابوا به تسعة

وكانت اعطية الخليفة للفقهاء في اول الامر على غير قياس او ميقات . فلما أفضت الخلافة الى العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ ه أمر وزيره يعقوب بن كلس ان يرتب للفقهاء ارزاقاً معينة وان بيني لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع . وكانوا يأتون المسجد في بادىء الرأي لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على مذهب الشيعة والوعظ والمباحثة فتدرجوا من القراءة الى التعليم حتى اصبح الجامم مدرسة كبرى اكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ويقدر دخله السنوي اليوم بعشرين الف جنيه

علوم الازهر وبناؤه

ظل الازهر مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين (نحو مئتي سنة) حتى غلبهم مسلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٧٥٥ ه وكان سني المذهب وليس له بديم من مبايعة خايفة يثبته في منصبه فبايع الخليفة العباسي في بغداد وخطب له في الجامع الازهر وكان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم وقبل الناس سلطته على اهون سبيل على انه لم ير مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب ابي حنيفة وراى مجكمته وسداد رايه ان يكتسب ولاء سائر المسامين فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب يحضره اهله . فآل ذلك الى اتساع

شهرة هذه المدرسة وتقاطر اليها الطلاب من اربعة اقطار المسكونة . ولم يبق التعليم قاصراً فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة ولكنه تناول شيئاً من الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية

وما زال ذلك شأنها في ايام السلاطين الايوبين وعاليكهم حتى جاء السلطان سليم العثماني وفتح مصر في اوائل القراف العاشر للهجرة . ثم استبد الامراء الماليك في الحكومة واشتغل الناس عن العلم . وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكة الاسلامية الا في مصر لان مدرسة الازهر كانت اكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية لتعليم العلوم الدينية واللسائية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات

على ان فضل الازهر في احياء اللغة العربية لم يكن قاصراً على نشرها في الديار المصرية او ما جاورها من البلاد العربية لكنه شمل سائر البلاد الاسلامية . فقد كانوا يفدون على مدرسته من بلاد الترك والمغرب والشركس واليمرف وزنجبار والهند وافغانستان وغيرها . وقد رغب الناس فيه لانه كان يعلم الطلبة مجاماً يقوم بنفقاتهم من الطعام واللباس والمأوى فضلاً عن امتيازه بمهارة الاساتذة . فكان اعظم العلماء المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى ينبغون من مدرسة الازهر . وكان للمتخرج في هذه المدرسة مزية وفضل على المتخرجين في سائر المدارس الاسلامية وطلابه الان يتجاوزن عشرة الاف طالب

وقد زاد في بناء الجامع الازهر وغير فيه كثير من الملوك والامراء الذين تولوا مصر بعد المعز . وعلى الخصوص المك الظاهر بيبرس وقايت باي والغوري من سلاطين المهاليك . والسيد محمد باشا من ولاة الدولة المثمانية واسماعيل بك وعبد الرحمن كنيا مد نيه اشياء كثيرة وجعل فيه مد نما أمراء المهاليك . وعبد الرحمن كنيا المذكور جدد فيه اشياء كثيرة وجعل فيه مد فنا له دفن فيه . واخيراً سعيد باشا بن محمد على باشا سنة ١٢٧٧ ه . ولذلك يكاد لا يوجد فيه شيء من الجدران والاعمدة التي وضعها جوهر القائد

نسب الفاطسين

فلما رسيخت قدم الفاطميين بمصر اصبحت المملكة الاسلامية في الشرق يتنازعها خليفتان المعز لدين الله الفاطمي في مصر والمطبع لله العباسي في بغداد وكل منهما بجهد في اثبات الخلافة العامة له وحرمان الاخر منها . ودعوى المعز بالاسبقية مبنية على انتسابه لفاطمة بنت النبي . وقد اختلف النسابون في حقيقة دعوا على انه قلما كان

يعتمه على شرف الحسب والنسب. ومما يحكي عنه أنه لماكان قادماً إلى القاهرة وخرج الناس للقائه اجتمع به اناس من الاشراف وفيهم عبد الله بن طباطبا المشهور فنقدم الى الخليفة المعز وقال له « الى من ينتسب مولانا » . فقال له « سنعقد مجلسا نجمعكم فيه ونسرد عليكم نسينا »

واا استقر المعز في القصر جمع الناس في مجلس عام وجلس بهم وقال « هل بقي من رؤســـائكم احد » قالوا « لم يبق معتبر » فسل نصف سيفه وقال « هذا نسبي » و نشر علمهم ذهباً كثيراً وقال «هذا حسبي ، فقالوا جميعاً سمعنا واطعنا

ولم يسكن المعز لدين الله قصره طويلاً فتوفي بعد ثلاث سنوات من حكمه بمصر (الجمعة في ١١ ربيع آخر سنة ٣٦٥ هـ) وسنه ٤٥ سنة ومدة حكمه جميعها ٢٤ سنة معظمها في المغرب. وكان عاقلاً حازماً اديباً حسن النظر محباً للنجامة شاعراً وينسب اليه من الشعر قوله:

> لله ما صنعت بنا تلك المحاجر بالمعاجر المضى واقضى في النفوس من الخناجر في الحناجر ولقد تعبت ببينكم تعب المهاجر في الهواجر

وينسب اليه ايضاً :

اطلع الحسن من جبينك شمساً فوق ورد في وجنتيك اظلاً وكأن الجال خاف على الور د جفافاً فمه بالشعر ظلاًّ

> وترى في الشكل الرابع والأربعين صورة نقود المعز مضروبة بعد دخوله القاهرة بسنة واحدة



ش ٤٤ — نقود المعن لدين الله



خلاقة العزيز بن المعز

می ه۲۷ ــ ۲۸۳ ه او من ۹۷۰ ــ ۹۹۹ م

فلما توفي المعز بويع ابنه نزار بن معد ابو منصور الملقب بالعزيز بالله ويدعوه بعضهم العزيز بدين الله ومولده المهدية في افريقية واتسعت المملكة في ايامه حتى اتصات بحكة . ولم يكن سن العزيز عند مبايعته الا ٢١ سنة فترك ازمة الجند لجوهر . وفوض ليعقوب بن كلس النظر في سائر الامور وجعله وزيراً له في رمضان سنة ٣٦٨ ه . وفي محرم سنة ٣٧٣ ه امر العزيز ان تكون جميع المكاتبات الرسمية باسم يعقوب والنائم في على العزيز ان تكون جميع المكاتبات الرسمية باسم يعقوب الدواوين فجعل ديواناً للجيش وآخر للاموال وآخر للخراج وآخر للسجلات والانشاء وآخر للمستغلات وجعل في كل منها كتاباً ورؤساء كتاب . وكان يجلس في مجلسه الادباء والقرآ ان وكان يجلس في مجلسه الادباء والقرآ ان وكان يجلس في المنظمين وخصص لكل منهم الارزاق والف كتباً في الفقه والقرآ ان وكان يجلس في المرافعين والمنظمين ويوقع بيده في الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه . وتوفي الوزير يعقوب في ٥ ذي الحجة سنسة ٣٨٠ ه وهو اول وزراء الدولة الفاطمة بمصر

وتزوج العزيز بالله امرأة مسيحية من الطائفة الملكية وكان يحبها كثيراً فاكتسبت نفوذاً عليه فكان براعي ابناء طائفتها وبرفق بهم اكراماً لها حتى اتخذ طبيبه الخاص منهم واسمه منصور بن مقشر وكان يحترمه فاعتل الطبيب بوماً عن الركوب فلما تماثل كثب اليه الخليفة العزيز بخط يده « بسم الله الرحمن الرحيم . على طبيبنا سلمه الله سلام الله الطبيب وأتم النعمة عليه . وصات الينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبه والله المعمد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا . اقالك الله العثرة واعادك الى افضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش محوله وقوته »

هفتكين الشرابي

وقدم الى الشام في ايام العزيز هفتكين الشرآبي من بغداد لغزو دمشق . وهفتكين هذا يقال له الفتكين ابو منصور التركي الشرابي غلام معز الدولة احمد بن بويه رقي الخدم حتى غلب في بغداد على عز الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات

في الحرب، فلما سارت الاتراك من بعداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر في الحرب، الا ان اصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فسار بمن معه مرف الاتراك وهم نحو الاربعمائة الى ان قرب من حوشبة احدى قرى الشام وقد وقع في قلوب العربان منه مهابة، وما زال ينتقل من محل الى اخر ويجمع اليه الاحزاب ومنهم القرامطة حتى غزا القسم الاعظم من سوريا الى دمشق ونزل على السواحل

فعلم بذلك العزيز بالله فارسل اليه جيشاً تحت قيادة جوهر فبلغ هفتكين ذلك وهو في عكا . اما القرامطة فكانوا في الرملة ولما بلغهم قدوم جوهر وجيوش العزيز فروا عنها فنزلها جوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التي هي بلادهم جماعة وتأخر عدة . اما هفتكين فسارمن عكا الى طبرية وقدعلم بمسيرالقرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع في طبرية واستعد للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران والثنية وادخلها الى دمشق . ثم سار اليها وتحصن فيها فعلم جوهر بذلك فسار الى دمشق . ونزل على ظاهرها في ٢٢ ذي القعدة وبني على معسكره سوراً وحفر خندقاً عظيماً وجعل له ادواياً

فتجمع هفتكين برجاله لقتال جوهر وطال الاخذ والرد الى ١١ ربيع اول سنسة وتجمع هفتكين برجاله لقتال جوهر وطال الاخذ والرد الى ١١ ربيع اول سنسة به ١٩٦٨ هـ وعند ذلك اختل امل هفتكين وهم بالفرار . ثم انه استظهر ووردت الاخبار على ومد القرمطي الى دمشق فطلب جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه احد ـ وذلك انه رائى امواله قد قلت وهلك كثير عن كان في عسكره حق صار أكثر جنده رجالة واعوزهم العلف وخشى فوق ذلك قدوم القرامطة ، فاجابه هفتكين وقد عظم فرحه فرحل جوهر في ٣ جادى الاولى وجد في المسير الى انباغ طهرية وكان قد قرب القرامطة فتعقدوه اليها فسار منها الى الرملة فبعث القرامطة بسرية كان لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب . ثم طال الكفاح ١٧ شهراً ففر جوهر الى عسقلان فبلغ ذلك العزيز فاستعد للمسير ليمد جوهراً

اما جوهر فلما طال حصاره راسل هفتكين يطلب اليه تقرير الصلح على مال يحمله اليه وان يخرج من تحت سيفه فعلق هفتكين سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وسار الى القاهرة فوجدوا العزيزقد برزيريد المسير . فساروا معه وما زالوا حتى نزلوا الرملة وكان هفتكين في طبرية فسار للقاء العزيز ومعه عدة من رجاله فالتق الجيشان . فلم يكن غيرساعة حتى انهزم جيش هفتكين وفاز العزيز فطلبوا

هفتكين فاذا هو قد فر على فرس بمفرده فقبض عايه احد العرب وجاء به الى العزيز وعمامته في عنقه فامر به فطيف به على العسكر على جمــــل فاخذ العسكر يلطمونه ويهزون لحيته

ثم سار العزيز بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاستخدمه ومن معه واحسن اليه غاية الاحسان وانزله في دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال لقه احتشمت من ركوبي مع مولانا العزيز بالله وتطوفي اليه بما غمرني من فضله واحسانه فلما بلغ ذلك العزيز قال العمه حيدرة « ياعم والله اني احب ان ارى النعم عنه الناس ظاهرة وارى عليهم الذهب والفضة والجوهرولهم الخيل والاباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندي » وما زال هفتكين يرتقي في ظل العزيز الى ان توفي سنة بكون ذلك كله من عندي أن يلاحظ بينهما منافسة في النقرب من الخليفة فاعتقله مدة ثم اطلقه

مناقب المزيز باللة

وفي ١٨ رمضان سنة ٣٨٦ ه توفي العزيز بالله في بلبيس على اثر مرمض طويل بالقو لنج والحصاة وعمره ٤٢ سنه وبضعة اشهر ومدة خلافته ٢١ سنة وخمسة اشهر ونصف فنقل الى القاهرة ودفن في تربة القصر مع آبائه . وكان العزيز كريماً شجاعاً حسن العفو عند المقدرة وكان اسمر اللون اصهب الشعر اشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريباً من الناس لا يؤثر سفك الدماء محباً للصيد ولا سيا صيد السباع .

ويحكى ان احد الشعراء نظم قصيدة هجا بها وزيره وكاتب سره فرفعا الشكوى الله وطلبا عقاب الشاعر. فاطلع على القصيدة فراى فيهاهجواً به ايضاً فقال لهما « بما اني شاركت كما باحتمال هذه الاهائة فشاركاني بالعفو عن هذا الشاعر»

والعزيز اول من اتخذ وزيراً اثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه واول من البس الخفين واول من اتخذ منهم الاتراك واستخدمهم وجعل منهم القواد واول من رمى منهم بالنشاب واول من ركب منهم بالنؤابة الطويلة وضرب بالصوالجة واعب بالرمح واول من اقام طعاماً في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان واول من اتخذ الحمد لركو به اياها

وكان للعزيز رغبة في اقتناء الكتب مجاراة لمناظريهم من العباسيين فجمع

منها جانباً كبيراً خصص لها قاعات في قصره سهاها « خزانة الكتب » وبذل الاموال في الاستكثار من المؤلفات المهمة في التاريخ والادب والفقه ولو اجتمع من الكتاب الواحد عشر نسخ او مائة نسخة او اكثر — ذكروا أنه كان فيها من كتاب العين للخليل نيف وثلاثون نسخة بخط الخليل نفسه وعشرون نسخة من تاريخ الطبري واشتروا النسخة بمئة دينار . ومئة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد وكان عدد النسخ المكررة يزداد بتوالي الاعوام حتى بلغ عدد ها من تاريخ الطبري عند استيلاء صلاح الدين الايوبي على مصر ١٢٠٠ نسخة وكان فيها ٤٠٠ ٣٤٠٠ قرآن بخطوط منسوبة محلاة بالذهب . فلا عجب اذا قالوا انهاكانت تحوي ٢٠٠٠ ١٠ كتاب في الفقه والنحو والحديث والتاريخ والنجاءة والروحانيات والكيمياء منها والفلسفة خاصة غير ادوات الهندسة والفلك

على اننا نرى في تقدير تلك الكتب مبالغة . وقد قدرها آخرون بخود محد ٢٠٠٠٠٠ كتاب وغيرهم ١٢٠٠٠٠ ونظن في تقديرهم التباساً من حيث المراد بخزانة الكتب او خزائن الكتب . لان العزيز بعد ان انشأ خزانته بقصره اقتدى به جماعة من اهله فانشأوا مثلها في قصورهم . فالظاهر ان المراد بالتقدير القليل عدد الكتب في خزانة العزيز خاصة وبالكثير عدد ما في خزائن القصور كلها . وبهذا الاعتبار لا يقلُ عدد الكتب في خزائن القصور عن ١٠٠٠ عجلد او كتاب

وكان للعزيز عناية كبيرة في خزانته يتعهدها بنفسه حيناً بعد حين وقدرتب لها قيماً يتولى شؤونها ويجالسه ويقرأ له الكتب وينادمه . وممن تولى ذلك أبو الحسرف الشابشتي الكاتب المتوفى سنة ٣٩٠ه

ومن آثاره أنه أسس جامع الحاكم فلما جاء الخليفة الحاكم أتمه



خلافة الحاكم بامر الله بن العزيز

من سنة ٣٨٦ ـــــ ٤١١ هـأو من ٩٩٦ ــــ ٢٠٢١ م

وا أتوفي العزيزخلفه أبنه المنصور أبو علي فبويع ولقب بالحاكم بأمر الله ولكننا سنرى أنه لم يحكم الاخلافاً لامر الله . وكان عمره عند مبايعته أحدى عشرة سنة فكان الوصي عليه الوزير أرجوان فاستأثر بالنفوذ حتى تجاوز الحد

وكانت مدة حكمه نحو ٢٥ سنة ثارت في اوائلها عصبة ادعى زعيمها أنه من سلالة الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان وجرى بسبب ذلك خصام وحروب كان النصر فيها متبادلاً وفي المرة الاخيرة قبض على زعيم العصاة والتي في السجن وهرب اتباعه . تم اراد الحاكم ان يبرهن على اختلال شعور هذا الرجل فاركبه جلاً واركب وراءه قرداً وطوافه في المدينة والقرد لا ينفك عن قرع ذلك الرجل على رأسه الى ان مات شر موتة

وفي سنة ٣٩١ هـ امر الحاكم الناس بان يوقدوا القناديل على الحوانيت وابواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ولازم الركوب في الليل . وكان ينزل في كل أيلة الى موضع موضع والى شارع شارع والى زقاق زقاق وصار الناس من الزينة والوقود الكثيرة يوصلون أيلهم بنهارهم فيقضون طول الليل في البيع والشراء . وكان اذا مشى في موكمه امر حاشيته ان لا تمشي بقربه وزجرهم وقال ابعدوا ولا تمنعوا احداً مني فكانت تقترب الناس منه وتحدق به وتكثر من الدعاء له

اطوار الحاكم

وبعد يسير اصيب الحاكم بتغيير في عقله لم يفارقه حتى فارقته الحياة . وظهر في اثناء ذلك متمذهب يدعى ضرار وتبعه جماعة عرفوا بالضرارية . ثم توفي الزعم وخلفه احد تلاميذ المدعو حمزة بن احمد الملقب بالهادي . وسن هؤلاء شرائع كثيرة وعلموا تعاليم مختلفة منها تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعياد والتعويض عن الحج لمكة بزيارة مقام طالب في المين . ومن شرائعهم انهم اباحوا الزيجة بين الاخ واخته واب وبناته والام وابنائها . وجاؤا بامور كثيرة تخالف او تناقض ما جاء في القرآن

فارتارح الحاكم لهذه الديانة الجديدة وافتتن بها فتبعها ونسي ديانة ابيه وجده م وكان يصعد كل صباح ،نفرداً الى الجبل المقطم حيث ادعى انه يناجي الله كما كان يفعل موسى . وبعد ان كان اشد نصير للديانة الاسلامية نادى جهاراً بمقاومتها وادمى بالسوء على الصحابة . وسعى في ابطال الديانة الاسلامية واقامة ديانة جديدة فحبطت مساعيه فاحتقرته الرعية ولم تعد تعبأ بمدعياته فعاد الى نصرة الاسلام فاضطهد النصارى واليهود

وكان السبب الرئيسي في ذلك الاضطهاد تقدم النصارى في ايامه حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع احوالهم وكثرة اموالهم فنزايدت مكايدتهم للمسلمين على عهد عيسى بن نسطوروس وفهد بن ابراهيم النصرانيين فغضب الحداكم بامر الله — وكان اذا غضب لا يملك نفسه فيبلغ غضبه الى حد الجنون . فامر بقت له هذين الرجلين وشدد على النصارى فامرهم بلبس ثياب الغيار وشد الزئار في اوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين والنظاهر بما كانت عادتهم فيه وقبض على ما في الكنائس وادخله الديوان ومنع النصارى من شراء العبيد وهدم كنائسهم واجبرهم على الاسلام وغير ذلك من التشديد والعنف بما لم يقاس النصارى مثله من قبل ولعله اعظم ما اصابهم من الاضطهاد في ابان التمدن الاسلامي . ولاجناح على التمدن به لان مرتكبه اتاه عن حمق او جنون

وقد سوع للحاكم المبالغة في اضطهاد النصارى حرب كانت بين الروم والمسلمين يومئذ فاخرب الروم بعض جوامع المسلمين ومنها جامع كان لهم في القسطنطينية فانتقم الحاكم منهم بالتضييق على اهل مذهبهم في بلاده . وكان في جملة ما هدمه من الكنائس كنيسة القيامة بالقدس . فلما تولى الخليفة الظاهر لاعزاز الذين بعد الحاكم عقدت الهدنة بينه وبين ملك الروم سنة ١٨٤ هو اتفقا على اعادة بناء جامع القسطنطينية وان يعاد بناء كنيسة القيامة وان يؤذن لمن اظهر الاسلام في ايام الحاكم ان يعود الى النصر انية اذا شاء فرجع اليها كثيرون

وربماكان السبب الذي عمل الحاكم على ذلك التضييق طفيفاً فعظمه تعصبه وحمقه فامر بالهدم والقتل على أنه كثيراً ما كلف رعاياه من المسلمين وغيرهم اموراً مضحكة تشبه الجنون الصريح كاصداره المنشورات بمنعهم من اكل الملوخيا أو من البقلة المسماة بالجرجيراومنعهم من عمل الفقاع ومنع النساء من التبرج اوالمسيرفي الطرق والا مر بسب السلف ولعنهم ونقش ذلك على المساجد وابواب الحوانيت وعلى المقابر ونحو ذلك من الاومر التي تدل على اختلال في عقله ، على اننا قاما نراه اتى امراً الالسبب وان كان ضعيفاً — فالسبب في منعه الناس من اكل الملوخيا مثلاً ان معاوية بن ابي سفيان عدو ضعيفاً — فالسبب في منعه الناس من اكل الملوخيا مثلاً ان معاوية بن ابي سفيان عدو

الشيعة كان يحبها والدول الفاطمية شيعية . ومنعهم من اكل بقلة الجرجير لانها منسوبة الى عائشة ام المؤمنين ومنعهم من اكل المتوكلية لانها تنسب الى المتوكل وهو من اعداء الشيعة . ومنع الناس من شرب الفقاع لان على بن ابي طالب يكرهة . وقس على ذلك سائر ضروب الحماقة والغرابة . ومن هذا القبيل اضطهاد النصارى وتخريب كنائسهم . على انه عاد اسبب طفيف او بلاسبب وامم ببناء تلك الكنائس وخيرالنصارى في الرجوع على انه عاد كثيرون منهم — وقد تقدم ان ذلك كان في ايام ابنه الظاهر . ومن اعماله الغريبة انه ابنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم واخريها والزمالناس باغلاق الاسواق نهاراً و فتحها ليلاً فظل الناس على ذلك دهراً طويلاً . فمن كانت هذه اعماله لا يستغرب منه اضطهاد ولا يعد أضطهاده عاراً على الدولة او الامة

فكان هذا الحاكم حملاً ثقيلاً على عانق المصريين والسوريين ولم يستطع احد مقاومته فكان كل منهم يكظم غيظه وهو يسمع باذنه رنة السهم في قلبه

ولكن الامور تجري على سنن محدودة ولا بد لكل منها من نهاية فعامت اخت الحاكم وقائد جيشه ان الحاكم ينوي قتلهما فعمدا الى اغتياله قبل ان يغتالهما فاخذا الاحتياطات المكنة . وفي سنة ٤١١ ه قتلاه على جبل المقطم وبعد موته صارالنفوذ الى اخته ونادت بابنه على ابي الحسن الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله وريئاً له فاستلم زمام الاحكام فبايعوه وبقيت الاحكام في يده ١٧ سنة

جامع الحاكم

ومن آثار الحاكم بامر الله الجامع المعروف بجامع الحاكم وقد تقدم ان العزيز وضع اساسه على يد وزيره يعقوب بن كلس فاتم الحاكم بناءه وانفق في سبيل ذلك اربعين الف دينار ودعاه جامع باب الفتوح لمجاورته له وجعل فيه المفروشات النمينة والاواني الفضية والذهبية . وكان هذا الجامع عند بنائه خارج سورالقاهرة . ثم لما جاء اميرالجيوش وجدد الاسواركم سيأتي وابتنى باب الفتوح حيث هو اليوم اصبح الجامع داخل السور . ثم تهدم بعضه بزلزلة حصلت في ١٧ ذي الحجة سنة ٢٠٧ ه فانتدب الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير لترميمه وجعل فيه دروساً اربعة لتعليم الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرساً لاقراء الحديث وجعل فيه مكتبة نفيسة وصهاريج الماء مذاهب الأئة الاربعة ودرساً لاقراء الحديث وجعل فيه مكتبة نفيسة وصهاريج الماء واماكن اخرى . ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه في ايام الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاون سنة ٢٠٧ ه على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس . و يقال ان الشيخ المشار اليه وجد في الجامع حجراً مكتوباً عليه هذه الابيات لغزاً في الحجر المكرم المشار اليه وجد في الجامع حجراً مكتوباً عليه هذه الابيات لغزاً في الحجر المكرم المشار اليه وجد في الجامع حجراً مكتوباً عليه هذه الابيات لغزاً في الحجر المكرم

ان الذي اسررت مكنون اسمه وكتمته كيما أفوز بوصله

مال له جدر تساوى في الهجا طرفاه يضرب بعضه في مثله فيصير ذاك المال الا أنه في النصف منه تصاب احرف كله واذا نطقت بربعـه ِ متكلماً ،ن بعـد اوله نطقت بكله لا نقط فيــه اذا تكامل عده منقوطاً بجملة شكله

دار الحكمة

ومن اثار الحاكم في خدمة العلم انه انشأ مكتبة سهاهادار العلم او دار الحكمة وهي غير خزانه العزيز او خزائن القصور كما توهم الاكثرون . انشأها الحاكم بامر الله بن العزيز بالله سنة ٣٩٥ ه مجوار القصر الغربي بالقاهرة وحمل اليها الكتب من خزائن القصور ووقف لها اماكن ينفق عليها من ريعها . ففرشوها وزخرفوها وعلقوا الستور على ابوابها وعمراتها واقاموا عليها القوام والمشرفين . والغرض من دار الحكمة مثل الغرض من بيت الحكمة الذي انشأه العباسيون اي لخدمة الناس في المطالعة والدرس والتأليف. وهي طريقة القدماء في تعليم الناس اذ يتعذر على غير الاغنياء اقتناء الكتب الكثيرة نظراً لغلائها فمن احب تعليم رعيته انشأ مكتبة جمع فيها الكتب وفتح ابوابها للناس كما فعل البطالسة في مكتبة الأسكندرية والعباسيون في بيت الحكمة ببغداد

وقدعد بعضهم دارالحكمة مدرسة لان الحاكم اقام بها القراء والمنجمين واصحاب النحو واللغة والاطباء واجرى لهم الارزاق واباح الدخول البهـــا الى سائر الناس على اختلاف طبقاً ثهم من محي المطالعة ليقراوا اوينسخوا ما شاؤا . وجعل فيها ما يحتاجون اليه من الحبروالأقلام وألورق والمحابر. وكان الحاكم يستحضر بعضعاما الدارالمذكورة الى ما بين يديه ويأمرهم بالمناظرة كما كان يفعل المأمون ويخلع عليهم الخلع. وقد اباح المناظرة بين المترددين الى دار الحكمة فكانوا يعقدون المجتمعات هناك وتقوم المناظرات وقد يفضي الجدال الى الخصام . وانخذ بعض اصحاب البدع تلك الاجتماعات وسيلة لبث ارائه فاضطر الافضل بن امير الجيوش في اوائل القرن السادس للهجرة الى ابطالها دفعاً للاسباب. فلما توفي الافضل امر الخليفة الآمر باحكام الله وزيره المأمون بن البطائحي فاعادهـــا سنة ١٧٥ هـ ولكنه اشترط فيها المسير على الاوضاع الشرعية وان يكون متوايها رجلاً ديناً وان يقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن . ولا نظن عدد كتبها يقل عن ١٠٠٠٠٠ كتاب . ولما افضت الدولة الى صلاح الدين الأبوبي هدم دار الحكمة ويناها مدرسة للشافعية



وهذه صورة النقود الذهبية التيضربت في ايام الحاكم بامر الله (انظر شكل ٤٥)

ش ه ٤ : نقود الحاكم بامر الله

خلافة الظاهر بن الحاكم

من سنة ١١١ ــ ٧٧٤ه او من ١٠٢١ ــ ١٠٣٦ م

وفي ايام الظاهر (سنة ٤٢٢هـ) توفي الخليفة القادر بالله العباسي الذي كان قد اقيم سنة ١٨٦ه خلفاً للطائع واقيم مقامه في بغداد القائم بامرالله . وكان سن الظاهرلما تولى الخلافة ١٦ سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى راسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمر ورخص فيه للناس وفي ساع الغناء وشرب الفقاع واكل الملوخية وجميع الاسهاك فاقبل الناس على اللهو الحاءة

وكان الظاهر ضعيف الرأي منصر فا الى اللهو فافضى النفوذ الى يضعة من رجال دولته وقرروا ان لايدخل على الظاهر غيرهم. فاصبحوا يتصر فون بامورالدولة ويمنعون الهل النصح من الوصول الى الخليفة. واخذوا في الاستثنار بالاموال فضاقت ابواب الرزق ومنع الناس من ذبح الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقات البهائم كلها حتى بيع الراس البقر بخمسين ديناراً وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة النجارة فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضبحيج العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد عسر وضرب عنقه ، واشتد الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقه الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج . وعز الماء فعم البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق احد من اهل مصر. وتفاقم الامر من شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر « الجوع الجوع الحوع الموع المير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولاجدك فالله الله في امرنا » وطرقت عساكر ابن بالمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولاجدك فالله الله في امرنا » وطرقت عساكر ابن جراح الفرما ففر العلها الى القاهرة واصبح الناس بعصر على اقبح حال من الامراض والموران وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى ائه الله الموران وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى ائه اله الم

عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه ، ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالاً وامتنع اخرون واجتمع نحو الالف عبد النهب البلد من الجوع فنودي بارخ من تعرض له احد من العبيد فليقتله ، وندب جاعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى ان خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جاعة منهم ضرب اعتاقهم والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جاعة منهم ضرب اعتاقهم واخذ العبيد في طلب وجوه الدولة فحرسوا انفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في انواع من البلاء

وفي سنة ٢٢٧ ه توفي الظاهر لاعزاز دين الله في ليلة الاحد منتصف شعبان بعد



ان تضعضعت الدولة فبويع ابنه معه ابي تميم خليفة مكانه ولقب بالمستنصر بالله

وهذه صورة نقود الظاهر لاعزاز دين الله ضربت في القاهرة سنة ٤٢٥ الظرش ٤٦

ش ٤٦ ـــ نقود الظاهر لاعزاز دين الله

خلافة المستنصر بن الظاهر

من سنة ۲۷٤ - ۲۸۷ ه او من ۲۳۰۱ - ۱۰۹۶ م

ولم يكن سن المستنصر عند مبايعته اكثر من سبع سنوات وأحمه جارية سوداء ابتاعها الظاهر من تا جريهودي اسمه ابو سعيد سهل بن هارون التستري . فلما رأت انها في هذا المنصب اتت بسيدها الاصلي وولته الاستشارة ، وكانت مدة خلافة المستنصر اطول من مدة كل خليفة فاطمي واكثر حوادث من الجميع

ففي سنة ٢٩٩ ه عقد المستنصر هدنة مع المبراطور الروم وكان لا ينفك عن مهاجمة التخوم الاسلامية حتى اخضع حلب وتبعها سائر الشام فساد الامن بعد الهدئة الى انكانت سنة ٤٣٤ ه بويلاتها فثارت داخلية مصر بفتنة جديدة لظهور رجل اسمه سكين كان يشبه الحاكم بامرالله فادعى أنه الحاكم وقد رجع بعد موته. فاتبعه جمع نمن يعتقد رجعة الحاكم فاغتندوا خلو دار الحليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار

فدخلوا الدهليز فو ثب من هناك من الجند فقال لهم اصحابه انه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فتراجع الجند الى القصر والحرب قائمة فقتل من اصحابه جماعة وأسر الباقون وسلبوا احياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا

ثم سعت ام الخليفة فساداً في الاحكام فغيرت في الوزارة ونقلت زمام الامور من يد احمد بن علي ليد حسن بن العنبري ومنه الى صدقة العلاجي وهذا قتل سلفه سنة ١٤٤ ه فحكم عليه بالقتل فابدل بحسين الجرجراي وفي شوال سنة ١٤٤ ه قبض عليه ونفي الى سوريا واقيم مقامه ابو الفضل بن مسعود والقاضي اليازوري وقد حاز هذا الاخير على رضا المستنصر فقر به منه بحيث انه كان يعطيه الالقاب الخاصة بالخليفة ويضرب النقود باسمهما

وفي اثناء ذلك اضطربت الخارجية بسبب معز الدولة وكان قد ولاه الخليفة على حلب سنة ٢٣٦ ه فحاول الاستقلال بها فانفذ اليه الخليفة جيشاً بقيادة ناصر الدولة ابن ابي الهيجاء فكسره . فاسترجعه وارسل عوضاً عنه الاميرين طرفاً ورفيقاً وتحتهما جيوش مصرية فلم ينالا اكثر مما نال . ولحسن الطالع اعتاض معز الدولة عن الهجوم على مصر بعد ما رأى من انتصاره على جيشها بعقد الصلح . فانفذ ابنه وزوجته ليعقدا صلحاً مع المستنصر وكانت زوجته بديعة الجمال فاخذت بمجامع قلب المستنصر فوافقها في التنازل عن حلب لزوجها

العزبن باديس

وما انتهت هذه المعضلة في الشرق حتى نشأت معضلة اخرى في الغرب وذلك أن المعز بن باديس تمرد في افريقية لمكاتبات عدوا نية حصلت بينه وبين الوزير اليازوري فابطل الخطبة للمستنصر واستعاض عنه باسم الخليفة العباسي القائم بامر الله . ووردت الخلع والتقليد من القائم بامر الله الى المعز مع كتاب قال فيه « من عبد الله ووليه ابي جعفر القائم بامرالله امير المؤمنين الى الملك الاوحد ثقة الاسلام وشرف الامام وعمدة الانام ناصر دين الله قاهراعداء الله ومؤيد سنة وسول الله صلى الله عليه وسلم ابي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي اميرالمؤمنين بولاية جميع المعرب وما افتتحه بسيف المير المؤمنين وهو طويل » وارسل اليه سيفاً وفرساً واعلاماً على طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة فدخل به الى الجامع والخطيب ابن الفاكاة على المنبر يخطب الخطبة الثانية. فدخات الاعلام فقال «هذا لواء الحد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم المخطبة الثانية. فدخات الاعلام فقال «هذا لواء الحد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم

واستغفر الله لي ولكم » وقطعت الخطبة للعلوبين من ذلك الوقت واحرقت الاعلام . وكان المستنصر مشتغلاً في اثناء ذلك بالاضطرابات الداخلية بين قبيلتين من العرب بني زابح و بني رياح فراى الوزير ان يستدرك الخطب الداخلي قبل الخطب الخارجي وان يستخدم العدو الواحد لابادة الآخر فاصلح بين القبيلتين وحرضها على المعز بن باديس على ان يجعل لهما في مقابل ذلك برقة وطرابلس الغرب

فاستعد ابن باديس لملاقاة اعدائه بجيش ، و نف من ٣٠ الف فارس ولم يكن الاعراب كثر من ٣ الاف مقاتل ، فاما التقوا بجيش المعز هابوه فطلبوا الفرار فناداهم قائدهم ، ونس ان يجالدوا في القتال فاجابوه « اين نطعن هؤلاء المكسوسين بالخوذ والدروع » فقال « في عيونهم » ومن ذلك الحين اقب مونس بابي العيون ، وعادت رجاله وقد ثارت فيهما لحمية العربية وما زالواحتى انتصروا على المعز في تلك الوقعة . ثم بقيت الحرب سيجالاً بين الفريقين ست سنوات وكانت الغلبة طوراً لهؤلاء وطوراً لهؤلاء

أما المستنصر فعمد الى تزيين القاهرة وبناء البنايات الجميلة فيها فاعاد تذهيب جامع عمرو سنة ٤٤١ ه وبنى فيه منبراً من الخشب الثمين قائماً على عمد من خشب الصندل واقام فيه منارة جديدة وخصص لهذه الترميات مالاً من خزينته الخاصة

وفي سنة ٢٤٧ هـ توفي في مصر اميرتان من اغنى امراء مصر وهما راشدة وعبدة وكلاهما ابنتا الخليفة المعز لدين الله فتركت الاولى ثروة مقدارها مليونان وسبعائة الف دينار والثانية مثل ذلك . وكان الخلفاء الفاطميون ينتظرون موتهما ولم يروه فكانت ثروتهن غنمة بارة للخليفة المستنصر

الفتنة بين الحلافتين

وفي سنة \$22 هوصل القاهرة نبأ ان مختلفان . الاول ان الخليفة العباسي في بغداد اصدر منشوراً الى العالم الاسلامي يقدح فيه بانتساب الخلفاء الفاطميين الى علي ابن ابي طالب . والثاني ان امير البمن على بن محمد الصالحي امران يخطب باسم المستنصر في الصلاة وارسل اليه هدايا . فسر الخليفة المستنصر لهذين الخبرين اللذين يوازن احدهما الآخر ولم يبد حراكاً لاشتغاله بقحط عظيم نتج عن تقصير النيل تلك السنة فاشتد الجوع . وكان قد احتكر الحنطة وكان يخزن منهاكل سنة بمائة الف دينار يحفظها في خزائنه ليبيعها عند الحاجة بالانمان الغالية فاذا كانت سنة رخاء كان الوزير اليازوري يستبدل تلك الحنطة بقيمتها من الخشب او الجديد او ما شاكل . فني سنة اليازوري يستبدل تلك الحنطة بقيمتها من الخشب او الجديد او ما شاكل . فني سنة الها يف النيل ولم يكن في خزائن الحنطة ما يكن الغير الخليفة واهله وحاشينه

قوتاً ضرورياً فغلا العيش فبلغ نمن الكيس الصغير من القمح نمانية دنانير واخذ الجوع يتزايد وتبعه الطاعون وامتد الاثنان الى سوريا حتى بلغا بغداد وتبع هاتين الضربتين ضربة ثالثة نعني الحرب. وسببها ان الخليفة المستنصر لما اشتد الجوع في بلاده ارسل الى القسطنطينية يستنجد المبراطورها بالحنطة فرضي الالمبراطور ان يرسل له اربعائة الف اردب ولكنه مات قبل ارسالها. فلما توات الالمبراطورة ولية العهد اوقفت الارسال على ان يعقد لها المستنصر معاهدة (هجومية ودفاعية) فلم يرض فلم ترسل الحنطة فاستشاط غضباً وامر بالجهاد فانفذ ناصر الدولة لفتح اللاذقية وانطاكية فقبض عليه وتفرق جيشه. فتعاظم غيظ المستنصر واشتد انتقامه فامر بالحجز على كل ما في كنيسة القيامة في القدس الشريف من الالموال والادوات الثمينة فاضطربت العلاقات الودية بين الروم ومعر

وزاد المصريين رعباً مذنب طويل ظهر في سهاء مصر في ١٢ جادى الثانية سنة وزاد المصريين رعباً مذنب طويل ظهر في سهاء مصر في ١٢ جادى الثانية سنة ١٥٥ ه ولم يغب الى ١٥ رجب منها . غير ان الوزير لم يأل جهداً في تدبير الامور بحكمة ورزانة فخفف المصائب واستجاب القوت الى البلاد رويداً رويداً . على ان سلطة المستنصر كانت تزداد في الخارج يوماً فيوماً حتى ان البساسيري قائد جنب الخليفة العباسي القائم بامر الله لما كبر شأنه خلع خليفته وبايع للمستنصر الفاطمي ورفع العلم الابيض على منابر بغداد سنة ٤٥٠ ه واقتدى به اهل واسط والكوفة وسائر المدرق الشرقية الكبرى

فامتدت سلطة المستنصر الدينية الى خراسان وفارس. فرأى السلطان طغرابك هناك ان تسلط العلويين يضر بغرضه فسار بجيشه الى بغداد واعاد القائم بامر الله الى منصبه و نصب العلم العباسي و اعاد الخطبة للخليفة القائم في ٢٦ ذي القعدة سنة ٤٥١ هـ وكان المستنصر قد ارسل الى البساسيري مدداً من الرجال وخسمائة الف دينار ومؤنا وذخائر وثياباً وخيلاً و لكن لما علم باعادة بيعة الخليفة العباسي خاف ولم يعد يمده واكتنى باتخاذ الاحتياط لمنع تقدمه ولولا ذلك لانتشرت سلطة الدولة الفاطمية الى اقصى ما بلغت اليه الدولة العباسية في عزها

حروب واضطرابات

وجرت في خلال ذلك في سوريا حروب آلت الى ضعف سطوة المستنصر . وذلك ان حلب كانت الى ذلك الحين لمعز الدولة والعرب من بني كلاب يهاجمونها فاقلقوا راحته وطمعوا به فلم ير طريقة للتخلص منهم الا الالتجاء الى المستنصر فكتب اليه أنه لم يعد قادراً على البقاء في حلب على هذه الحال . وطلب اليه أن يرد هذه المدينة الى العباسيين وأن يوليه بدلاً منها مدينة لا يكون للعربان يد اليها . فاعطاه مدن بيروت وعكا وجبيل وجعل على حلب مكين الدولة احد قواده فحصنها في شهر ذي القعدة سنة ٤٤٨ه . ثم سافر معز الدولة الى مصروعقد فيها معاهدة مع المستنصر على المدن التي اعطيت له . وكان مكين الدولة لطيف المعاملة حلماً فسعد الشعب ايامه فرخصت الاسعار واستتبت الراحة الا أن بني كلاب لم ينفكوا عن مناواته بقيادة الامير محود الكلابي ابن اخي اميرهم الاول وكان قد عنف عمه على تسليم ارضهم للخليفة فجاء مدينة حلب وغزاها وقتل حاميتها ودخلها فسلمت له في ٢ جهادى الثانية سنة ٢٥٤ هم اما مكين فكان محاصراً في قلعتها ولم يسلم فارسل الى مصر يستنجد المستنصر فأ مجده الما مكين فكان محاصراً في قلعتها ولم يسلم فارسل الى مصر يستنجد المستنصر فأ مجده

اما مدين قد 10 عاصرا في فلعم، وميسم فارس الى مصر يستجد المستعمر ف بعد بناصر الدولة أبي محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق واوعزاليه ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود . فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها . ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهوراً الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام امر مبها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق

فلما وصل ناصر الدولة الى مصر راى الخليفة ان يكافئه على فشله فولاه دمشق . وفي سنة ٥٥٥ هـ ابدله ببدر الجمالي وهو ارمني المولد كان مملوكاً لجمال الدولة ومنه لقبه وتقلب في مناصب عديدة اظهر بها مايدل على ثباته وحزمه . ولم تمض على سوريامه تمحت ولايته حق ساد فيها الامن لان الخليفة اذن للامير محمود الني يتولى حلب ولقبه بامير الامراء وعضد الدولة وسيف الخلافة

اما مصر فكانت اقل طهانينة من غيرها لان الوزيراليازوري كان يضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً ويسومهم اشد العذاب وكان يثير ضدهم الاحزاب في المديريات والتي القبض على البطريرك كريستودول وبعض الاساقفة وساقهم الى القاهرة . اما الخليفة فلم يكن راضياً بذلك فام باخلاء سبيلهم بكل احترام فشق ذلك على الوزير فام باقفال جميع الكنائس المسيحية في مصر من يعقوبية وملكية فنار مسيحو القطر فتداوك الخليفة الام بالقبض على الوزير ونفيه الى تنيس ثم قتله

فتشاءم المسيحيون من تلك الحوادث ورافقها ظهورالشفق الشمالي وكسوف تام للشمس فكان منظر السماء مهيباً استمرئ ساعات اشتد فيها الظلام حتى شوهدت النجوم واوت الطيور الى اعشاشها رهبة . وولى الخليفة مكان اليازوري ابا الفرج البابلي وبعد شهرين ابدله بعبدالله بن يحيي ثم بغيره حتى تقلب على وزارة مصر ٣٥ وزيراً في ١٢ سنة ولم تكن تزيدها هذه التقلبات الا تعقيداً .كل ذلك والتشكيات ترد الى الخليفة تنزى من رجال الدولة والرعايا فتحير في امره ولم يكن يعلم مصدر هسذه القلاقل فجمع رجالاً من جميع الطبقات وكلمهم ملياً واستطلعهم حقيقة الامر فلم يظهر له شيء بماكان يسمعه . ثم ازداد نفو ذ السوقة على رجال الدولة فكانوا اذا اجمعوا على امر انفذوه ولو كان مناقضاً لاوامر الخليفة . فازداد الخليفة اضطراباً والاخبار ترد عليه متناقضة فلا يعلم ايها يتبع . ورجال القضاء بدلاً من ان ينظروا في النقار بركانوا يقضون اوقاتهم وقواتهم في المدافعة عماكان يتقدم في حقهم من التشكيات . فاشتد خوف الناس في الاقاليم حتى هاجر وا منازهم فازدادت الفوضي وكثر اللغط

وكان المستنصر يحتال في امر الحج فيذهب في زمرة من الحبجاج على الجمال مظهراً للحج فاذا بلغ بهم محطة بركة عميرة حيث اعتادوا المبيت في ذهابهم الى الحج والابهم منه ثم دعيت بركة الحج ينزل بهم هناك فتدار عليهم الحمور بدل المساء ثم يعودون الى القاهرة

تاريخ الجند في الدولة الفاطمية

مرت الدولة الفاطمية في ثلاثة ادوار تشبه الادوار التي مرت بها الدولة العباسية فقد كان نفوذ السكلمة في الدولة العباسية باوائالها مشتركاً بين العرب والفرس ثم صار الى الفرس ثم الى الاتراك . والفاطميون عرب قامت دولتهم بالعرب والبربر فكان النفوذ في اولها مشتركاً بين هذين العنصرين ثم صار الى البربر ثم الى الاتراك

والبربر قوم المداء مساكنهم في شمالي افرية الوقد نصروا الشيعة العلوبة في المغرب كما نصرها الفرس في المشرق. وهم قبائل شتى مثل قبائل العرب الرحل وقد قاسى المسلمون في اخضاءهم عذاباً شديداً لانهم ارتدوا عن الاسلام اثنتي عشرة مرة وشيوا فيها كلها على المسلمين. ولم يثبت اسلامهم الا في ايام موسى بن نصير في اواخر القرن الاول. ولما نقم الناس على بني امية لتعصبهم على غير العرب كان البربر في جملة الذين خرجوا عايهم وتطاولوا للفتك بهم. وقد سرهم ذهاب دولة الامويين ولكن ساءهم انتقالها الى الاندلس على مقربة منهم لانهم كانوا يكرهونهم للعصبية فنصروا العلويين نشر انتقالها الى الاندلس على مقربة منهم لانهم كانوا يكرهونهم للعصبية فنصروا العلويين نكاية فيهم. — الا من اصطنعهم الاندلسيون باالل — وللبربر فضل كبير في نشر نكاية فيهم. — الا من اصطنعهم الاندلسيون باالل — وللبربر فضل كبير في نشر الاسلام باواسط افريقية مثل فضل الاتراك في نشره باواسط آسيا الى الهند والصين.

لان البربر لما ثبت الاسلام فيهم نهضوا لفتح ما وراء بلادهم في افريقيا الغربية فنشروا الاسلام هناك

فلما قامت الدولة الفاطمية في المغرب كان البربر من انصارها ولا سيما قبائل كتامة وصنهاجة وهوارة فاخذوا بساعد الفاطميين منذ قيامهم على ايام عبيد الله المهدي اول خلفائهم في اواخر القرن الثالث للهجرة . فلما تأيدت دولته سنة ٢٩٧ ه اتخذ بطانته منهم وجعلهم من اهل الدولة وظلوا كذلك في خلافة ابنه القائم بامر الله (سنة ٢٣٣ه) ثم المنو لدين الله (سنة ٢٤١ه) وساعدوهم في تملك المغرب كله واخراجه من البيعة العباسية . وفي ايام المعز لدين الله فتح الفاطميون مصر وبنوا القاهرة ونقلوا دولتهم اليها

فلها افضت الخلافة الى العزيز بالله بن المعزسنة ٣٦٥ هاراد النشبه بالعباسيين فاصطنع الاتراك والدبلم واستكثر منهم وقدمهم وجعلهم خاصته كانه خاف على حياته من البربر . فقامت المنافسة بين البربر والاتراك وعظم التحاسد حق توفي العزيز بالله وخلفه الحاكم بامر الله سنة ٣٨٦ ه وكان يعتقد فضل البربر فقدمهم وقربهم فاشترطوا ان بتولى المورهم ابن عمار الكتامي (من البربر) فولاه الوساطة وهي كالوزارة عندهم فاستبد في المور الدولة وقدم البربر واعطاهم وولاهم وحط من قدر الغلمان الاتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز . فاجتمعوا المي كبير منهم اسمه برجوان وكان صقلبيا وقد تاقت نفسه الى الولاية فاغراهم بابن عارحتي وضعوا منه فاعتزل الوساطة وتولاها برجوان فقدم الاتراك والديلم والديلم الذين اصطنعهم العزيز ، فاجتمعوا على كبير منهم اسمه برجوان وكان صقلبيا عمار فقتله وقد تاقت نفسه الى الولاية فاغراهم بابن عارحتي وضعوا منه فاعتزل الوساطة وتولاها برجوان فقدم الاتراك والديلم واستخدمهم في القصر ، ثم بدا للحاكم ان يقتل ابن عمار فقتله وقتل كثيراً من رجال دولة ابيه وجده فتضعضع البربر وقوى الاتراك

ولما مات الحاكم وخلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله سنة ٤١١ هم اكثر من اللهو والقصف ومال الى الاتراك والمشارقة فانحط جانب البربر وما زال قدرهم يتناقص حتى كاد يتلاشى . فلما ملك المستنصر سنة ٢٧٤ ه بعد الظاهر وكانت امه امة سوداء استكثرت في جنود ابنها من العبيد ابناء جلدتها حتى بالخوا الف عبد اسود . وكان هو بستكثر من الاتراك فاصبح الجند طائفتين كبيرتين تتنافسان وتتسابقان الى الاستئثار بالنفوذ . فآل الثنافس الى حرب تعبت بها مصر واضطر الخليفة الى استنصار الشام فاتاه امير الجيوش بدر الجالي من سوريا المتقدم ذكره كاسيجيء فقتل اهل الدولة واقام مصر جنداً من الارمن وصار من حينه معظم الجيش منهم وذهب نفوذ البربر وصاروا من جملة الرعية ولم يبق لهم شأن في الدولة بعد ان كانوا وجوهها واكابر اهلها من جملة الرعية ولم يبق لهم شأن في الدولة بعد ان كانوا وجوهها واكابر اهلها

الفتنة بين العبيد والاتراك

فني سنة ٤٥٤ ه بينها كان الخليفة ومعه الحجاج في المكان المتقدم ذكره افرط احد الاتراك بالشرب حتى سكر فجرد سيفه على احد العساكر العبيد من حرس الخليفة فهجم رفاقه على التركي وقتلوه فاغتاظ الاتراك وتجمهروا بكثرة واتوا الى المستنصر وقالوا ﴿ اذا كان قتل هذا برضاك فالسمع والطاعة والا فلا نرضي به ، فاجاب الخليفة انه حصل بغير رضاء فانقض الآتراك على السودانيين وكانوا كثاراً . فتخاصم الفريقان طويلاً وبعد واقعة هائلة انتهى الامر بعقد صلح على ان يكون القاتل تحت امر الاتراك ثم عادوا الى القاهرة . على ان الضغينة كانت تتزايد يوماً فيوماً . ولم ينفكوا عن الخصام. وكان السودانيون يطيعون الوزير فيأوون الى ثكناتهم. اما الاتراك فما فتئوا يضمون اليهم جهاعات من العرب يتفقون معهم على المشاركة في السراء والضراء. واخيراً اقاموا عليهم ناصر الدولة الذي فشل في حملته على الشام وكان قد عزل من منصبه في دمشق واضمر للخليفة ووزرائه شراً واقام في القاهرة يترقب الفرصة للانتقام. فقبل تلك القيادة آلة لتنفيذ مآربه . ثم علم السودانيون أنهم يعجزون عن مناواة الاتراك فهاجروا الى الصعيد فانضم اليهم كثيرون من أهله فاشتد أزرهم وكثر عددهم حتى بلغ خمسين الف مقاتل فنزلوا الى القاهرة والاسكندرية وهاجموا الاتراك في كوم شريك على الشاطيء الغربى لفرع رشيد من النيل (وقد اشتهر هذا البلد بعدئذ في الحملة الفرنساوية حيث علبت المهاليك) . وكان الاتراك عشرة الاف وقد كمنوا لاعدائهم حتى اذا جاءت الساعة هجموا على السودانييين وهم على الشاطىء فالقوا بعضهم في الماء وذبحوا اليعض الاخر وفر الباقون وقدر بعض المؤرخين جملة من قتل وغرق منهم بثلاثين الفآ

وكانت والدة الخليفة قد تظاهرت جهاراً بنصرة السودانيين مواطنها فشق عليها انكسارهم فغضبت على الاتراك وحقدت عليهم لانهم قتلوا احمد اصدقائها المخلصين فانفذت الى السودانيين مدداً ساعدهم على الدفاع فجرت وقائع شديدة في اماكن مختلفة في جوار القاهرة وفي مصر العليا والسفلى . والتشكيات ترد الى الخليفة في امور مختلفة وجوابه الوحيد عليها قوله دان ما حصل انما حصل بدون علمي فما انا مطالب به » وبعدطول الخصام ضعف الفريقان فضعفت فيهم ساحة الانتقام فعادوا الى السكينة والقلوب لا تزال على غل . وعدد الاتراك يزداد كل يوم وقد صارت اليهم اعمال الحكومة فاقلقوا الخليفة بطلب زيادة مرتباتهم ، وكانت قد نفدت ثروته ولم يعد قادراً

على اشباع مطامعهم وقد اصبح عبداً لاولئك العبيد الذين ربوا في كنفه ولم يجتمعوا الا لحماية شخصه . وكانت والدة المستنصر تزيد في الطين بلة فتأتيبه كل يوم بنباء جديد تطلب اليه اموراً ما انزل الله بها من سلطان وتصر عليها فضاق المستنصر ذرعاً حتى اضطر سنة ٤٥٧ ه الى الفرار على قدميه الى جامع عمرو يظهر الرغبة عن اللك الى العبادة فلما علم ارباب دولته بمكانه حماوه على العدول عن قصده فعاد قالطاً من الحيل

وفي سنة 200 ه قويت شوكة الاتراك وزاد طمعهم في المستنصر وأصرواعلى طلب الزيادة في مرتباتهم وضاقت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال الخليفة واستضعف جانبه فبعثت ام المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجبزة وخرج اليهم الاتراك بقيادة ناصر الدولة فاقتتلا مراداً ظهر في آخرها الاتراك على العبهد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ناصر الدولة الى القاهرة وقد عظم امره وكبرت نفسه واستخف بالخليفة

اما السودانيون فاجتمعوا بعد هذا الانهزام وتكاثروا حتى صاروا نحواً من ١٥ الف مقاتل فاستولوا على الصعيد وارادوا النزول الى القاهرة ونزل بعضهم الاسكندرية والبعض الآخر في الفسطاط. فهاج الذين في الفسطاط بدسيسة والدة المستنصر فاستشاط ناصر الدولة غضباً وعزم على قطع دابر السودانيين من القطر المصري او أن ينفصل الامر اما له واما عليه. فجمع رجاله وحارب السودانيين في الفسطاط فظهر عليهم وأنحن في قتلهم واسرهم

ثم صار الى الصعيد فاربهم وشتهم ثم تحول الى مصر السفلى فاخر جهم منها ومن الاسكندرية واقام فيها من يشق به مثم عاد الى القاهرة فنظفها من آثارهم وقتل من وصلت اليه اخباره ودخلت سنه ٤٦٠ ه والمستنصر يحاول اعادة نفوذه عبثاً فاستشار ذوي شوراه فلم بجده احدهم نفعاً لانهم هم انفسهم لم يكونوا يرون فيه اللياقة لهذا المنصب وكانت الصعيد لاتزال في حوزة السودانيين ومصر السفلى لاتخضع الالناصر الدولة ولا سيا بعد استيلائه على الاسكندرية . وكانت الفسطاط والقاهرة ايضاً تحت سيطرته وأما اوامى المستنصر فكانت لانكاد تجري على حاشيته ، وقد استفحل الاتراك واستهانوا بالحليفة واستخفوا بقدره وصار مقررهم في كل شهر اربعهائة الف دينار بعد ما كان المخالفاً

حال المستنصر

تلك حال المستنصر في مصر اما في الخارج فلم تكن اصلح لان بدر الجالي المتقدم في كرم اغتنم الفرصة واستقل بالشام والصالحي امير الهين كان قد بايع الفاطميين فقتله احد قواده ودخلت مكة والهين في حوزة الخلفاء العباسيين والفتن قائمة على الحدود بين امراء الاقسام ومن يعتدي عليهم فيخرجونهم من اماكنهم ويحتلونها فيلجأ أوائك الامراء الى القاهرة . وفي ختام الاضطرابات جاهر الروم بالحرب وزاد الطين بلة ان المستنصر لسوء تصرفه افسد العلائق بينه وبين الامير محمود صاحب حلب وقد تقدم أنه حصل على رضاه حتى لقبه باشرف الالقاب . فلما طلب الروم الحرب كتب اليه المستنصر يستنجده بالنقود لحرب الروم واخراج الاتراك من بلاده فاجابه محمود «اما النقود فلا وجود لها عندي لأني اقترضت المال لاسترجاع حلب لسلطاني واعدا ابني رهنا عليها فلا ارى معاداتهم . اما الاتراك فانهم اقوى مني فاذا اردت واخذوا ابني رهنا عليها فلا ارى معاداتهم . اما الاتراك فانهم اقوى مني فاذا اردت طردهم طردوني » فاستشاط المستنصر غضباً لهذا الجواب وكتب الى بدرالجمالي صاحب الشام يعهد اليه الاقتصاص من امير حلب العاصي فلم يصدق بدو الجمالي ان جاءه هذا الامر فبند الى حلب

وخرج ناصر الدولة في اثناء ذلك من القاهرة لمحاربة السودانيين في الصعيد فلاقى منهم مقاومة لم يلاق مثلها فحاربهم مراراً وقد غلبوه في كل مرة فكتب الى الخليفة يشتكي امر السودانيين وياتي التبعة على والدته بانها تهبيجهم وتمدهم بالعدة والمال سراً على يده. فاجاب الخليفة انه لايعلم شيئاً عن امه وانحا يشكام عن نفسه ويقسم انه لم يدخل في هذا الامر اولا ولا آخراً ، فاشتدناصر الدولة ورجاله وضموا اليهم مدداً يدخل في المفرار فتبعثروا وتلاشت قوتهم من ذلك الحين

فاصبح ناصر الدولة حملاً ثقيلاً على عاتق الخليفة واتم ذلك النصر اسباب ضعفه فغدا وقد ذهبت هيبته ونفوذه من عيون رجاله الاتراك فلم يعودوا يكترثون بادامره ولا بشيخصه واصبح صعلوكهم يقول عليه بكل سوء وتجمهروا يطلبون زيادة مرتباتهم فانزعج الخليفة لذلك . ولم بكن يأمن على حياته ولا يرتاح في اكله ولا شربه ولا نومه حتى ولا في صلاته واصاب الوزراء تحو ذلك فتنازلوا عن الوزارة

منهوبات قصر الحليفة وخزانة الكتب

وكانت مطاليب الاتواك تحكماً منهم لانهم نالوا الزيادة اللازمة فبلغت مرتباتهم الشهرية اربعائة الف ديناركما تقدم . فضلا عن قلة المال فبعثوا يطالبونه فاعتذر بعجزه فلم يعذروه وقالوا «بع ذخائرك» فاخرجكل ما كان في القصر من الذخائر الثمينة التي اشتغل الفاطميون بجمعها منذ تأسيس دواتهم . وصاروا يقومون ما يخرج اليهم باقل الانحان ويَأْخُدُونَ ذَلِكَ مَا لَهُمْ وَاقْتُسْمُوهَا بَيْنُهُمْ كَمَا تُرَاءًى لَمُمْ لَافْرَقَ فِي كُونُهُ حَقّاً أو تَعْدَيّاً . وكان الخليفة ووزيرماليته ينظرون الى آلمزاد قائماً على المتعتهما بلاقياس ولايبديان حراكاً . وقدبالغ المؤرخون في تقدير تلك الامتعة الثمينة وقد ذكرها المقريزي وهي : قية العشاري وقاربه وكسوة رحله وهو بما استعمله الوزير احمه بن على الجرجراي في سنة ست وثلاثين واربعائة وكان فيه مائة الف وسبعة وستون الفا وسبعائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة الفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التستري لوالدة المستنصر عشارياً يعرف بالفضي وحاى رواقه بفضة تقديرها مائة الف وثلاثون الف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة ولطلاء يعضه الفان واربعائة دينار واستعمل كسوة برسمه بمال جليل وأنفق على العشاريات التي برسم النزهة البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشارياً بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعهائة ألف دينار ولما نهبوا القصر على ما تقدم كفوا عن مطالبته بزيادة المعاش بعد ان عاموا آنه لا يملك شيئاً لكنهم دخلوا مدفن اجداده واخرجوا منهاكل ماوجدوه بها من التحف تُم عمدوا الى خزاً به الكينب فاخرجوا منها آلافاً من الكتب في جملتها ٢٤٠٠ ختمة قرآن في ربعاته بخطوط منسوبه محلاة بذهب. وذكر بعض الذين شاهدوا النهب سنة ٤٦١ ه قال « فرايت فيها خمسة وعشرين حملاً موقرة كتباً محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزيراخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بايجاب وجبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الجبليين وان حصة الوزير ابي الفرج منها قومت عليه من جاري مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار . وذكر لي من له خبرة بالكتب انها تبلغ أكثر من مائة الف دينار ونهب جيمها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سارمعه من الوزير ابي الفرج وابن ابي كدينة وغيرهما هذا سوى ماكان في خزائن دار العلم بالقاهرة مع ماصار الى عماد الدولة ابي الفضل ابن المحترق بالاسكندرية ثم انتقال بعد مقتله الى الغرب.وسوى ما ظفرت به لواتة محمولاً مع ما صار اليه بالابتياع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين واربعائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار العدومة المثل في سائر الامصار صيحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرق ورقها تأولاً منهم انها خرجت من قصر السلطان وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها مالم يحرق وسفت عليه الرياح فصار تلالاً عرفت بتلال الكتب

وفي سنة ٢٦١ هم لم يكتف ناصر الدولة بما حط من نفوذ الخليفة السياسي فعمه الى ان يحيط من نفوذه الديني ويقيم من يخلفه ولم يكن ذلك ممكناً ان لم يأت بحبحة تجنح المستنصر فلبث يترقب الفرس فاتفق وهو خارج من بيت الوزير ان وجلاً طعنه بخنجر فهم به ناصر الدولة وخنقه حالاً لان جرحه لم يكن بليغاً . ورأى تلك فرصة لايحسن ضياعها فادعى ان الخليفة المستنصرا غرى هذا الرجل على قتله وان مثل هذا الخليفة الغارق في الملاهي والمسكرات لا يستحق الخلافة . وكان ناصر الدولة قد انفق مع الشريف ابي طاهر — وكان بدر الجمالي قد طرده فاتى الى القاهرة وجمع اليه عصابة يشد بها ازره وكان معروفاً بالتقوى والتدين . فوعده ناصر الدولة ان يوليه الخلافة بعد المستنصر بشرط ان يقتل بدر الجمالي صاحب الشام قبلا وكان هذا مستقلاً هناك وناصر الدولة يخاف قدومه الى مصر ، فانضم الى الشريف ابي طاهر اميران من عرب سوريا فاخذ من ناصر الدولة اربعين الف دينار لانفقات وسافر الثلاثة الى الشام والتف حولهم عدد وافر من الاحزاب . وكان بدر الجمالي حق قبض عليهم ساهراً على حكومته فلم يلبث المؤامرون ان قابلوا حصون بدر الجمالي حق قبض عليهم وقتل الشريف ابو طاهر سلخاً

اصر الدولة

أما ناصر الدولة فلم ينفك ساعياً في مراده . واصبحت القوة العسكرية شطرين الواحد على غرض ناصر الدولة وهم الاتراك والآخر على غرض الخليفة . فلم ير الخليفة بداً من خطة الدفاع باظهار القوة . فكتب الى ناصر الدولة ينذره وينصح اليه عا نصه « تقر بت منا وطلبت حمايتنا فحميناك وبدلنالك العطاء فكافأتنا بالعقوق وما زادك حامنا الا قحمة فافسدت بين جيوشنا وتواطأت مع ذويك على مناوأتنا فالآن اخرج من بلدنا ونحن نضمن لك الامان ونو دن لك بان تحمل معك ماشئت الى حيث شئت

وان لم تذعن اوقعنا بك عقاباً صارماً » فاجابه ناصر الدولة ساخراً فبعث المستنصرالي قواد الاتراك الذين كانوا من حزبه وبينهم دكر وهو من الد اعداء ناصر الدولة (مع انه حموه) وجاء معهم قواد المغاربة وامراء كتامة وطاب اليهم مبايعته ثانية فبايعوه فرأى ناصر الدولة عدد رجاله قليلاً فبرح القاهرة الى الجيزة ونهبوا داره ودور حواشيه وقتلوا كثيرين منهم . ثمر كب المستنصر جواده وابس درعه واحاطت به الاعلام فر من تحتها جميع من في القاهرة من الاتراك وفيهم عدد عظيم من لم رجال ناصر الدولة . وسار الموكب حتى اتى بين القاهرة والفسطاط فنو دي بانت مراك خيفة المستنصر ، أما ناصر الدولة فلما رأى ماكان من قلة رجاله ونفاد ماله فر" الى الاسكندرية وتحصن أما ناصر الدولة فلما رأى ماكان من قلة رجاله ونفاد ماله فر" الى الاسكندرية وتحصن فيها و بعث الى اهله ان يقدموا ثم عمل على بث اغراضه في مصر السفلي بمساعدة بعض القبائل الاعراب فحمل الناس على خلع المستنصر ومبايعة القائم بامر الله العباسي

أما الفسطاط والقاهرة فلم تكونا في معزل عن تلك القلاقل لان الجوع بحكن منهما لتقصير النيل مدة خس سنوات متواليات . وامتد الجوع الى سنة ٤٦٤ ه وكان معظمه سنة ٤٦٤ ه . ومن ند سنة ٤٥٧ ه لم يكن وفاء النيل كافياً للري . ثم توالت القلاقل التي اقتضت الاسراف بالحبوب ورافق كل ذلك اشتغال الحكومة بسياسها الداخلية عن الزراعة . فكل هذه الاسباب جعلت الحنطة نادرة جدًّا فبلغ ثمن الاردب الواحد مائة دينار والقطة ٣ دنانير والكاب ٥ دنانير ان وجدت . ورافق هذا الغلاء وبالا مكث سبع سنين فلم يبق من يزرع . وشمل الخوف من في العسكر ووافق ذلك ثورة العبيد فانقطعت الطرقات برًّا و بحراً الا بالخفارة الكثيرة . ولما استفحل امر الجوع جاء المستصر الى والي القاهرة واندره مقسماً برأسه أنه اذا كان لا يخذ امر بقم يكن يعلم مقرً ها فاخرج بعض المسجويين المحكوم عليهم بالاعدام والبسهم ملابس الاغتياء واوقفهم في رحبة عمومية وام بقطع رؤوسهم بدعوى أنه لم يرسبيلا ملابس الاغتياء واوقفهم في رحبة عمومية وام بقطع رؤوسهم بدعوى أنه لم يرسبيلا الناس نفاف الاغنياء الذين كانوا قد اخفوا الحنطة وفتحوا مخازنهم وفرقوا الزاد الناس نفاف الاغنياء الذين كانوا قد اخفوا الحنطة وفتحوا مخازنهم وفرقوا الزاد

وكان ناصر الدولة قد حصر حبوب مصر السفلي ومنع شحنها الى القاهرة وجهاتها وجاء القاهرة وحاصرها بعد ان احرق كل ما مر به من القرى والمدن فاضطر الخليفة

بعد طول المقاومة ان يفتح ابواب المدينة لناصر الدولة واتباعه. ولما دخل ناصر الدولة الذاهرة زاد قحة وطمعاً فعاد الى مطامعه وادعى ان له على الخليفة مرتبات متأخرة وبالغ في احتقاره

ويحكى ان ناصر الدولة بعث مرة الى الخليفة فرآه الرسول في قصره جالساً على حصير بال ليس عنده من الفرش غيره وقد اصبح لا حاشية عنده الا ثلاثة خدم لصف عراة فطاب الرسول دفع المتأخر فاتنفت اليه الخليفة قائلاً ﴿ أَمَا يَكُنِي نَاصِر الدولة ان أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير؛ فليأخذ اذن هذا الحصير وهؤلاء العبيد وهذه الاثواب التي لاتكاد تستر عورتي ولينصرف عني » فبكى الرسول ورجع الى ناصر الدولة واخبره فتأثر من هذا القول واحمر "خجلاً وتنازل عن طلبه وخصص للمستنصر مرتباً يومياً ينفقه على حاجات بيته

وفي سنة ٢٥٥ هـ تصالح ناصر الدولة ،ع حميه دكر ولكن هذا لم يزل في ريب من مقاصد صهره فعمد الى الايقاع به فاصطحب بعض خاصته وجاؤا الى دار ناصر الدولة التي تعرف بمنازل الغز وهي على النيل . فدخلوا من غيراستثذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة في رداء لانه كان آمناً منهم . فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه وضربوه حق قتلوه واخذواراسه . ومغى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب اخي ناصر الدولة وكان فحر العرب كثير الاحسان منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب وقل صنيعتك فلان بالباب » فاستأذن اليه فقال لا يحاجب « استأذن لي على فخر العرب وقل صنيعتك فلان بالباب » فاستأذن له فأذن له وقال لعله قد دهمه امر ، فلما دخل عليه اسرع نحوه كانه ير بد السلام عليه وضر به بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه واخذ سيفه ، وكان ذا قيمة وافرة واخذ جارية له اردفها خافه وتوجه الى القاهرة . وقت ل اخوهما تاج المعالي وانقطع ذكر الحمدانية بمصر

بدر الجالي امير الجيوش

على انذلك لم يكن ليسكن بال المستنصراذ قد تخاص من شرووقع في آخرلان دكن لم يكن اقل معاكسة له من صهره فالنجأ المستنصر الى بدر الجالي حاكم سوريا المتقدم ذكره فكتب اليه سرًّا ان يأتي بجيشه الى مصر ليوليه عليها فقبل بدر مشترطاً ان يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من اهل الشام

سافر بدر الجمالي من سوريا في عصبة من رجال قد اختبر شجاعتهم وامانتهم طويلاً وسار الى عكا ومنها بحراً الى مصر . وكانت الريح جيدة على غير المعتاد في مثل ذلك الفصل لأنه برح عكا في أول دسمبر (كانون الأول) وبانغ مصر ولم يشعر أحد به ونزل بين سنيس ودمياط. فاستقبله سليمان كبير اهل البحيرة وتوجهوا نحو القاهرة فنزلوا في قايوب وبعثوا الى الخليفة ان يقبض على دكز قبل دخولهم فقبض عليـــه واعتقله في خزانة البنود . فدخل بدر الجمالي القاهرة يوم الاربعاء ٢٩ جمادي الأولى سنة ٧٦٧هـ. ولم يكن للامراء علم باستدعائه فما منهم الا من أضافه. فلما أنتضت نوبهم في ضيافته استدعاهم الى وليمة اعدها لهم في منزله و بيَّنت مع اصحابه « ان القوم اذا اجنهم اليل فانهم لا بد يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هناك » ووكل بكل واحد واحداً من اصحابه وانع عليه بجميح ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره . فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئين فما طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤوسهم بين يديه . فقويت شوكته وعظم امره وخلع عليه الستنصر بالطيلسان المةو روقله، وزارة السيف والقلم. فصارت القضاة والدعاة وسائر ارباب الدولة من تحت يده وزيد في القابه لقب « امير الجينوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين * . وتتبع المفسدين فلم يبتى منهم احا- حتى قتله . وقتل من اماثل المصريين وقضاتهم ووزائهم جماعة . ثم خرج الى الوجه البحري فاسرف في قتل من هناك من لواتة واستصفى امو الهم وازاح المفسدين وافناهم بانواع القتل وصار الى البر الشرقي فقتل منهم كثيراً . ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياماً من محرم سنة ٧٧٪ ه الى ان اخذها عنوة وقتل حماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيح الاول سنة ٤٧٩ هـ ثم سارالي الصعيد فحارب جهينة والتعالبة وأفني اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال مالا يُعرف قدره كثرة فصلح حال الاقليم بعد فساده

وكان يسعى جهده في اسعاد المصريين اينسيهم ما قاسوه طويلاً فنشط الزراعة واباح الارض المزارعين ثلاث سنين حق ترفهت حال الفلاحين واغتنوا . وسهل سبل التجارة فتقاطر التجار الى معمر لكثر عدله بعد نزوحهم منها في ايام الشدة . وامر بانشاء البنايات العظيمة في القاهرة وغيرها من المدن الكبيرة وشاد الجوامع في الاسكندرية والقاهرة وجزيرة الروضة قرب المقياس . وكان المقياس قد اختل فاصلحه اصلاحاً يصح ان يقال فيه انه بناه ثانية . وبني دار الوزارة الكبرى ودعيت بالدار الافضلية وسكنها ولم يزل يسكنها بعده من يلي امرة الجيوش الى ان انتقل الامر الى بني ايوب فاستقر سكن الملك الكامل في قلعة الجبل خارج القاهرة وأسكنها الى بني ايوب فاستقر سكن الملك الكامل في قلعة الجبل خارج القاهرة وأسكنها

السلطان الملك الصالح ولده . ثم ارصدت دار الوزارة ارز يرد من الملوك ورسل الخليفة

وعادت سطوة الخليفة السياسية والدينية الى الديار المصرية وغيرها وعادث مكة الى مبابعة المستنصر بعد ان قضت خمس سنوات تخطب المخليفة النائم بار الله العباسي في بغداد. و رفعوا الغطاء الاسود عن الكعبة و وضعوا مكانه الغطاء الابيض (١) وعليه اسم المستنصر بالله ولقبه . و بقيت مصر بعد ذلك ٢٠ سنة لم يحدث فيها مايهم التاريخ ذكره و اقل الام ذكراً في التاريخ اسعدها

اما سوريا فان الامير اتسز احـــد الامراء التركمانيين اغتنم غياب بدر الجمالي فقدم اليها غازياً فاستولى على بيت المقدس وطبرية وما بعدها حتى دهشق . ثم تحول الى مصر في ٢٠ الف مقانل وعسكر في سهل بجوار القاهرة . وكانت الجيوش المصرية مشتغلة في الحماد ما بقي من نيران الثورة في الصعيد فاضطرب اهل القاهرة ولم خروجه من مصر. فقبل اتسنز بتلك الشروط لكنها لم تدم أكثرمن ٥٠ يوماً تمكن امير الجيوش في اثنائهــا من حشد جيوشه من الصعيد واجتذاب قلوب بعض كبار العربان الذين تتألف منهم معظم خيالة اتسز وبعض رجال التركمان الذين اتوا معه . فلما صارت الجيوش المصرية بقرب الفاهرة كتب ابير الجيوش الى قافلة كانت تهيأت الى الحج كتاباً ونصه: « ان الجهاد اعظم ثواباً عند الله من الحج فانضموا الى جيوشنا » فاطاعوه ففرق فيهم المال والسلاح . فلما تكامل عدد رجاله جمعهم وهجم على اتسر ذات صباح بغتة واحكم في رجاله السيف فانهزموا وقه قتــل حالب كبير منهم فتبعهم الاعراب والمصريون الى مسافة بعيدة . ثم عادوا الىمعسكرهم فوجدوا فيه نحواً من عشرة آلاف ولد بين اناث وذكور قد اسرهم التركمان من مصر . وخسر التركمان المستنصر . ومات اتسز في دمشق اشقى ،وتة

اصلاحات امير الجيوش ومناقبه

فلم يعد امام بدرا لجمالي من يخالف امره ويقف في سبيل ارادته في احلاح البلاد وكانسو رالقاهرة قدتهدم بعضه فشرع في ترميمه وتقويته فزادفيه الزيادات التي بين بابي زويله وبابزويلة الكبيروبين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن.

⁽١) اللون الابيض يختص بالفاطميين والاسود بالعباسيين والاخضر بالامويين

وزاد عند باب النصر ايضاً جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الي باب النصر. وجعل السور من لبن واقام الابواب من حجارة. وبنى باب زويلة وعلى ابراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من ان يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخو لها جملة . لكنه جعل في بابه زلاقة من حجارة صوائية عظيمة حتى اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان . فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل بن العادل الايوبي فاتفق مروره من هناك فاختل فرسه وزاق به واحسبه سقط عنه فامر بنقضها فنقضت وبقي منها شيئ يسير . وكان احدها في ايام المقريزي لا يزال موجوداً قرب قبوالخرنفش . وبعد بضع سنين اضطرب القطر من عصبة ثارت تحت قيادة ابن بدرالجمالي قبوالخرنفش . وبعد بضررحتى انكسرت شوكتها

وفي سنة ٤٨٧ ها حصى أمير الجيوش الاراضى المصرية ومقدار خراجها وقابله بما كان يحصله الحكام قبله فراى ان الخراج الذي كان يستخرج منها قبله لم يتجاوز ملميونين وثما تماية دينار اما في ايامه فتجاوز ثلاثة ملايين ومائة الف دينار لاعتنائه الخصوصي بالزراعة وتنشيط التجارة وكانتا راغبتين في ايامه ، وما زال عاملاً بنشاط الى اوائل ذي الحجة سنة ٤٨٧ ه فتوفي في القاهرة وسنه ثمانون سنة بعد ان حكم في ،صر عمرين سنة حكماً مطلقاً . وكان الجميع محترمونه وفي يده ازمة الاحكام يديرها بحكمة ودراية وثبات فتكاثرت ثروة البلاد وخصيها الى حد لم تبلغه قبلاً . وكان ينشط الزراعة والتجارة والعلم والادب على السواء ، وكان شديد الهيمة وافر الحرمة مخوف السطوة قبل انه قتل من مصر خلائق لا يحصيها الاخالقها ، منها نحو عشرين الهاً من البحيرة ومثل ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية و بلاد الصعيد واصوان والقاهرة الا انه عمر البلاد واصلحها بعد فسادها باتلاف المفسدين من اهاما ، ولا يزال امير الجيوش معدوداً لدى المصريين بمنزلة عمر و بن العاص واحمد بن طولون

وكان عبا للادباء يقرب الشعراء ويطرب اسماع الشعر. ومن الشعراء الذين مدحوه علقمة بن عبد الرزاق الفليمي وقد حدث بعضهم عنه قال «قصدت بدرا لجمالي بمصرفرا بت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قدطال مقامهم ولم يصلوا اليه ـ قال ـ فينا انا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في اثره واقام الى ان رجع من صيد فالما قاربه وقف على نشر من الارض واوماً برقعة في يده وانشأ يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * درُّ وجود يمينك المبتاع

قلب وفتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الاسماع كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع فاتاك يحملها اليك مجارها * ومطيها الآمال والاطماع حتى اناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع فرهبت مالم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالنماس بعدك كلهم انباع يابدراقسم لوبك اعتصم الورى * ولجوا اليك جيعهم ماضاءوا

وكان على يد بدر بازي فالقاه وانفردعن الجيش و جعل يسترد الابيات وهو ينشدها الى ان استقر في مكانه، ثم قال لجاعة غلمانه وخاصته «من احبق فليخلع على هذا الشاعر » فرج من عنده ومعه سبعون بغلا تحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فرج من عنده وفرق كثيراً من ذلك على الشعراء » ولما مات بدر قام بماكان اليه ابنه الافضل

مرةلية

وبعد وفاة امير الجيوش ببضعة ايام توفي الخايفة المستنصر في ١٨ من الشهر نفسه وسنه ١٧ سنة و خمسة اشهر قضى منها ستين سنة في منصب الخلافة ولم يكن اهلاً لا دارة الاحكام لضعفه وقصر حجته وتصديقه كلما يقال له مهما كانت حقيقته. فكان القبال الخلافة له اسماً اغير مسمى . ومع طول مدة خلافته لم يحدث فيها غير تلك الضيقات العظيمة. ولم تكن مصر وحدها في ذلك العذاب فان صقلية كانت من اغى بلادالفاطميين توبة وكانت قبلاً في حكم الاغالبة و اغراً ابعدها عن كرسي الخلافة لم تكن فيها فائلاة . وكان الولاذ الذين يرسلون البها يحاولون الاستقلال ، فني ايام الخليفة المعز لدين الله كان على هذه الجزيرة وال يقال له احمد راى الخليفة منه ميلاً عن الطاعة فنفاه الى افريقية واقام مقامه غيره وغيره وساروا كلم على خطة واحدة . فتمدنت القلاقل وانقسم اهل الجزيرة على انفسهم فلم يعد في امكانهم دفع من بغزوهم من الافرنج وزدعلى ذلك ان جيرانهم الافرنج سكان الجزيرة نظراً لما كانوا يعاملون به من الاستبداد كانوا يودون الخروج من سلطة المسلمين فجعلوا يكاتبون ابناء ماتهم من الدول الاخرى . وكل هذا جرى في ايام المستنصر وانشهى بخروج تلك الجزيرة من سلطة المسلمين

وذلك أن مسلمي هذه الجزيرة كانوا حزبين متضادين يرأس احدهما ابن تمسامة فتتحاربا فانهزم ابن تمامة برجاله والشجأ الى مدينة كاتان وكانت في حوزة الفراساويين

من سنة ٢٧٧ ه فاستبشر الفرنساويون بقدومه فاكرمواو فادته والمدوه بالعدة والرجال الما الحزب الآخر فكار قد استمد المعز بن باديس فالمده بفرقة من افريقية فجرت بين الحزبين واقعة احتمدت نارها على الخصوص بين الاحزاب المساعدة وهم رجال المعز بن باديس من الجهة الواحدة والجيوش الفرنساوية تحت قيادة روجر الاول من الجهة الاخرى . وانتهت بانتصارا بن تمامة ورجال روجر وانهزام من كان في الجزبرة من المسلمين فدخلها روجر وقد نفذ سهمه ، فاخذ يسعى في تمكين قدمه فبايعه اهلها سنة ٤٥٧ ه وهكذا خرجت هذه الجزيرة من سلطة الفاطميين . وما زالت صقلية في حوزة روجر حتى مات فيحلفه ابنه ولقب روجر الثاني سنة ٤٥٧ ه فنتبع خطوات ابيه في اصلاح شأن الجزيرة فنقدمت في ايامه تقدماً عظياً لم تبانه في سائر ازمانها فنسيت لازمان التي مضت عايها وهي غارقة في النقلبات والتحز بات وسفك الدماء . اما المسلمون والدين اختياروا المسكوث في الجزيرة فظلوا متمتعين مجميع حقوقهم المدنية والدينية



وترى في الشكل السابع والاربعين صور النقود التي ضربت على عهد ملوك صقلية الاقدمين في باليرم عاصمة ايطاليا اذذاك



ش ٧٤: نقود ملوك صقلية القدماء مضروبة في باليرم

وفي الشهر الاول من سنة ٤٨٧ ه تُوفي المقتدي بالله الخليفة السابع والعشرون من بني العباس. وفي الشهر الاخيرتوفي المستنصرووزيره الباسل اميرا لجيوش كمانقدم. وكانت وفر تهما خسارة جسمية على العالم الاسلامي وصدمة قوية على الحلافة. وترى في الاشكال ٤٨ و ٤٩ صور النقود الذهبية التي ضربت في ايام الخليفة المستنصر بالله فالاولى ضربت



فاضلاً حكيا وكان قبــل وفاة أبيه لاينفك عن ش٤١٨ نقود المستنصرضربت سنة ٢١٨هـ

ملاصقته والاقتداء بناقبه فتدرب على يده وكان يساعده في ارائه قرأى فيه ابوه رجلاً يليق بادارة الاحكام واستلام زمام الامور . ولما تولى شاهين شماه الوزارة اقب بالافضل وبجميع المستسلم الوزارة اقب بالافضل وبجميع الالقاب والامتيازات التي كانت لابيه امير الجيوش المستسلمين المستسلمي

ش ٤٤١ : أود المستنصر ضربت سنة ٢٥٥ ه

خلافة المستعلى بن المستنصر

من سنة ٤٨٧ — ٩٥٥ ه او من ١٠٩٤ – ١١٠١ م

اما المستنصر فاوصى بالخلافة لابنه الثاني احمد الملقب بابي القاسم فبادر الافضل الى القصر واجلس ابا القاسم احمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلى بالله وسير الى الامير نزار والامير اسماعيل ولدي المستنصر فجاءا اليه فاذا اخوه اقد جلس على سرير الخلافة فامتعضا لذلك وشق عليهما . فأمره با الافضل بتقبيل الارض وقال له قبل الارض لمولانا المستعلى بالله وبايعاه فهو الذي نصَّ عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده » فامتنعا من ذلك وقال كل منهما ان اباه قد اوصى له بالخلافة وقال نزار « لو قطعت بدي ما بايعت من هو اصغر مني وخط والدي عندي بالخلافة وقال نزار « لو قطعت بدي ما بايعت من هو اصغر مني وخط والدي عندي النهي ولي عهده وانا احضره » وخرج مسرعاً ليحضر الخط فمضى لايدري به احد وتوجه الى الاسكندرية . فلما ابطأ مجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرًا فائر عج اذلك انزعاجاً عظياً

بزار وافتكين

وكان الافضل حاقدًا على نزار لاسباب منها انه دخل يوماً من باب وهو راكب فصاح به نزار « انزل يا اربي » . فحقدها عليه وصار كل منهما يكره الآخر. فلمامات المستنصر خاف الافضل من مبايعة نزار لانه كان رجلا كبيرا هماماً وله حاشية واعوان فعمه الى مبايعة اخيه احمه بعد ان اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافتوه على الاعراض عنه، وكان من جماتهم محمود بن مصال

فبعث الى الزار واعلمه بماكان من العاق الافضل مع الامراء على اقامة اخيه احمد وادارته لهم عنه ثم كان استدعاء الافضل له ولاخيه لمبايعة اخيهما . فلما خرج نزار ليأتي بوصية ابيه له بالخلافة سار من القصر متنكرًا و مه ابن مصال الى الاسكندرية وفيها الامير نصر الدولة افتكين احد مماليك اميرالجيوش بدرالجمالي ودخلا عليه ليلاً واعلماه بماكان من الافضل وتراميا عليه ووعده نزار بأن يجمله وزيراً مكان الانضل فقبلهما التم قبول و بايع نزاراً واحضر اهل الثغر الما يعته فها يعوه واحته بالمصطفى ادين الله قبول و بايع نزاراً واحضر اهل الثغر الما يعته فها يعوه واحته بالمصطفى ادين الله

فيلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر محرم سنة ٨٨٨ ه بعساكره الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وافتكين وكانت بين الفريةين وقائع شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهز ما الى التاهرة. فقوي نزار وافتكين وصار اليهماكثير من العرب. واشتد نزار وعظم واستولى على الوجه البحري واخذ الافضل يتجهز ثانية لحاربته ودس الى اكبر العربان ووجوه اصحاب نزار وافتكين ووعدهم. وسار قاصداً الاسكندرية فنزل اليها وحاصرها حصاراً شديداً والح في مقاناتها

فالها كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع آبن مصال ماله وفر في البحر الى جهة بلاد الغرب فانكسرت شوكة نزار واشتد الافضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وافتكين اليه يطلبان الامان فامنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة . فأما نزارفأنه قتل في القصر بان اقيم بين حائطين بنيا عليه فات بينهما . واما افتكين فقتله الافضل بعد قدومه

فعاد السلام الحالماكة فعكف الافضل على استرجاع البلاد التي كانت قد خرجت من الدولة الفاطمية ودخات في حوزة دولة الارتقيين

دولة الارتقيين

وكيفية نشوء هذه الدولة ان السلجوقيين خرجوا من بلاد التترقبل ذلك الحين بنصف قرن فافتتحوا بلاد فارس وكانت تابعة للدولة العباسية ثم التقوا في غربيها بقبائل من التركان عائشين على تربيلة المواشي لا معرفة لهم بالحروب فاخرجوهم من ضواحي بحر قزوين وساقوهم الى حدود سوريا. فلما بلغوا ذلك المكان اضطروا لتنازع البقاء ان بقاوموا من يمنعهم من نيل رزقهم فاستخدموا قوتي الهجوم والدفاع حتى اصبحوا كغيرهم من المحاربين ولكنهم ما لبثوا ان اصبحوا كذلك حتى كانت الدولة الساجوقية قد امتدت الى حيث هم فدفعهم امامها فتقهقروا الى غربي سوريا

وانتشروا فيها وفي فلسطين. فامير التركمانيين المتقدم ذكرهم كان يدعى ارتق بن اكسك استولى على اورشليم فاسس دولة عرفت بدولة الارتقبين. وفي سنة ٤٨٤ ه توفي ارتق عن وادين الغازي وسقهان فحكما معاً في بيت المقدس وسائر فلسطين وقسم من غربي سوريا وكانت جميع هذه البلاد في قبضة الخلفاء الفاطميين. ففي ايام شاهين شاه الافضل كان الارتقيون على ما تقدم والساجوقيون في بلاد فارس والقسم الشرقي من سوريا

وفي سنة ٤٩١ هـ سار ا.ير الجيوش الافضل لانقاذ بيت المقدس من الارتقيين فطاب اليهم التسليم فابوا فضربها بالمنجنيق فهدم بعضها فسامت وفر الارتقيون الى شرقي سوريا . فسار سقهان الى الرها واقام لنفسه حكو، قفيها وضم اليها ديار بكرواستولى الغازي على العراق العربي وانشأ مملكة في ماردين

الحروب الصليبة

ثم كانت الحروب الصليبية اذ ذاك في اول نشأتها نعني ايام التعصبات الدينية العمياء التي يخجل التاريخ من ذكرها . فكم اهرقت من الدماء وكم احرمت الناس من الراحة ــ ان ذلك التعصب ساق اهل اوربا من بلادهم بالعدة والرجال لمحاربة سوريا وفلسطين ومصرولم تكن النتيجة الا اهلاك العباد المقصود انقاذهم . فن نجا من السيف لم ينج من الاستعباد . واننا لنمسك القام من الخوض في هذا الموضوع الذي يسود القلوب ويشوه وجه الانسانية

فتأ مل الحالة التي كانت البلاد الاسلامية فيها من الارتباك وما كان في طريقها من العقبات كيفكانت المقدمة بينها . فقام اهل اوربا جميعاً وجاهروا بمحاربتها واحتشدوا في القسطنطينية بام الامبراطور الكس كمون الاول والسلجوقيون يزحفون في آسيا يفتتحون البلد بعد الآخر حتى بلغوا الاناطول فاصبحوا يهددون المسلمين في مصر كما يهددون النصارى في القسطنطينية . وما زالوا سائرين نحو القسطنطينية حتى ادركوا شاطئ البوسفور الشرقي فلم يبق بينهم وبين القسطنطينية الاذلاك البوغاز . وكان اذا ذكر اسم الله في معسكر المسلمين وقت الصلاة يسمعه المسيحيون في كنيسة اياصوفيا على الجانب الآخر

ثم قطعت جيوش النصارى البوسفور وعددهم عظيم . فقابلهم السلطان قليج ارسلان السلجوقي بن سليان شاه مؤسس الدولة السلجوقية فحاربوه وارجعوه وجيشه الى الوراء واستولوا على نيقية ثم انطاكية . فجاء المسلمين مدد من كثير غا امير الموصل ودقاق امير دمشق وجناح الدولة امير حمص . ومع كل منهم فرفة من الرجال فاحاطوا بالصليبين وضيقوا عايهم فتجمع هؤلاء ودافعوا دفاع اليأس و دفعوا قوات المسلمين وفرقوها فلم يبق ما يوقفهم عن التقدم واستولوا على المعرة بعد حرب ودخلوا حمص بدون حرب وانتشر جنودهم في جميع انحاء سوريا الغربية وفلسلطين كالا واج المتلاطمة فلاقتها جيوش مصر هناك وكانت بيت المقدس في حكم الخليفة المستعلي الفاطمي ومنذ استخلصها من الارتقيين فحاصرها الصليبيون اربعين يوماً ثم افتتحوها عنوة و دخلوها يوم الاربعاء في ٢٢ شعبان سنة ٤٩٤ ه (يوليو «تموز » افتتحوها عنوة و دخلوها يوم الاربعاء في ٢٢ شعبان سنة ٤٩٤ ه (يوليو «تموز » يجمعونها في الجامع الاقصى . وقيل انه قتل في تلك المعركة نحو من ٢٠ الف نفس واغتنم الصليبيون غنائم كبيرة وساروا لفتح مصر



ش • ٥ — قتال بين الصليبيين والمسلمين في القرن الحادي عشر الميلاد نقلاً عن صورة مرسومة على زجاج نافذة بكنيسة القديس دنيس

فاضطربت مصر لتلك الاخبار واصبحت تخشى ان يصيبها مثل ذلك فحشد امير الجيوش لمحاربة الصليبين جنداً وافراً تحت قيادة سعد الدولة . فساروا وما زالواحق التقوا بالجيوش الصليبية عند اسوار عسقلان فحاربوها فارجعوها على اعقابها . فاما راى الصليبيون انفسهم خارج حدود مصر لم يعودوا يطمعون فيها فوجهوا مطامعهم شرقاً الى مايين النهرين . فالتقت فرقة ،نهم بكمشتكين امير الاطية وسيواس فكسرها ولم يوقفهم عن مراده . فساروا من الجهة الواحدة نحو ديار بكر الى سروج ومن الجهة

لاخرى حتى استولوا على ارصوف وقيصرية

ومرت سنتا ٤٩٣ و ٤٩٤ ه في مثل هذه المناوشات. وفي يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٥٩٤ ه توفي الخليفة المستعلي بالله في القاهرة بعد ان حكم ٧ سنوات وشهرين وله والمن اسمه المنصور لم يبلغ السادسة من عمره فكان شاهين شاه وصياً عليه كماكان وصياً على ابيه قبله . وكان قد عهد اليه ان يلقبة عند مبابعته بالآمر باحكام الله ففعل

CKING 2

خلافة الآمر بن المستعلي

من ه وع ما عده ماو من ۱۱۰۱ - ۱۱۳۰

وكان الصليبيون في اثناء ذلك لا يزالون في فتوحهم بسوريا وقد فازوا لانقسام الدول الاسلامية . وكان الواجب في مثل هذه الحال ان يتحدوا يداً واحدة لمقاومة اعدائهم لكنهم جاؤا بالعكس فانقسمت الآراء وتشتت القوات فكانت تلك فرصة لجماعة الصليبين لم يضيعوها لان الكونت سنجيل بعد ان استولى على طرسوس وحمص وجبيل وطراباس الشام تقدم نحو عكاسنة ٤٩٤ ه وحاصرها براً وبحراً . وكانت عكا في ذلك الحين تابعة لمصر وحاكمها يدعى زاهر الدولة وياقب بالجيوشي لانه من اتباع امير الجيوش . وطال امد الحصار حتى مل الصليبيون الانتظار فهاجموا المدينة ودخلوها عنوة وفتكوا بمن فيها . وفر زاهر الدولة الى الشام ومنها الى مصر

ووصل الى مصر في ذلك الحين ايضاً الامير خلف بن ملاعب الكلابي . وكان والياً على حمص اخرجه منها تناش صاحب دمشق زوراً سنة ٤٨٥ ه فاتى مصر وعرض نقسه لخدمة الخلفاء الفاطميين . وكان قد طاف انحاء المملكة الاسلامية لاستطلاع احوالها شأن الحب لمعرفة حقائق الاشياء . فوصل مصر والخليفة في احتياج الى خدسته وذلك ان ابامه في غربي سوريا كان قد تملكها السلطان رخوان فحرالدولة السلجوقي واقام عليها والياً من قبله . فكتب هذا الوالي لامير الجيوش سريًّا انه مستعله لتسليم المدينة لمن يرسله خليفة مصر . فتد م الامير خلف لهذه المهمة فقبل فسار الى ابامه وتملكها . ولم ترسخ قدمه فيها حق نبذ الطاعة واوقف دفع الجزية فاراد الخايفة معاقبته فام يستطع ترسخ قدمه فيها حق نبذ الطاعة والوقف دفع الجزية فاراد الخايفة معاقبته فام يستطع على تلك الحال . فبعثوا الى والى حلب يطابون حمايته فهم فساموا له المدينة وقتلوا خلفاً و بعض اهله . لكن الدهر لم يدم لهم لانهم ذهبوا غنجة للصليبيين في سنة ٩٩٤ه خلفاً و بعض اهله . لكن الدهر لم يدم لهم لانهم ذهبوا غنجة للصليبيين في سنة ٩٩٤ه

واول من قتل منهم القاضي المتقدم ذكره

وفي اثناء ذلك كان الكونت سنجيل محاصراً اطرابلس الشام وقد شخص اميرها الى بغداد يستمد الخليفة المقتدرالعباسي والسلطان ملك شاه الساجوقي فلم يمداه بشيء فاستجار اهلها بخليفة مصر فاجارهم وبعث الافضل احد اوليائه الى طرابلس فتملكها باسم الخليفة الآمر وارسل اليها بعد ذلك عمارة بحرية تدفع الصايبيين عنها فتأخر وصولها لمعاكسة الريح لها . وفي ١١ ذي الحجة سنة ٣٠٥ ه (يوليو سنة ١١١٠م) فتح الصليبيون طرابلس الشام عنوة وقتلوا بعض اهلها واستعبدوا البعض فسببوا بدخو لهم اليها من الخسائر ما لا يمكن ان تسببه الحرب

فني سبع سنين كلها حروب دموية استولى الصايبيون على سوريا وفلسطين وجعلوا بيت المقدس قصبة ملكهم . أما مصر فكانت في جميع هذه الحوادث على الحياد الا المدافعة عند الحاجة . وكانت تعد ذاتها سعيدة لنجاتها من هجمات اولئك الصليبين وكل ذلك بتدبير الافضل امير الجيوش

وفي سنة ٥٠٦ ه امر الافضل ببناء خليج سماه بحر ابي المنجا لان الذي ناظر على حفره هو ابو المنجا ابو شعيا اليهودي . وانشأ الافضل ايضاً مرصداً عظيماً كلفه مشقات جسيمة . وجعل مركزذلك المرصد على مرتفع في جوار المقطم كان يعرف قديماً بالجرف ثم لما اقيم فيه المرصد صار يعرف بالرصد

البدوية وانن عها

على ان الهمة التي كان يبذلها الافضل امير الجيوش في سبيل مصالح البلاد لم تكن تحرك من الخليفة الآمر باحكام الله ساكناً. وكان منغمساً بالملاهي لا يسمع بغانية جميلة الا استقدها. وكان له شغف خصوصي بالجواري البدويات. ومن اقاصيصه انه بلغه ان في الصعيد جارية من الحمل العرب واظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بري بداة الاعراب وصار يجول في الاحياء حتى انتهى الى حيها وبات هناك في ضائفة وتحايل حتى عاينها فما ملك صبره أن رجع الى مقر ملكه وسرير خلافته فارسل الى اهلها يخطبها فاجابوه الى ذلك وزوجوه بها. فلما صارت الى القصور شق عليها مفارقة ما اعتادته واحبت ان تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها داخل اسوار المدينة فبني لها البناء الذي اشتهر في الجزيرة بالهودج. وكان على شاطئ النيل بشكل غريب الاان البدوية بقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مباح فكتبت اليه وهي في قصر الخليفة الآمر تقول:

مالك من بعدكم قاء ملكا لا ارى الا حبيساً بمسكا كم تثنينا باغصات اللوا حيث لا نخشى علينا دركا

يا ابن مياح اليك المشنكي كنت في حيى ورام مطلقاً نائلاً ما شئت أنكم مدركا فانا الان بقصر موصد وتلاعبنا برملات الحمى حيثما شاء طليق سايكا

فاحابها

بنت عمي والتي غزيتها بالهوى حتى عـــلا واحتنكا بحت بالشكوى وعندي ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى ما لك الامر اليه يشتكي هالك وهو الذي قد هاكا

شأن داود غدا في عصرنا وبدياً بالنيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقَّال « لولا أنه أساء الأدب في البيت الرابع لرددتهـــا الى حيه وزوجتها به »

وفي اواخر سنة ١١٥ ه خرج بردويل ملك الصليبيين من بيت المقدس لافتناح مصر بجيش غفير فوصل الفرما فاستولى عليها وذبح اهابها واحرق جوامعها . وهم بمصر فداهمه مرض حمله على العود حالاً فعاد إلى بيت المقدس فمات قبل أن يدرك العريش فنزعوا احشاءه ودفنوها في مكان لا يبعد كثيراً من العريش في ارض رملية واقاموا على قبره حجراً كبيراً ولا يزال ذلك المكان معروفًا إلى ايامنا بإسم رمال بردويل. أما جيته فحملوها الى بيت المقدس. وبموت بردوبل نجت مصر من فنح عظيم. وبقي الصليدبون سع سنوات اخرى لا يستطيعون مناهضة مصر لاشتغالهم بهجهات المسامين من شرقي سوريا. ففي سنة ١٨٥ه اتى الصليبيون صور واخذوها صايحاً واذنوا للمسلمين ان يخرجوا منها بكلُّ ما يستطيعون حمله . وكانت صوراذ ذاك تابعة لمصر فخاف خليفتها من تقدم الصليبيين الى مصر نفسها وكانوا قد كفوا عن الفتوح فنبهم اليه الارتقبون وعماد الدين زنكي في شرقي سوريا والعراق

وفي اثناء ذلك نشأت طائفة الباطنيين ويدعوهم بعض المؤرخين بالحشاشين لأنهم كانوا يكثرون من تدخين الحشيش وهم فئة جمع بينهم النعصب والطمع. وكان رئيسهم يترصد فرصة للغزو والنهب فلما راى الدول القوية مشغولة بالحرب في انحاء المشرق وضع بده على بعض القرى الجبلية بجوار دمشق ثم جعل يناهض الصليبيين فيحاربهم تارة ويصالحهم اخرى الى ان انتهى الامر فاقام حكومته بين للم انيهم وابتنى حصوناً منيعة ارهبت الولاة المسيحبين وخلفاء الاسلام فاجبرهم على دفع الجزية وقاية ممن فتكه بحياتهم فانه كان متفنناً في القتل بطرق سرية على يد بعض رجاله الدهاة . وفي سنة ٥٢٤ هـ سعى امير الباطنين في قتل الآمر باحكام الله فانفذ اليه بعض دهاته فقتلوه في ٧ ذى القعدة من السنة المذكورة وهو في طريقه الى زيارة معشوقته البدوية وسنه ٣٥ سنة وحكمه ٣٠ سنة تقريباً



وترى في شكل ٥١ صورة نقود الامر باحكام الله ضربت بالاسكندرية سنة ٥١٧ هـ (انظر شكل ٥١)

ش ١٥: نتود الآمر ياحكام الله ضريت في الاسكىندرية

ويدف والمارا السا

خلافة الحافظ بن محمد

من ٢٤٥ ــ ٤٤٥ ه او من ١١٣٠ ــ ١١٤٩ م

ولم يكن للآمر اولاد ذكور فكان الحق بالخلافة لابن عمه عبد المجيد بن القاسم ابن محمد ولكن ارملة الخليفة كانت حاملاً فاقب عبد المجيد بنائب الملك ريما تلد ويرون ماذا يكون الولود فوضعت ابنة فبويع عبد المجيد والله بالحافظ لدين الله . فاستوزر احمد بن الافضل بن امير الجيوش فقام بالوزارة حق القيام فعظم في عيني الخليفة فكش حساده فقتلوه . فاستوزر وزيراً اخر اختبر فيه الدراية والحكمة واسمه بهرام لكنه لم يلبث ان قتل في اواخر سنة ٤٥٣ ه فعزم الخليفة بعد ذلك ال يتولى اعباء الوزارة بنفسه

وفي خلال ذلك لم يكن في مصر اضطراب الا من حيث مشاركتها سوريا بالحروب الصليبية على انها ما فتئت ساهرة تخشى غائلة تلك التعصبات لكنها لم تكد ترتاح من حروبها في الشرق حق ظهر لها عدو هائل في الغرب فاصبحت الدولة الفاطمية حجراً بين مطرقتين: فعدوها في الشرق الصليبيون واما في الغرب فملك صقلية روجرالثاني وقد تقدم انه تولى هذه الجزيرة بالارث وكان الفاطميون قد علموا بذهابها من ايديهم فلم يأسفوا عليها لبعدها عن مركز حكومتهم ، فلم يقنع روجر بما ناله فحملته مطامعه

ان يطلب الفتح فجرد عمارة من مائتين وخمسين شراعاً وتقدم نحو افريقية سنة ٥٣٩ هو واستولى على برصة وقتل كل من كان فيها من الرجال واستعبد النساء . وفي سنة ١٤٥ هو وضع يده على طراباس الغرب واستولى في سنة ٤٤١ ه على المهدية مهد الخلافة الفاطمية وكان قد هجرها اهالها لجوع مدقع حل بهم . ثم تقدم روجر من هناك قاصداً الاسكندرية . فوقعت مصر في حيرة وقد اصبح هذا العدو في عينيها اشد وطأة من الصليبين لاشتغال هؤلاء عن مصر بما كان يهددهم به ذكي واتابك محمود الملقب بالملك العادل نور الدين

وفي اثناء ذلك توفي الخليفة الحافظ في جادى النائية سنة ٤٤٥ ه بعلة القوانيج وكان كثير الاصابة بها. فعمل له موسى الطبيب النصرابي طبل القولنج وهو عبارة عن طبل مركب من سبعة معادن عايه الكواكب السبعة وكان من خاصته ال الانسان اذا ضربه خرج الريح من مخرجه ولهذه الخاصية كان ينفع في القولنج وكان سن الحافظ عند موته ثمانين سنة ومدة حكمه ١٩سنة و٧ اشهر ولم يكن من التدبير والحكمة على شيء فكان يعهد ادارة الاحكام لوزرائه مكنفياً بالسلطة الدينية المحصورة في كل خليفة ولم يكن لديه من السلطة السياسية الاالتوقيع على الاوامر في تشبيب الامراء على اماراتهم شأن الدول عند وشك انجلال ملكها الاان تغيير الوزراء جعل فيه بعض على اماراتهم شأن الدول عند وشك انجلال ملكها الاان تغيير الوزراء جعل فيه بعض



الاهتمام في الاحكام. وترى في شكل ٥٢ صورة نقود الحافظ لدين الله ضربت في الاسكندرية سنة ٥٤٤ هـ وهي السنة التي توفي فيها

ش ۲۰: نقود الحافظ لدين الله

خلافة الظافر بن الحافظ

من ٤٤٥ - ٩٤٠ ماوهن ١١٤٩ - ١١٥٤ م

واستخلف الحافظ ابنه الماعيل ابا المنصور فبويع ولقب بالظافر بأمر الله لمكنه لم يكن مطابقاً الملك الاسم. وكان عمره ١٧ سنة وهواصغراولاد ابيه سناً وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الاغاني فكان ينظر الى الدسائس الجارية في قصره الآيلة الى خراب مملكته بعين المتردد المتهامل وبمثل ذلك كان ينظر الى تهديد جنود صقاية من جهة الغرب والصليبيين من الشرق وكل منهما يقترب رويداً رويداً من قاعدة المملكة الفالممية والنئافر مشعر بقرب سقوط خلافته ولا ببدي حراكاً وفي السنة الرابعة من خلافته وهي سنة ٨٤٥ هـ حاصر الصليبيون عسقلان وكانت من اعمال الفاطميين ونظراً لوقوعها على حدود مملكتهم كانت عرضة لهجمات الصليميين وكان الوزراء في آيام الخلفاء السالفين يعززونها بمهمات الدفاع. وفي اوائل خلافة الظافر توفي وزيره ووقع الخلاف بين ذوي شوراه فشغلوا بذلك عن صيانة البلاد فاهملوا امر عسقلان فاغتنم الصليبيون تلك الفرصة وحاصروا المدينة وضيقوا علمها حتى سلمت. فجاء خبر سقوطها الى القاهرة مع خبر آخر اشد وطأة منه وهو ان العمارة الصقلية نزلت على سواحل مصر واحرقت مدينة تنيس في بحيرة المنزلة ونهبت الفرما لكنها لم تتقدم أكثر من ذلك فأخذت ما أمكنها حمله من الغنائم وعادت من حيث أتت ومن سنة ٥٤٩ ه انتهت حياةالخليفة الظافروحكمه معاً وسبب موته انه كان منهمكاً بالشهوات الوحشية مشتغلاً عن مهام الدولة فشق ذلك علىوزيره العباس فأوعزالي ابنه نصر ان يقتله وينجي البلاد من شره ويتخلص مماكان يتقول الناس في عرضهما من معاشرته اياه فاستدعاه الى دار ابيه سرًّا ولم يعلم به احد وتلك الدار هي المدرسة الحنفية التي عرفت بالسيوفية فقتله بها واخنى قتله في منتصف محرم سنة ٥٤٩ ه فأتى نصر الى ابيه العباس واخبره بذلك من اياته . وال كان الصباح اقبل العباس الى القصر على جاري عادته في الخدمة واظهر عدم الاطلاع على قضيته وطلب الاجتماع به ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله بعد لانه خرج من عندهم خفية وما علم احد بخروجه فدخل المخدم الى موضعه ليستأذنوا للعباس فلم يجدوه فدخاوا الى قاعة الحرم فقيل لهم انه لم يبت هنا فنطابوه في حميع مظانه في القصر فلم يتعوا له على خبر فتحققوا قتله . فأخرج العباس

الخوي الظافر وهما جبريل ويوسف وقال لهما « انتها قتلتها امامنا . وما نعرف حاله الا منكما فاصرًا على الانكار وكانا صادقين في ذلك فقتلهما حالاً لينفي التهمة عن نفسه وعن ابنه



وثرى في شكل ٥٣ صورة نقود الظافر بامر الله ضربت في الاسكندرية سنة ٥٤٥ ه

ش ٣٥: نقود الظافر بامر الله ضربت في الاسكندرية

خلافة الفائز بن الظافر

من ۶۹ ۵ - ۲ ۵ ۵ ه او من ۱۱۵۶ - ۱۱۲۰

فاستدعى عباس الفائز بن الظافر وتقدير عمره خس سنوات وقيل سننان فحمله على كتفه ووقف في صحن الدار وامر ان يدخل الامراء فدخلوا فقال لهم « هذا ولد مولا كم وقتل عماه اباه وقد قتاتهما به كاترون والواجب اخلاص الطاعة لهذا الطفل ، فقالوا بأجمهم « سممنا واطعنا » وصاحوا صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس وسموه الفائز وسيروه الى امه وقد اختل من تلك الصيحة فصار يصرع في كل وقت و يختلج

الملك الصالح

فاخذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالنصرف ولم يبق على يده يد واما اهل القصر فاتهم اطلعوا على باطن الامر واخذوا في اعمال الحيلة في قتل عباس وابنه فكاتبوا بذلك الصالح طلائع بن رزيك الارمني – وهو ابوالغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين كان قد سار الى زيارة مشهد الامام على بن ابي طالب بأرض النبخف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية فتنبأ له الامام انه سيتولى مصر بناء على رؤيا رآها في منامه فسار من ساعته الى مصر وصار يترقي في الحدم حتى ولي منية خصيب (المنيا)

فلما صار اهل القصر الى ما صاروا اليه كتبوا الى طلائع وسألوه الانتصار لهم ولمولاهم والخروج اعلى عبساس وقطعوا شعورهم وسيروها في طي الكتاب وسودوا السكتاب فلما وقف الصالح عليه أطلع من حوله من الاجناد وتحدث معهم في المعنى فأجابوه الى الخروج واستمال جمعاً من العرب وساروا الى القاهرة وقد لبسوا السواد

فلما قاربوها خرج اليهم من بها من الامراء والاجناد والسودان وتركوا عباساً وحده نفرج عباس في ساعته من القاهرة وخرج معه ولده نصر ومعهما شيء من المال وجماعة يسيرة من الباعهم وقصه واطريق الشام على ايلة في ١٤ ربيع اول سنة ٥٤٥ ه. أما السالح بن رزيك فانه دخل القاهرة بدون قتال وما قدام شيئاً على النزول بدار عباس المتقدم ذكره . واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله وسأله عن الموضع الذي دفن فيه فعرافه به وقلع البلاطة التي كانت عليه واخرج الظافر ومن معه من المقتولين فحملوا وقطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنواح في البلد ومشى الصالح والخلق قدام الجنازة الى موضع المدفن في تربة الفاطميين

وتكفل الصالح بالخليفة الصغير ودبر احواله . وأما عباس فان اخت الظافر كاتبت صليبي عسقلان بشأنه وشرطت لهم مالاً جزيلاً اذا امسكوه فخرجوا عليسه والتقوا به فتواقعوا وقتلوا عباساً واخذوا ماله وولده وانهزم بعض اصحابه الى الشام وفيهم ابن منقذ فسلسوا . وسيرالصليبيون نصر بن عباس الى القاهرة تحت الحوطة في قفص من حديد . فلما وصل تسلم رسو لهم ما شرطه من المال فاخذوا نصراً وضربوه بالسياط ومثلوا به وصلبوه بعد ذلك على باب زويلة ثم انزلوه يوم عاشوراء سنة بالسياط ومثلوا به واحرقوه

ولم يحكم الخليفة الفائز بنصر الله الا ست سنوات . وفي سنة ٥٥٥ ه توفي . وكانت مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوي الضعف حتى أنه كائب يؤدي الاموال الطائلة ترضية للصليبيين في بيت المقدس ليتوقفوا عن الغزو من جهة عسقلان وغزة

خلافة العاضد بن يوسف

من سنة ٥١٩ — ٧١٥ هـ او من ١١٦٠ — ١١٧١م

و بعد وفاة الخليفة الفائر اخذ الملك الصالح يهتم في اقامة من يخلفه فقدم السراي فقده و اله شيخا من الاسرة الفاطمية لم يكن ثم احق منه للخلافة فهم بمبايعت فجاء احد اصدقائه وهمس في اذنه « ان سلفك في الوزارة كان احسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه لخليفة عمره أكثر من خمس سنوات » فرنت هذه العبارة في اذن الوزير

فعدل عن تنصيب هذا الشيخ وعمد الى عبد الله بن يوسف بن الحافظ الدين الله ولم يكن بالغاً رشده . فبايعه ولقب بالعاضد لدين الله . وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية ثم زوجه ابنته ومعها تروة عظيمة

ولما كانت ادارة الاحكام منوطة بالوزير كان النفوذ الاكبر له ولم يكن الخليفة العاضد لدين الله اقل استعباداً من سلفه فلقب وزير الصالح بلقب الملك . ففتحت اعين الاعداء عليه وفي جملتهم عمة الخليفة . فعزمت على قتله فارسلت اولاد الراعي فكمنوا له في دهاليز القصر وضربوه حتى سقط الى الارض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ ه وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محباً لاهل الادب جيد الشعر وفيه عقل وسياسة وتدبير . وكان ذا هيبة في شكله عظيماً في سطوته وغناه وكان محافظاً على الصلاة وفرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتاباً سهاه « الاعتهاد في الرد على اهل العناد » جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن ابي طالب والسكلام على الاحاديث الواردة في ذلك . وله شعر كثير يشتمل على مجادين في كل فن فمنه في اعتقاده :

يا امة سلكت ضلالاً بيناً حتى استوى اقرارها وجعودها ملتم الى ان المعاصي لم يكن الا بتقدير الآله وجودها لو صح ذا كان الآله بزعمم منع الشريعة ان تقام حدودها حاشا وكلاً ان يكون الهنا ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

ولم يمت الصالح الابعد ان انتقم من عمة الخليفة بامر الخليفة نفسه لانه لم يكن يحبها . ثم استو زرابنه محيى الدين رزيك ولقبه بالملك العادل وكنيته ابوشجاع وهذا استاخف شاور

مشهد الحسين

ومن اعمال الملك الصالح طلائع بن رزيك انه علم بوجود مشهد الحسين في عسقلان . وكان امير الجيوش اثناء حروبه في سوريا قد ظفر بمدفن راس الامام الحسين في تلك المدينة فابتنى فوقه مشهداً فلما علم طلائع بوجود ذلك المشهد في تلك الجهة خاف عليه من الصليبيين فعزم على نقله الى مصر فابتنى له جامعاً مخصوصاً خارج باب زويلة دعاه جامع الصالح نسبة اليه على ان يجعل فيه المشهد . فلما فرغ من بنائه لم يمكنه الخليفة من ذلك بدعوى انه لايليق ان يكون ذلك الاثر الشريف خارج سور المدينة وابي الا ان يجعله في بعض اجزاء قصره المدعو قصر الزمرد فاقام له مشهداً هنساك وفي سنة ٤٤٠ هـ احترق المشهد فأعيد بناؤه مماراً واخيراً اقيم في جواره جامع

حتى اذا كانت ايام الامير عبد الرحمر كنيا احد امراء الماليك فاعيد بناء المشهد الحسيني في اواخر القرن الثامن عشر الهيلاد وبعد ذلك اعيد بناؤه برمته في ايام الخديوي اسماعيل ولم يبق من البناء القديم الاالقبة المغطية لمقدام الامام فاصبح على مانشاهده الآن وهو الجامع المعروف بجامع سيدنا الحسين في السكة الجديدة بالقاهرة

درغام

وكان الملك الصالح طلائع بن رزيك قد انشأ في وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل في مقدمتهم ضرغام ابا الاشبال . فترقى هذا الرجل حتى صار صاحب الباب . فلما تولى شاور الوزاره طمع ضرغام في سلبه اياها فجمع رفقته . وتخوف شاور وجمع اليه رجاله . فاصبح الجيش فرقتين فرقة مع ضرغام واخرى مع شاور . وبعد تسعة اشهر من وزارة شاور اي في رمضان سنة ٥٥ ه ثار ضرغام وصاح على شاور فاخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكر المسمى بطي وبقي شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشام . وكذلك فعل الوزير رضوان بن ولحشي فانه كان رفيقا له في تلك الكرة . واستقر صرغام في وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك المنصور . فشكر الناس سيرته لانه كان فارس عصره وكان كاتباً جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلاً كريماً لا يضع كرمه الا في سمعة ترفعه او مواراة تنفعه الا انه كان اذنا مستحيلاً على اصحابه فاذا ظن في احد شرًا جعل الشك يقيناً وعجل الا بالعقوبة . فبلغه بعد حين ان رفاقه البرقية يسعون في خلعه واعادة الوزارة الى شاور فعلى عادته من التعجل ارسل اليهم وكانوا نحواً من سبعين اميراً سوى اتباعهم واحضرهم الى دار الوزارة لبلاً وقتلهم بالسيف صبراً فذهبت لذلك رجالة الدولة واختلت واحفرهم الى دار الوزارة لبلاً وقتلهم بالسيف صبراً فذهبت لذلك رجالة الدولة واختلت احوالها وضعفت اكابرها وفقد اسحاب الرأي والتدبير منها

اسد الدين شيركوه وصلاح الدين

وفي اثناء ذلك قصد الصليبون بلاد مصر فخرج اليهم همام أخوضر غام وحاربهم فغابوه ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم عادوا الى بلادهم . وعاد همام عوداً ديئاً فما هو الا ان قدم رسل الصليبين على ضرغام في طلب مال الهدنة المقررة في كل سنة وهو ٣٣ الف دينار

ثم جاء الخبر بقدوم شاور ومعه اسد الدين شيركو. بن شادي - وهوكردي الاصل من قبيلة الروادية من اشهر قبائل الاكراد من مدستة دوين من اعمال اذربايجان.

وكان شيركو هذا واخوه نجم الدين ايوب في خدمة الآتابك نور الدين صاحب دمشق منذ مدة طويلة واظهرا من اللياقة مامكن ثقته فيهما . فلما سار شاور الى دمشق استنجد اتابك نور الدين ليرجع الوزارة الى بده . فنور الدين لم يغفل عن هذه الفرصة التي تجعل له يدا بامور مصر فارسل معه اسدالدين شيركوه في كثير من المهاليك (الغز) وسار معها يوسف ابن اخيه نجم الدين بن ايوب وكان صغير السن ولم يكن ابوه راضياً بسفره في هذه الاخطار لصغر سنه . ولعل التقادير ساقته الى مصرليكون سلطاناً عليها فان هذا الغلام صار بعد ذلك البطل الذي يلهج التاريخ بذكره السلطان صلاح الدين الايوبي . اما مولده فقلعة تكريت سنة ٢٣٥ ه . وسار الاتابك نور الدين بنفسه مشيعاً جيوشه الى حدود مصر وقصده من ذلك ايهام الصليبين الذين في طريقه انه آت لحاربتهم فانحصروا في مدنهم ومن جيشه بامان ولا معارض حق اتي مصر

قتل ضرغام وعود شاور الى الوزارة

فلما علم ضرفام بقدوم شاور ومن معه ومطالب الصليبين اضطرب واصبح الناس في ٢٩ جادى الاولى سنة ٥٥٥ ه خائفين على انفسهم واموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر في اول جادى الآخرة فسار الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم ضرفام فيها . وصار الى شاور واصحابه جميع ماكان مع عساكر همام واسروا عدة ونزل شاور بمن معه الى الناج (قلبوب) بظاهر القاهرة يوم الحميس ٢ جادى الآخرة

فجمع ضرغام النساس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية من الجند بداخل القاهرة وشاور مقيم في التاج اياماً ثم سار شاور ونزل في المقس (الازبكية) فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربه فانهزم هزيمة قبيحة وسارالي بركة الحبش ونزل بالشرف الذي عرف بعد ذلك بالرصد وملك مدينة مصر (الفسطاط) واقام بها اياماً

فاخذ ضرغام مال الايتام الذي كان بمودع الحسم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتسكر منهم ضرغام وتحدث بايقاع العقو بة بهم فزاد بغضهم له . ونزل شاور في ارض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار في منظرة اللؤلوء وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه وبين اصحاب ضرغام وفي كثير من الطائفة الربحانية فبعثه الله ي شاور ووعدوه انهم عون له فاتحل امم ضرغام فارسل العاضد الى اله الله المساور واحدوم المرمي فخرج الرجال الى شاور وصاروا بن حاسم وفترت همة اهل القاهرة واخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى وصاروا بن حاسم وفترت همة اهل القاهرة واخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى

شاور فام ضرغام بضرب الابواق والطبول ماشاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه احد و تفرق عنه الناس فسار الى باب الذهب من ابواب القصر ومعه ٥٠٠ فارس فوقف وطلب من الخليفة ان يشرف عليه من الطاق و تضرع اليه واقسم عليه بآبائه فلم يجبه احد وظل واقفاً الى العصر والناس تنحل عنه حتى بتي في نحو ٣٠ فارساً فوردت عليه رقعة مكتوب فيها « خذ نفسك وانج بها » واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور فمرضر فام الى باب زويلة فصاح الناس عليه واحنوه و تخطفوا من معه وادركه القوم فاردوه عن فرسه قريباً من الجسر الاعظم فها بين القاهرة ومصر القديمة قرب جامع السيدة نفيسة واحتزواراسه في فاية جهادى الآخرة وفر منهم اخوه الى جهة المطرية فأدركه الطلب وقتل عنه مسجد تبرخارج القاهرة وقتل اخوه الاخر عند بركة الفيل و بقي ضرفام ملتى على الارض يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته ٩ اشهر وكان من اجل اعيان الاسء واشجع فرسانهم واجودهم لعباً بالكرة واشدهم رمياً بالسهام وكان له مع ذلك خط ابن مقلة وكان ينظم الموشيحات الجيدة . رلما عيء براسه الى شاور رفع على قفاه وطيف به فقال الفقيه عمارة

اری جنك الوزارة صار سيفاً يحــز بحــده جيــد الرقاب كأنك رائد البلوى والا بشير بالمنيــة والمـــاب

وهكذا اعيدت وزارة مصر الى شاور فاستلم زمامها وصار يدفع للانابك نورالدين المثن محصولاتها مقابلة السبد في اعادتها اليه . الا ان الانابك لم يكن ذا حد مطامعه في مصر فقد كان له بتلك الحملة غرضان الاول ان يقضي حق شاور لانه قصده مستنصراً والثاني ان يستعلم عن احوال مصر لانه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند واحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك

شاور وشيركوه

ولما اقيم شارو على مصرعقد بينه وبين اسد الدين شركوه اتفاقاً سرياً بشأن تسايم مصر الأ أن الشيطان وسوس لشاور أنه قادر على دفع جيوش نورالدين فينال السلطة انفسه فكتب الى شيركوه أن يسيرالى سوريا . فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور اليه . فلما راى ذلك ارسل الى نوابه فتسلموا مدينة بابيس وحكم على البلاد الشرقية فارسل شاور الى الصليبيين يستمدهم ويخوفهم من نور الدين أن ملك مصر وكانوا قد ايقنوا بالهلاك أن تم ملكه لها . فلما ارسل شاور يطلب منهم أن بساعدوه على اخراج اسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تابية يساعدوه على اخراج اسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تابية

دعوته و نصرته وطمعوا في تملك الديار المصرية وكان قد بدل لهم مالاً على المسير اليه وتجهزوا وساروا . فلما بلغنور الدين ذلك سار بعساكره الى اطراف بالادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعامهم ان الخطرفي مقامهم اذا ملك اسد الدين مصراشد . فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقين الى مصر . وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الصليبيين في البحر لزيارة بيت المقدس فاستعانوا بهم فاعانوهم فسار بعضهم معهم واقام بعضهم في البلاد لحفظها . فلما قارب الصليبيون مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهراً يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية والصليبيون و نازلوا اسد الدين شيركويه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة العساكر المصرية والصليبيون و نازلوا اسد الدين شيركويه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة بغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئاً . فبينما هم كذلك يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئاً . فبينما هم كذلك فينئذ سقط في ايديهم واوادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا اسد الدين في الحينة و العود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى وخرج من بلبيس في ذي الحيخة

فلما وصل الى الشام اقام على حاله في خدمة نور الدين الى سنة ٥٦٢ وكان بعد عوده منها لايزال يتحدث بها وبقصدها وكان عنده من الحرص على ذلك كثير، فلها كان هذه السنة تجهز وسار في ربيح الاخر في جيش قوي وسير معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدتهم الني فارس وكان كارها لذلك ولكن لما راى جد اسد الدين في المسير لم يمكنه الا ان يسير معه جماً خوفاً من حادث يتجدد عليهم فيضعف الاسلام. فلما اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البر وترك بلاد الصليبين الى يمينه، فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل الفسطاط وتصرف في البلاد الغربية وحكم عليها واقام نيفاً وخسين يوماً

وكان شاورلما بلغه مجيء اسد الدين اليهم قد ارسل الى الصليبيين يستنجدهم فأتوه على الصعب والذلول طمعاً في ملسكها وخوفاً من ان يملسكها اسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام معه ومع نور الدين ، فالرجاء كان يقودهم والخوف يسوقهم ، فلما وسلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربي وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فيلغ مكاناً يعرف بالبابين وسارت العساكر للصرية والافرنج وراءه بها فأدركوه في

الخامس والعشرين من جادى الآخرة وكان ارسل الى المصريين والصليبين جواسيس فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قناهم . الآانه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القنال في هذا المقام الخطر الذي عطبهم فيسه اقرب من سلامتهم لقلة عددهم وبعدهم عن اوطائهم وبلادهم وخطر الطريق . فاستشارهم فكلهم اشاروا عليه بعبورالنيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا له « ان نحن انهزمنسا وهو الذي يغلب على الظن فالى اين نلتجيء و بمن محتمى وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو النا »

فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب الشقيف وكان شبجاعاً وقال « من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرا ته والله لئن عدنا الى نور الدين من غير غلبة ولا بلاء نعذر فيه ليأخذن مالنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما اخذناه منذ خدمناه الى يومنا هذا ويقول تأخذون اموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مصر الى الكفار والحق بيده » فقال اسدالدين « هذا الراى وبه اعمل » وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال

فاقام اسد الدين بمكانه حتى ادركه المصريون والصليبيون . وهو على تعبية وجعل الانقال في القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها اهل البلاد . وجعل صلاح الدين في القلب وقال له ولمن معه « ان المصريين والصليبيين يجعلون حلمهم على القلب ظناً منهم اني فيه فاذا حلوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكو أنفوسكم واندفعوا قدامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في اعقابهم » واختار هو من شجعان عسكره جعاً يشق بهم ويعرف صبرهم في الحرب ووقف بهم في الميمنة فلما تقائل الطائفتان فعل الصليبيون ماذكره وحملوا على القلب فقائلهم من به قتسالاً يسيراً وانهزموا بين ايديهم غير متفرقين ، فحمل حينئذ اسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حلوا على المسلمين من الصليبيين الفارس والراجل فهزمهم على من تخلف من الذين حلوا على المسلمين من الصليبيين الفارس والراجل فهزمهم على من شخاف فيهم فأثخن وأكثر القتل والاسر . فلما عاد الفرنج من اثر المسلمين راوا عسكرهم مهزوماً والارض منهم قفراً فانهزموا ايضاً وكان هذا من اعجب مايو و خ ان الفي فارس تهزم عساكر مصروفر نج الساحل

ولما انهزم المصريون والصليبيون من اسد الدين بالبابين سار الى ثغر الاسكندرية ولل المريقة من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتسلمها بمساعدة

من اهلها سلموها اليه فاستناب بها صلاح الدين بن اخيه . وعاد الى الصعيد فملكه وجي امواله واقام به حتى صام رمضان

واما المصريون والصليبيون فانهم عادوا واجتمعرا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوهم وساروا الى الاسكندرية فحصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر اهلها على ذلك وسار اسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الصليبيين والمصريين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجاب الى ذلك وشرط على الصليبيين ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصلحوا وعادوا الى الشام وتسلم المصريون الاسكندرية في نصف شوال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذي القعدة

الصليبيون في القاهرة

واما الصليبيون فانهم استقر بينهم وبين المصريين ان بكون لهم بالقاهرة شعنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نورالدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دخل مصركل سنة مائة الف دينار — هذا كله استقر مع شاور لان العاضد لم يكن له معه حكم وقد حجر عليه وحجبه عن الاموركلها . وعاد الصليبيون الى بلادهم بالساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان السكامل شجاع بن شاور قد ارسل الى تورالدين مع بعض الامراء ينهى محبته وولاء ويعرض الدخول في طاعته وضمن على نفسه انه يفعل مع بعض الامراء ينهى محبته وولاء ويعرض الدخول في طاعته وضمن على نفسه انه يفعل الى ان قصد الصايبيون مصر سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالاً جزيلاً فبتي الامرعلى ذلك الى ان قصد الصايبيون مصر سنة اربع و سنين و خمسائة

مضت على ذلك سنتان والافرنج (الصليبيون) لهم شعدة (ضابطة) في القاهرة وقد تسلموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شيجهانهم واعيان فرسانهم و حكمواعلى المسلمين حكما جائراً وركبوهم بالاذى العظيم ، فلماراوا ذلك وان البلادليس فيها من يردهم ارسلوا الى ملكهم بالشام وهو مرى ولم يكن للصليبيين منذ ظهر بالشام مثله شجاعة ومكراً ودهاء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوهامن موانع وهو أنوا امرها عليه بقصدها وعملكها فقال لهم «الراي عندى اننا لانقصدها ولاطمعة لنا بها والموالها تساق الينا نتقوى بهاعلى نور الدين وان نحن قصدناها لغلكها فائل صاحبها وعساكره وعامة بلاده وفلاحيها لايسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين ولأن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الصليبيين واجلاؤهم من ارض الشام، فلم يقبلوا

قوله وقالوا له « انها لامان فيها ولاحامي . والى ان يتجهز عسكرنور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينتُذ يتمنى نور الدين منا السلامة > فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون انهم يريدون قصد مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع ايضاً يجمع عساكره

وجد الصليبيون في السير الى مصر فقدموها ونزلوا مدينة بلبيس وملكوها قهراً مستهل صفر سنة ٥٦٥ه ونهبوها وقتلوا فيها واسروا . وكان جماعة من اعيان المصربين قد كاشوا الصليبيين ووعدوهم النصرة عداوة الشاور . منهم ابن الخياط وابن فرجلة فقوي جنان الصليبيين وساروا من بابيس الى مصر في القاهرة في ١٠ صفر وحصروها فخاف اهلها الله يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بابيس . فحملهم الخوف منهم على الامتناع فخفطوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه ، فلو ان الصليبيين احسنوا السيرة في بلبيس المحكوا الفسطاط والقاهرة . ولكن فشلهم في فتحها عاد على الفسطاط بالدمار لان شاور امر باحراقها تاسع صفر المذكور وامر اهلها بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد . فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهيت المدينية وافتقر اهلها وذهبت الموالم و فعمتهم قبل نزول الصليبيين عليهم بيوم خوفاً من ان يملكها الصليبيون فبقيت النار تحرقها اربعة وخسين يوماً

شاور والصلييون

وارسل الخليفة العاضد الى نورالدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الصليبيين وارسل في الكتب شعورالنساء وقال «هذه شعورنسائي من قصري يستغثن بك اتنقذهن من الصليبيين » فشرع نور الدين في تسبير الجيوش . واما الصليبيون فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على اهلها وشاور هو المتولي للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعف عن ردهم . فاخلد الى اعمال الحيلة فارسل الى ملك الصليبيين يذكر له مودته ومحبته له قديماً وان هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح واخذ مال اثلا يتسلم البسلاد نور الدين . فأجابه الى ذلك على ان يعطوه ، ، ، ، ، ، ، دينار مصري يعجل البعض ويهل بالبعض . فاستقرت القاعدة على ذلك ، وراى الصليبيون ان البلاد قد المتنعت عليهم وربما سلمت الى نورالدين . فاجابوا كارهين وقالوا « نأخذ المال فنتقوى به ولعاود عليهم وربما سلمت الى نورالدين . فاجابوا كارهين وقالوا « نأخذ المال فنتقوى به ولعاود عليهم هم المن فرحلوا قريباً ، وجعل شاور مائة الف دينار وسأهم الرحيل عنه ليجمع هم المن من اهل القاهرة

ومصر (الفسطاط) فلم يتحصل له أكثر من خمسة آلاف دينار لان أهل الفسطاط كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلاً عن الاقساط. وأما أهل القاهرة فالاغلب على أهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الاموال. وهم في خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثاث بلاد مصر وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر وأقطاعهم من البلاد المصرية أيضاً خارجاً عن الثلث الذي لهم

وكان نور الدين اا وصله كتاب العاضد بحلب فارسل الى اسد الدين يستدعيه اليه غرج الرسول في طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه . وكان سبب وصوله ان كتب المصريين وصلته ايضاً في المعنى . فسار الى نور الدين واجتمع به وعجب نورالدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاءل به وامر بالتجهيز الى مصر واعطاه مائتي الف دينارسوى الثياب والدواب والاسلحة وغيرذلك . وحكمه في العسكر والحيائن واختار من العسكر الني فارس واخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار هو ونورالدين الى باب دمشق فوصلها آخر صفر ورحل الى راس الماء . واعطى نورالدين كل فارس بمن مع اسد الدين عشرين ديناراً معونة غير محسوبة من جامكيته واضاف كل فارس بمن مع اسد الدين عشرين ديناراً معونة غير محسوبة من جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة آخرين من الامراء منهم مملوكه عزالدين جرديك وغرس الدين وصلاح الدين بوسف بن ايوب اخي شيركوه على كره منه وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو ضر لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم – احب نور الدين مسير صلاح الدين خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم – احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته ، وكره صلاح الدين السير وفيه سعادته وملكه وسيرد خبرذلك

مقنل شاور

وساراسد الدين شيركوه من راس الماء مجداً منتصف ربيع الاول فلما قارب مصر رحل الصليبيون الى بلادهم بخني حنين خائبين مما الملوا وسمع نورالدين بعودهم فسره ذلك وامر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الآفاق مبشرين بذلك فانه كان فتحا جديداً لمصروحفظاً لبلاد الشام وغيرها. واما اسد الدين فانه وصل القاهرة سابع جهادى الآخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله نظم عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وفرح به اهل مصر واجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة، ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لانه راى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه، وشرع عاطل اسد الدين في تقرير ما كان

بذل لنور الدين من المال واقطاع الجندوافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركبكل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه . ثم أنه عزم على أن يعمل دعوة يدعو اليها اسد الدين والأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الصليبيين فنهاه ابنه الكامل وقال له « والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه ، فقال أله أبوه « والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعاً » فقال « صدقت ولان نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الصليبيون فأنه ليس بينك وبين عود الصليبين الا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينتذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد ، فترك ماكان عزم عليه

ولماراى المسكر النوري مطل شاور خافواشره فاتفق صلاح الدين يوسف بن أيوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور. فنهاهم اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله

فرتفق ان شاور قصد عسكر اسد الدين على عادته فلم بجده في الخيام وكان قد مضى ليزور قبر الشافعي فلقيه صلاح الدين يوسف وجرديك في جمع من العسكر وخدموه واعلموه بان شيركوه في زيارة قبر الامام الشافعي . فقال نمضي اليه . فساروا اليه جيعاً فسايره صلاح الدين وجرديك والقوه الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فاخذ اسيراً فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فتوكلوا بحفظه وسيروا اعلموا اسد الدين فضر ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه . وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه راس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وارسل راسه الى العاضد في السابع عشر من ربيع الاخر . ودخل اسد الدين القاهرة فراى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم « امير المؤمنين (يعني العاضد) فراى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم « امير المؤمنين (يعني العاضد) خلم الوزارة ولقب الملك المنصور امدير الجيوش وسار بالخلم الى دار الوزارة وهي خلم عليه خلم الوزارة ولقب الملك المنصور امدير الجيوش وسار بالخلم الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الامر وغلب عليده ولم يبق له مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بثق اليه من الصابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بثق اليه من الصابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بثق اليه من الصابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بشق اليه من الصابه واقطع البلاد لعساكره مانع ولامنازع واستعمل على الاعمال من بشق اليه من العابه واقطع البلاد لعساكره من العرب المؤلم و المسلم المنازع واستعمل على الاعمال من بشق اليه من العابه واقطع البلاد لعساكره من العرب المؤلم و المنازم و المنازع واستعمل على الاعمال من بشق الهم و المنازع واستعمل على الاعمال من بشق الهم و المناز و المؤلم و المناز و المؤلم و المؤلم

واما الكامل بن شاور فانه اا قتل أبوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم . فكان شيركوه يتأسف عليه كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع ابيه في منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددت آنه بتي لاحسن اليه جزاء لصنيعه

حضارة الفسطاط

قد عامت ماكان من احراق الفسطاط بامر شاور فيجدر بنا ان نذكر ما كانت عليه من الحضارة والثروة . وقد تقدم سبب بنائها على يد عمرو بن العاص وهي اول مدينة اسلامية بناها المسلمون بمصر . واخذت تسع وتزداد عمارة كلما رسيخت قدم المسلمين في البلاد وتوطد سلطائهم حتى فاقت البصرة والكوفة في كثير من الوجوه وبلغ طولها على ضفة النيل ثلائة اميال . وذكر مؤرخو العرب من مقدار عمارتها انه كان فيها . . . ٣٠٠ مسجد و . . . ٨ هسارع مسلوك و ١١٧٠ حماماً . وقد يستبعد ذلك ولكن ايراده يدل في كل حال على العظمة والعمر ان . و ما نظمه الشعراء في ، د حها قول الشريف العقيلي :

احنُّ الى الفسطاط شوقاً وانني لادعو لها ان لايحل بها القطر وهل في الحيا من حاجة لجنابها وفي كل قطر من جوانبها نهر تبدت عروساً والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وبلغ من تزاحم الناس في الفساط حتى جعلوا المنازل طبقات عديدة بانع بعضها خمس طبقات الى سبع وربما سكن في البيت الواحد ٢٠٠٠ نفس وبلغت نفقة البناء على بعضها ٢٠٠٠ دينار وهي دار الحرم لخارويه

واشهر من تلك الابنية دار ضرب المثل بعظمها وغنى اهلها تسمى « دار عب العزيز » كانت مطلة على النيل باغ من سعتها وكثرة ساكنيها أنهم كانوا يصبون فيها اربعائة راوية ماء كل يوم . ونقل بعضهم ان الاسطال التي كانت بالطاقات المطلة على النيل بلغ عددها ، ، ، ، ، ، ، سطل مؤيدة ببكر واطناب لها ترخى و تملأ . وذكر رجل دخلها في اواخر القرن الثالث للهجرة في زمن خارويه بن احمد بن طولون قال « طلبت بها مالما يخدمني فلم اجد فيها صالعاً متفرغاً لحدمتي وقيل لي ان كل صانع معه اشان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فاخبرت ان بها ، ٧ (كذا) صانعاً قلمن معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج »

وفي ذلك دليل على غنى اهل الفسطاط وترفهم . ومن هذا القبيل استكثارهم من الفرش . فقد يقتني احدهم الف فرشة او عشرة آلاف فرشة وذكروا رجلاً من اهل الفسطاط عنده ثلاثمائة فرشة كل فرشة لحظية . وكذلك كانوا يفعلون بالنياب ونحوها وقد تكون اثمانها فاحشة فلا يبالون العناهم - قال القضاعي ان قطر الندى ابنة خارويه كان في جملة جهازها الف تكة ثمن كل واحدة عشرة دنانير فبلغ ثمها كلها عشرة

آلاف دينار.ناهيك بتأنقهم في المآكل والمشارب بما يطول شرحه وقد فصله المقريزي وغيره في كلامهم على الفسطاط

موت أسد الدين ووزارة صلاح الدين

فسر الخايفة العاضد جداً انتجانه من شاور . فاستلم اسد الدين الوزارة في يوم الاربعاء ١٧ ربيع اول سنة ٣٠٥ ه وفرق العطايا في جيوشه التي رافقته الى مصر وامر النصارى بشد الزنانير على اوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة التي تسمى بالعدبة فكتب المهذب بن ابي المليح زكريا وكان مسيحياً الى اسد الدين بقوله :

يا اسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى كنى غياراً شد اوساطنا فما الذي اوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبته ولا مكنه من ارخاء الذوابة وعند ما يئس من ذلك أسلم ولم تطل مدة وزارة اسد الدين فعاجلته المنية في ٢٧ جمادى الثانية سنة ٤٥٥ه ولم يمك في منصبه الاشهرين وخمسة ايام فقط . ودفن في القاهرة ثم نقل الى مدينة الرسول . وكان شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة . وكانت تتواتر عليه التخم والخوانيق فاعتراه خانوق عظيم ذهب بحياته . وكان يعد نفسه نائباً انور الدين في مصر وانه قائم بمصب الوزارة باسمه . وبعد وفاته احب العاضدان يبين حبه له فولى مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر وكان لا يزال شاباً

وذكرابن الاثير في سبب مجي علاح الدين الي مصر نقلاً عن صلاح الدين نفسه قال: لما اتت كتب العاضد الى نورالدين يستغيث به من الافرنج ويطلب ارسال العساكر احضرني واعلمني الحال وقال «تمضي الى عمك اسد الدين بحمص مع رسولي اليه ليحضر وتحثه انت على الاسراع فما محتمل الامر التأخير» ففعلت . وخرجنا من حلب فما كنا على ميل منها حتى لقيناه قادماً في هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير . فلما قال له نور الدين ذلك النفت عمي الي ققال لي « تجهزيا يوسف فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها ما لا انساه ابداً » فقال لنور الدين ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها ما لا انساه ابداً » فقال لنور الدين اسد الدين ولم يبق غير المسير فقال لي نور الدين وانا استقيل . وانقفي المجلس وتجهز اسد الدين ولم يبق غير المسير فقال لي نورالدين «لابد من مسيرك مع عمك» فشكوت اليه الضائقة وعدم البرك فاعطاني ما تجهزت به فكانما أساق الى الموت فسرت معه وملئها . ثم توفي فلكني الله تعالى ما لاكنت اطمع في بعضه . اه

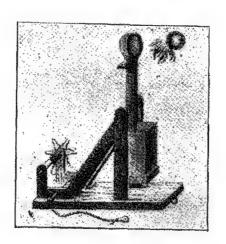
واما كيفية ولايته فان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا النقدم على العساكر ولاية الوزارة العاضدية بعد اسد الدين نهم عين الدولة الياروقي وقطب

الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين مجمود الحارمي وهو خالصلاح الدين . وكل واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها . فارسل العاضد الى صلاح الدين احضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه . وكان الذي حمله على ذلك أن اصحابه قالوا له « ليس في ألجماعة اضعف ولا أصغر سناً من يوسف والراي ان يولى فانه لايخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكرمن يستميلهم البنا فيصير عندنا من الجنود من ثمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف اونخرجه » فاما خلع عليه لقب الملك الناصرولم يطعه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامرلانفسهم ولاخدموه وكان الفقيه عيسي الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى اماله اليه وقال له « ان « هذا صلاح الدين هو أبن اختك وعزه وملكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه ولا يصل اليك » فمال اليه ايضاً . ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم اطاع غير عين الدولة الياروقي فانه قال «أنا لا أخدم يوسف» وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء. فثبت قدم صلاح الدين - ومع هذا فهو نائب عن نور الدير. وكان نور الدين بكاتبه بالامير الاسفهسلار وبكتب علامته على راس الكتاب تعظيماً عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب « الامير الاسفسلار صلاح الدين وكافة الامرء بالديار المصرية يفعلون كذا » واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبوه وضعف امر العاضه . ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله ، فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بامره ومساعدته وكلهم فعل ذلك . واخذ اقطاعات الامراء المصريين فاعطاهم اهله والامراء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبا وطاعة مؤتمن الحلافة وصلاح الدين

فاما اجمع المصريون على حب صلاح الدين ظهر حساده واكبرهم مؤتمن الخلافة وهو خصي كان بقصر العاضد واليه الحريم فيه والمقدم على جبيع من يحويه . فاتفق هو وجماعة من المصريين على مكاتبة الصليبين واستدعائهم الى البلاد والتقوي بهم على صلاح الدين ومن معه . وسيروا الكتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وساد ذلك القاصد الى البئر البيضاء فاقيه انسان تركاني فرأى معه نعلين جديدين فاخذهما منه وقال في نفسه «لوكانا ممايلسه هذا الرجل الكانا خلقين فانه رث الهيئة» وارتاب به وبهما فاتى به صلاح الدين ففتقهما فرأى الكتاب فيهما فقرأه وسكت عليه . وكان غرض مؤتمن الخلافة ان يتحرك الصليبيون الى الديار المصرية فاذا وصلوا اليها خرج

صلاح الدين في العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فيأتونه من وراء ظهره والصليبيون من بين يديه فلايبقي لهم باقية . فلما قرأ صلاح الدين الكتاب سأل عن كاتبه فقيل رجل يهودي فاحضر نامر بضربه وتقريره فاسلم واخبره الخبر . واخنى صلاح الدين الكتاب لكن مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفاً واذا خرج لم يبعد من صلاح الدين ولا يظهر له شيئاً من الطلب لئلا ينكر ذلك

فلما طال الامر خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقائية للتنزه فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا برأسه، وعزل جميع الخدم الذين يتولون امر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش، وهو خصي ابيض وكان لا يجري في القصر صغير ولا كبير الا بامره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولانه كان يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين الفاً، وقصدوا حرب الاجناد الصلاحية فاجتمع العسكر ايضاً وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل في الفرقين



ش ٤٥ : آلة رمي قارورة النفط مشتعلة للاحراق

وكان العاضد في هذه الوقعة يشرف من المنظرة . اما اهل القصر فلما رأوا كسرة السودان وعساكرمصررموا على الغزمن اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى انكوافيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون . فامم حينته صلاح الدين النفاطين باحراق المنظرة فاحضر شمس الدولة النفاطين واخذوافي تطييب قارورة النفط ووضعوها في الآلة وصوبوا

بها على المنظرة التي فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح زعيم الخلافة باب المنظرة وقال بصوت عال « امير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم » فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا . فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم اقفيتهم الى ان وصلوا سوق السيوفيين فقتل منهم كثير واسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فاحرق عليهم. وكان في دار الارمن قربهاً من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كابهم رماة ولهم جارٍ في الدولة يجري عليهم . فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عَن ان يسيروا الى العبيد فاحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقاً وقتلاً . ومروا الى العبيد فصار هؤلاء كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم و قتلوا فيه . الى ان وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلق فحصروا هناك واستمرفيهم القتل يومين. ثم بلغهم ان صلاح الدين احرق المنصورة التي كانت اعظم عاراتهم وأخذت عليهم افواه السكك . فايقنوا أنهم قد اخذوا لا محالة فصاحوا الامان فامنوا وذلك يوم السبت في ٢٨ ذيالقعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة . فعدا عليهم شمس الدولة في العسكروقد قووا باموال المهزومين واسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم الاالشريد. وتلاشي من هذه الواقعة امر العاضد ودعيت بواقعة العبيد . ومن غرائب الآنفاق ان الذي فتح مصر الدولة الفاطمية وبني القاهرة بدعي جوهراً والذي كان سبباً في زوال هذه الدولة وخراب القاهرة يدعى ابضاً جوهراً اللقب بمؤتمن الخلافة

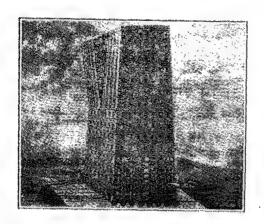
فاماً انتهت هذه الواقعة واستئصلت جرثومة الفسادعاد صلاح الدين الى السكون فولى اخاه طوران شاه قوص واصوان وعيذاب مكافأة لما اظهره من البسالة في واقعة العبيد . وجعل البلاد المذكورة له اقطاعاً فكان دخلها في تلك السنة ٢٦٦٠دينار . وفي سنة ٨٦٥ ه خرج طوران شاه لغزو بلاد النوبة وفنح قلعة ابريم فسبى وغنم ثم عاد بعد ان اقطع ابريم بعض اصحابه . وفي سنة ٥٦٥ ه خرج الى بلاد المين وفنحها عنوة ولقب بالملك المعظم طوران شاه

حمار دمياط

وكانت وزارة صلاح الدين في مصر سبباً لاضطراب الصليبيين . اما نور الدين فركب عمارة مصرية وجعل يطوف البحر المتوسط عند شطوط سوريا ليمنع مرور الوافدين الى الارض المقدسة ويستولي على ما يرد الى الصليبيين من المؤرث والذخائر. فتشاور الصليبيون في شأن ذلك فاقروا على ارسال بطريرك صور فريدريك مع يوحنا اسقف

عكا لاستمداد ملوك فرنسا والمكلترا وصقلية وغيرهم من الامراء المسيحيين فلم ينجح مسعاهم ، غير ان امبراطور القسطنطينية ارسل عمارة من مائة وخمسين شراعاً مملوءة بالذخار والمؤن والعدة والرجال فاتحدت بجند عسقلان وساروا برًّا وبحراً الى مصرحتى اذا بلغوا الفرما جدوا السيرحتى اثوا دمياط فعسكروا بينها وبين البحر في صفر سنة ٥٦٥ ه

وكانت هذه الحملة تحت قيادة الملك امري فظن انه يقدر على اخذ دمياط بالهجوم لكنه راى منها مقاومة ودفاعاً الزماه على اقامة الحصار فاقامه ولم يكن اكثر فائدة له من الهجوم لان اهل دمياط كانوا كثيرين ولم يبالوا بعدة الصايبيين وعددهم وطال الحصار حتى نفدت مؤونة الصليبيين فارادوا العبور في النيل ليأتوا بالزاد فاوقفهم سكن اقامه المسلمون في عرض النهر وهو عبارة عن سلسلة قوية من الحديد طرفها الواحد



ش ٥٠: برج من ابراج الحصار

مشدود بمتاريس دمياط والطرف الآخر ببرج هائل منيع الجانب من ابراج الحصار وكانت الامدادات ترد لحامية دمياط من القاهرة بسهولة اما الصليبيون فكان انتظارهم للمدد من سوريا عبثاً فانتشر الجوع في معسكرهم وقام الشقاق بين الفرنساويين منهم وهم الذين كانوا في سوريا والروم الذين اتوا بالمدد من الاستانة . واشته ذلك الاختلاف حتى افضى الى الانفصال التام بعد ان بلغ منهم الجوع مبلغاً عظياً فكانوا يتخاصمون على كسرة و يمضغون افنان النخيل . ومما زاد شقاءهم تكاثر الامطار وهبوب الزوابع على معسكرهم بدون انقطاع حتى اصبحوا كانهم في طوفان عظيم . وحصل من تكاثر الاعصار نوي في النيل اسرع جريه فتزاحمت مراكب الصليبيين وتلاطمت فلم يعد استخدامها

ممكناً لوقوعها بين قو تين متضادتين الربح من جهة ومجرى النيل من جهة اخرى فتكسر معظمها ثم انتشبت النار فيها فاحرقت ما بقى منها

فلما شاهد الافرنج ذلك لم يروا بدًّا من العود على اعقابهم الى سوريا صفر اليدين بعد ان تعاقدوا مع المسلمين ان لا يعارضهم معارض في سيرهم . وكان صلاح الدين قد اعد في القاهرة جيوشاً ليسير بها مدداً الى دمياط لكنها لم تبلغها حق فارقت الجيوش الصليبية مراكزها فشق عايه ذلك وعنف الامراء الذين سمحوا لهم بالرجوع ثم عاد الى القاهرة

وفي السنة التالية جرد صلاح الدين على سوريا لمحاربة الذين ضافوه السنة الماضية فدخل فلسطين سنة ٥٦٦ ه فعلم امري وهو في عسقلان انه حاصر قلعة دارون وهو دير قديم للنصارى على قمة جبل وعر على اربع اميال من غزة اتخذه الصليبيون معقلاً فاسرع الملك امري لمهاجمة صلاح الدين في ذلك المكان وكان صلاح قد علم الدين بقدومه فسار لملاقاته فلاقاه في منتصف الطريق وحاربه وغلبه ونزل على غزة فاستولى عليها . واستبشر المسامون بهذه الانتصارات ولكنهم اكتفوا بها اخذاً بالثارفتركوا في غزة حامية وعادوا الى مصر فبلغوا القاهرة في اواخر السنة المذكورة

ثم بلغ صلاح الدين ان الافرنج احتلوا ايلة وتحصنوا فيها فسار آليها ومعه عصبة من رجاله الاقوياء وحمل معه مراكب مفككة ينقلها على الجمال ولما وصل الى البحرعند ايلة ركب تلك المراكب وانزلها البحروها جوا ايلة في ربيع الاول من السنة المذكورة براً وبحراً وما زالوا عليها حتى فتحوها وقتلوا من كان فيها من الصليبين وجعل فيها صلاح الدين جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون الية من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة

وكان لصلاح الدين نفوذ عظيم في مصر ولم يكن الخليفة العاضد الا اسماً لغير مسمى ولم يعد لديه الا السلطة الدينية . فلاح لنور الدين ان يتخلص من سلطة الفاطميين فاوعز الى صلاح الدين ان يقطع خطبتهم ويخطب للخليفة العباسي

الخطبة العباسية عصر

وفي سنة ٥٦٧ه جعل صلاح الدين الخطبة بمصر للخليفة العباسي بدلاً من الفاطمي . ومعنى ذلك في اصطلاحهم ان مصر عادت الى سيطرة العباسيين السنيبن وخرجت من سلطة الفاطميين الشيعة وكان صلاح الدين سنياً . وكيفية البيعة ان صلاح الدين لما نبتت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وكان من اعيان الامراء الاسدية وكلهم يرجعون اليه .

فكتب اليه نور الدين محمود بن زنكي يامره بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة المستضيّ بالله العباسي . فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصرية لميلهم الى العلوبين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفاً من نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية وياخذها منه . فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلما اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عدره والح عليه بقطع خطبته والزمه الزاماً لافسحة له في مخالفته لانه على الحقيقة نامب نور الدين ، واتفق ان العاضد مرض في هذا الوقت مرضاً شديداً . فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امراءه فمنهم من اشار مرضاً شديداً . فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امراءه فمنهم من اشار به ولم يفكر في المصريين ومنهم من خافهم الا انه لم يمكنه الا امتثال امر نور الدين

وكان قد دخل الى مصر أنسان اعجي يعرف بالامير العالم فلما رأى ما هم فيه من الاحجام وأن احداً لا يتجاسر يخطب للعباسيين قال « أنا أبتدىء بالخطبة له » فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخعليب ودعا للمستضىء بالله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان . وكتب بذلك الى سائر بلاد مصر ففعلوا .

وكان العاضد قد اشتد مرخه فلم يعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفي فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته . فثوفي يوم عاشوراء ولم يغلم بقطع الخطبة . ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وما فيه فحفظه بهاء الدين قراقوش وكان قد رتبه قبل موت العاضد

فمل جميع ما فيه الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التي لم توجه عنه على المياقوت وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالاً واللؤلؤ الذي لم يوجه مثله ، ومنه النصاب الزمرد الذي طوله اربع اصابع في عرض عقد كبير. ووجه فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضه وقد احتاطوا بالحفظ ، فلما راوم ظنو عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضه وكسروه ثم عاموا انه طبل قوانيج فندموا على كسره لماقيل لهم ذلك ، وكان في القصر من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه ، ونقل اهل العاضه الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخرج جميع من فيه من امة وعبه فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس ، وكان العاضه لما مرض ارسل الى البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس ، وكان العاضه لما مرض ارسل الى

صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان يصفه كثيراً بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه

ويقول بعض المؤرخين الصليبيين ان صلاح الدين قتل العاضد بيده الا ان الجمهور على خلاف ذلك . على اننا لا يسعنا الالومه لتطرفه في احتقار الخليفة وتجريده اياه من ذات يده ومن متاعه ، وقد بالغ بذلك حتى انه علم بجواد كريم كان يركبه الخليفة لترويح النفس في حديقته فظلبه منه فلم يسع الخليفة الا اعطاؤه اياه والتوقف عن الرياضة التي لم يبق لديه من ثروة الخلفاء سواها ، وكان الخليفة العاضد شديد التشيع متغالباً في سب الصحابة واذا رأى سنياً استحل دمه . وترى في الشكل الخامس الحسين صورة نقود زجاجية ضربت في عهد الدولة الفاطمية ايام احتياجها المال وقلة الذهب وحالما تولى صلاح الدين الغاها وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبة اليه



ش ٦ ه : نقود زجاجية مضروبة على عهد الدولة الفاطبية

حضارة الدولة الفاطمية

انقضت هذه الدولة بموت العاضد الفاطمي والخطبة للمستفي العبامي سنة ٢٧٥ فيجدر بنا ان نأتي على ماكان من مبلغ حضارتها لولا ما نخافه من الشطويل وقد افاض المقريزي في ذكره مفصلاً فنأتي على مثال من بذخهم وترفهم وقد ذكر شيء من ذلك ادوات الترف

كان الفاطميون يناظرون العباسيين في كل شيء حق في اسباب الحضارة وكان النمدن الاسلامي قد لضج واخذت الدولة العباسية بالتقهقر ففاقوهم في كثير من اسباب البذخ والترف ولا سيا من حيث الاثاث والرياش والثياب فان العباسميين رصعوا البذخ والترف وخفافهن بالجواهر واحكن الفاطميين رصعوا بها آنية المطبخ واتخذوا

كوز الزير من البلور مرصعاً بالجوهر وكالموا المزيرة بحب اللؤلؤ النفيس وتأنقوا في المصوغات حتى الخذوا منها التماثيل المرصعة للزينة في مجالسهم ، فاذا جلس الخليفة في احدى المناظر للراحة او تبديل الثياب وضعوا بين يديه الصوائي الذهب عليها اشكال الصورالآ دمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها معمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المسكلل باللؤاؤ والياقوت والزبرجه ومن الصور الوحشية مايشبه الفيلة بينها عنبر معجون كخلقة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسماز ذهب مجرى سواده ، وعلى الفيل سرير منجور من عود عميكات فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان عليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤوسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ، ثم صور السباع منجورة من عود وعينا السبع ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته واشكال من سائر الوحوش ، واصناف تشه من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة

وكان للفاطميين في القاهرة دور يخترنون بها ادوات النرف يسمونها خزائن بعضها للفرش والبعض الآخر للجوهر وآخر للطيب وآخر للبنود وآخر للسلاح وآخر للسروج او الدرق او الكسوات او الادم او الشراب او التوابل او الخيم . وكان الخليفة يذهب الى مجالس خاصة له في تلك الخزائن . والمجلس عبدارة عن دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها ليجلس الخليفة عليها اذا زار تلك الخزانة

الحلى والمجوهرات عد الفاطميين

في اخرجود من خزانة الجوهر في ايام الشدة على عهد المستنصر بالله (سنة ٤٨٧ هـ) صندوق فيه سبعة المداد زمرد سألوا الصياغ عن قيمتها فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجوداً . واستخرجوا خريطة فيها ويبة جوهر قال الصياغ ان لاقيمة له واصل ثمنه ٥٠٠٠ دينار بيسع يومئذ بمشرين الف دينار . ووجدوا ما لايحصى من اقداح البلور المنقوش والمجرود وصحوناً من الميناء منها مايساوي مئات من الدنانير وفي مكان آخر ١٠٠٠ قطعة من بلور تتراوح اثمانها بين عشرة دنانير والف ديناركل قطعة . وصوان من الذهب المجراة باليناء وغير المجراة المنقوشة بانواع النقوش و١٠٠٠ غلاف خيار مبطن بالحرير محلاة بالذهب . ونحو مئة كاس بادزهر واشباهها على اكثرها اسم هارون الرشيه

غير ما وجدوه هناك من الصناديق المملوءة بالسكاكين المذهبة والمفضضة وانصابها من الجواهر المختلفة وصناديق مملوءة دوى (جمع دواة) على اختلاف الاشكال من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس والعاج محلاة بالجواهر ثمــا يساوي الف دينار الى بضعة آلاف كل دواة . وعدة ازيار مملوءة كافوراً وعدة جهاجم عنبر ونوافج المسك التيبتي وشـجر العود وغيره

ومما خلفته رشيدة بنت المعز وحفظ هناك ما قيمته ٢٠٠٠ دينار من جملتها مرد ٢٠٠ من الثياب المصمت الواناً و ٢٠٠ قاطر ميز مملومة كافوراً قيصورياً و عمات مجواهر من ايام المعز. وبيت هارون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس . ومثل ذلك مما تركنه عبدة بنت المعز ايضاً ويطول شرحه . وخزانة مملوءة بأنواع الصيني تساوي القطعة منها الف دينار وحصير من الذهب وزنه عشرة ارطال يظن انه الحصير الذي حملت عليه بوران بنت الحسن بن سهل لما زفت الى المأمون وصوان من الذهب كان ملك الروم اهداها الى العزيز بالله

ووجدوا انواعاً من الشطرنج والنرد مصنوعة من الجوهر والذهب والفضة اوالعاج او الابنوس وعدد كبير من الزهريات ونحوها . ومن تماثيل العنبر ٢٢٠٠٠ قطعة اقل تمثال منها وزنه ١٢ منا ومن تماثيل الخليفة مالا يحد . والكلوثة المرصعة بالجوهر قيمتها من ١٣٠٠٠ دينار فيها من الجوهر ١٧ رطلا . وطاووس من ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاح المينا المجري بالذهب على الوات ريش الطاووس . وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر بطنه ابيض قد نظم من در رائق ومائدة من الجزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطة . ونحلة ذهب مكالة بالجوهر وبديم الدر في اجانة من ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لاقيمة لها . وكوز زير بلور مرصع يحمل عشرة ارطال ومزيرة مكالة بحب من الجواهر لاقيمة لها . وكوز زير بلور مرصع يحمل عشرة ارطال ومزيرة مكالة بحب لؤ لؤ نفيس وقس على ذلك عشرات من امثاله

الفرش والاثاث عند الفاطميين

ووجدوا في خزائن الفرش من اصناف الاثاث والرياش ما يعد بالالوف. من ذلك مده مده المحمد والتي اكثرها مذهب ومراتب خسرواني وقلموني ثمن الواحدة و ٥٠٠٠ دينارو اجلة معمولة للفيلة من الخسرواني الاحر المذهب و ٢٠٠٠ قطعة خسرواني احمر مطرز بأبيض من هدبها لم يفصل من كساء البيوث كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتدل على مسانده وسخاده ومساوره ومراتبه وبسطه ومقاطعه وستوره وكل ما يحتاج اليه . ومثل ذلك من المخمل والديباج والخر وسائرانواع الحرير وعليها اشكال الصور من كل شيء . ونحو الف من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف

الوانها واطوالها فيها صورالدول وملوكها ومشاهيرها وعلى صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه وشرح حاله . و و و و و و رزمة خسرواني منهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد . ومن جملتها مقطع من الحرير الازرق التستري غريب الصنعة منسوج بالنهب وسائر الوان الحرير كان المعتر لدين الله امر بعمله وفيه صورة اقاليم الارض وجبالها و بحارها ومدنها وانهارها ومساكنها شبه الخارطة الجغرافية وفيه صورة مكة و المدينة ومكتوب على كل مدينة وجبل و بلد و نهر و بحر وطريق اسمه بالذهب والفضة او الحرير وقد كتب في آخره « نما امر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعالم وسول الله في سنة ٣٥٣ ه >

فاعتبر ماتدل عليه هذه الآثار من رقي المدنية والحضارة وكم تكون قيمتها لو وجدت الان وكم يدفع المثمولون من المال في الحصول عليها

وقس عليه ما كان في سائر الخرائن من التحق ففي خزانة السلاح سيف الحسين ابن علي ودرقة حزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق ومئات الالوف من الدروع والسيوف والقسي والرماح وغيرها . وفي خزانة السروج الوف من السروج النمينة ومنها ما يساوي الف دينار الى سبعة الاف دينار . وفي خزانة الخيم انواع الفساطيط والمضارب والمسطحات والحصون والقصور والشراعات والمشارع العمومية من الديبقي والخمل والخسرواني والديباج المكي والارمني والبهنساوي والكردواني وغير ذلك على اختلاف الالوان والنقوش من المفيل والمسبع والمخيل والمطوس والمطير وغيرها من اشكال السباع والطيور والآدميين مما ينصب على اعمدة ملبسة بالفضة . ومن هذه الفساطيط ما يبلغ طوله ٦٥ ذراعاً كبيراً مجمله مع ملحقاته مئة جمل . وفي خزانة البنود كثير من الرايات والاعلام السادجة والمطرزة وغيرها

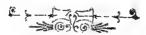
ومن أدلة الترف والأسراف في هذه الدولة أن السيدة الشريفة ست الملك أخت الحالم بامر الله أهدت أخاها هذا هدايا من جملتها ثلاثون فرساً بمراكبها ذهب منها مركب وأحد مرسع ومركب من حيجر البلور وتاج مرسع بنفيس الجوهر وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر

وقد يتبادر الى الذهن أن ما تقدم ذكره لايخلو من مبالغة اوهومن قبيل الاحاديث الخرافية . ولكن مصر اشتهرت في الاعصر الاسلامية الوسطى بالثروة مثل شهرة بغداد في أبان حضارتها وأشهر المصريون بالترف والغنى حين كان الناس يشكون الضيق ولذلك قالوا « من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه المة » وقد تواتر ذكر هذه التحف

وامثالها في كتب الثقات وبعضهم شهد الامر بنفسه وراى هذه التحف راي العين ومنهم ابن الاثير المؤرخ الشهير فقد ذكر في حوادث سنة ٥٦٧ هالتي اقام فيها السلطان صلاح الدين الخطبة بمصر للدولة العباسية واستولى على ما كان باقياً في قصور الخلافة من التحق والجواهر بعد ما اصابها من النهب في فتنة المستنصروغيره - قال « وحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا من مثله ومن الجواهر التي لم توجد عند غيرهم فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهما أو ١٧ مثقالاً انا لا اشك فيه لاني رايته ووزنته واللؤلوء الذي لم يوجد مثله ومنه النصاب الزمرد الذي طوله أو بع أصابع في عرض عقد كبير »



ش ٧ ه : السلطان صلاح الدين الايوبي



الدولة الايوبية

من سنة ٧٢٥ - ١١٧١ ماو من ١١٧١ - ١٢٥٠ م

سلطنة صلاح الدين يوسف

من سنة ٧٧٥ -- ٨٥٥ هـ او من ١١٧١ -- ١١٩٣ م

ولما علم صلاح الدين بوفاة العاضد وضع يده على القصر . وكان قد عهد الى بهاء الدين قراقوش ان يخفي التحف التي كانت قد جمعت . ثم التي القبض على جميع من بقي من الاسرة الفاطمية وهم الامير داود بن ولي العهد وينعت بالحامد لله واخواه ابو الامانة جبريل وابو الفتوح وابنه ابو القاسم . وسليان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب ابن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن ابي طاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن ابي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجعام تحت الحجر في مكان بعيد من الظاهر بن ابي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجعام تحت الحجر في مكان بعيد من القصر . اما بماليك العاضد وعبيده فباع بعضها وفر ق البعض الآخر في ارباب دولته القصر . اما بماليك العاضد وعبيده فباع بعضها وفر ق البعض الآخر في ارباب دولته

هكذاكانت نهاية دولة الفاطميين فقد غادروا القاهرة وفيها من آثارهم بنايات عظمة وقصور ومناظر منها القصر الكبير الذي بناء جوهر عند ما اناخ في موضع القاهره والقصر العنبي الغربي ونحو عشرة قصور اخرى جميعها متقنة ثمينة كلها قاعات ومناظر داخل سور القصر كان يقال لها القصور الزاهرة

ومن آثارهم عدة بساتين ومناظر باماكن مختلفة من القاهرة . وقاما بقي من تلك الآثار على حاله . ولكن هناك اثراً عظيماً لا يمحوه كرور الايام نعني به القاهرة فأنها من بنائهم كما عامت . وللفاطميين احاديث مطولة فيما يتعلق بهيئاتهم في مجالسهم العامة وكيف كان يجالسهم ارباب الدولة والفقهاء والعاماء وسائر انواع الاتباع وكيفية صلاتهم في المساجد وما يجري في ذلك من الاحتقال فرن احب الاطلاع عليه فليطالعه في خطط المقريزي

ويقال أن صلاح الدين وجد بين تلك الخزائن مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد منتخبة من احسن المؤلفات. ولا يزال قسم منها الى الآن في مكتبة ليدن بالمانيا

نور الدين وصلاح الدين

ثم اسرع صلاح الدين الى تبليغ اتابك نورالدين انه انفذ امره وان الخليفة مات. واتصل هذان الخبران ببغداد فاصبح خليفتها منفرداً بالخلافة على سائر المشرق. فخلع على اتابك نورالدين و بمث اليه سيفين اشارة الى توليته على سوريا ومصر. وخلع أيضاً على صلاح الدين وبعث اليه بالاعلام السوداء يجعلها على المنبر. وبعد أن كانت القاهرة عاصمة من عواصم الاسلام امستكغيرها من الملان وتحولت العظمة جميعها الى بغداد فلما رأى نورالدين نفسه سيداً على سوريا كلها تقريباً وعلى بعض جزيرة العرب وعلى اسيا الصغرى ومابين النهرين عزم على الاستقلال بها وبمصر. اما صلاح الدين فكان في نيته الاستقلال بمصر انفسه منذاول توليته فيها وكان بينه وبين نورالدين مكاتبات سرية مَا لَمَّا الْحَافظة على سلطة الخليفة العباسي الدينية ريثما يتأتى لهم الاستقلال فكان صلاح الدين مع تظاهره في تأييد سلطة الخلفاء العباسيين لا يفتر ساعياً في اتمام مقاصده التي كانت تحت طي الخفاء. فاخذ في تربية الاحزاب واعداد القوات الى ما يمكنه من الاستقلال بمصر ومقاومة نور الدين اذا عارضه بذلك ـ فشعر نور الدين فبعث اليـــه على اثر وفاة العاضد يستقدمه وفرقة من رجاله مظهراً استنجاده على الصليبيين في الكرك . وقصه، الحقيق ان يخرجه من مصرويبقيه عنده تحت مراقبته فيأمن طائلته فادرك صلاح الدين غرضه الحقيقي لكنه لم يستصوب مخالفة امره لئلا تتنافر القلوب فتتعرقل مساعيم فكتب اليه أنَّه اذعاناً لام، برح القاهرة في فرقة ، الجدد لملاقاة جند نور الدين في الكرك . فوصل نور الدين اليها ولم يجد فيها احداً فانتظر فلم يقدموا . ثم ورد اليه كتاب من صلاح الدين بانه برح القاهرة بجنده يطلب الكرك فعرض له في الطريق ما الجأه الى العود حالاً الى مصر

دهاء نجم الدين ايوب

فعلم نور الدين أنها مماطلة مقصودة فاقر على المسير بنفسه الى مصر والاشتغال بصلاح الدين عن الصليبين. لكنه قبل ذهابه بعث الى صلاح الدين يهدده بالعزل اذا لم يبادر الى ما امر به فجمع صلاح الدين اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي وسائر الامراء. فاما تكامل الجمع اعلمهم بماكان بينه وبين نور الدين وما بلغه من عزمه على الحجي اليه واستشارهم فلم يجبه احد. فنهض تقي الدين عمرو ابن شاهين شاه اخي صلاح الدين فقال « ان الراي اذا جاءًا نور الدين قاتاناه ومنعناه

من البلاد » ووافقه غيره من اهلهم . فشقهم نجم الدين ايوب والد صلاح الدين واستعظم اقوالهم وشتم تقي الدين واقعده وقال اصلاح الدين « انا أبوك وهذا شهاب الدين خالك وهل تظن بين هؤلاء من يحبك ويخلص لك أكثر منا ؟ » قال لا . فقال « اعلم يا يوسف اننا والله لو راينا نور الدين لم نحكث ان نقتل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا . فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا ؟ وكل الذين تراهم عندك من الامراء لو رأوا نور الدين وحده لم بجسروا على الثبات على سروجهم وهذ البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا . والرأي ان تكتب كتاباً مع نجاب تقول فيه : بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتي «نديلاً و يأخذني اليك وما هنا من يمنع»

وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا . ثم خلا ايوب بصلاح الدين فقال له «باي عقل فعلت هذا ؟ اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عز منا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ لانقوى عليه ؟ واما الآن اذا بلغه ما جرى وما اظهرنا مر الطاعة له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها . ووالله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتاته انا عايها حتى امنعه او اقتل » ففعل صلاح الدين ما اشار به ابوه

فلما جاء كتاب صلاح الدين الى نورالدين كمانصه ابوه سكن روعه وتوقف عن المسير الى مصر وعاد للاهتمام بامرالصليبيين وكانوا قد امعنوا في سوريا ولم تعد اخبارهم تصل لنور الدين بالسرعة اللازمة لاتساع ايالاته فاستخدم الحمام لنقل الاخبار فكانت تأتيه بها بزمن قريب

وثوب المصريين بصلاح الدين

اذعن المصريون لصلاح الدين وفي قلوبهم غل فتآ من جماعة من اصحاب الخلفاء الفاطميين على الوثوب و وسبب ذلك ان جهاعة من الشيعة منهم عمارة بن ابي الحسن اليمي الشاعر وعبد الصمد الكانب والقاضي العويرس و داعي الدعاة وغيرهم من جند المصريين و رجالنهم السو دان و حاشية القصر ووافقهم جهاعة من امن اعسلاح الدين و جنده و اتفق رأيهم على استدعاء الصايبيين من صقاية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شيء بذلوة مم من المال . فاذا قصدوا البلاد و خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم في القاهرة و مصر وأعادوا الدولة الفاطمية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبتى له مقام مقابل الصليبيين . وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا بيتى له مقام مقابل الصليبيين . وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا

به واخذوه اخذاً باليد لعدم الناصر له . وقال لهم عمارة « وأنا قد ابعدت اخاه الى الىمين خوفاً من أن يسه مسده وتجتمع الكامة عليه بعده »

فارسلوا الى الصليبين في ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الصليبيين. وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجاعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين على بن نجا الواعظ والقاضي المعروف بابن مجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعي والقضاة . الا ان بني رزيك قالوا ان الوزير منا وبني شاور والقاضي قالوا يكون الوزير منا . فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون فعله وتعريفه مايتجهد اول باول . ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه

ثم وصل رسول من ملك الصليبيين بالساحل بهدية ورسالة وهو في الظاهر اليه والباطن الى اولئك الجماعة . وكان صلاح الدين يرسل اليهم بعض النصارى تأتيه رسلهم فاناه الخبر من بلاد الصليبيين بجلية الحال . فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته . فقيض حينئد على المقامين في هذه الحادثة ومنهم عمارة وعبد الصمد الكانب والعويرس وغيرهم وصلبهم

وقيل في كشف امرهم ان عبد الصمد المذكوركان اذا اتي القاضي الفاضل وزير صلاح الدين يخدمه ويتقرب اليه فاقيه يوماً فلم يلتفت اليه، فقال القاضي الفاضل «ماهذا الالسبب» وخاف ان يكون قد صارله باطن مع صلاح الدين فاحضر علي بن نجا الواعظ واخبره الحال وقال «اريدان تكشف لي الامر» فسعى في كشفه فلم يرله من جانب صلاح الدين شيئاً فعدل الى الجانب الآخر فكشف الحال وحضر عند القاضي الفاضل واعلمه، فقال « تحضر الساعة عند صلاح الدين و تنهى الحال اليه » فحضر عند صلاح الدين وهو في الجامع فذكر له الحال. فقام واخذ الجماعة وقررهم فاقروا فامر بصلبهم وكان بين عمارة وبين الفاضل عداوة من ايام العاضد وقبلها فلما ارادصلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في اطلاقه وظن عمارة انه يحرض على هلاكه فقال لصلاح الدين احمارة « انه وخاطب صلاح الدين احمارة « انه علم لانا لا لا تسمع منه في حقي » فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين احمارة « انه كان يشفع فيسك » فندم ثم اخرج عمارة ليصاب فطلب ان عر به على عجلس الفاضل فاجتازوا به عايه فاعلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة ونودي في اجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى اقاصي الصعيد واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وغيره من اهله واما الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا اعلمهم أنه علم بحالهم

واما الصليبيون فكانوا يتألفون عصباً ويتقدمون في سوريا يفتتحون مدنها وما زالوا في خطتهم هذه حتى لم يعد امامهم الاعدوان كبيران وهما نورالدين وصلاح الدين. وكان هذا الاخير يترقب الفرص لبلوغ مرامه فكان يغتنم فرصة اشتغال نور الدين بالمحاربة في مابين النهرين ويسيرالى غزوسورياو حالما يعلم بقدومه اليها يعود الى مصرحالاً

وفاة نورالدين ومناقبه

فآل ذلك الى النفور الشديد بين هذين الرجلين وهم أنور الدين بحشد الجيوش وتسبيرها الى مصر لاخراج صلاح الدين منها واقامة حامية لحماية الحدود التي يخشى هجوم الصليبيين عليها . وبينها هو على اهبة الرحيل فاجأته المنية بعلة النحوانيق فات في دمشق في شوال سنة ٢٥ ه وسنه ستون سنة و الدة حكمه ٢٩ سنة . وكانت علمكته شاملة جميع سوريا الشرقية وقسما أمن سوريا الغربية ومصر والموصل وديار الجزيرة . وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين . وكان قد اتسع ملك جداً الخرمين الشريفين وبالمين وكان لاياً كل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسامين . ولقد شكت اليه زوجته من الضائلة فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له محصل منها في السنة محوعشرين ديناراً . فلما استقلتها قال « ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسامين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك » وكان يسلى كثيراً بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كا قيل :

جمِع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب في المحراب

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه طلباً للاجر. واما عدله فانه لم يترك في بلاده على سعتها مكساً ولا عشراً بل اطاقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها. واحضره انسان الى مجلس الحمكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضي كال الدين ابن الشهر زوري يقول «قد جئت محاكماً فاسلك معيماتسلك مع الخصوم» وظهر الحق له فو هبه النخصم الذي احضره وقال «اردت ان اترك له مايدعيه انما خفت ان يكون الباعث في على ذلك السكر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته الباعث في على ذلك السكر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته

ما يدعيه » وبنى دار العدل في بلاده وكان يجلس هو والقاضي فيها ينصف المظلوم من الظالم ولو آنه ولده او آكبر امير عنده . واما شجاعته فاليها النهاية وكان في الحرب ياخذ قوسين ليقاتل بهما فقال له القطب النساوي الفقيه « بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبت في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف » فقال له نور الدين «ومن محمود حتى يقال له هذا أمن قبلي من حفظ البلاد والاسلام ؟ ذلك الله الذي لا اله الاهو » واما مافعله من المصالح فانه بني اسوارمدن الشام جميعها وقلاعها فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر و بعلبك وغيرها و بني المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية و بني الجامع النوري بالموصل و بني البيارستانات والخانات في الطرق و بني الخادكاهات في جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة وكان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينسار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين و يعظمهم و يقوم اليهم و يجلسهم معه و يتبسط معهم ولا يرد لهم قولاً و يكاتبهم بخط يدة وكان وقوراً مهيباً مع تواضعه

استقلال صلاح الدين بمصر والشام

فانتقلت مملكته بعد موته الى ابنه الملك الصالح اساعيل وكان في الحادية عشرة من العمر . فأقيم شمس الدين محمد بن المقدم نائباً له في تدبير الملكة . فاستخف الناس به لصغر سنه حتى هم افراد اسرته بتنزيله لكنهم لم ينجيحوا وحاول الملك امري غزوه فعاد خائباً . اما الامراء الذين كانوا على الامارات في مملكته فول كل منهم الاستقلال بذاته فأحب نائب الملك أن يسيرالي صلاح الدين يستنجدة فأوقفه اولئك الامراء . وفي خلال ذلك ورد اليهم والي نائب الملك كتب من صلاح الدين تقول بوجوب اليخضوع التمام لخليفة نور الدين كما كان له وارسل نقوداً مضروبة في مصر باسم السلطان الجديد . ومما كتبه للامراء قوله « او علم نور الدين أن فيكم من هواكثر السلطان الجديد . ومما كتبه للامراء قوله « او علم نور الدين أن فيكم من هواكثر السلطان الجديد . ومما كتبه للامراء قوله « او علم نور الدين ان فيكم من هواكثر السلطان الجديد واعاموا ايضاً أنه لو أم يفاجئه القضاء لاقامني وصياً على أبنه وارى أنكم محاولون اخراج يدي ولكني سأذهب الى دمشق بنفسي واقدم عبوديتي الىهذا السلطان الجديد معترفاً بالافضال العظيمة التي حمليها أبوه أما أنم فسأعاملكم بمقتضي تصرف كل واحد معترفاً بالافضال العظيمة التي حمليها أبوه أما أنم فسأعاملكم بمقتضي تصرف كل واحد معترفاً بالافضال العظيمة التي حمليها أبوه أما أنم فسأعاملكم بمقتضي تصرف كل واحد معترفاً بالافضال العظيمة التي حمليها أبوه أما أنم فسأعاملكم بمقتضي تصرف كل واحد من همل الفتنة »

وجا، صلاح الدين الى د، شق بعد وصول كتبه بقليل واخرج ،نها سيف الدين فاذي بن اخي نور الدين . وكان قد وضع بده عليها واعادها للملك الصالح ثم اسرع

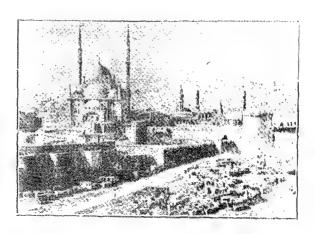
في استرجاع الاماكن التي كان قد استقل بها بعض الامراء الصغار من اسرة نور الدين في سوريا الشرقية استخفافاً منهم بسلطة الملك الصالح. فاسترجع منهم حمص وحماة وبارين وسلامية وتل الخاطب و بعابك والرها . الا ان هذه الفتوح لم تجد الملك الصالح نفعاً لانها دخلت في سلطة صلاح الدين ولم يعطر منها شيئاً للملك الصالح . فاستنكف منه وخافه . ثم حاول صلاح الدين الاستيلاء على حلب وكانت في حوزة الملك الصالح على نية ان يخرجه الى شرقي البسلاد السورية . واستنجد الملك الصالح ابن عمه سيف الدين فازي وكان قد ولاه الموسل فأمدته . فاتحد الجيشان وهاجوا صلاح قرب في ١٩ رمضان سنة ٧٠ ه فتغلب عليهم وسلب منهم امتعتهم واستولى على حلب وابطل الخطبة العلك الصالح وخطب لنفسه

فراى صلاح الدين اذ ذاك من قواته والاحوال المحيطة به ما يؤهله ابلوغ ماطالما كان يتناه من الاستقلال بالملك ، فصرح بسلطانه في مصر وسوريا وكان كذلك ، فاصبح الصليبيون اعداءه مباشرة ، اما هم فاغتنذوا اشتغاله في جهات حلب وحملوا على البلاد الغربية من سوريا وجعلوا يفتكون ناهلها ويسومونهم سوء العذاب يقتلون بمضهم الغربية من أمريهم طوران شاه اخو صلاح الدين فلم يتو عليهم ، فبلغ ذلك اخوه وكان قد استقدم جنداً مصرياً ، فانفذ بعضهم فارجعوا الصليبيين على اعقابهم فعاد الى اتمام فتوحه فارب سيف الدين فازي وفاز به واستولى على بوزاع ومنبيج وعيران حيث قبض على اثنين من الباطنيين وقتلها بيده وكانا مرسلين من قبل امير الباطنيين اليقتلاء ، وختم صملاح الدين فتوحة بمعاهدة عقدها مع سيف الدين غازي والملك الصالح ليقضي باستبقاء جميع البلاد التي فتحها تحت سلطته وان لا يكون للملك الصالح دخل فيها

اصلاحات صلاح الدين عمر

وعاد صلاح الدين الى مصر في ٢٠ محرم سنة ٢٧٥ ه بعد ان استخلف الخاه طوران شاه على دمشق وكان قبل مسيره الى الشام قد استخلف على مصروزيره الامير بهاء الدين الاسدي الخصي الفارسي الذي تقدم ذكره. فعهد اليه تدبير الاحكام وامره ان يقيم البنايات اللازمة لرو بق البلاد ومنعتها . فانفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيرة و اشاط وكانت الجسور المبنية لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد اهمل شأنها منذ تولى الخلفاء الفاطميون فاذا فاض النيل طغت مياهه على اليابسة وخربت الطرق وافسدت الزرع فهد الطرق واحتفر الترع وا قام الجسور والسدود واستخدم لذلك بعض حجارة

الاهرام الصغيرة التي كانت تحيط باهرام الجيزة وغيرها من ابنية المصربين القدماء. وانشأ طريقاً يمتد طولاً على ضفة النيل فيقيها من صدمات المياه وتسهل علائق العاصمة بمصر العليا والسفلى . وشاد فوق الترعة التي كانت تجري بين الجيزة واهرامها جسراً عظيماً مؤلفاً من اربعين قنطرة



ش ٨٥: تلعة القاهرة الآن

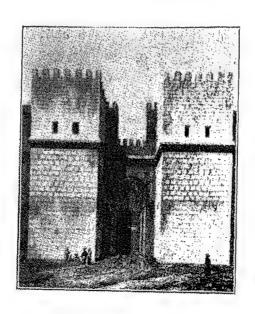
ولم يكن لصلاح الدين اذ ذاك مسكن الا القصران الذان كانا للخليفة والوزير السابقين ولم يكونا منيعين حق المنعة فجعلهما منزلاً لامراء الدولة وقواد الجند وبني في المطرف الشمالي من جبل المقطم على سفحه قلعة منيعة لارهاب الاهالي اذا حاولوا العصيان وجعل فيها قصراً لبلاطه . وكان في ذلك المكان بناء قديم من عهد الدولة الطولونية يعرف بقبة الهواء فهدمه واقام القلعة في مكانه واتى بجيجارتها من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجنب تشرف على كل المدينة وليس في القاهرة بنالا آخر المنع موقعاً من القلعة وهي لا تزال باقية الى هذا العهد وتعرف بقلعة الجبل وقلعة القاهرة ، واحتفر بهاء الدين في القلعة بئراً انقراً في الصخر عميقة جداً تسع كل ما تحناج اليه الحامية من الماء ولا تزال البئر والقصر الى هذه الغاية يعرفان باسمه فالبئر تدعى بثر يوسف ويظن بعض العامة أنها سميت هكذا لسبة الى يوسف الصديق ابن يعقوب والصحيح لسبتها الى يوسف صلاح الدين الذي امر باحتفارها . والغالب ان هذه البئر كانت محفورة من ايام قدماء المصريين ثم طمرت بالرمال قاعاد صلاح الدين حفرها وما بقي من القصر يعرف بديوان يوسف او ديوان صلاح الدين حفرها وما بقي من القصر يعرف بديوان يوسف او ديوان صلاح الدين حفرها وما بقي من القصر يعرف بديوان يوسف او ديوان صلاح الدين .

وابتني هذا الوزير ايضاً حواصل كبيرة في الفسطاط لخزن الغلال التي ترد من الأعمال سنوياً ولا تزال تدعى الى يومنا هذا بمخازن يوسف وقد ظن بعضهم أنها من بناء فرعون في زمن يوسف السديق

سور التاهرة

وبعدان فرغ بهاء الدين من اصلاح الترع والخلجان والطرق وبناء القلعة اخذ يهتم باتمام سورالقاهرة وكان قد ابتدا بعمارته السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ ه وهو يومئذ على وزارة العاضد فلما عهد إلى بهاء الدين اتمامه عمل له رسماً عظيم الاتساع يحيط بالقاهرة والفسطاط وقصرالشمع وما بينها من الارض.الا أنه استعظم بناءه بهذا الانساع فجعله محيطأ بالقاهرة والقلعة فقط واضطرلقيام مشروعه هذا الى هدم جوامع وبيوت وقبوركثيرة كانت في مكان السور. ولم يكن الأهالي معتادين على الاذعان لاوأمر سلاح الدين كسلطان وبعضهم لايزال متشيعاً للدولة الفاطمية فاتهموه بالاستبداد واقبوا بهاء الدين بقراقوش اي الطير الاسود وهو العقاب ولا يزال بمض عامسة الشرقبين يعبرون بهذا الاسم عن الاستبداد والعسف وينسبون اليه احكاماً عجيبة في ولايته حتى ان الاسعد بن مماتي له كتاب لطيف سهاء الغاشوش في احكام قراقوش وفيــــه اشياء يبعد وقوع مثلها منه . والظاهرانها موضوعة فان صلاح الدين كان معتمداً في احوال المماكة عليه ولولاوثوقه بمعرفته وكفاءته مافوضها اليه وكآن رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية وهذه هي المرة الثالثة لبناء سور القاهرة فني المرة الاولى ساء جوهر وفي الثانية اميرالجيوش وفي الثالثة بناه بهاء الدين بامر صلاح الدين فزاد فيه القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر. وبني قلعة المقس وهي برج كبير جعله على النبل بجاب جامع المقس الذي يعرف اليوم بجامع اولاد عنان وهو خارج باب البحر على يسار الذاهب من وجه البركة الى محطة السكة الحديد . وانقطع السور من هناك . وزاد في سور القـــاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة آلي باب البرقية والي درب بطوط والى خارج باب الوزير يتصل بسور قلعــة الجبل فانقطع من مكان يقرب من الصوة تحت القلمــة والى الآن آثار الجدر ظاهرة للمنأمل فها هو آخر السور الى جهة القامة . وجاء دور هذا السور الحيط بالقاهرة ٢٩٣٠ من الاذرع الماشمية وقلمة المقس المذكورة كانت برجاً مطلاً على النيل في شرقي جامع المقس ولم تزلحق هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عندما جدد الجامع المة كور سنة ٧٠٧ ه وجعل في مكان ذلك البرج حديقة . وحفر بهاء الدين خارج السور خنسدقاً جعله • ب

باب الفتوح الى المقس . ومن الجهة الشرقية خارج باب النصر الى البرقية وما بعده وجعل خارج هذا الخندق سوراً آخر بابراج مبني بالحبجارة الا ان هذا السور الثاني هدم جميعه والخندق ردم الا في بعض الاماكن



ش ٥٥: باب النصر كما هو الان

وفي سنة ٧٧ه عاد الصايبيون الى التعدي فحصلت بينهم وبين صلاح الذين واقعة في الرملة كان الفوز فيها للصليبيين الا ان ذلك الفوز لم يلبث حتى القلب عليهم الحدث بين رؤسائهم من الانشقاق

وفي ٥ صفرسنة ٥٧٦ ه توفي شمس الدولة طوران شاه في نغر الاسكنه رية وكان قد جاءها من دمشق فنقلته اخته ست الشام بنت ايوب الى دمشق ودفنته في مدرستها التي الشأتها بظاهر دمشق فهناك قبره وقبرها وقبر ولدها حسام الدبن عمر بن لاجين وقبر زوجها عاصر الدبن بن اسد الدين شيركويه صاحب حص وكانت قد تزوجته بعد لاجين

وفي سنة ٥٧٨ ه حمل صلاح الدين على سوريا حملة ثانية وسببها ان الملك الصالح كان قد مات واستخلف عز الدين ملك الموصل فاراد هذا ال يخرق المعاهدة التي كان قد عقدت مع صلاح الدين فاتصل ذلك بصلاح الدين واتصل به ايضاً ان امراء

الموصل تأمروا عليه سرًا مع الصايبيين فاسرع الى سوريا فجاء حلب وحاصرها فسامت شم استولى على الرها والرقة واصيبين وسروج و خابور وسنجار وحران ثم اتى فعسكر امام الموصل ولم يبق غيرها للملك الصالح فحاصرها وبعد اخذ ورد سامت سنة ٥٨١ ه واصيب فيها سلاح الدين بمرض شديد فانتشر ذلك في أنحاء سوريا ثم بعث عز الدين يطلب المصالحة وكانت المصالحة النهائية لانهم جعلوا لها حيثية دينية ومرف مقتضاها يطلب المصالحة وكانت المصالحة النهائية لانهم جعلوا الما حيثية دينية ومرف مقتضاها الخطبة الصلاح الدين في الموصل وسائر البلاد التي ارجعت للاتابك الملك الصالح وان يمترف صاحب الموصل انه تابع لصلاح الدين وعليه تقديم العدة والرجال عند الحاجة لحاربة الصليبين

الم حطين

وفي ١٤ رسيم آخر سنة ٥٨٣ هكانت بداية واقعة حطين الشهيرة في وسط نهار الجمعة والاسلام كثيراً ما يحاولون لقاء عدوهم يوم الجمعة عند الصلاة تبر كا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر في سائر العالم الاسلامي في وقت واحد . فسار السلطان صلاح الدين بما اجتمع لديه من الجند على اتم نظام وحط رحاله عند بحيرة طبرية على سطح الجبل على امل ان الافرنج اذا بلغهم نزوله هناك يقدمون اليه وكانوا معسكر بن في مرج صفورية بارض عكا فلم يتحركوا من منزاتهم . فسار سلاح الدين في جريدة من في مرج صفورية واستلمها بساعة بعد القتل والنهب الاان القلعة بقيت سالمة بمن فها . فبام الافرنج ما حصل في طبرية فساروا نحوها فعلم السلطان بدلك فترك على قلعة طبرية فبام من يحاصرها وعاد لملاقاة العدو فالتي به على سطح جبل طبرية الغربي في يوم الحميس من يحاصرها وعاد لملاقاة العدو فالتي به على سطح جبل طبرية الغربي في يوم الحميس من يحاصرها وعاد لملاقاة العدو فالتي بعندها قبر النبي شعيب فضايقهم المسلمون واشعلوا يقال له تل حطين وهي قرية هناك عندها قبر النبي شعيب فضايقهم المسلمون واشعلوا حوطم النيران فاشته بهم العطش الى ان الجاهم الامر للقتال ياساً فاسرت مقدمتهم وقتل الياقون

وكان في جملة المأسورين الملك جفري واخوه البرلس ارباط صاحب الكرك والشوبك وغيرهما من القواد والامراء . فجلس السلطان صلاح الدين في خيمته وامن يحضير الاسرى بين يديه فاحضروا وفيهم الملك جفري فامن له بشرية من جلاب ثلج فشربها وكان في غاية الظمأ ثم اعطى البراس ارباط اخاه فشرب وقال السلطان للترجمان د قل للملك انت الذي سقيته اما انا فاسقيته > اذكان من جميل عادة العرب ان الاسيراذا اكل اوشرب من مال من اسره امن . فقصد السلطان بقوله هذا ان الملك جفري قد

امن اما اخوه فلم يأمن . وكان في قلب صلاح الدين حقد على البرنس ارباط لسابق تعديه على جاعة من المسلمين وقتلهم في حال سامية لغير داع فسبق من السلطان قسم انه اذا ظفر بهذا الامير قتله . فبعد أن شربا ارسلها للهائدة فاكلا ثم اعيدا الى السلطان فاخت بيده سيفاً وتقدم الى البرنس ارباط قائلاً « ها أنا انتصر لمحمد » ثم عرض عليه الاسلام فابى فضر به بالسيف فل كتافه وتم قتله من حضر ورميت جثنه على باب المحمة . فلما راى جفري ذلك وقع الرعب في قلبه . فكلمه السلطان وطيب خاطره وقال له « لم تجر العادة أن يقتل الملوك الملوك اما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء » وفي اثناء هذه الحروب التق صلاح الدين بريكاردس قلب الاسد



ش ٦٠: ريكاردس قلب الاسد

وفي اليوم الثالي نزل السلطان على طبرية فاستلم قامتها ثم رحل طالباً عكا فبلغها يوم الاربعاء غاية ربيح آخر . وفي اليوم التالي حاربها واخذها وانقذ من كان فيها من اسارى المسامين وكانوا اكثر من ٢٠٠٠ واستولى على ما فيها من الاموال . ثم فرق السلطان سلاح الدين جيشه فرقا في انحاء سوريا فاستولى على ناباس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة . وسار هو يطلب نبنين فنزلها يوم الاحد ١١ جهادى الاولى وهي قلعة منيعة فحاصرها اسبوعاً ولعب عليها المنعجنيق حتى فتحها عنوة ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد نزوله ثم سار الى بيروت وركب عليها المنجنيق وما زال حتى اخذها في يوم الحنيس ٢٩ جهادى الآخرة وسارت سرية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فاستامها . ثم حول شكيمة فتوجه جنوباً قامداً عسقلان فحر على مواضع كثيرة كالرملة والدارون فاستولى عايها فاما وصل عسقلان نصب عليها المنجنيق وقاتاما قتالاً شديداً حتى تسامها ثم بعث من رجاله من استلم غزة وبيت جبريل والبترون

فتح بيت القدس

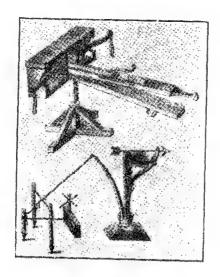
والا تم لصلاح الدين الاستيلاء على البلاد المحيطة ببيت المقدس شمر عن ساعد الحجد في السمير اليه فجمع جنده وكانوا متفرقين في الساحل وسار بهم حتى آتى بيت المقدس يوم الاحد ١٥ رجب سنة ٥٨٣ه ه . وكان به البطريرك المعظم عندهم وهو اعظم شأناً من ملكهم . وبه ايضاً باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتابته عندهم



ش ٢١: شكل بيت المقدس واسواره لما حاصره صلاح الدين

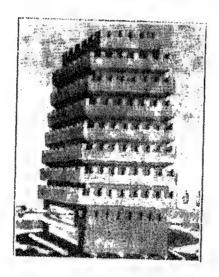
نقارب مرتبة الملك ، وبه ايضاً من خلص من فرسانهم ، ف حطين ، وقد جمعوا وحشدوا واجتمع به كثير من الخلق كانهم يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس وياخذوه منهم ويرى

ان بذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه . وحصنوه تلك الايام بما وجدوا اليه سبيلاً . وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والدفاع عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المنساضلة دونه بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا الدنو منه والنزول عليه . ولما قرب صلاح الدين منه تقدم امير في جاعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الصليبيين قد خرجوا من القدس فقائلوه وقائلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه . فاهم المسلمين قتله وفجعوا بفقده وساروا حتى نزلوا على القدس في منتصف رجب . فلما نزلوا عليه رأى المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع . وبقي صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من اين على حبود او كنيسة صنيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها باب عمود او كنيسة صنيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها . ونصب



ش ۲۲ : منجنيقات لرمي النبال

الصليبيون على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقو تلوا اشد قتال رآه اجد من الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك ديناً وحتماً واجباً فلا يحتاج فيه الى باعث سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا يزدجرون. وكان خيالة الصايبيين كل بوم يخرجون الى ظاهر البلد بقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين ، وبمر قتل من المسامين الامير عن الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان ابوء صاحب قامة جعبر وكان يصطلي القتال بنفسه كل يوم فقتل ، وكان محبوباً الى الخاص والعام . فلما رأى المسامون مصرعه عظم عليهم ذلك واخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد . فازالوا الصليبين عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ، ووسل المسامون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالي الرمي أتكشف



ش ٦٣ : آلة لنقب الاسوار وهي برج يجر على محادل اوعجل نحو السور. وفي اسفله رجال ينقبون السور بممود طرفه كراس الكبش وفي البرج رجل يشالمون حماة السور برمي النبال

السليبين عن الاسوارلية كن المسلمون من النقب ، فايا نقبوه حشوه بما جرب به العادة فلما راى الصايبيون شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن النقابين من النقب وأنهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدم مهيتشاورون فيا يأتون ويدرون ، فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم بيت المقدس الى صلاح الدين فارسلوا جماعة ، ن كبرائهم واعيانهم في طلب الامان ، فايا ذكروا ذلك للسلطان امتنع من اجابتهم وقال « لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة ٤٩٢ ه من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثابها » . فايا رجع الرسل خائبين محرومين ارسل باليان من بيرزان وطلب الامان انفسه ليحضر عند صلاح الدين في هذا الامر وتحريره ، فاجيب الى ذلك وحضرعنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم

يرحمه . فلما آيس من ذلك قال له « ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون عن القتال رجاء الامان ظناً منهم انك تجيبهم اليه كا اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الوت لابد منه فوالله لنقال ابناءنا و نساءنا و نحرق اموالنا وامتعتنا ولا تتركم تغمنون منا ديناراً واحداً ولادرهماً ولاتسبون و تأسرون رجلاً ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصيخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقنل من عندنا من اسارى السامين وهم خسة الاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الاقتلناه ثم خرجنا اليكم كانا قاناناكم قتال من يريد ان يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتسل امثاله ونموت اعزاء او لظفر كراما »

شروط التسليم

فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان و ان لا يخرجوا وبحملوا على ركوب مالا يدري عاقبة الامر فيه عن اي شيء شجلي وقالوا ﴿ محسب انهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم» فاجاب صلاح الدين حينتُه الى بذل الأمان للصليبيين فاستقر ان يؤخذ من الرجــل عشرة دنانير بستوي فيه الغني والفقير وبزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دانير فمن ادى ذلك في اربعين يوماً فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوماً عنهولم يؤد ماعليه فقدصار مملوكا . فبذل باليان ابن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فاجيب الى ذلك وسامت المدينة يوم الجمعــة السابع والعشرين من رجب. وكان يوماً مشهوداً ورفعت الاعلام الاسلامية على أسوارها ورتب صلاح الدين على ابواب البلد في كل باب اميناً من الامراء لبأخذوا .ن اهله ما استقرعليهم . فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه الامانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت ايدي سبا . ولو اديت فيه الامانة الأَ الخرائن وعم الناس فانه كان فيه على الضبط ستون الف رجل مابين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان. ولا يعجب السامع من ذلك فان البلدكبير واجتمع اليه من تلك النواحي من عسقلان وغيرها والدارون والرملة وغزة وغيرها من ألقرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس. وكان الانسان لايقدر ان يمشيّ . ومن الادلة على كثرة الخلق ان اكثرهم وزن ما استقر من القطيمة . واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشرالف رجل وزن عنهم ثلاثين الغب دينار وبقي بعد هذا جميعه من لم يكن معه ويعطي واخذ اسيراً سنة عشر الف آ دمي مابين رجل وامرأة . ثم ان جاعة من الامراء أدعى كل واحد منهم ان جاعة من رعية اقطاعه مقيمون بالبيت المقدس فيطلقهم ويأخذ قطيعتهم

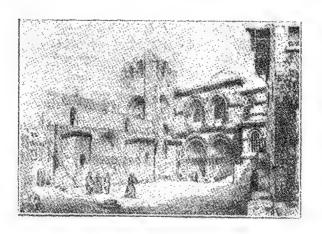
وكان جهاعة من الامراء يلبسون الصليبيين زي الجند المسلمين ويخرجونهم ويأخذون فيهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عدداً من الصليبين فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم . وبالجملة فلم يصل الىخزائنه الاالقايل . وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم وقد ترهبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجواري خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شيء عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامنها وسسيرها . واطلق ايضاً ملكة القدس التي كان زوجها الذي اسره صلاح الدين قد ملك الصليبين بسبها وكان يقوم بالملك نيابة عنها . واطلق مالها وحشمها واستأذنته في المسير الى زوجها وكان حينئذ محبوساً بقلعة نابلس فاذن لها فأتته واقامت عنده

واتنه ايضاً امراة للبرنس ارباط صاحب الكرك الذي قتله صلاح الدين بيده في حطين فشفعت في ولد لها مأسور فقال لها صلاح الدين « ان سلمت الكرك اطلقته » فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الصليبيون و لم يسلموه فلم يطلق ولدها ولكنه اطلق ما لها ومن تبعها ، وخرج البطريرك الكبير الذي للصليبيين ومعه من اموال البيع منها الصيخرة والاقصى و قامة وغيرها ما لا يعلمه الا الله ، وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له ليأخذ ما معه يقوي به المسلمين فقال «لا اغدر به » و لم يأخذ منه غير عشرة دنا نيروسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور . وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم الى اعلى القبة ليقلعوا الصليب فين صعدوا صاح النياس كلهم صوتاً واحداً من البلد ومن ظاهره المسلمون والصليبيون . اما المسلمون فكبروا و اما الصليبيون فصاحوا تفجعاً ومن ظاهره المسلمون فصاحوا من يميد بهم لعظمها وشدتها

فلما ملك البلد وفارقه الصليبيون امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فان الداوية بنوا غربي الاقصى ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هرى ومستراح وغيرذلك وادخلوا بعض الاقصى في ابنيتهم فاعيد الى حاله الاول وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقدار والانجاس ففعل ذلك اجمع ولما كانت الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى في قبة الصغرة وكان الخطيب والامام يحيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق ثم رتب فيه صلاح الدين خطيباً واماماً برسم الصلوات الحمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمودًا كان قد عمل بحلب منبرًا امر الصناع بالمبالغة في تحسينه واتقانه وقال « هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس > فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الاسلام مثله فامر

باحضاره فحمل من حلب و نصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة

ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذى لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك بما يحتاجون اليه وقد ادخر على طول السنين . فشرعوا في عمارته ومحوا ما كان في تلك الابنية من الصور . وكان الصليبيون فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فاص بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش ان القسيسين باعوا كثيراً منها للصليبيين الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا



ش ٦٤: كنيسة القيامة بالقدس عند فتحما

يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها ، وكان احدهم اذا دخــل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة وجعله في مذبحها . فخاف ملوكهم ان تننى فامر بها ففرش فوقها حفظاً لها . فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف والربعــات ورتب القراء وادر عليهم الوظائف الكثيرة

واما الأفرنج من اهل بيت المقدس فأنهم شرعوا في بيع ما لا يمكنهم حمله من المتعتهم وذخائرهم واموالهم وما لايطيقون حملة وباعوا ذلك بارخص الثمن . فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الصليبين فأنهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم وبأخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك . فاستقروا فاشتروا حينئذ من ا، وال الصليبين وترك الصليبيون

ايضاً اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق والبتيات وغير ذلك وتركوا ايضاً من الرخام الذي لايوجد مثله من الاساطين والالواح وغيره شيئاً كثيراً ثم ساروا تهاي الشعراء بالنتح

وكانت ليلة المحراج وكان يوم فخر لجيش المسامين فتقاطر الشعراء من سائر الانجاء لتهنئة السلطان صلاح الدين بما آناه الله من الفتح و نظموا القصائد وقالوا الخطب على الجماهير وسالت اقلام السكتاب وفاضت قرائدهم فكنت ترى فيهم اما خطيباً ببشر ويحرض واما شاعراً يحمد الله ويمدح الفتح او مؤرخاً يذكر الحادثة بما فيها من الفخر لجيش المسلمين وكان من جملة من كتب القاضي الفاضل صاحب السيرة الايوبية وعماد الدين الاصبهاني . و ممن انشد في حدا الشان عبد الرحمن بن بدر الناباسي فقسال قصدة منها

فليوف لتر اقوام بما نذروا في سالف الدهر اخبار ولاسين ونام من لم يزل حلفاً له السهر سواك من بعد طي وهو منتشر سواك من قائم للمهد ينتظر الا المحلو به اعلامك الصفر فيها لاعدائك الآيات والنذر وملكم ياماوك الارض فاعتبروا وملكم ياماوك الارض فاعتبروا اسهبت والقائل النطيق يختصر في لفظة البحر معنى تحته الدرو

هذا الذي كانت الايام تننظر بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت الآن قرت جنوب في مضاجعها يابهجة القدس اذاضحي به علم الايا مالك الارض مهدها فما احد ما اخضر هذا الطرازالساحلي ممراً افتحى بنوالاصفرالا يكاس موعظة صاروا حديثاً وكانوا قبل حادثة هذا الذي سلب الافرنج دواتهم ولا اصرح باسماء البلاد فقد يغنيك اجمال قولي عن مفصله

وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدح بها السلطان ويهنئه بالفتح

فنيح سائر سوريا

وبعد فتح بيث القدس سار سلاح الدين الفتح صور فجاء عكا فنزل فيها ولظر في المورها ثم سارعنها الى صور في يوم الجعة ١٥ رمضان فنزل قريباً منها وارسل لاحضار آلات القتال ولما تكاملت نزل عليها وقاتلها بر"ا واستقدم اسطول مصر ليقاتلها بحراً ثم ارسل من حاصر هو بين فسلمت ، اما الصوريون فارسلوا اسطولهم الى اسطول المسلمين فاسروا منه خمس قطع وقتلوا كثيراً من السلمين فعظم ذلك على السلطان وضاق صدره

وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار. واستشارهم فيما يفعلون فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال فساروا وحملوا من الات القتال ما امكن واحرقوا ما بقى منها وسارت كل جماعة الى بلادهم وسار صلاح الدين الى عكا

وبقيت الهدنة الى ان دخلت سنة ٨٥٥ ه وعند ذلك نزلوا على حصن كوك وكان منيعاً فاخدوه بعد قتال شديد ثم سار السلطان الى دهشق وبقي فيها خمسة ايام ، ثم باغه ان الافرنج قصدوا جبيل فسار نحوهم ثم علم انهم رحاوا عنها فتوقف وسار قاصداً اتمام فتح سوريا فجاء ترسوس في ٣ جهادى الاولى سنة ٨٥٤ ه وكان قد انضم اليه رجال من سنجار والموصل تحت قيادة عماد الدين زنكي ومظفر الدين بن زين الدين ففتح ترسوس ثم سار الى جبلة ففتحها ومنها توجه الى اللاذقية في ٢٤ جهادى الاولى فاخذها في يوم واحد الاقلعتبها على انهما اضطرتا اخيراً للتسليم . ثم رحل من اللاذقية الى صهيون فنزل عابيها في ٢ جهادى الاخرة فصالحه اهلها على ان يدفع الرجل منهم عشرة دنانير والمراة خمسة والصغير دينارين . ثم سير من وجاله من استولى على عدة قرى منها بلاطس وغيرها من الحصون المنبعة . ثم رحل عنها واتى بكاس وهي قلعة قرى منها بلاطس وغيرها من الحصون المنبعة . ثم رحل عنها واتى بكاس وهي قلعة قرى منها بلاطس وغيرها من الحصون المنبعة . ثم رحل عنها واتى بكاس وهي قلعة برزنة الشهيرة ففتحها وفتح غيرها من القلاع

وفي ٣ شعبان أرسل أهل أنطأ كية يطلبون الصاح فصالحهم ثم توجه ألى حلب في ضيافة أبنه الملك الظاهر ثم ألى حماه في ضيافة عمر أبن أخيه فبات في حماه ليلة وأحدة ثم سار على طريق بعلبك ودخل دمشق. وسار في أوائل رمضان يريد صفد فحاربها واستولى علمها بالامان وفي هذا الشهر سلمت الكرك أيضاً

ثم نزل في الغور واقام بالمخيم بقية الشهر واعطى الجماعة دستوراً وسار مع اخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع اخيه لانه كان متوجها الى مصر فدخل القدس في ٨ ذى الحجة وصلى بها العيدوسار منها الى عسقلان في ١١ منه ينظر في امورها فاخذها من اخيه العادل وعوضه عنها الكرك ، ثم مر على بلاد الساحل يتفقد احوالها ثم دخل عنكا فاقام بها معظم المحرم من سنة ٥٨٥ ه واصلح امورها ورثب بها الامير بهاء الدين قراقوش والياً وامره بعارة سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر واقام بها قراقوش والياً وامره بعارة سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر واقام بها الى ربيح اول ثم خرج الى شقيف اريون وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون المقرب من الشقيف في ١٧ ربيع اول ، واقام اياماً يباشر قشاله كل يوم والعساكر شواصل اليه فنضايق صاحب الشقيف فيزل الى صلاح الدين بنفسه وطلب الامان

ووعد أنه يسام المكان بشرط أن يعطى له موضع يسكنه في دمشق . لأنه بعد ذلك لايقدر على مساكنة الصليبين وأقطاع تقوم به وبأهل وشروطاً غير هذه . فأجابه الى ما طلب وفي أثناء ذلك وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان الساطان قد أقام عليها أناساً يحاصرونها مدة سنة كاملة إلى أن نفد زاد من كان فيها فسلموا

ثم ظهر بعد ذلك للسلطان ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فسيره مهاناً الى دمشق . ثم ظهر له ان الصابيبين قعدوا عكا ونزلوا عايها في ١٣ رجب سنة ٥٨٥ ه فسار اليها حالاً ونزل فيها بغتة ايةوي قلوب من بها وارسل يستدعي النجدات من الانحاء وكاث عند الصليبين بحو الني فارس و ٣٠ الف راجل . ثم تكاثروا واستفحل امرهم واحاطوا بعكا وحاصروها في آخر رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق اليها لتستمر السابلة بالنجدة فتمكن وانفتح الطريق وسلكه المسامون ودخل السلطان عكا وجرى بينه وبين العماييين مناوشات في عدة ايام . ثم تأخر المساءون الى تل العياضة وهو مشرف على عكا . وفي هذه المنزلة توفي الامير حسام الدين طان

وما زالت الحال كذلك والصليبيون يتشددون بما كان يأتيهم من المدد بحراً الى ان قووا على فتح المدينة ودخلوها والسلطان خارجها فعظم ذلك عليه جداً . ثم بلغه ان الصليبين سيخرجون من عكا الاستيلاء على عسقلان فاتى السلطان الرملة وتشاور وذوي شوراه في امرعسقلان وهل العواب اخرابها ام بقاؤها فاتفقت اراؤهم ان يبقى الملك العادل قبالة العدووان يسيرد الاح الدين بنفسه لاخرابها خوفاً من وصول العدو اليها فيأخذ بها القدس فسار وشرع باخرابها بكل نشاط رغم ارادته لانه قال « لأن افقد ولدي جميعهم احب الي من ان اهدم منها حجراً ولكن اذا قفى الله تعالى ذلك وكان فيه مصاحة المسلمين فما الحيلة » وهاجر اهالي عسة الان المالم ومعسر وغيرهما حزائي تاركين اراضيهم وبيوتهم ومواشيهم بحالة يرثى لها . و بيماكان الاخراب قاماً اتى من الملك العادل ان الصليبيين تحدثوا معه بامر الصلح طالبين جميع البلاد الساحلية . فرأى السلطان ان موافقتهم على طلبهم هذا افضل لما رأى من العنجر الذي خامر واصر على حريق عسقلان ففوض ذلك الى احد اولاده الافضل وسار الى الرملة ومها الى الله واشرف عليها وامر باخرابها واخراب قامة الرملة ثم دار حول قلعة البترون وهي قامة منيعة فامر باخرابها

وفي يوم الاربعاء ٢٢ شعبان سنة ٨٨٥ ه تم الصلح بين صلاح الدين وكبير الصليبيين بعد مداولات ومخابرات بطول شرحها ونادى المنادون ان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة فمن احب من كل طائفة ان بتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور . وكان يوما مشهوداً سرت به الطائفتان وعادت الصلات الى مجاريها وعادت التجارة وجعل الزائرون يفدون الى بيت المقدس من كل صوب . وتوجه السلطان الى تلك المدينة يتفقد احوالها ، وسار اخوه الملك العادل الى الكرك وابنه الافضل الى دمشق وبقي السلطان صلاح الدين في القدس مدة يقطع الناس ويعطيهم دستوراً ويتأهب لامسير الى الديار الصرية ، وكان في عزمه السفر للحج لكنه لم يستطع

ولما سار ملك الصليبيين الى بلاده رأى السلطان ان يعود لتفقد القلاع السورية ففعل وسار منها الى دمشق فوصلها في ١٦ شوال وفيها اولاده الافضل والظاهر والطافر المعروف بالمشمر واولاده الصغار . وكان يجب تلك المدينة ويؤثر الاقامة فيها على سائر البلاد . ثم قدم الملك العادل من الكرك قاصداً البلاد الفرائية . فنزل دمشق واجتمعت هذه العائلة على رغد وسلام . وقد نسي السلطان صلاح الدين عزمه الى مصر وعرضت له امور اخرى غير ما تقدم

وفاة صلاح الدين ومناقبه

على ان المنية مع عجزهاعن مهاجة هذا الباسل في ساحة الحرب لم تخف مهاجمته على فراشه وبين اولاده واخوانه . فني يوم الجمعة ١٥ صفر ركب السلطان لملاقاة الحج فعاد الى منزله كسلا ثم غشيته حمى صفراوية . ثم اصبح في اليوم التالي اكثر كسلا وضعفا وما زال المرض يتزايد يوماً فيوماً الى ان توفاه الله بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء وما زال المرض يتزايد يوماً فيوماً الى ان توفاه الله بعد الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة عظمة وكان الناس يتنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم . وكان عمره عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة في مصر و ١٩ عليهم بنفوسهم . وكان عمره عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة في مصر و ١٩ منة مع سوريا . فخضر الجميع وشيعوا جنازته ودفنوه في الدار التي كان مقرضاً فيها وكانت بينهم شقيقة الفقيد المدعوة ست الشام وفرقت في الناس الصدقات العظيمة من وكانت بينهم شقيقة الفقيد المدعوة ست الشام وفرقت في الناس الصدقات العظيمة من الحياس لانه لم يترك في خزينته الخصوصية الاديناراً واحداً و ٤٧ درهماً من الفضة . ولم يجدوا في جميع صناديقه اثراً للذهب او لغيره من الحجارة الكريمة وذلك الفضة . ولم يجدوا في جميع صناديقه اثراً للذهب او لغيره من الحجارة الكريمة وذلك على بدل على فرط كرمه لانه اصاب اموالاً كثيرة جاد بها على آله وذويه

ومن آثاره في العدل والرفق ان الا، وال الهلالية كانت قد اعيدت الى مصرفي اثناء الدولة الفاطمية وصارت تعرف بالمكوس . فابا تولى السلطان صلاح الدين امر باسقاطها وكانت مداخيلها عظيمة جداً ألبغ مائة الف دينار سنوياً الا أنها كانت مضروبة على جميع انواع الاطعمة والالبسة والحيوانات من ماشية وخيول وغيرها. وعلى الحوائيت والاخشاب والمصنوعات والمزروعات والابنية والاقشة الى غير ذلك ، جميع هذه ام صلاح الدين بالغائها ، ورأى ان كثيرين من الاهالي لا يزالون مثقاين بالديون بسبب تلك المظالم فيدا عهم عاكان عليهم ، وكان بالغا قدراً عظيماً جداً من الدنانير والغلال وكان بين اقارب السلطان صلاح الدين رجل يدعى عزالدين موسك كان من حفظة القرآن و يحيى اهل العلم فابتني قنطرة فوق الخليج الكبير دعاها قنطرة الموسكي ولما تم الصلح بين السلطان صلاح الدين والعسليبين اباح هم ان يستو طنوا مصر وكان هو اول من فعل ذلك فاء منهم بعض الباعة واستوطنوا في جهات الموسكي لانها خارج سورالمدينة وافتتحوا حوانيت لمبيع الادوات الافر يحية . ثم اخذ شارع الموسكي بالظهور على تمادي الايام حتى وسل الى ما هو الآن

وترك صلاح الدين من الاولاد ١٧ ذكوراً . وانثى واحدة اسمها مؤلسة خاتون تزوجت ابن عمها ناصر الدبن محد بن سيف الدين الذي لقب بعد تذباللك الكامل فلما توفي صلاح الدين اقتسم اولاده واخوته واولادهم مملكته فيا بينهم غير ان الحصص لم تكن متساوية لان ثلاثة من اولاده اخذوا اكبرها واقتنع الباقون بمقاطعات صغيرة . وتم كل ذلك بموافقة الامراء فتلقب اول اولاد صلاح الدين المدعو نور الدين بالملك الافضل وكان من نصيبه مملكة دمشق والشطوط البحرية واورشليم والبصرة وبانياس وسوريا الغربية . ولقب ابو الفتح غازي بالملك الظاهر غياث الدين فأخذ حلب وجميع سوريا الشرقية ومن ضمنها حران وتل ياسر وعيراز ومنبج . ولقب عماد الدين عثمان المديرة وتولى مصر

ومن هؤلاء الامراه الثلاثة تكونت ثلاث دول مختلفة هي الدول الايوبية الحابيسة والدمشةية والمصرية . أما ما بقي من تلك العائلة فكانوا ولاة على بلاد اقطعهم اياها صلاح الدين الا انهم تحت سلطة هؤلاء الثلاثة . فسيف الدين ابو بكر المقلب بالملك العادل بن ايوب واخو صلاح الدين كان حاكماً في الكرك والشوبك . وناصر الدين محمد الملقب بالملك المنصور بن تقي الدين عمر بن شاهين شاه احد اخوي صلاح الدين كان اميراً على حماه والسلامية ومارا . وبهرام شاه الملقب بالملك الابجد حفيد شاهين شاه



ش ١٥ : بقود صلاح الدين « مدربت فی دمشق سنة ۵۸۳ »

ايضاً كان ملقباً بملك الرها . وشمس الدولة طوران شاء بن ايوب الذي كان قد فتح اليمين بامر ابيه سنة ٥٦٩ هكان قد اقام فيها مملكة. وكان اخوه توغتغن حاكماً فيهما تحت اسم الملك المعز



وترى في الاشكال ٢٥ و٢٦ و ٢٧ صور النقود التي ضربت في ايام السلطان ملاح لدين على احد وجهيها اسمه وعلى الوجه الآخر اسم الامام الناصر الخليفة العباسي

لذلك العهد . فالصورة الاولى نقود ذهبيسة ش٦٦: نقود صلاح الدين «ضرت سنة ١٨٥»



ش ۲۷ : نقود صلاح الدين

ضربت في دمشق سنة ٨٣٥ ه والثانية نقود نحاسية ضربت سنة ٥٨٤ هـ . والثالثة مثسل ذلك

ساطنة الملك العزيزين يوسف

من سنة ٨٩٥ — ٥٩٥ هـ او من ١١٩٣ — ١١٩٨ م

وبعد ان قسمت الدولة الايوبية على ما تقدم عرف كل منهم لصيبه . وبعسد يسير نهض اعداء سلاح الدين وكانوا ينتظرون فرصة الانتقام منه لقهره اياهم . فلما لم يستطيموا ذلك في حياته قاموا على خلفائه واحموا على محاربتهم. فاتحد الايوبيون في بادئ الرأي دفعاً لمناهضيهم ثم تفرقت كلمتهم لما قام بينهم من التحاسد القياداً للمطامع واصغاءً لذوي المفاسد فاصبحوا بما ينهم في شاغل عن دفع مهاجميهم

فني سنة ٥٩٧ هـ راى الملك العادل ماحب الكرك والشوبك أن حصته قليــلة ومنصبه حقير بالنسبة انميره من الاسرة الايوبية فتواطأ مع الملك العزيز عثمان سلطان

مصر على خلع الملك الافضل نور الدين علي عن دمشق وتولية أحدهما الملك العادل عليها وفعلا ذلك بسهولة . ففر" الملك الأفضل من دمشق الى بغداد ماشجئاً الى الخليفة الناصر لدين لله العباسي . وكان كلاهما شاعراً ماجاءاً . فكتب الافضل الى الامام الناصر:

مولاي ان ابا بكر وصاحبه وهو الذيكان قد ولاه والده فاجابه الامام الناصر بقوله :

وافي كتابك يا بن يوسف معلناً بالود يخبر ان اصلك طاهر ُ غصباعلياً حقه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر فابشر فان غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الامام الناصر

عثمان قد غصبا بالسيف حقعلي عليهما فاستقام الامر حين ولي فخالفاه وحلاً عقد بيعتب والامر بأنهما والنصُّ فيه جلي

الا أن الملك العادل لم يلبث أن بكته ضميره فاعاد الملك إلى أبن أخيه الافضل وتنازل ايضاً عن حصته الاصلية . الا ان ِالعزيزِ لم يتمتع بالملك مدة طويلة فتوفي في القاهرة في ٢١ محرم سنة ٥٩٥ه وكان ملكاً مباركاً كثير الخير واسم الكرم محسناً الى الناس يقرب ارباب الخير والعسلاح . ولكنه كان ضعيف الرأي سهل الأنقياد قليل التروي . وكان له عشراء من ذوي الخفة فاشاروا عليه يوماً ان يهمــــــم أهرام الجيزة . فاس بهدمها حالاً وبعث اليها بالعملة فابتدأ وا بالهرم الثالث منها وهو اقلها مثانة ويعرف بالهرم الاحمر. قال عبد اللطيف البغدادي وقد زارمصر على اثر ذلك «وحينما شاهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين فقلت لو بذل لكم الف دينار على أن تردوا حجراً وأحداً إلى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم ذلك ؛ فاقسم بالله أنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم اضعافه » وقد شوهوا وجه الهرم تشويهاً ولم يهدموا منه الاقسماً سغيراً جعل في الهرم خرقاً لايزال ظاهراً فيه

ثم ارتأى الملك العزيز مشروعاً آخر جاء بنتيجة اقبح من تلك . وذلك ان ايام الفيضان في مصروخصوصاً في القاهرة تعدُّ من ايام النُّرهة لجريان المياه في الترع والخليجان ولاسيما خليج مصر فانه يجري مخترقاً المدينة . فكان الناس يخرجون في دُلُك الحين في صغار القوارب للنزهة في مجاري المياء ليلاً ونهاراً يتمتعون بنعمة ربهم فيقيمون الولائم ويضربون الموسيقي. وكان الحاكم بامر الله قد حاول مرات عديدة أبطال هذه العادة فلم يقدر لان الناس أبوا الا التمتع بما وهبتهم الطبيعة من أسباب السرور . فأمر الملك

العزيز سنة ٥٩٤ هـ بالامتناع عن هذه الاحتفالات امتناعاً كلياً واستخدم لتنفيــذ امره هذا طرقاً خشنة . فاسترحم الناس الغاء هذه الاوامر مرات عديدة فلم ينجحوا فجاهروا بالعصيان . ثم عاجلت المنية الملك العزيز فقطعت جهيزة قول كل خطيب

و بما أنَّاه الملك العزيز في سلطنته من المظالم أنه أعاد اليها المكوس الظالمة التي كان قد الغاها أبوه وزاد في شناعتها وزادت في ايامه المنكرات وترك الانكار لها وكثر شرب المسكر واباحه اولو الامر والنهي . وتفاحش الامر فيه الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره . واقميت في حارة المحمودية مطحنة اطحن الحشيش المزروافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الكثيرة. فنها ما انتهى امره في كل يوم الى ١٦ ديناراً . وحملت اواني الحمور على رؤوس الاشهاد في الاسواق فداهمهم غلاء الحبوب لوقوف زيادة النيــل جزاءً لفحشهم . وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم بحيث لم يعد لهم ماياً كلون . وكثر ضجيجهم وشكواهم فجعل الملك العزيز يغتصب الارزاق ويضمها الى اقتيات عائلته . وصارت الاهالي في حال صعبة زادها ارتكاب المنكرات والمظالمصعوبة . الى ان جاءت المنية منصفة المظلوم من الظالم وسبب موته انه توجه الىالفيوم فساق فرسه وراء صيد فتقنطر به فاصابته الحمى فحمل الى القاهرة فتوفي في الساعة الرابعة من ليلة الاحد سنة ٥٩٥ ه

سلطنة الملك المنصور بن العزيز

من ه ۹ ه - ۲۹ ه م او من ۱۱۹۸ - ۱۲۰۰م

وخلف العزيز أبنه ناصر الدين محمد وعمره ٨ سنوات فلقبوه بالملك المنصور ثم استقدموا عمه الملك الإفضل من سوريا أيكون وصياً على ملكهم الجديد . فقبل وجاء القاهرة ونودي به اتابكاً اي وصياً على ابن اخيه الا أنه لم يتمتع بهذا المنصب لان عمه الملك العادل قدم بجيش جرار الى القاهرة وبين حقوقه بالتوصية بناء على اله جدأ الصبي الحاكم وعمُّ وصيه . فحاول الافضل مقاومته فلم ينجح . فحاصره في قصره في القاهرة ثم فر واجعاً إلى حكومته في دمشق مكتفياً بما قسم له

> وترى في الشكل ٦٨ صورة النقود النحاسية التي ضربت على عهد الملك النصور ابن العزيز



ش ٦٨ : نقود المنصور بن العزيز

سلطنة الملك العادل بن أبوب

من ۲۹ه - ۱۲۰۸ مار من ۱۲۰۰ - ۱۲۱۸م

ولما خلا الجو للملك العادل خلع الملك النصور في شوال سنة ٥٩٦ ه بعد ان حكم ٢١ شهراً . وتولى سلطنة مصر وسوريا بنفسه وخلع الملك الافضل عن دمشق وما زال حتى جعل جميع من بتي من الحكام الايوبيين في الامارات الصغيرة خاضمين اسلطانه وفي جماتهم ابن اخيه الظاهر ملك حلب فعادت مملكة صلاح الدين بعد ان انقسمت حصماً الى مملكة واحدة تحت سلطان واحدد

تجاعة سئة ٧٩٧ ه

وفي السنة التالية حدثت عصر المجاعة الشهيرة التي وصفها عبه اللطيف البغدادي في رحلته فقال د وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعث الاسعار واقحعات البلاد واشعراهلها البلاد وانجلي كثير منهم الى الشام والمغرب والحيجاز والبين وتفرقوا في البلاد ايادي سبا ومزقوا كل ممزق ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فهم الموت وعند نزول الشمس الحل وبيء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميثات والجيف والكلاب والبعر والارواث. ثم تعدوا ذلك الى ان اكلوا صغار بني آدم فكثيراً مايعثر عليهم ومعهم صغار مشوبون او مطبوخون فيأم صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل ، ورأبت منيراً مشوياً في قفة وقدا حضر الى دار الوالي ومعه رجل وامراً ة زعم الناس انهما أبواء فامر باحراقهما

« ووجد في رمضان بمسررجل وقدجردت عظامه عن الاعجم فاكل و بقي قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم من ومثل هذا اعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل من آثر الاطلاع على علم التشريح. وحين ما نشم الفقر اء في اكل بني آدمكان الناس بتناقلون اخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعاً لامره وتعجباً من ندوره ثم اشتد قرمهم اليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطيبة ومدخراً وتفننوا فيه وفشا غنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينتذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والساع له

﴿ وَاللَّهُ وَ اللَّهُ وَ اللَّهُ مَا مِنْ مُشَجِّجَةً يُسْتَجِبُهَا الرَّعَاعُ فِي السَّوقُ وَقَدْ طَفَرَ مَعُهَا بِعَمْيَرِ مَشُويُ تأكل منه واهل السّوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم لم ارفيهم من يعجب لذكر ذلك او يذكره فعاد تعجبي منهم اشد وما ذلك الالكثرة تكرره على احساسهم حتى صار في حكم المألوف الذي لايستحق ان يتعجب منه ، ورايت قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشوياً وقد اخذ به شابان اقرا بقتله وشيه واكل بعضه

وفي بعض الليالي بعيد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينا هوالى جانبها اغتمنت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيئاً. وحكى لي عدة نساء أنه يتوثب عليهن لاقتنساس اولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

« ورايت معامراة فطيهاً لحيها فاستحسنته واوصيتها بحفظه فحكت ليانها بينا تمشي على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الارض حتى ادركها فارس وطرده عنها وزعمت أنه كان يهم بكل عضو يظهر منه النيائم أكله وأن الولد بقي مدة مريضاً لشدة تجاذبه المراة والمفترس

وتجد اطفال الفقراء وصبياتهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبئين في جميع
 اقطار البلاد وازقة الدروب كالجراد المنتشر ورجال الفقراء ونساءهم يتصيدون هؤلاء
 الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

« واكثرما كان يطلع من ذلك مع النساء وما اظن العلة فيه الا ان النساء اقل حيلة من الرجال واضعف عن التباعد والاستثار . ولقد احرق بمصر خاصة في ايام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر انها اكلت جماعة فرايت امراءة قد احضرت الى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت اكثر من مائتي سوط على ان تقر فلا تحير جواباً بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت » اه

عود الصليبين الى الحرب

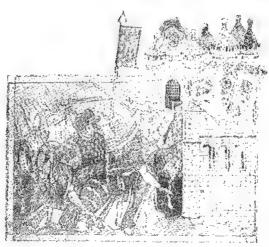
وفي سنة ٥٩٨ هـ ارسل الملك العادل ابنه ابا الفتح موسى الملقب بالملك الاشرف مظفر الدين الى الرها فتماكها ثم اضيفت اليه حران وكان الاشرف رجلاً محبوباً من الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب . وفي سنة ٢٠٠ هـ حصات بينــه وبين نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل موقعة حربية عظيمة وكان النصر له

وكان الصليبيون عند انقسام الدولة الايوبية قد اغتذوا الفرصة لاعادة سلطتهم فا كثروا من الجند وجاهروا بطلب الفتح فسار اليهم العادل وعسكر على جبل طابود امامهم . وكانوا قد استمدوا اوربا على امل ان تأتيهم الامدادات واملاك المسلمين منقسمة وكلمتهم متفرقة فيسهل قهرهم لكنها لم تصل اليهم الا بعد ان اتحد المسلمون واصبحت بلادهم مملكة واحدة تحت سلطان واحد هو السلطان الملك العادل سيف الدين فاربهم بلادهم مملكة واحدة تحت سلطان واحد هو السلطان الملك العادل سيف الدين فاربهم

فهادوا على اعقابهم وقد حبط مسعاهم فتعقبهم نحوا مر شهر فجاء مخبر يخبره بحصول زلزلة عظيمة في مصر شعر بها اهل سوريا وقبرس واسيا السغرى حق العراق ومايين النهرين . وهذه هي الزلزلة التي هدمت اسوار صور سنة ٢٠٠٠ ه . وكانت تهدد مصر زلزلة الحرى سياسية وهي عمارة صليبية عظيمة احتلت سواحلها واخترقتها حتى بانحت فوه على فرع رشيد فاستولت عليها بعد ان نهبتها وذبحت اهلها فاضطرب العادل لهذين الخبرين فاسرع لملافاة الامر فتخابر مع قواد الصليبين وعقدوا معاهدة تقضي بانسحابهم من مصر على ان يتنازل لهم بمقابلة ذلك عن يافا و يسحب من كان في الله والرملة من المسلمين فاجلى الصليبيون من مصر لكنهم لم ينفكوا عن المحاربة في سوريا وهم لم يقبسلوا بتلك المعاهدة الآليشغلوا السلطان العادل في مصر و يسيروا الى فتح حماه والاستيلاء على ما بطريقهم اليها . فاتصل ذلك بالسلطان العادل فيرح مصر في جيش للمدافعة عن بعلم الحريه المهلية التي ارسلها البابا وحطت رحاها عند عكا وغيرها فهرع الملك وهي الحلة العظيمة التي ارسلها البابا وحطت رحاها عند عكا وغيرها فهرع الملك العادل الى نابلس ليقيم فيها حسنا فطرده منها فرجم الى برج الصفر . فقطع الصليبين المعاربات مع مصرحتى جاؤا على بهاية الحروب الصليبية في سوريا فحولوا اعتهاالى مصر الماربات مع مصرحتى جاؤا على بهاية الحروب الصليبية في سوريا فحولوا اعتهاالى مصر حيار دياط

فجاؤا اليها بحراً وحاصروا دمياط في يوم الثلاثاء في ٤ ربيع اولسنة ٢١٥ ه وهم محو ٢١٥ الف فارس و ٢٠٠ الف راجل فخيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على معسكرهم خندقا واقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجا منيعاً في سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح من الدخول الى ديار مصر في النيل وكان البرالذي نزل عليه الصايبيون جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر المالح من الاخرى بقال لها جزيرة دمياط وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة ممتدة ببن البرج والسور فاول دمياط محاصرين خصوب الصليبيون امثلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلين تأتي اليه المؤن من دمياط على جسر خشبي منصوب في عرض النيل و بعد مدة المكسر ذلك الجسر فاغتم الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا برجاً خشبياً نصبوه على مركبين موسوقين قيوداً وانزلوا اليه اقوى رجالهم واحسن برجاً خشبياً نصبوه على مركبين موسوقين قيوداً وانزلوا اليه اقوى رجالهم واحسن عدتهم وساروا في النيل لمهاجمة برج المسلمين ، فلما راى المسلمون ذلك تجمهروا من البرج والسور واخذوا برمي السهام والحراب والحجارة والمنجنيق على برج الصليبين

فلمبت النار به فخاف الذين فيه ثم الطفأت حالاً وتشدد الصليبيون حتى استولوا على برج المسلمين وطمعوا بالاستيلاء على دمياط



ش ٦٩ : دخول الصليبين برج المسلمين عنوة

فبلغ قدوم الصليبيين الملك الكامل وكان يخلف أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الصليبيين وامر والي الغربية بجمع العربان وسار هو في جمع كبير بمن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الصليبيين من السور والقتال مستمر اربعة اشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئًا بعد شيء حتى تكاملت عنده واشته



عيسى موته وحمله في محفة وجعل عنده خادماً وطبيباً راكباً الى جانب المحفة والشرابدار ش٧٠: نقود العادلوعليها اسمالخليفة الناصر يصلح الشراب ويحمله الىالخادم فيشربه ويوهم النماس أن السلطان شربه الى أن دخلوابه الى قلعة دمشق وصارت البها الخزائن والبيوتات

خوفه من نزول الصليبيين على دمياط فرحل من مرج الصفر الى عالفين فنزل به المرض ومات في جمادى الاخرة فكتم الملك المعظم



فاعلن موته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان ير٧١: نفود العادل وعليها اسم الخليقة الناصر

معه ودفنه بالقلمة ثم ُقله الى مدرسة العادلية بدمشق



ش ٧٢ : نقود نحاسية للملك العادل

وترى في الأشكل ٧٠ و٧١ و ٧٢ صور النقود التي ضربت في عهد الملك العادل بن ايوب فالاولى والثانية عليهما اسم الملك العادل من الجهة الواحدة والخليفة الناصر لدين الله من الجهة الاخرى والثالثة لا يظهر عليها الا اسم الملك العادل فقط

سلطنة الملك الكامل بن العادل

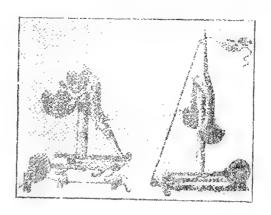
من سنة ١١٥ ـــ ٥٦٣٥ أومن ١٢١٨ - ١٢٣٨م

و بلغ الملك الكامل موت ابيه وهو بمنزلة العادلية فاستلم زمام الاحكام اما الصليبيون فالحوا في القتال ولا سيا عند ما عاموا بموت الملك العادل وقطعوا السلاسل التي كانت تتصل بالبرج لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد . فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسراً عظياً في عرض النيل فقاتل الصليبيون قتالاً شديداً الى ان قطعوه وكان قد انفق عليه وعلى البرج ما ينيف على سبعين الف دينار

وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتفقد الاحوال واعمال الحيلة في مكايدة الاعداء فامر ان تغرق المراكب في النيل لتمنع الصليبيين من سلوكهم فيه فعمد هؤلاء الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل مجري فيه قديماً فحفروه وعمقوا حفره واجروا فيه الماء الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم فيه الى بؤرة على ارض جزيرة دمياط مقابل المنزلة التي فيها السلطان ليقاتلوه من هناك. فلما صاروا في البورة قاتلوه في الماء وزحفوا اليه مراراً فلم يظفروا منه بطائل و ولم يتغير على اهل دمياط شي لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل محجز بينهم وبين عدوهم وابواب المدينة مفتوحة ليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر وكانت العربان تخطف الصليبيين في كل ليلة حتى منعوهم من الرقاد خوفاً من غاراتهم فقوي طمع العرب في السليبيين حتى صاروا يخطفونهم نهاراً وبأخذون الخيم بمن فيها . فكمن لهم الصليبيون عدة كناء وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فكفوا عن ذلك . ثم ادرك الناس الشتاء وهاج

البحر على مخيم المسلمين واغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم والح الافرنج في القتال حتى كادوا بملكون كل ذلك والملك الكامل يرسل الرسل الى الجهات ينادي باخوته مدداً ويستنجد اهل الاسلام على النصارى ويخوفهم من غلبة الافرنج ولا من مجيب

وفي اثناء ذلك ظهر في رجال الملك الكامل ثورة زعيمها عماد الدبن احمه بن المشطوب احد كبراء رجاله على ان لا يقبلوا الكامل عايم سلطاناً بعد أبيه وكان ذلك باتفاق مع اخيه الملك الفائز فوقع الملك الكامل في حيرة واوجس خيفة على مركزه ولم ير من ينجده فسار من العادلية الى قرية تدعى اشمون طناح (اشموم نطاح) فاصبح العسكر بغير سلطان فركب كل انسان منهم هواه ولحقوا بالكامل ولم يقفوا لاخذ شيء من خيامهم وذخائرهم واموالهم واسلحتهم



ش ٧٣ : .: جنيقات لُرمي الحجارة في الحرب كاتر مي القنابل بالمدافع اليوم

كل ذلك والصليبيون في البر الثاني لا يدرون . وفي ٢٠ ذي القعدة سنة ٢٠٥ ه بلغهم ما كان من امر المسلمين فمبروا النيل الى بر دمياط (البر الشرقي) آمنين بغير منازع وغمنوا ما في عسكر المسلمين بما تركوه من امتعتهم وغيرها خارج المدينة وكان شيئاً لا يحيط به الوصف وحاصروا دمياط واهلها يرمونهم عن اسوارها بالنبال وهم يرمون اسوارها بالحيجارة الضخمة من الحجانيق . فلما بلغ السلطان الكامل ذلك داخله وهم عظيم وكاد ان يفارق البلاد لائه لم يعد يشق بنفسه ولا بمن حوله

اما مدينة دمياط فبقيت محاصرة وقد شدد الصليبيون عليها الحصار برًّا وبحراً وكانت سنة ليس اشد منها وطأة على المسلمين وقد اخذ اليأس منهم مأخدذاً عظياً . وهم في ذلك الشأن وفدت عليهم نجدة من الشام تحت قبادة الملك المعظم عيسى اخي الملك الكامل وكان قد تولى دمشق بعد ابيه العادل فلما علم بما حصل لجيوش ابيه بعد وفاته اتى في عدة من رجال الشام فاطلعه الكامل على صورة الحال سرًا واسرً اليه ان راس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاء الملك المعظم يوماً على غفلة الى خبية ابن المشطوب واستدعاه فخرج اليه فقال له «اربدان اتحدث معك سرًّا في خلوة » وسارمعه وقد جرد المعظم جماعة بمن يعتمد عليهم ويثق بهم وقال لهم «البعونا» ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من يهم الى شيء حتى ابعده عن المعسكر ثم قالله « ياعماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي ان تهما لنا » ثم اعطاه شيئاً من النفقة وقال لاولئك المجردين « تسلموه حتى تخرجوه من الرمل » فلم يسعه الا امتثال الامم لانفراده وعدم القدرة على المجدة منها ومن بلاد الشرق جرى ، ثم جهزا خاه الفائز المذكور الى الموسل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فات بسنجار وكان ذلك خديعة لاخراجه من البلاد . فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من الامراء الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرها لا طوعاً

وبعد يسير عاد الملك المعظم الى دمشق لينظر في احوال رعيته . ثم خشي من الصليبين ان امتلكوا دمياط ان يمدوا بدهم الى اورشليم فنقوى سلطتهم فاس بهدم السوارها حتى اذا ملكوها لا تزيد قوتهم شيئاً يستحق الاعتبار . هذا والصليبيون قد ضيقوا على دمياط ومنعوا القوت من الوصول اليها وحفروا على معسكرهم الحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سورا . واهل دمياط يقاتلونهم اشد القال ويمالعونهم وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات . والملك الكامل كان لا يزال في اشمون ينظر الى دمياط وهي محصورة ولايقدر ان يصل اليها . وخشي اخيراً ان يبأس اهلها من المساعدة فيسلموا المدينة فائتدب احد الجائدارية المدعو شمائل للدخول الى دمياط لينشط من فيها ويعدهم بالانفاذ . فكان يسبح في النيل الى ان يصل الى اهل دمياط فيوصل اليهم الاخبار ويطمئنهم ويعود . وبتي على ذلك مدة فحظي عند الكامل وتقرب منه حتى جعله والياً على القاهرة واليه تنتسب خزائة شمائل بالقاهرة . وفي اثناء حصار دمياط قاسى المسيحيون في داخلية البلاد اضطهاداً شديداً وكان في الاسكندرية كنيسة قديمة قاسى المسيحيون أن المستدرية كنيسة قديمة البناء على اسم القديس مرقس فهدمها المسلمون لئلا يباغت الصليبيون الاسكندرية من اجلها فيتخذونها حصناً لانها كانت حصينة البناء كثيرة الاعمدة . وجعلوها بعد ذلك اجلها فيتخذونها حصناً لانها كانت حصينة البناء كثيرة الاعمدة . وجعلوها بعد ذلك المعام ولا تزال آثارها الى هذا العهد بقرب باب القباري

فتح الصليبين دمياط

ثم دخلت سنة ٦١٦ ه وقد غلت الاسعار في دمياط بما يفوق الحد فبانحت البيضة عدة دنانير وكان رجال الملك الكامل ينفذون الاقوات الى اهل دمياط بحيل مختلفة مثل ان يأتوا بجمل ويشقوا جوفة ويملا وه فراخاً وفاكهة وبقلاً وغير ذلك ثم يخيطون عليه ويرمونه في النيل فيسير منحدراً مع الحجرى فاذا جاء امام دمياط نزل من فيها اليه واخذوه واقتاتوا على ما في جوفه ، وكان الافرنج احياناً يظفرون بهذه الحيلة فيأخذون تلك المؤث ، وفي آخر الامر زاد الضيق في المدينة وكثرت الوتى جوعاً وامتلات مساكنهم وطرقات البلدمنهم وعدمت الاقوات حتى لم يبق عندهم الابعض القمح والشعير وفي بوم الثلاثا ٢٥ شعبان سنة ٢١٦ ه هجم الصليبيون على دمياط فاستولوا عليها وكانت مدة الحصار جميعها ٢١ شهراً و٢٧ يوماً ، فدخلوها واحكموا السيف فيمن وكانت مدة الحصار جميعها ٢١ شهراً و٢٧ يوماً ، فدخلوها واحكموا السيف فيمن بقي فيها من الاحياء الى ان تجاوزوا الحد في القتل وكانت الابخرة الفاسدة تتصاعد عن جمث الموتى ما يلحق الاحياء بهم ، وكانت تلك الجثث متراكمة في الاسواق والبيوت وعلى الاسرة فكان يموت الابن جوعاً وليس من يسعى في دفنه فيبقى في مكانه فيلحقه الاخ ثم الام ثم الاب وهكذا

مدينة المنصورة

واتصل ذلك بالسلطان الملك الكامل فرحل بعد سقوط دمياط بيومين ونول قبالة طلخاعلى رأس بحر اشموم وراس بحر دمياط ليمنع الصليبين من المسبر الى داخلية القطر بحراً وحيز في محلة المنزلة واقام معسكره هناك . اما الافرنج فحصنوا دمياط وجعلوا جامعها كنيسة على اسم القديسة مريم وبثوا رجالهم في القرى يقتلون وبنهبون وبأسرون وبعثوا جميع من اسروا من المسلمين الى عكا بحراً . اما الملك الكامل فاخذ في تحصين معسكره في المنزلة فامر بيناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق وصارت تدعى بعد ذلك الحين «المنصورة» اشارة الى انتصاره على الصليبين هناك وكتب الى المسلمين في سوريا يستعثم على محاربة الافرنج واخراجهم من ديار المسلمين

اما الصليبيون فتركوا امتعتهم ومؤنهم في دمياط بعد ان اقاموا فيها حامية وساروا الى ان وصلوا تجاه المنصورة في ما هو امام سراي المنصورة الان وعسكروا هناك وكان عدد الصليبين اذ ذلك نحو مائتي الف راجل وعشرة الاف فارس ، فقدم المسلمون شوا نيهم المام المنصورة وعدتها مائة قطعة ، فاصبح المسلمون في ضيق ، فامر الملك الكامل ان ينادى بالمسلمين للجهاد من سائر انحاء القطر فاجتمع الناس من سائر النواحي من اصوان

الى القاهرة . ونودي بالنقير العام ايضاً فيا بين القاهرة الى آخرا لحوف الشرقي فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر . وانزل السلطان على ناحية شار مساح اللف فارس في الاف من العربان ليحولوا بين الافرنج ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على راس محرالحلة وعليها الامير بدرالدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الافرنج من البروالبحر وفي اثناء ذلك اتب النجدات للملك الكامل من الشام والشرق يتقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقتها الملك المعظم عيسى . فتلقاهم الملك الكامل وانزلهم عنده بالمنصورة في ١٣ جهادى الاخرة . وتتابع مجيء الملوك حتى بلغت عدة جيوش شوان واسروا منهم الفين وثيفاً . فتضعضع الافرنج وضاق بهم المقام غابرهم الملك المسلمين نحو اربعين الف فارس غاربوا الصليبيين في البحر والبر واخذوا منهم ست شوان واسروا منهم الفين وثيفاً . فتضعضع الافرنج وضاق بهم المقام غابرهم الملك وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وسائر الاماكن التي فتحها السلطان صلاح الدين الا الشوبك والكرك لانهما اصبحتا ملكاً خاصاً له نالهما بالارث من السلطان صلاح الدين وأمراً الصليبيون على طلب تينك المدينتين ومبلغ ٢٠٠٠ الف دينار تعويضاً لماسبه فأمراً المعلم عيسى صاحب دمشق بهم اسواريت المقدس فامتنع المسلمون عن التسلم طم بذلك . ثم بعثوا سرية من رجالهم لتسيرسراً من وراء معسكر الصليبيين وتخرق سه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهم اسواريت المقدس فامتنع المسلمون عن التسلم طم بذلك . ثم بعثوا سرية من رجالهم لتسيرسراً من وراء معسكر الصليبيين وتخرق سه

فأصر الصليبيون على طلب تينك المدينتين ومبلغ ٢٠٠ الف دينار تعويضا لماسبه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهدم اسواربيت المقدس فامتنع المسلمون عن التسليم لهم بذلك . ثم بعثوا سرية من رجالهم لتسيرسر امن وراء معسكر الصليبيين وتخرق سد ترعة المحلة وكان النيل في معظم ارتفاعه فطافت مياه الترعة حتى اغرقت جميع الارضين التي تفصل جيش الصليبيين من دمياط فاصبحوا على مثل الجزيرة وقد حال الماء بينهم وبين نجدة اصحابهم فخافوا سوء المصيروباتوا يشكون من قلة الطعام وكثرة المياه . ولم يكن باقياً بينهم وبين دمياط الاطريق ضيق فامر السلطان بنصب الجسور عند اشمون طناح فعبرت العساكر عليها وملكت تلك الطريق فاضطرب العملييون وضاقت عليهم الارض

انسحاب الصليبين من دمياط

والفق مجيء مرمة عظيمة مدداً للصليبين حولها عدة حراقات وقد ملئت كلها بالميرة والاسلمحة فقاتلتها شواني المسامين حق ظفروا بها ، فاتصل ذلك بالافرنج فزاد خوفهم و ندموا على رفضهم المعاهدة كما طلبت اليهم ، فطلبوا الامان على ان ينسيحبوا من القطر المصري جميعه ولا بطلبوا الذلك مقابلاً فقبل السلطان السكامل في ٧ رجب سنة ١٨٨ هابان يعطي كل من الفريقين رهائن فاعطى الصليبيون ملك عكا ونائب البابا رهناً واعطى بان يعطي كل من الفريقين رهائن فاعطى الصليبيون ملك عكا ونائب البابا رهناً واعطى

الملك الكامل أبنه الملك الصالح وكان سنه ١٥ سنة وجماعة من الامراء. فسار الصليبيون الى دمياط وسلموها الى المسلمين في ١٩رجب بعد ان كانواقداجهدواا نفسهم في تحصينها وخرجوا من القطر . وبعد خروجهم بقليل جاءت نجاءة عظيمة في البحر الى الصليبيين فشكر المسلمون الله لتأخرها إلى ذلك الحين . واا بلغ الصليبيون مكانهم ارسلوا الملك العمالح ومن معه الى ابيه فارسل لهم رهنهم وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط باخوته وعساكره وكان ليوم دخوله اليها احتفال عظيم ثم عاد الى المنصورة وجاس في قصره فيها وبين يديه اخواه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف مودي صاحب بلاد الشرق وغيرهما من اهله وخواصه وهم في سرورواحتفال وبين يديهم المغنون فامرا اللك الاشرف جاريته فغنت على عودها:

ولما طغى فرعون عكا وقومه وجاء الى مصر ليفسد في الارض اتى نحوهم موسى وفي بده العصا فاغرقهم في اليم بعضاً على بعض فطرب الاشرف وقال لها بالله كرري . فشق ذلك على الملك الكامل واسكتها

وقال لجاريته غني انت . فاخذت العود وغنت :

ايا اهلدين الكفرقوموا التنظروا لل قد جرى في وقتنا وتجددا اعبیاد عیسی ان عیسی وحزبه وموسی جمیعاً بنصران محمدا وهذا البيت من قصيدة اشرف الدين بن حبارة أولها (ابي الوجد الا أن أبيت

مسهدا) فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من الجاريتين بجائزة ثم نهض القياضي الرئيس هبية الله بن محاسن قاضي غزة . وكان من جملة

الجلساء وقال:

هنيئًا فان السعد جاء مخلدا حبانًا اله الخلق فتحاً لنا بدا مبيناً وانعاماً وعزًّا مؤبدا تهلل وجه الارض بعد قطوبه واصبح وجهالشرك بالظلم أسودا ولما طغى البحر الخضم باهله الط فاة واضحى بالمراكب من بدا اقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلاً كما سلَّ الحسام المهندا فلم ينج الاكل شاو مجدل ثوى مبهم او من تراه مقيدا ونادى لسان الكون في الارض رافعاً عقيرته في الخيافة بن ومنشدا اعبَّاد عیسی ان عیسی وحزبه وموسی جیعاً پنصرات محمدا فكانت هذه الليلة بالمنصورة من احسن الليالي التي مرت لملك من الملوك . ثم عاد

وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

السلطان الى مقر ملكه في القاهرة . وانتقل من دارالوزارة التي كانت الى ذلك العهد منزلاً للخافاء وسكن في قلعة الجبل واطلق جميع من كان في مصر من الاسرى . وكان منهم من له من ايام السلطان صلاح الدين . وكانت مدة نزول الصليبيين على دمياط الى ان اقاعوا عنها ثلاث سنين واربعة اشهر و ١٩ يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرون يوماً

ولما استنب للملك الكاهل المقام على سلطنة هصر اخرج زعماء الثورة منها وطهر البلاد منهم حتى لم بعد لديه من ينازعه في الملك . ثم عمد الى الصليبيين مغتماً فرصة ضعفهم وعقد معهم معاهدة على كيفية تمكنه من الاغتيال باخويه اللذين لولاهما لم تقم له قائمة في مصر فاغرى الامبراطور فريدريك ملك الصليبيين على الاغتيال باخيه الملك المعظم واستخراج دهشق من يده فقدم هذا الامبراطور الى عكما فاتصل به خبر وفاة الملك المعظم سلطان دمشق وتنصيب ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود مكانه . فاستبشر الملك الحكامل ووضع يده على الشو بك وبيت المقدس وغيرهما مما هو من علمكة دمشق فشق ذلك على الملك الناصر فاستنجد عمه الاشرف وكان متسلطاً على بلاد المشرق وما بين النهرين فجاءه حالاً في جيش كبير ولكن بدلاً من ان يدافع عنه ضه الملك الكامل جاء بعكس الام

اما فريدريك فسار تواً من عكما لافتتاح بملكة دمشق ففتح اولاً صور وسار فالتقى بالملك الاشرف فتيخاصها على الفريسة تخاصها انتهى بموت الملك الاشرف في فلا الجو للملك الكامل واصبح الوارث لكلا الملكين فاتى سوريا لهذه الغاية فوصل دمشق ومات فيها في رجب سنة ٦٣٥ه ودفن في قلعتها . وكان محباً للعظمة والافتخار مقسكاً بالسنة النبوية محباً للعلماء حسن الاعتقاد معاشراً لارباب الفضائل حازماً في الموره لا يضع الشيء الافي موضعه من غير اسراف ولا اقتار . وكان يبيت عنده كل

ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم في مباحثاتهم كواحد منهم. تولى سلطنة مصر وخفض ضرائبها نحو الثاث واقام فيها الزينة

وترى في الشكلين ٧٤ و ٧٥ صور النقود التي ضربت في ايام الملك الكامل بن العادل على احد وجهيها اسم الملك الكامل وعلى



ش ٧٤ : نقود الملك الكامل وعليها اسم المستنصر



ش ٧٥ : نقود الملك الكامل

الآخراسم الامام المستنصر بالله الخليفة السادس والثلاثين من بني العباس. فالأولى نقود ذهبية ضربت في القاهرة سنة ٧٢٧ ه والثانية نحاسية ضربت في حلب

سلطنة الملك العادل بن الكامل

من سنة ١٣٣٠ – ٦٣٧ ه او من ١٢٣٨ -- ١٢٤٠م

ولما علم المصريون بوفاة الملك الكامل بايعوا ابنه سيف الدين ابا بكر الملقب بالملك العادل (الثاني) وكان قد استخلفه ابوه على مصر عند ما سار الى سوريا . واقاموا الامير يونس الملقب بالملك الجواد اميراً على سوريا تابعاً لمملكة مصر الا ان امارته هذه لا تفق في السنة النائية مع الملك الصالح نجم الدين ايوب شقيق سلطان مصر وكان اميراً على مايين النهرين على ان يتبادلا الامارات . فاتى الملك الصالح الى سوريا وسار الامير يونس الى ما بين النهرين . وكان غرض الملك الصالح من هذه المبادلة الاقتراب من مصر والسعي في اختلاس الملك من اخيه فتنبأ الملك العادل بذلك واوجس خيفة فسار بجيوشه الى بلبيس ليوقف سير اخيه اذا حاول الحجي الى مصر . فلما وصل بلبيس نزل فيها وما اصبح الاوهو في قبضة امرائه مقيداً وذلك يوم الجمعة في ٨ وصل بلبيس نزل فيها وما اصبح الاوهو في قبضة امرائه مقيداً وذلك يوم الجمعة في ٨ مصر فدخل القاهرة في موكب حافل واصوات الترحاب والدعاء مالئة الجو فانتهت مصر فدخل القاهرة في موكب حافل واصوات الترحاب والدعاء مالئة الجو فانتهت سلطنة الملك العادل الثاني وكانت مدتها سنتين



سلطنة الملك الصالح بن الكامل

من سنة ٦٣٧__٧٤٠ هـ او من ١٢٤٠__١٢٤٠ م

ولما استوى الملك الصالح على سلطنة مصر اخذ في تمكين قد، ه فيها فامر السنة التالية بالقبض على الامراء والمهاليك الذين ساعدوه على خاع اخيه وبايعوه مكانه وقتلهم جميعاً وولى مكانهم من اختبر امانتهم نحوه . ثم عزل االمك الجواد يونس من امارته وحظر عليه القدوم الى مصر فاغتاظ لهذه المعاملة فالتجأ الى الصليبيين في عكا فقبلوه من اجل ثروته راجين التقرب بواسطته من اسماعيل امير دمشق . وقد كانت تلك فرصة ثمينة لهم فتحالفوا مع امير دمشق والملك المنصور ابراهيم امير حمص وامير الكرك وتعهدوا لهم بمحاربة مصر وقهرها على ان يأخذوا في مقابل ذلك مدن الصعيد والشقيف وطبرية وعسقلان واورشليم . ولما تم التيحالف المذكور احتل الصليبيون تلك الاماكن واخذوا في ترميم حصون طبرية وعسقلان ثم اخذوا يهتمون بمحاربة مصر

وفي خلال ذلك نشأ في شرقي سوريا مخاوف كثيرة سببها ان قبيلة الخوارزميين لما طردهم جنكيز خان من شرقي اسيا في اثناء فتوحه هناك جاؤا سوريا الشرقية ونزلوا على حدودها فانفذ اليهم الملك الصالح سلطان مصر رسلاً عقدوا معهم صلحاً وعاهدوهم على محاربة الصليبيين وامرا. سوريا الذين على دعوتهم . فنجند الخوارزميون واخترقوا سوريا الى أن بلغوا غزة فحاربوا الصليبيين عند اسوارها وامجدهم سلطان مصر من الجهة الثانية فانهزم الصليبيون فتتبعوهم حتى استولوا علىغزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح . فارسل هذا الى مصر شيئًا كثيراً من الاسرى ورؤوس القنلي . ثم جمع مدداً وسار الى اسهاعيل امير دمشق والى امير حمص وحاصرهما وحارب محاربات اخرى شغلته من سنة ٦٤٥ الى ٦٤٧ هـ وشفت عن خضوع دمشق . اما حمص فـكانت لا تزال تدافع الى ذلك العهد فضجر من طول هذه المحاربات فسار بنفسه لقيادة جندها ففاجأً مرض ثقيل وهو تورم في مأبضه تكون منه ناصور فثح وعسر بروء وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش في دمشق . فجاءه منيُّ يخبره بعزم الصليبين على مهاجمة مصرواخذها وقد أكثروا من التجنيه ووردت اليهم النجدات من اخوانهم في اوربا وكانت هذه التجريدة الصليبية السابعة على الاسلام . وكاني بهولاء الافرنج قد خجلوا لكثرة انكساراتهم امام جيش المسلمين بعد ان جردوا اليهم اولاً وثانياً وْالنَّا وَرَابِمَا وَخَامِساً وَسَادِساً فَاقْرُوا المَرَّةِ السَّابِعَةُ عَلَى تَجْرِيدٌ قُوةٌ عَظيمة يرا سها ملك فرنسا لويس التاسع وهي مؤلفة من خمسين الف مقاتل ومعهم من العدة والسلاح شئ كثير وعدد عديد من المراكب المذخرة وضباطها انتخبوهم من اشد رجال اوروبا

فلما علم الملك الصالح بقدوم الصليبيين وهو في ما تقدم من المرض لم يسعه الا الخروج من دمشق فسار في محفة ونزل اشمون طناح في اول سنة ٢٤٧ه وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسايحة وآلات القنال شيئاً كثيراً خوفاً من ان يجري على دمياط ماجرى في ايام ابيه ، واعد السطولا من دار الصناعة بمصروجعل فيه سائر ما يحتاج اليه الجند وسيره شيئاً فشيئاً وضم الى جنده كثيراً من العربان واكثرهم من بني كنانة جعلهم وراء متاريس دمياط وعهد بقيادة حامية هذه المدينة الى الامير في الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، فني صباح يوم الجمة في ٢٠ صفر من تلك السنة وردت مماكب الصالح كتاباً يقول فيه :

د أما بعد فائه لم يخف عليك اني امين الامة العيسوية كا أنه لا يخفي علي الك امين الامة المحمدية . وغير خاف عليك ان عندنا اهل جزائر الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحوث نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونحلي منهم الديار وانا قد ابديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان وادخلت علي الاقساء والرهبات وحملت قدامي الشمع طاعة للصابان لكنت واصلاً اليك وقاتلك في اعز البقاع اليك . فاما ان تكون البلاد لي فياهدية حصلت في يدي واما ان تكون البلاد لك والغلبة علي فيدك العلميا ممتدة الي . وقد عرفنك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضاء >

فلها قري الكتاب على السلطان الملك الصالح وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكنب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب . « بسم الله الرحن الرحم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه اجمعين . اما بعد فأنه وصل كتابك وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك فنحن ارباب السيوف . وما قتل ، ما فرد الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولو رات عينك ايها المغرور حدد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا ديار الأواخر منكم والاوائل لكان لك ان تعض على اناملك بالندم ولا بد ان تزل بك القدم في يوم اوله لنسا وآخره عليك فهنالك تسي الظنون وسيعلم الذين ظاموا اى منقلب ينقلبون، فاذا قرات كتابي هدنا

فتكون فيه على اول سورة النحل اتى امر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة (ص) ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو احدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكياء ان الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يقلبك والسلام >

وفي اليوم التالي حصلت بين الفريقين مناوشات قتل فيها بعض امراء المسلمين وفي المساء فر" الامير فخر الدين لغير داع فنبعته بنو كنانة وخرجوا من المدينة فنبعهم الاهلون في الليل على وجوههم لايلتفتون الى شيء ولحقوا بالعسكر في اشمون فنخلت المدينة للصليبيين فدخلوها بامان في ٢٢ صفر واستولوا على جميع مافيها من المؤن والزخائر والاسلحة وعدة الحرب فخسر سلطان مصر بذلك خسارة لاتعوض . فاستشاط الملك الصالح غيظاً وجمع اليه بني كنانة وعنفهم لانهزامهم على حين لم يكن داع للهزيمة فقالوا نحن لم نفعل ذلك الا بعد أن واينا الامير فخر الدين فار"ا ومن ورائه رجاله فامر الملك الصالح باعدام ٥٤ من امرائهم لانهم خرجوا من دمياط بغير اذنه

وفي ٤٤ صفر عسكر في المنصورة وحصنها الا أنه لم يعش بعد ذلك كثيراً فتوفاه الله في ١٤ صفر عسكر في المنصورة وحصنها الا أنه لم يعش بعد ذلك كثيراً فتوفاه على ١٩ معينان وسنه اربعون سنة . وكان رجلاً مهيباً قليل الشكلم يهابه من يجلس في بحلسه . وكان عنده عدد من المهاليك لم يسبقه اليه احدقبله ولم يوص قبل موته بمن يأخذ السلطان بعده ولم يكن له من البنين الاغياث الدين طوران شاه وكان قد تركه في سوريا وكان من جملة جواري الملك الصالخ جارية تدعى شجرة الدر مربية غياث الدين فتواطأت مع الامير فخرالدين ورئيس الخصيان جهال الدين محسن على مبايعة ابنها وكانت عارفة بامور الحكومة وسياستها . ويقال ان الملك الصالح كثيراً ما عهد اليها ادارة ووقفت في جمهور الامراء والاعيان قائلة د ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين طوران شاه وقد عين الامير فخرالدين اتابكالادارة الاحكام ، فيها من المنواد واعيان السلطان الملك الصالح كبيم من فيها من القواد واعيان السلطان الملك الصالح لايرال حياً لكنهم عند الى جميع انحاء المملكة وبعثت بالرسائل في ذلك مخنومة بختم السلطان الملك الصالح الى جميع انحاء المملكة وكان الجميع يظنون ان الملك الصالح لايرال حياً لكنهم عند ماعلموا باستقدام الملك المعظم بسرعة الى القاهرة داخلهم الريب

أما الصليبيون فكانوا في خلال ذلك قد تقدموا قاصدين النصورة وحاربوا في اثناء الطريق محاربات طفيفة ولما بلغوا المنصورة حاربوها محاربة قوية وكان الجيش الاسلامي

تحت قيادة الامير فخر الدين فحارب ببسالة كلية . كل ذلك وبين الجيشين بحر اشمون ولم يستطع الصاببيون العبور الى المنصورة ولم يكونوا يعلمون طريقاً اليها غير النيل. فاتى اليهم بعض من غدروا من المسلمين واخبروهم عن طريق يمكنهم سلكها بسهولة فسارت سرية من فرسانهم وهاجمت المنصورة بغثة . وكان الامير فخر الدين في الحمام فاتته الاخبار بهجوم الصليبيين على المحلة فبغت ونادى في رجاله وخرج للدفاع فادركه بعضهم فقتله وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا نماليك الملك الصالح فأنهم دافعوا دفاعاً شديداً وانتهت الواقعة وقد اعيا الفريقين التعب ولم يكن احدهما يجسرعلي تجديد القنال لعظم ما قاسيا من الخسائر. وفي اثناء ذلك وصل الملك المعظم الى المنصورة قادماً من سوريا فاشتد عزم المسلمين به وهاجموا النصاري في البر والبحر فاسروا منهم ٣٢ مركبًا . فلما راى الصليبيون ماكان من ضعفهم طلبوا المصمالحة على ان ياخذوا بيت المقدس وضواحيه وينسحبوا من مصر بعد اخلاء دمياط . فلم يقبل المصريون فاقاموا في المنصورة حتى نفد زادهم وقدا نقطعت السابلة بينهم وبين دمياط. وفي ٢ محرم سنة ٦٤٨ ه عزموا على الثقهقر فتعقبهم المصريون حتى ادركوهم غربي فرسكور فاستلحموهم وأثخنوا في قتلهم . ويقال أنهم قتلوا منهم ٣٠ الفاً واسروا الملك لوبس التاسع وكثيراً من ضباطه وكبار جيشه وكانوا قبل ان قبض عليهم قه فروا الى منية ابي عبدالله فاسروهم هناك

سلطنة الملك المعظم بن الصالح

من سنة ٦٤٧ ـــ ٦٤٧ هـ او من ١٢٤٩ ـــ ١٢٥٠ م

فلما تأكد الفوز للمصريين شهروا وفاة الملك الصالح ومبايعة الملك المعظم طوران شاه فاقام الملك المذكور في فرسكور احتفالاً لمبايعته وانتصاره معاً . ثم عزل كل من كان في يده ازمة الحكومة من المصريين وولى مكانهم رجالاً ممن جاؤا معه من بين النهرين لانه كان اشد ثقة فيهم فشغب الناس وتحدثوا في ذلك كثيراً . وفي غاية محرم ثار عليه المماليك وهموا بقتله وفي جملتهم مملوك بدعى بيبرس . ففر الملك المعظم والتجأ الى برج من الخشب كان قد اقامه للحصار في فرسكور . فاحرقوا البرج فالتي بنفسه الى النيل لعله يجد قارباً يركبه فينجو بحياته . فادركه الماليك وقطموه ارباً ارباً

وهكذا كانت نهاية الحملة الصليبية السابعة وموت السلطان الملك المعظم غياث الدين طوران شاه وهو آخر من ملك من الاسرة الايوبية وبموته انقضت دولتهم وقامت دولة الماليك الاولى

دولة الماليك الاولى

من سنة ١٤٨ ـــ ٧٨٤ هـ او من ١٢٥٠ ـــ ١٣٨٢ م

منشأ الماليك ومبدأ امرهم في السلطنة

قد تقدم السكلام عن اصل استخدام المهاليك الاتراك في الدولة في ايام المعتصم عند كلامنا عن مبدا الدولة الطولونية . اما السلاطين المهاليك فلهم تاريخ آخر في منشئهم وذلك انهم من قفجاق من شهالي اسيا . وكانت من المستعمرات الاسلامية فكانوا يجعلون عليها ولاة من امراء السلاف الذين كانوا من حكام روسيا . فلما غزا المغوليون تلك الاصقاع تحت قيادة باتوخان حفيد جنكيز خان اخرجوا منها سكان الولايات القزوينية والقوقاسية فتشتت قبائلهم وتفرقوا في القارة . فالحوار زميون نزلوا اعالي سوريا وما بين النهرين وحطوا رحاهم هناك . اما ما بقي من تلك القبائل التائهة فلم يجدوا لهم مقرًا يقيمون فيه . فجعلوا يطوفون البلاد باولادهم ونسائهم لايستقرون على حال وكانت تجارة الرقيق في ابانها فاغتنم تجارها فرصة ثمينة وجعلوا ينتقون من ابناء او لئك المساكين اجملهم صورة واقواهم بنية وانورهم عقلاً ويبيعونهم بيع السلع . اما الضعفاء وقبيحو الصورة فكانوا يذبحونهم . فاكثر امراء سوريا وملوكها من اقتناء اولئك الارقاء البيض ودعوهم بالماليك

فالملك الصالح من سلاطين الدولة الايوبية كان قد ابتاع منهم نحو الالف حق جعل منهم امراء دولته وخاصة بطانته والمحيطين بدهليزه. ودعاهم بالحلقة اشارة الى الدير محاطاً بهم كيفها توجه كما فعل الخليفة المعتصم العباسي بالاستكثار من المهالك الاتراك

وكانت بماليك الملك الصالح صفو فأ يميز كل منهم بعلامات خصوصية يجعلونها على نيابهم واسلحتهم . فكانت علامة بعضهم الورد وعلامة البعض اشكال الطيور . وكانوا

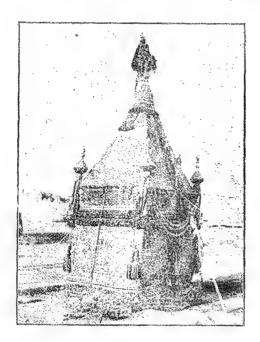
يتمنطقون بمناطق جميلة مختلفة الالوان فنألف منهم جيش مخصوص تسبب عنه قلاقل في سائر المملكة المصرية . وقد كانوا بالواقع ميالين الى الاستقلال بالحسم لا يمكنهم الرضوخ لسلطان من السلاطين باختيارهم لآنهم كانواكثيري العدد والعُـدُد. وكانتُ اهمُّ المناصبِ في ايديهم وامنع حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقرًّا لهم حتى اذا ضاقت ذرعاً عن الاحاطة بهم ابتنوا بامر الملك الصالح قصوراً عظمة متقنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة قرب المقياس . وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالاً لان النيل يتفرع هناك الى فرعين . وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر العظم اتساعه فسمي هؤلاء بالماليك البحرية ومنها اسم دواتهم تمييزاً لها من دولة الماليك الشراكسة وكانت سطوة الماليك البحرية تنتشر يوماً فيوماً الى أنهم طمعوا بخلع السلطان وتولي الملك مكمانه . فلما تولى الملك المعظم آخر سلاطين بني أبوب وكان على ما كان عليه من الاستبداد انفت نفوسهم من اعماله فسعوا بما سعوا الى ان قتلوه على ١٠ تقدم. وكان الملك لويس التاسع والذين معه لايز الون اسرى في البرج الخشبي الذي التجأ اليه الملك المعظم قبل قتله . ولما العبت النار بالبرج فر الملك لويس ومن معه ومروا بين المصريين وهم يقتلون ملكهم ثم نزلوا على مراكب كانت في انتظارهم واقلعوا بعه أن شاهدوا مقتل الملك المعظم . ثم جاءهم رجل من المصريين بدعى الفارس اقطاي حاملاً قلب الملك المعظم واعطاه العلك لويس وطاب اليه ان يكافئه على قتـــل عدوه . وقال بعض المؤرخين ولا اراه في مكان الثقة ان الامراء المصربين بعد قتامهم ملكهم طابوا الى لويس المذكور ان يتولى زمام الاحكام مكانه فرفض

سلطنة شجرة الدر

سنة ١٤٨ م او ١٢٥٠ م

فلما قتل الملك المعنام المعنام الاحزاب على من يبايعون بعده وكل فئة منهم تحاول استبقاء الحركم في يدها . وعلا الخصام حتى كاد يفضي الى الحرب فتداركت الامن شجرة الدر بعد ان رات ماحل بالملك المعظم وتبصرت في امر من يجب السيخلفه فرأت حزب المهاليك اعز جانباً من الجميع . ونظراً لكونها من ابناء جلاتهم وافقتهم على رأيهم وكانت قبل ذلك قد تمكنت بطريقة غريبة لم يسبق لها مثيل في الاسلام

ان تستلم زمام الاحكام باقرار الجميع . وكيفية ذلك انها تواطأت مع ايبك عز الدين وكان من اعظم الامراء المهاليك واقواهم نفوذا وكان بينهما علاقات ودية منذ ايام الملك الصالح . ويقال انه من قتلة الملك المعظم فقكنت بذلك التواطؤ من مبايعة جميع الاعيان لها ولقبت بعصمة الدين ام خليل في ١٠ صفر . وكانت توقع بما مشاله « والدة خليل » ونقشت اسمها على النقود بما هو « المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة امير المؤمنين » وخطب لها على المنابر بعد الدعاء للخليفة وهذه صورة الخطبة : « واحفظ اللهم الجبهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحبحاب الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح



ش٧٦: المحمل المصري

نجم الدين ايوب » وعينت عزالدين اتابكاً عندها لتدبير المملكة . ثم اخذت في التقرب من ارباب الدولة ووجهاء البلاد فجعلت تخلع عليهم الخلع الثمينة وتمنيحهم المناصب والرتب وتخفض الضرائب ، الا انجميع هذه المساعي لم تأثمها بفائدة لان الناس لم يرتاحوا الى طاعتها . فانفذ السوريون الى الخليفة العباسي في بغداد يستفتونه في امم هذه الملكة . فكتب اليهم يقول : « من بغداد لامراء مصر . اعامونا ان كان ما بقي عندكم

في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل لكم من يصلح لها . اما سمعتم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا افلح قوم ولوا امرهم امراة » فاستمسك مماليك مصر بهذه الفتوى وأر رفقاؤهم في دمشق وخلعوا طاعة شجرة الدر وبايعوا سلطان حلب الملك الناصر يوسف الايوبي في ٨ ربيع اول وقت لواكل من في دمشق من المماليك على دعوة شجرة الدر . ومشل ذلك فعل اهل بعلبك وشميمس وعجلون . فنشأ بسبب ذلك خصام بين مماليك سوريا ومماليك مصر آل الى وقائع حربية . فتمكن عز الدين ايبك في هذه الانقسامات من الاستقلال عن صديقته والجأ الامراء شجرة الدر على الاستقالة فاستفالت . وهي اول من ارسل الحمل من مصر الى مكة ولا يزال ذلك جارياً الى الآن

سلطنة ايبك الجاشنكير والاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ ــــ ٥٥٠ هـ او من ١٢٥٠ ـــ ١٢٥٧ م

وفي سنة ١٤٨ ه بويع عز الدين ايبك على مصر ولقب بالملك المعز الجاشنكير التركاني الصالحي وتزوج بشجرة الدرفانضم حزبها الى حزبه واحتفلوا بتوليته السلطنة على جاري عادتهم في الاحتفالات الكبرى فركب هو بشعار وحملت على راسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب وجلس على سرير الملك وجيبع الامراء قبلوا الارض بين يديه . وبعد قليل انقسم المهاليك الى قسمين عظيمين عرفا بالمعزيين نصبة الى الملك المعز ايبك والصالحيين نسبة الى الملك الصالح نجم الدين وتنازعا النفوذ . ففاز الصالحيون وطلبوا ان يكون السلطان عليهم من سلالة الايوبيين وقالوا « لابد لنا من واحد من ذرية بني ايوب نسلطنه علينا» وكان المشكام يومئذ من الامراء الامير بلباي الرشيدي والامير فارس الدين اقطاي والامير بيرس ركن الدين البندقداري والامير سنقر الرومي وغيرهم جماعة من المهاليك البحرية فوقع الاتفاق ينهم وبين المعز ايبك بان يحضروا بشخص من بني ايوب يقال له مظفر الدين يوسف من اولاد الملك مسعود صاحب بلاد الشرق

 عز الدين اتابكاً له غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يده ولم يكن الاشراف الااسماً بلا رسم ومن الغريب تألف هذه السلطة المزدوجة من احد سلالة الاسرة الايوبية واحد مماليكها . واغرب من ذلك ان يخطب لهما معاً

وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق الجديد ناصر الدين يوسف الايوبي الاخد بثار الملك المعظم فدعى اليه اقرباءه امراء الاسرة الابوبية للتعاضد على ذلك وتأكيداً لنجاح مسعاء استمد لويس التاسع ملك فرنسا وكان اذ ذاك في عكاعلى ان يعيد له في مقابلة ذلك بيت المقدس وارسل ملك فرنسا الى ناصرالدين راهباً لعقد المعاهدة وانفذ الى الماليك في مصر مندوباً يطلب اليهم التهويض عن نكث المعاهدة التي عقدوها مع الصليبين وكان من مصلحتهم الاتفاق مع الصليبين على سلطان دمشق فاجابوا مطاليبه واطلقوا عدداً كبيراً من الاسرى السيحيين بعثوا بهم الى عكا وارفقوهم بمندوبين واطلقوا عدداً كبيراً من الاسرى السيحيين بعثوا بهم الى عكا وارفقوهم بمندوبين التبديد المعاهدة والآتي ذكرها وهي:

اولاً ارجاع رؤوس الصليبيين التي كانت مغروسة على متاريس القاهرة ثانياً ارجاع جميع الاولاد الذين كانوا قد اجبروا على الاسلام

ثَالِثًا التَّنازل عن المائتي الف دينار التي تعهد الصليبيون بدفعها بمقتضى معاهدة

المنصورة

قرضي المهاليك بجميع ذلك واهدوه فوقها فيلاً جيلاً وكان هذا اول فيل ارسل الى فرنسا ووعدوه ان يعيدوا اليه بيت المقدس اذا تغابوا على سلطان دمشق . فاتصل امر تلك المخابرات بسلطان دمشق فانفذ عشرين الف مقاتل تحول دون اتحاد الجيشين فعثروا بالمصريين في غزة فناهضوهم حتى ارجعوهم الى الصالحية فانجدهم الفارس اقطاي فاعادوا السوريين على اعقابهم الى سوريا ، ثم تشدد السوريون وعادوا بمدد كبير تحت قيادة شمس الدين لولو صاحب دمشق ومعهم سلطان دمشق نفسه فالتقوا بالمهاليك تحت قيادة ابيك والفارس اقطاي يوم الحبيس ١٠ ذي القعدة سنة ١٤٩ ه في العباسة وتقاتلا فانكسر المصريون أولا فتعقبهم السوريون فجعل ايبك والفارس اقطاي انهزامهما نحو سوريا ومعهما جهاعة من الفرسان فالنقيا بشمس الدين لولو في شرذمة من رجاله فقتلاه وشتنا رجاله فاشتد ازرهما فعادا لمهاجمة سلطان دمشق وكان في معسكره مع شرذمة قابلة من الجند . اما باقي الجيش فكانوا يتعقبون الجيوش المصرية المهزمة فاضطر السلطان الى الفرار بنفسه فتبعاه فلم يدركاه فعادا الى مصر فرايا الجيوش السورية قد دخلت القاهرة وخاف اهلها ظناً منهم ان النصر لناصر الدين فبايعوه وخطبوا له . الا

ان الفقهاء لم يوافقوا على المبايعة شخصياً على انهم لم ينجوا من انتقام أببك. فلما علم المصريون أن النصر لهم فرحوا جدًّا وأبطلوا مبايعة ناصر الدين ، أما هذا فلما رأى أم انكساره على ما تقدم لم يعد يمكنه استئناف الحرب فصالح المصريين على أن يشخلي لهم عن مصر وغزة وبيت المقدس وقد ربح من الجهة الثانية ما كان برومه من فساد المعاهدة بين المصريين والصليبيين فاتفق مع الماليك على محاربة الصليبيين

ثم اتفق الماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفاً من مسير الافرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعسلة فوقع الهدم في اسوارها يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ٦٤٨ ه ومحيت اثارها ولم يبق منها سوى الجامع ويعرف بجامع الفتح واخصاص ابتناها بعض الفقراء للسكن في قبليها ودعوا ذلك المكان المنشية . أمَّا دمياطُ الباقية الى هذا العهد فابتنيت على انقاض تلك فبلغت جهالاً فائقاً وقد ساعدها على ذلك حسن مركزها الطبيعي واهميته للتجارة وقد بالغ المقريزي في وصفها لانها كانت في ايامه ازهي واعمر بما هي الان فنظم في مدحها قصيدة اقنطفنا منها هذه الابيات

ستى عهد دسياط وحياه من عهد فقد زادني ذكراه وجداً على وجد

وبشنينها الريان يحكي متميًّا تبدًّا من وصل الاحبة بالصد فقام على رجليه في الدمع غارقاً يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد وظل على الاقدام تحسب انه لطول انتظار من حبيب على وعد كان الثقاء النيل بالبحر اذ غدا مليكان سارا في الحجافل من جند وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا ولا طعرن الا بالمثقفة الملد

وعظمالفارس اقطاي في عيون المصربين لما اظهره من البسالة والاقدام في الحروب الاخيرة فلقبه احزابه باللك وتزوج اخت المنصور سلطان حماه واسكنهما في القلعة لانصال حبل قرباها بالعائلة الملوكية فاوجس ايبك شرًّا من نفوذ الفارس المذكور حتى خشي مناظرته في الملك فاخذ يسمى في الشخلص منه وكان الفارس زعماً لحزب من المهاليك الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم فرقى كثيرين منهم وفي جملتهم سيف الدين قطوز الذي صار بعد ذلك مِلكاً . اما الفارس اقطاي فقتله أيبك وهو داخل بسراي القاعة ثم خشي الوقوع في شر اعماله فامر باقفال القلعة وابواب المدينة ولبث يتوقع الحوادث فام تمض برهة حق جاء الامراء الصالحيون تحت رئاسة بيبرس وتجمهروا على ابواب القلعة ولحلبوا الفارس

اقطاي وهم يحسبونه مأسوراً فرمي اليهم براسه من علىالسور فلما علموا بقتله ارتاغت قلوبهم فعمدوا الى الفرار نحو باب القراطين ففتحوه وساروا قاصدين سوريا وبتي منهم شرذمة قبض عليهم واودعوا السجن

فلما تخلص الملك العز ايبك من طائعة الصالحيين قبض على الملك الاشرف والقاه في سعجن مظلم فمات فيه تعساً بعد ان حكم سنة وشهراً



وترى في الشكل السابع والسبعين صورة النقود التي ضربت على عهد الملك الاشرف بن يوسف وعليها اسمه واسم الامام المستعصم بالله العباسي. والاشرف آخر من ملك مصر من الايوبيين . وحكم بعض افراد هذه العائلة في ش٧٧ : نقود الملك الاشرف

دمشق وحلب وحمص وميافرقين . الا ان هؤلاء لم تمض عليهم عشرسنين حتى انقرضوا ولم يبق منهم الا فرع واحد في حاء بتي حاكما فيها قرناً بعد انقراض جميـع الدولة وكانت سلطته ضعيفة لانحصارها في تلك الامارة الصغيرة وقد جاء مر نسله أبو الفدا المؤرخ المشهور سنة ٧١٨ ه . وقد نسى كثيرون منا ذكر الدولة الانوبيــــة وفتوحاتها العظيمة ولكنا لم ننس ابا الفدا لانه ترك لنا ذكراً لا يمحى بتأليفه المشهور

واستوزر ايبك شخصاً من نظار الدواوين يدعى شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي احد كتاب الاقباط وكان قد اسلم من ايام الملك الكامل وترقى في الكتابة وكان طبيباً للسلطان الايوبي الخامس مشهوراً بالطب والسياسة فلما صاروزيراً قررعلى النجار وذوي اليسار وارباب العقاقير اموالأ ورتب مكوساً وضائات سموها حقوقاً ومعاملات ولما استتب المقام لايبك وتخلص من المهاليك الصالحيين وغيرهم بمن كانوا ينازعونه الملك حسب الجو قد خلا له وما دري ان شجرة الدر لاتزال واقفة له بالمرصاد بعد ان صارت له زوجة فكانت نحول دون كثير من مقاصه، ولم يكن يجسر على مقاومتها مع علمه باستقالتها من مهام الملك على أنه لم يستطع احتمال هذا التقييد والسلطان في يده وهي تمن عليه بأنها سبب وصوله الى ذلك المنصب فجعل يبحث عن طريقة تنقـذه من هذه القيود مع علمه أن مكايدة النساء أشه وطأة من ملاقاة الرجال. فادعى أنهاعقيمة لأيرجو منها نسلاً فاقتنى عليها سراري اخريات فولدت له احداهن ولداً دعاء نور الدين على ثم بلغها انه ساع في التزوج بابنة يدر الدين لولو ملك الموصل وكان قد امسك عن زيارتها فاشتملت حسداً لعامها ان هذه الزوجة الاخيرة من بنات الملوك فخافت ان تحل محلها

من العظمة فاقرت على الكيد به

وكانت شيجرة الدرسعية الخلق شديدة الغيرة قوية البأس سكرانة من خمرة العيجب فلما ضابقت ايبك نزل من القلعة وهو غضبان فبعثت تتلطف به حتى عاد الى القلعة فلاقته وقامت اليه وقبلت يديه على غدير عادة منها وكانت قد اضمرت له السوء فند بت له خمسة من الخدم الخصيان الروم وقالت لهم « اذا دخل الحمام فاقتلوه » فلما طلع الى القلعة اصطلح مع شيجرة الدر وتراضيا ثم دخل الحمام فاما صار هو وشيجرة الدر هناك دخل عليه اولئك الخدم وبايديهم السيوف فقام ايبك وقبل يد شيجرة الدر واستغاث بها فقالت للخدم اتركوه فاغلظ عليها بعض الخدم في القول وقال لها « ان تركذاه فلا يبق عليك ولا علينا » فقتلوه في الحمام خنقاً وقيل ربطوا محاشمه بوتر وجذبوه حتى مات . فلما حملوه واخرجوه من الحمام الساعوا انه قد اغمى عليه في الحمام فوضعوه على فراش الحمام واشاعت انه مات مصروعا . وكان ايبك ظلوماً غشوما سفاكاً للدماء

ولم تجسر شجرة الدرعلى تعاطي الاحكام بنفسها خوفا من الايقاع بها فجاءت بخاتم الملك الى اميرين من كبار الامراء وطلبت اليهما امام جثة زوجها ان يستلما زمام الاحكام فابيا . وكان قتل ايبك في داخل السراي ليلا ولم يشع الخبر في القاهرة الى الصباح التالي . فلما علم اصحابه من المماليك بما حل به اضمروا الانتقام وكان سن ابنه نور الدين على 10 سنة فبايعوه ولقبوه بالملك المنصور

وكانت مدة أيبك في الاحكام عشر سنوات واحدعشر شهراً شاد في خلالها بنايات عظيمة وفي جملتها مدرسة دعاها المدرسة المعزية نسبة اليه بناها على ضفة النيل في مصر القديمة وربط لها دخلاً مخصوصاً للنفقة عليها . وهو اول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجيل

سلطنة نور الدين علي بن ايبك

من سنة ه ٥٦ ــــ ٧ ه ٦ ه او من ٧ ه ١٢ -- ٩ ٥ ٢١م

فالملك النصور حالما بويع قبض على قاتلة ابيه وعهد بها الى نساء بيثه فاماتوهما ضرباً بالقباقيب على راسها وطرحوا جثتها في خندق القلعة فاكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقي قرب مدفن السيدة 'هيسة

فانتهت حبأة هذين الخادعين شجرة الدر وايبك كما رايت فجوزي كل منهما بما فعل لانهما قتلا الملك المعظم ، اما نور الدين علي فلم يحيكم الا مدة قصيرة تحت مناظرة وصيه شرف الدين هبة الله المتقدم ذكره

وكات نور الدين قد استقر بالامير سيف الدين قطز المعزي نائب السلطنة بمصر واتابك العسا كر. وكان قطز شديد الباس صعب الخلق فقبض على الوزير شرف الدين همية الله وصادره واخذ جميع امواله ثم صلبه على باب القلمة وخلع على القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير واستقربه وزيراً عوضاً عن همة الله

وفي ايام هذا السلطان بمصر هجم هولاكو التتري على مدينة بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله وخرب بغداد، ووصل الخبر الى مصرانه حامل على بلاد الشام ومصر فخافوا وعقد قطز مجلساً من العلماء والقواد اقروا فيه ان الحالة تقتضي السيولى السلطنة رجل حازم . فانزلوا نورالدبن في ٤ ذي القعدة سنة ٢٥٧ه بعد ان حكم سنتين وبايعوا سيف الدين قطز وكان نورالدين طائش العقل بلعب بالحام مع الغلمان

سلطنة المظفر سيف الدين قطز

من ۷۵۷ -- ۲۰۸ ه او من ۱۲۵۹ -- ۱۲۲۰

وسيف الدين هذا شريف الاصل من عائلة ملوكية خلافاً لسلفه فهو ابن مودود شاه ابن اخي ملك خراسان فتح التتربلاده فتشتئت اسرته. ولما تولى سلطنة مصرلقب بالملك المظفر وحالما استوى على السلطنة قبض على نورالدين وامر بقتله فحاول وصيه شرف الدين المدافعة عنه فصلبه عرباب القلعة

ثم لاح له ان دمياط بعد ان دكت اسوارها لم يبق ما يعيق مراكب العدو عن المرورفي النيل فامر بردم مصب النيل هناك وبعث بفرقة من الحبجارين فهضوا وقطعوا كثيراً من الحبجارة والقوها فيه حتى ضاق وتعذر سيرالمراكب منه الى دمياط وهو على ذلك الى اليوم فان المراكب الكبيرة لا تستطيع المرور فيه فتنقل البضائع منها الى الجروم والمتواتر على السنة البعض ان سبب ذلك وجود جبل او رمل متجمع هناك

محاربة التتر

وفي خلال ذلك جاء القاهرة قائد تتري ناقلاً منشوراً من هولاكو ملك المغول حفيد جنكيزخان وكان النترقد انتشروا في جميح اسيا الشالبة الشرقية . وكان هو لاكو قد غزا العراقين بجيش عظيم واستولى على مدينتي الموصل وحلب وقدل الخليفة المستعصم بالله كما تقدم . ونزل هولاكو على سوريا ففتح دمشق والسواحل البحرية حتى قصد مصر فبعث اليها منشوراً مضمونه: من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الاعظم ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة وذكر في الكتاب شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على اهل البلاد منه ولا سيا ما فعله في بغداد وما جرى على اهلها منه الى ان قال « يا اهل مصر انتم قوم ضعاف فصونوا دماء كم مني ولا تقاتلوني ابداً فتندموا >

والمرأ قرأً قطوز ذلك المنشور وعلم ماكان من امر فتوح هذا الدَّري وما هو عليه من القوة والمنعة اوجس خيفة . غير ان جيوشه كانوا قد حاربوا الجيوش الصليبية وانتصروا عليها ولم يزل في نفوسهم عزة الظفر وانفة النصر فاستخفوا بقول هولاكو واصروا على القتال فحشدهم قطوز وجهزهم بما يلزم من العدة والسلاح واستقدم اليه قبائل العربان وفرق فيهم وفي سائر جيشه نحواً من سماية العدينارجمها من الضرائب التي اقامها على المصريبن مما دعاه تصقيح الاملاك وزكاتها واحدث على كل انسان ديداراً يؤخذ منه واخذ ثلث التركات الاهلية فكان يجمع منها ٢٠٠٠ دينار سنوياً . ثم سار من القاهرة لملاقاة النتر في غاية شعبان سنة ٨٥٨ ه وما كاد الجيشان يلتقيان حتى أتصل بهولاكو خبر موت ابيه منجوخان ملك التتر فاضطر الى العود حالا ليطالب مجقوق الوراثة • فعاد تاركاً في سوريا نحوًا من غشرة الاف من نخبة فرسانه تحت قيادة لسيبه ونائبه كتبغا لمحـــاربة قطز فالتقيا في فلسطين في عين الجـــالوث فالنحم الجيشاب وحصلت بينهما واقعة كبيرة شفت عن هلاك كتبغا وكل رجاله والقبض على ابنه . وغنم المصريون غنيمة كبيرة تكفى لاغناءكل المشرق لانها تحتوي على أنمن مانهبه هو لاكومن اغني المدن في اثناء فتوحه . فماد الملك المظفر الى القاهرة ظافراً ولم تتم سعادته لأن المنية كانت في انتظاره على الطريق فقتله بعض رجاله الذين كانوا بترقبون فرصة لقتله فتمكنوا من ذلك بوم السبت في ١٧ ذي القعدة سنة ١٥٨ ه بعد ان حكم ١١ شهراً و١٣ يوماً وتفصيل ذلك أنه بينها كان عائداً بجيشه إلى القاهرة من من امامه أرنب بري وكان مولماً بالصيد فسار على اثره في عرض الصحراء حتى امعن فيها ثم عاد وحده ولا صيد معه فتقدم لملاقاته احد امرائه المدعو ركن الدين بيبرس البندقداري فلما دنا منه هم

لحيده كانه يريد تقبيلها فامسكها باحدى يديه وطعنه بالاخرى في قلبه فسقط صريعاً يخبط الارض. فجاء باقي الامراء وكانوا متواطئين معه على هذه الفعلة فرفعوا جثة سلطانهم ودفنوها في قبر صغير قرب قبر خلف فخثي ذوو الفقيد ان تبلغ الموسى لحاهم فتفرقوا في مصر السفلى لا يظهرون على احد، وكان الاتابك اذ ذاك في الصالحية مع السواد الاعظم من الجيش فسار اليه قتلة قطوز واخبروه بما فعلوا فقال لهم « من منكم ضربه الضربة الاولى » فاجاب بيبرس «انا هو » فقال له « فاحكم مكنه »

فبويع بيبرس للحال ولقب بالملك القاهر ثم تشاءم من هذا اللقب فابدله بالملك الظاهر واضاف اليه ابا الفتوح وكان يلقب ايضاً بالعلائي وبالبندقداري نسبة الى سيده الذي كان يدعى علاء الدين بندقدار

and the Table of the same

سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٨٥٨ -- ٢٧٦ هـ او من ١٢٦٠ -- ١٢٧٧ م

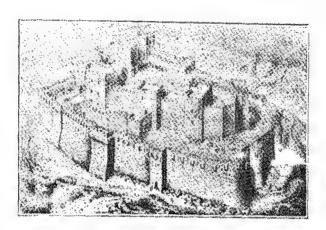
ولما تم البيرس امر السلطنة سار الى القاهرة واستوزر بهاء الدين بن حنا واتخذ بلباي (بيلي بك) الخازندار وهو من اعزاصه قائه بله وصنيعته وجعله نائب السلطنة وصار صاحب الحل والعقد فيها . واستقدم من بقي من عائلة قطوز فأمنهم وضمهم اليه واطلق من في السجون جميعاً بغير استثناء واكثر من العطايا لرجاله وابطل كثيراً من الضرائب التي كان قد ضربها سلفه كتصقيع الاملاك وتقويتها واخذ زكاة تمها في كل سنة وجباية دينار من كل انسان وغير ذلك . واعلن امره هذا على اسان الخطباء في المنابر على انه مع ذلك لم ينل رضاء كل الرعية . فاهل الشام شقو اعصا الطاعة وبايعوا الامير سنجر صاحب حلب ولقبوه بالملك المجاهد وعضدهم على ذلك التر اصحاب هو لا كو . فسار بيبرس حالاً الى دمشق لاخماد الثورة فحارب الثتر وتغلب عليهم في ٣ وقائع متوالية . فقنط الدمشقيون من المساعدة فسلموا المدينة فدخلها وانتقم منها شر وقائع متوالية . فقنط الدمشقيون من المساعدة فسلموا المدينة فدخلها وانتقم منها شر الانتقام ومازال حتى اخضع بلاد الشام . ولما عاد الى القاهرة اخذ في اصلاح الداخلية المناسون بمصر

وفي سنة ٢٥٩ه قدم القاهرة رجل من بغداد قال أنه من ذرية بني العباس واسمه الامام احمد بن الخليفة الظاهر بامر الله بن الناصر بن المستنصر . فاما بلغ الملك الظاهر قدومه خرج الى لقائه . فلما وصل الى المطرية تلاقى هناك هو والامام احمد المذكور

وكان الامام احمد هذا اسمر اللون وامه ام ولد حبشية . فاما وقعت عين الملك الظاهر عليه نزل عن فرسه ونزل الامام احمد عن فرسه ايضاً وتعانقا ثم ركبا ومراً في القاهرة ودخلا من باب النصر فزينت له القاهرة . وكان له موكب عظيم ويوم مشهود لم يسمع بمثله . فلما وصلا الى القاعة طلع الامام احمد مع السلطان الى القلعة فانزله السلطان في قاعة الاعمدة فاقام مها اياماً . ثم ان الملك الظاهر اراد ان يثبت نسب الامام احمد بانه من ذرية بني العباس لان الخلافة كانت خالية من حين قتل الخليفة المستعصم فعقد مجاساً من القضاة والعلماء والمشائح واثبتوا نسبه فاقامه خايفة في القاهرة ولقبه بالمستنصر باللة . فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين وقد ذهب نفوذهم الا من الوجه الديني وهو الذي كان الظاهر في حاجة اليه لتأييد سلطانه . غالما بويع المستنصر ثبت الملك الظاهر في منصبه . ورافق نزول العباسيين في القاهرة قحط عم سائر القطر فتشاءم الناس بحلولهم . أما بيبرس فلم يألجهداً في استجلاب الاقوات من جهات سوريا وغيرها وتفريقها في الناس فانقذ بلاده من ضيق عظيم

ثم اراد بيبرس ان يسترجع بعداد للخلفاء العباسيين فانفذ مع الخليفة المستنصر بالله جنداً كبيراً لاخراج التتر منها وتسليمها للخليفة المستنصر فلاقاهم التتر في الطريق فاربوهم وشتنوا شملهم وقتلوا الخليفة ولم يجلس على كرسي الخلافة الا خمسة اشهر وعشرين يوماً فبايعوا في القاهرة الخليفة الحاكم بامر الله . ثم الجيء بيبرس الى تجريدة أخرى انتقاماً من فتح الدين رئيس قلعة الكرك . وسبب ذلك ان بيبرس قبل توليب سلطنة مصر كان قد ترك امراته عند فتح الدين وقاية لها مماكان يقاسيه من الاسفار والعذاب وعهد اليه رعايتها فلم يحترم هذا حرمة الدين والشرف ففتك بها بغير وجه الحتى . فاتصل ذلك بيبرس وكان قد تولى امور مصر فتارفيه حب الانتقام . فجرد الى الكرك وحاصر قلعتها وكانت منيعة الجانب طالما امتنعت على كبار الفاتين ومنهم السلطان صلاح الدين . ثم تمكن بيبرس من القبض على فتح الدين احتيالا وسامه الى امرأته فقتلته على مثل ما قتلت عليه شجرة الدو . فامست الكرك بغير رئيس . فسلمت وصارت جزءًا من مملكة مصر

ولما عاد بيبرس الى القاهرة حشد جيشاً كبيراً لمناهضة الصليبيين وكانوا لا يزالون. حاكمين في اماكن كثيرة من فلسطين فدارت الحرب بينهما سجالا مدة سنتين (سنة ١٦٦ و ٦٦٤) وانتهت باستيلاء بيبرس على قيصرية . وهو محاصر عكا الجئ الى المسير لمحاربة النتر وكانوا قد استولوا على دمشق بمساعدة اهل ارمينيا وهددوا



ش٧٨: قلمة الكرك لمافتحها بيبرس

سائر سوريا . فاغفل حصار عكا وسار فلما وصل الى دمشق لم يجد عدوًّا لان هو لاكو كان قد مات و تشتت جيوشه فسار بيبرس الى ارمينيا وكان عليها ملك مسيحي يقال له هينون فاستولى على عاصمتها سيس وعلى سائر مدنها وتابع فتوحه الى الاناضول فهاجمه ربكا خان بن هو لاكو وولي عهده فاعاده على اعقابه فرجع الى سوريا وفتح صفد وذبح المها . ثم رجع الى عاصمته بعد ان فتح ايلة على البحر الاحمر

الآداب العمومية

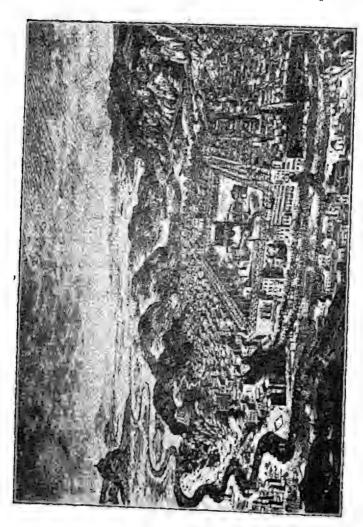
وقضي بيبرسسنة ٦٦٥ ه في القاهرة يستعد لحرب جديدة وينظم داخليته فابطل ضمان الحشيش وجهاته وامر باراقة الحنور وابطال المذكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الحانات والخواطئ بجميع اقطار مملكة مصر والشام ، فطهرت من ذلك البقاع وعادت البلاد الى الهدوء والرغد فقال احد الشعراء المعاصرين :

ليس لابليس عندنا ارب غير بلاد الامير مأواه حرفته الخروالحشيش معاً حرمت المؤه ومرعاه

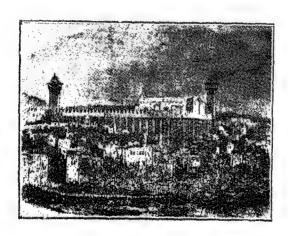
ثم رأى ان بعض الرعية لايز الون على ماكا واقد اعتادوة من الفواحش فامر بمنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء ونهب الخانات التي كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ماكان لهم ونفى بعضهم وحبس النساء حتى يتزوجن وكتب بجميع ذلك توقيعاً قرئ في المنابر وعلم بعد ذلك ان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز يشرب المسكر فشنقه تحت قلعة الجبل . ولا شك ان الملك الظاهر لم يشدد في

أبطال هذه المنكرات الالعلمه يقيناً أن استعالها بورث الفقر والذل وبخمد الهمة ويضعف عزة النفس ويغضب الله

وفي ٣٦٧ ه بنى الملك الظاهر دار العدل القديمة تحت القلعة وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وحميس . وكان ينظر في امر المنظلمين بنف فاذا كان لاحد مظلمة بأتي رأساً ويشكوها للسلطان وهو يأمر بصرفها



وفي سنة ٦٦٦ ه استأنف الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا والشقيف وطبرية وارسوف وانطاكية وبقراس والقرين وسافينا ومرقية وابباس وخم ذلك بفتح بغداد ثم احب بطريقه الى مصران يمربالحج الى مكة مع ابنه بركة خان فمر بحلب فطود التقرشها ثم زار قبرابراهيم الخليل في حبرون . وسار لزيارة بيت المقدس . ثم عاد الى مصروقه اتم سياحته الجهادية والدينية معاً



ش ۸۰ : مسجد الحليل في حبرون

واصبح امر الشام يهمه فاشتغل في تسهيل المواصلة بينها وبين مصر فرتب خيل البريد فكانت اخبار البلاد الشامية ترد عليه في الجمعة مرتين وقيل أنه أنفق على ذلك مالاً كثيراً حتى ثم له ترتيبه وكانت خيل البريد عبارة عن مراكز بين القاهرة ودمشق وفيها خيول جيدة وعندها رجال بعرفون بالسواقين ولايقدر احد يركب خيل البريد الا بمرسوم سلماني وكان عند كل مركز ما يحتاج اليه المسافرون من زاد وعلف وغير ذلك

وكانت طريق الحج من مصرالي مكة عن طريق صحراء عيداب يركبون النيل من ساحل الفسطاط الى قوص بمصر العليا ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيداب الى البحر الاحر حيث ينزلون الى جدة ساحل مكة وهكذا بعودهم الى مصر وكانت قوافل التجار من الهند والمين والحبشة تأتي مصر على هذه الطريق ايضاً وكانت صحراء عيذاب اذ ذاك آهلة بالسكان امينة المسلك . وبقيت طريق الحج على مثل ذلك الى السنة التي زار فيها السلطان الملك الظاهر مكة وكساها وعمل لها . فتاحاً فصارت طريق الحج براً من ذلك الحين . أما التجار فما زالوا يقدمون مصر عن طريق الصحراء الى سنة ٢٠٠ ه ومن ذلك الحين قلت اهمية مدينة قوص فصارت في حالة تشبه حالها في الوقت الحاضر بعد ان كانت مدينة زاهرة بالتجارة والعارة

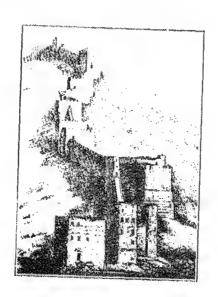
وفي سنة ٩٧٠ ه سار بيبرس لمحاربة من بقي من طائفة الباطنيين . وكان هو لاكو قد اهلك السواد الاعظم منهم في جهات العراق . فافتتح بيبرس قلعة الاكراد وقتل من فيها من الباطنيين فتفرقت جموعهم وهكذا كان انقراض دولتهم

وفي خلال ذلك عاد التترالى سورياً وحاصروا البيرة فتجند اليهم بيبرس وسارت معه فرقة تحت قيادة الامير قلاون الالفي فالتقى الجيشان عند البيرة واشتدت الحروب بين المسلمين والثتر وائتهت بانتصار المسلمين فاستولوا على البيرة . ثم ساروا الى ارمبنيا ففتحوها واغتموا منها غنائم كثيرة ثم عاد بيبرس الى مصر ففرشوا له القاهرة بالبسط والسبجاد الثمين احتفالا بموده ظافراً وحملت القبة والطير على راسه وقد قرض الباطينين وغلم التر

ثم ان ابغاخان بن هولاكو خان قدم سوريا وحاصر الببرة ثانية فلاقاه الاميرقلاون بفرقة من الجيوش المصرية وارجعه على اعقابه . فسر بيبرس من بسالته واتخذ ابنته زوجة لابنه ليكون ابنه في المستقبل آمناً في حمى حميه . فامنت سوريا بعد هذه الانتصارات ولم تعد تخشى اغتيالاً فانفذ بيبرس الامير اق سنقر الفرغني سنة ٢٧٤ هلافتتاح بلاد النوبة فافتتح اصوان بعد ان استولى على جميع مصر العليا موت الملك الظاهرومناقيه واعماله

وفي سنة ٩٥٥ هات الاخبار بان النتر زحفوا على البلاد نفرج اليهم السلطان وتوجه الى حلب وتقاتل مع النتر فكسرهم وقتل منهم خلائق لاتحصى. وكان ملك النتر ويغاخان فلما انكسر هرب فتبعه السلطان الى نحو الابلستين فكانت بينهما هناك وقعة عظيمة قنل فيها من الفريقين نحومائة الف انسان فانكسر ابغا وهرب فتبعه السلطان محو زبيد. ثم وجع السلطان من هناك الى قيسارية وحاصر اهلها فارسلوا يطلبون منه الامان فارسلوا أطلبون على يد الامير بيسري فسلموا المدينة فدخلها السلطان وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً . فزل بدار السلطنة وصلى بها ركفتين وحكم بين الناس واقام بها اياماً ثم وحل الى دمشق وحلب سنة ٢٥٥ هفتوعك واخذته الحمى فسقاه الحكماء مسهلاً فافرط في الاسهال وثقل عليه المرض فرحل من حلب وقصه الدخول الى دمشق فات في بعض ضياعها . فلما مات كتم موته عن العسكر وحمل في عفق الى ان دخل دمشق فدفن هنداك ليلاً . وكان موته في يوم الحميس نامن عشر المحرم سنة ٢٧٦ هومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكاً عظيماً جايلا مهيماً المحرم سنة ٢٧٦ هومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكاً عظيماً جايلا مهيماً كثير الغزوات خفيف الركاب يحب السفر والحركة في الشناء والصيف وكان مشهوداً بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم في القتال وله ثبات عند النقاء الحجوش وكان بلقب بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم في القتال وله ثبات عند النقاء الحجوش وكان بلقب بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم في القتال وله ثبات عند النقاء الحجوش وكان بلقب بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم في القتال وله ثبات عند النقاء الحجوش وكان بلقب

بابي الفتوحات لكثرة الفتوح في ايامة وكان له موكب بمصر وموكب بالشام وكان شعاره الاسد اشارة لشجاعته وقوة بأسه وكان كريماً سخياً على الرعبة باسط اليد يفرق الغنائم التي تحصل من الفتوح على الرعبة ترغيباً لهم في القتسال وقت الحرب وكان محباً لجمع الأموال كثير المسادرات لأجل الغزوات والتجاريد وينفق ذلك على العسكر. وكان حسن الوجه طويل القامة مستدير اللحية الغالب في لحيته البياض . وكان مبجلاً في موكبه كفؤاً للسلطنة منقاداً للشريعة يحب العلماء والصالحين ويحب فعل الخير وله بر ومعروف وآثار اهمها رده الخلافة لبني العباس بعد ان كادت تنقطع عنهم



ش ۸۱ : اسوار انطاكية

وخاف من الذكور ثلاثة وهم السعيد محمد بركة خان وقد ملك بعده وسلامش وهذا ملك بعده ايضاً والمسعود خضر . وترك من البنات سبعاً . ومما استولى عليه من ايدي الصليبين قيسارية وارصوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف والمطاكية وبقر اسوالقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية وحلب . وقد ناصفهم على المرقب وبأنياس وترسوس وادنة والمصيصة وغيرها من المدن في بر الاناشول . وصار الي يده عماكات في يد المسلمين دمشق و بعلبك وعجلون وبصرى وصر خد والسلط وحمص وتدم والرحبة وتل ناشر وصهيون و بلاطس وقلعة السكهف والقدموس والعليقة والخواني والرصافة ومصياف والقلعة والكرك والشوبك . وفتح بلاد النوبة و برقة

ومن اعماله المأثورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في اوقاف الخليل وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الاسكندرية ومنار رشيد ، وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلع الصبيبة وبعابك والساهل وصرخد وعجلون وبصرى وشيزر وحمص، وعمر المدرسة بين القصر بن بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وقد جعله الفر نساوبون عند مجيئهم الى مصر قلعة ، وهو البناء القديم في شارع الظاهر جعلته الحركومة مخازن الاقوات ويعرف بجامع الظاهر، وحفر خابج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وبني هناك قرية سهاها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناح وجدد الجامع الازهر بالقاهرة واعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بمصر وبني القصر الربح الكبير في القلعة

وكان محباً لركوب الخيل الجياد ورمي النبال فانشأ ميداناً دعاه ميدان القبق ويقال له ايضاً الميدان الاسود وميدان العبد والميدان الاخضر وميدان السباق وكان شاغلاً بقعة من الارض تمتد بين النقرة التي ينزل اليها من قلعة الجبل وبين قبة النصر التي هي

تحت الحبل الاحمر، وبنى فيه مصطبة سنة ٢٦٦ ه الاحتفال برمي النشاب والتمرين على الحركات العسكرية، وكان النشاب ونحوذلك، فكان بنزل كل يوم النشاب ونحوذلك، فكان بنزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب الناس على الرمي والنضال والرهان فا بقي امير ولا مجلوك الا وهذا شغله، وما برح من بعده اولاده ومن بعده عارسون في هذا الميدان جميع الالعاب الحربية

وكان يقوم بنفقات جميع هذه الاعمال وقاما يسلب الاهالي من المال فوق ما اعتادوا دفعه من



ش ۸۲: نقود اللك الظاهر يبرس

الضرائب لان الغنائم التي كان يكسبها من اعدائه كانت تساعده كثيراً في النفقات هذه هي اعمال الملك الظاهر بيبرس قد تركت له اثراً يبقي ذكره دهوراً طوالاً وترى في الشكل الحادي والتمانين صور نقود الملك الظاهر بيبرس وعليها صورة اسد

سلطنة بركة خان بن بيبرس

من سنة ٧٧٦ ــــ ٧٧٨ هـ او من ١٢٧٧ – ١٢٧٩م

فلما توفي بيبرس اقر الامراء على مبايعة ابنه البكر محسد ناصر الدين بوكة خان. ولكنهم كانوا قد اجمعوا بعد المشورة طويلاً على ان بكتموا وفاة بيبرس لئلا بطمع فيهم العدو فارسلوا جثته سرًا الى دمشق واشاعوا هناك آنه مريض فنقلوه الى القاهرة في محفة ثم استقدموا الجيوش جميعها الى مصر فقدمت وحالما ادخلوا الجثة الى القلعة بايعوا ابثه البكر بركة خان ولقبوء باللك السعبد . واقاموا الامير بابـــاي اتابكاً وكان بلباي في الاصــل مملوكاً ابتاعه بيبرس بثمن بخس الا أنه ارتقي في خدمته حتى صار امين خِرْائنه ونائبه كما تقدم. ثم استحق بعد طول الخدمة الصادقة الامينة ان يكون وصياً على ابنه في مهام السلطنة . وكان للملك الــعيد لقة كبرى في بلباي حتى انه التي اليه كل مهام الدولة فسعدت مصر في باديء الرأي لسكنها ما لبثت ان تعكر كأس صفائها بوفاة ذلك الوصي الامين الحكيم. ولم يكن الملك السميد يشق باحـــد من امرائه ليعهد اليه مهام الامة . وكان يظن أنهم هم الذين سعوافي قتل وصيه و لـكنه لم يتأكد ذلك فنفر منهم فوقع اختياره على اق سنقر فائح النوبة فولاه الاتابكية وبعد يسيرخنقه في احد ابراج الاسكندرية فتباعد الامراء عن هذا المنصب وارادوا بالسلطان سوءا لكنهم شغلوا عنه بثورة الدمشقيين . وذلك ان شرف الدين سنجرالملقب بالاشقركان والياً على دمشتي تحت رعاية بركة خان فادعى الملك لنفسه فبايعـــه أهلها ولقبوه بالملك الكامل فاسرع بركة خان الى دمشق ونزل بجيشه في القصر الابلق الذي كان قدبناه ابو. وبعد التحري عن اسباب تلك الثورة علم أنها دسيسة من أمرائه . فلما علم هؤلاء بظهور امرهم عادوا بمنكان على دعوتهم من المهاليك الى القاهرة وتحصنــوا فيها فتبعهم بركة خان فامتنموا عليه وعجز عن قهرهم لكثرتهم فالتجأ الى قلمة الجبل فحــاصروه فيها وشددوا عليه الحصار فسلم فانحط قدره عندهم وهموا بقتله فنعهم الخليفة الحماكم

بامر الله العباسي لكنهم اصروا على خلعه فخلعوه في ربيع اول سنة ٦٧٨ ه بعد ان حكم سنتين وثلاثة اشهر فبمثوه الى قلعة الكرك منفياً وحبسوه فيها ثم عادوا الى قتله فانفذوا اليه من يقتله ثم بلغهم أنه سقط عن جواده ومات

سلطنة سلامش بن بيبرس

می سنة ۲۷۸ ـــ ۲۷۸ ه لو من ۱۲۷۹ ـــ ۱۲۷۹ م

فبايعوا اخاه بدر الدين سلامش وسنه سبح سنوات وبضعة اشهر ولقبوه بالملك العادل واقاموا الامير سيف الدين قلاون الالفي وصياً عليه ولم يكن هم هذا الوصي الاخلع ذلك السلطان الرضيع، وفي رجب من تلك السنة تمكن من مراده فبعثه الى قلعة الكرك منفياً واستلم هو زمام الاحكام وطلب المبايعة فبايعه الناس ولقبوه بالملك المنصور وهو لقب ثاني سلاطين هذه الدولة

سلطنة الملك المنصور قلاون

من سنة ٧٧٨ — ٦٨٩ هـ اومن ١٢٧٩ --- ١٢٩٠ م

وهو من مماليك اق سنقر الكاملي رقدمه الى الملك الصالح فاعتقه سنة ٦٤٧ ه فلما تولى السلطنة قرب انساره وانعم عليهم واستوزر فخر الدين وكان كاتب سره الخصوصي وبعث الامين طرنطاي الى دمشق لاخماد ثورة اهلها . فسار في فرقة من الجند فلاقاه الملك الكامل ودافع دفاعاً حسناً ولكنه الجيء في سنة ٦٨٠ ه الى التسليم فقبضوا عليه وجاؤا به الى القاهرة واودعوه سبجناً مظلماً وولوا على دمشق وسائر الشام الامير حسام الدين لاجين

وفي سنة ١٨١ م عاد النتر الى الشام بجيشين الواحد تحت قيادة ابغا خان والآخر مؤلف من ثمانين الف فارس تحت قيادة اخيه منجو تيمور (منكوتمر) فحاربهم المصريون وفازوا بهم وقتلوا منجو تيمور وفر ابغا خان الى حمدان فسمه اخوه الثالث تيكودار اوغلان وتولى الحريم بعده ثم اعتنق الاسلام ولقب باحمد خان . وكان اسلامه وسيلة لحقن الدماء لانه خابر قلاون مخابرة ساسية وتعاهدا على حفظ الولاء . وما زال ذلك مرعيا الى مابعد قتل احمد خان وتولية ارغون مكانه . فكانت مصر في خلال ذلك

مطمئنة في خارجيتها فنشأت القلاقل في داخليتها بسبب تمرد بعض العامة . فغضب السلطان غضباً اعمى بصره وامر بماليكه ان يضعوا السيف فيهم ولم يعد يميز المجرم من البرئ فساق الجميع بعصا واحدة واعمل فيهم السيف ثلاثة ايام متوالية حتى غصت الاسواق بجثثهم رجالاً ونساء واولاداً . فجاء العلماء الى السلطان واخذوا يخففون من غيظه ويبينون له وجه عسفه . فانتبه لما جاءه من الاستبداد الفاحش فندم ندماً لامزيد عليه وتكفيراً لذلك امر ببناء البنايات والتكايا رحمة بالمساكين وذوي الاسقام . ومن اجل ذلك ايضاً بني المستشفى الشهير بالبهارستان المنصوري بخط بين القصريين (في شارع النحاسين) وكان في الاصل قاعة لست الملك بنت العزيز بالله ولها تاريخ ذكره المقريزي في صفحة ٢٠٠٤ ج ٢

ملابس الماليك

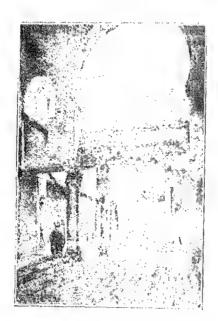
وكان المهاليك الى ذلك الحين يلبسون لباس الزينة بما يناسب جمالهم كانت كلوناتهم (للرأس) من الصوف الازرق الغميض وهي مضربة عريضة بغير شاش . وكانوا يربون ذوائب من الشعر خلفهم يجعلونها في اكياس حرير احمر او اصفر وكانوا يشدون في اوساطهم بنودا بعلبكية عوضاً عن الحوائص . وكانت خفافهم برغالي اسود . وكانوا يشدون فوق قاشهم ابزيم جلد وفيه حلى نحاس ، وفي ذلك الابزيم ملعقة من الخشب كبيرة وسكين كبيرة . وكانت لهم مناديل من الخام قدر فوطة كبيرة لمسح ايديهم ، فلما تولى الملك المنصور قلاون امر العسكران يغيروا هذه الملابس الشنيعة ويدخلوا في الهيئة المطبوعة ، وكانت خلع المقدمين من العنتابي فام لهم بالخلع المخمل الاحمر والاخضر بالفرو والسمور . ثم سار الى حصن مرقد فحاصره ٣٣ يوماً فسلم . وفي سنة ١٨٤ ها افتتح قلعة الكرك وقبض على سلامش لانه كان يجاول الاستقلال عن مصر فقاده الى القاهرة واودعه سجناً مظلماً مكث فيه الى ما بعد وفاة قلاون

موت قلاون وآثاره

ولما اطمأن باله في داخليته عكف على تنظيم الوزارة وما زال يعزل ويولي حتى اقرعلى وزارة شمس الدين سنة ١٨٥ه فبقي على دستها زمناً طويلاً. تم اوصى قلاون بولاية العهد لابنه علي ولقبه بالملك الصالح (الثالث) واخذ منذ ذاك الحين في تدريبه على الاحكام وادارتها على ان يستخلفه عليها اذا طرأ عليه ما يستدعي غيابه عن مصر في حرب او غيرها فلم يصح تقديره لان علياً أصيب بحمى شديدة ذهبت بحياته سنة في حرب او غيرها فلم يصح تقديره لان علياً أصيب بحمى شديدة ذهبت بحياته سنة محرب او غيرة قلاون حزناً شديداً وكثرت هواجسه حتى كره الاحكام . ثم راى ان

يجرد حملة لافنتاح طراباس الشام تساية له عن هواجسه . وكانت في حوزة الصايبيين منذ مائة وثم نين سنة لم ينازعهم احد عليها . فسار اليها قلاون وافتتحها وذبح من فيها واخربها ثم اعاد بناءها وجعل عليها حامية

ولما عاد الى القاهرة جاءه وفد من قبل الفونس ملك ارغون عقدوا معه معاهدة في ١٧٠ ربيع اول . غير ان ذلك لم يكن ليشغله عن احزانه وما زال كئيباً حتى قضى يوم السبت في ٦ ذي القعدة فاحتفل بجنازه احتفالاً حضره جمع غفسير من جهادية وملكية وشيعوه الى البيارستان حيث واروه التراب ولايزال مقامه هناك الى هذا العهد وكانت مدة حكمه ١١ سنة و٣ اشهر و ٢ ايام



ش ٨٣ : بنايا البهارستان المنصوري

ومن آثاره الباقية الى هذا اليوم جامعه الشهير ومقامه وكلاهما داخلان في بناء البيارستان الذي يشاهده المار في شارع النحاسين شهالاً بعد ان يتجاوز خان الخليلي ولا تزال هذه الابنية قويمة العهاد تتجلى فيها العظمة والقوة الا البيارستان فأنه اصبح اقرب الى الاثر من العين . وقدزرت مقام هذا السلطان فرأيت فيه كما رأيت في غيره من امثاله جماعات من النساء والاطفال هم في الغالب من ذوي الامراض قد جاؤا يطلبون الشفاء وهم يأتون غالباً في ايام السبت ولهم في ذلك اساليب مختلفة . فرايت بعضهم يضع الطفل

المريض تحت المحراب وبجلس مصلياً متضرعاً وآخر يأتي بقطعة من الليمون الحامض عرح بها جدار المحراب او ما يقاربه ثم يلحسه بلسائه طلباً للشفاء . ورأيت آخرين تفعلون غير ذلك

وكان المنصور قلاون حسن الشكل ربع القامة دري اللون . وكان قليل السكلام بالعربية . وكان شجاعاً بطلاً مقداماً في الحرب مغرماً بمشترى الماليك حتى قيل انه تكامل عنده اثنا عشر الف مملوك وقيل سبعة آلاف مملوك . ومما يدل على علو همته وحسن اعتقاده عمارة البيارستان المذكور

وقد كان قلاون سبباً لاخراج السلطنة من نسله كما كان الملك الصالح الايوبي باستكثاره من الماليك الشراكسة حتى جمع منهم نحواً من ١٧ الفاً جعل منهم بطانته

وكان يلقب بعضهم بالالني اي المبتاع بالف دينار وبعضهم بابي المعالي وغير ذلك

وترى في شكل ٨٤ صورة نقود الملك النصور قلاون مضروبة في حلب



ش ٨٤ : نقود الملك المنصور قلاون

سلطنة خليل بن قلاون ثم الملك القاهر بيدرا من سنة ١٢٩٠ – ٦٩٣ هاو من ١٢٩٠ – ١٢٩٣ م

وتولى بعده على سلطنة مصر ابنه البكر صلاح الدين خليل ولقب بالملك الاشرف فاستو زر علم الدين سنجر وجرد للجهاد على الصليبين فسار في سنة ١٩٠ ه حتى اتى عكا فحاصرها . وكانت الحصن الوحيد الذي بقي لهم فحصنوه تحصين اليأس لكنه لم يمتنع على جيوش المسلمين فهدموه و دخلوا المدينة وامعنوا فيها قتلاً ونهباً . وفي سنة ١٩٠ ه عاد الى القاهرة واخرج سلامش منفياً الى القسطنطينية لانه كان سبباً للقلاقل . ثم سار الى ارمينيا وفتح ارضروم فذاع صيته حتى ارهب اعداءه فعاد الى القاهرة ليستريح من الاسفار فهاجاته المنية على فراشه . وسبب موته ان احدى نسائه القاهرة ليستريح من الاسفار فهاجاته المنية على فراشه . وسبب موته ان احدى نسائه تواطأت مع مملوك له يدعى بيدرا فقتلاه بخنجر في جوفه في شهر محرم سنة ١٩٩٣ ه بعد ان حكم ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام . والى جهاركس الخليلي احد المنسوبين اليه بتسب الخان المشهور بخان الخليلي في السكة الجديدة بالقاهرة . وكان في مكانه قبل

بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها . واضاف الغوري الى بنائه في القسم العلوي كما يفهم ذلك مما هو مكتوب فوق مدخله . وفي الخان تباع الآن جميع انواع الاقمشة السورية والهندية وما شاكل من طنافس ومطرزات واوان نحاسية وغيرها ومن آثاره البنائية قاعة الاشرفية التي بقلعة الجبل والمدرسة التي بالقرب من منار السيدة نفسة

وبويع بعده بيدرا ولقب بالملك القاهر الا أنه لم يحكم الا يوماً واحداً ثم قتله المهاليك اخدداً بثار سلطانهم السابق . وبايعوا الملك الاشرف المدعو محمد بن قلاون وعمره ٩ سنوات ولقب بالملك الناصر

سلطنة الملك الناصر بن قلاون (اولاً) من سنة ٦٩٣ – ٦٩٤ هـ او من ١٢٩٣ – ١٢٩٤ م

وسلطنة هذا الملك أكثر اهمية من سلطنات سلفائه لكثر ما حصل فيها من التقلبات السياسية والثورات المتعددة . ونظراً لصغر سنه اقاموا له وصياً يدعى زين الدين كتبغا الملقب بالمنصوري لانه كان من مماليك الملك المنصور قلاون . فما استتبت له الوصاية حتى تاقت نفسه الى السلطة وكان معه وزير آخرهو علم الدين سنجر وكانت تحدثه نفسه بمثل ذلك ايضاً فاختلفا وتخاصما وانتهت المخاصمة بقتل سنجر . ولما خلا الجو لكتبغا ولم يعد من ينازعه عمد الى الملك الناصر فحلعه وتولى مكانه سلطاناً على مصر وثفاه الى الكرك ولم يحكم هذه المرة الاسنة واحدة

سلطنة الملك العادل كتبغا

من سنة ١٢٩٤ -- ١٩٩٦ هـ او من ١٢٩٤ -- ١٢٩٦ م

وفي شهر محرم سنة ١٩٤ ه بويع كتبغا واقب بالملك العادل وهو اللقب الذي لقب به قبله سلامش بن بيبرس الاول واستوزر فخر الدين وزير قلاون . ولما كان ها الاختلاس داعياً لتراكم المصائب على مصر وتداخل الاجانب فيها فداهمها الطاعون ثم القحط فاهلك جزءًا كبيراً من اهلها ثم جاءت الحرب ثمة لهذه الضربات وذلك ان قبيلة المغول التي كانت تحت قيادة بيدو بن طرغاي بن هو لا كو

اصبحت بعد و فاته تحت قيادة الملك غازان محمود بن خربنده بن ايغاني فتيخو فت منه طائفة من رجاله عرفوا باسم الاويراتية وفروا من بلاده الى نواحي بغداد . فنرلوا هناك مع كبيرهم طرفاي وجرت لهم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هناك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنونه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فأذن لهم وعبروا الفرات الى مدينة بهنا فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغي من العلوفة والضيافة فاتصل ذلك بالملك العادل زين الدين كتبغا فاستشار الامراء في ما يفعل بهم فاتفق الرأي على استقدام اكبرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام في بثلاثمائة من اكابرهم الى القاهرة وفرق الباقون بالبقاع العزيزية وببلاد الساحل . ولما قرب الجماعة الى القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقائهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلاً الفضاء للفرجة عليهم . فكان لدخو لهم يوم عظيم فساروا الى قلعة الجبل فانع السلطان على مقدمهم طرغاي بامرة طبلخانة واجرى عليهم الرتب وانزلهم بالحسينية . وكانوا علىغيرالدين الاسلامي فشق ذلك على الناس وبلوا عليهم مرفاته منهم بانواع البلاء لسوء اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك مع مصروالقاهرة غلايه عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس . وقال في ذلك شمس الدين مجم بن دينار

ربنا أكشف عنا العذاب فانا قد تلفنا في الدولة المغلبة جاءنا المغل والغلا فانصلقنا وانطبخنا في الدولة المغلبة

وفي اول رمضان سنة ٦٩٥ هـ لم يصم احد من الاويراتية فأعلن السلط ن بذلك فابي ان يكرههم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان يشوش عليهم احد . وكان مراده ان يجعلهم عونا له فبالغ في اكرامهم فشق ذلك على امراء الدولة وخشوا ايقاعه بهم لان الاويراتية كانوا من مواطني كتبغا وكانوا مع ذلك جبيلي الصورة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا فيهم وبالغوا في تقربهم حتى بعثوا الى البلاد الشامية استجلبوا طائفة كبيرة منهم فتكاثر نسلهم في القاهرة . واشتد التحاسد والتشاجر بسببهم بين أهل الدولة حتى آل الامر بسببهم وباسباب أخرى الى خلع السلمان الملك العادل كتبغا وذلك في صفر سنة ٢٩٦ ه



سلطنة الملك المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ — ٦٩٨ هـ او من ١٢٩٦ — ١٣٩٩ م

وبويع حسام الدين لاجين المنصوري ولقب بالملك المنصور كاكان أقب سيده قلاون فاذن لكتبغا ان يخرج الى صرخد في سوريا وقبض على طرغاى مقدم الاويراتية وعلى جهاعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها . ثم قتامم وفرق جميع الاويراتية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار اهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن. وما برحوا أيضاً بوصفون بالزعارة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان م وكانوا يعانون لباس الفتوة وحل السلاح وبؤش عنهم حكايات كثيرة . وكانت الحسينية قد فاقت عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة

اقطاعات القاهرة

وكانت ارض مصر ٢٤ قيراطاً مختص السلطان منها باربعة والاجناد بعشرة وكان الامراء بأخذون كثيراً من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء . وكان يصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء ومحتمي بهما قطاع الطريق وشور بها الفتن وتنع منها الحقوق الديوانية وتصير طعمة لاعوان الامراء ومستخدميهم ومضرة على الهلاد التي تجاورها . فعند ما تولى الملك المنصور لاجين راك البلاد ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها باسرها من دواوين الامراء وجعل للامراء والاجناد احد عشر قيراطاً وافرد تسعة قراريط ليخدم بها العسكر او يقطعهم إياها . ثم رتب اوراقاً بتكفية الامراء والاجناد بعشرة قراريط واقتصد قيراطاً لزيادة ما عداه يطلب وحقدوا عليه وما انفكوا حتى قتلوه في ١١ ربيع آخر سنة ١٩٨٨ ه فبقي كرسي وحقدوا عليه وما انفكوا حتى قتلوه في ١١ ربيع آخر سنة ١٩٨٨ ه فبقي كرسي السلطنة خانياً ٤١ يوماً تمكن في خلالها الامير سيف الدبن طقجي من دعوة الناس الى حزبه فالتف عليه جاعة كبيرة فبايعوه ولقبوه بالملك القاهر كما لقب بيدرا قبله وكان حظه من الملك كحظ سمية فلم يحكم الا يوماً واحداً ثم ذبحه الماليك

سلطنة الملك الناصر بن قلاون (ثانية)

من سنة ۲۹۸ ــــ ۲۰۸ هـ او من ۲۹۹ ــــ ۱۳۰۸ م

ففكر الماليك في انتخاب سلطان يحكم فبهم فاقروا على استقدام الملك الناصر بن قلاون من منفاه وقد بلغ الخامسة عشرة من العمر لببايعوه . فبعثوا اليسه وفداً يبلغه ذلك القرار فقدموا اليه في الكرك . وكانت والدته عنده فلم تسمح بسفره معهم لشلاً يكون تحت اقوالهم مقاصد خطرة . فالحوا عليها وأكدوا لها صدقهم ثم جثوا امام الملك الناصر وبايعوه فتأكدت اخلاصهم فاذنت بمسيره معهم فساروا حتى اتوا القاهرة فحاول بعض دعاة لاجين الايقاع بحياة الملك الناصر لكنهم هددوا فبايعوه

وكان غازان خان ملك التترقد عاد ثانية الى افتتاح سوريا فجرد اليه الملك الناصر سنة ٧٠٠ ه جيشاً جراراً واسرع حتى التقى به في حمص فنقهقر الناصر ثم جمع رجاله وامدهم بالعدة والرجال واستأنف الحرب. وكان النتر قد حسبوا ان الفوز تقرر لهم فوضعوا ايديهم على سوريا وضربوا عليها الضرائب واخذوا في ادارة احكامها. وبينها هم في ذلك وصل الملك الناصر بجيشه الى مرج الصفر بقرب دمشق فخرج اليهم التتر وانتشب القتال بين الفريقين فغلب المصربون في باديء الامرم ارتدوا على صفوف التتر كالسيل الهاطل بعزم اشد من الجبال فقرقوا جموعهم وانخنوا فيهم ممر با بالسيف حتى تطهرت الشام منهم فعاد الملك الناصر الى القاهرة ظافراً ودخلها من باب النصر باحتفال عظيم

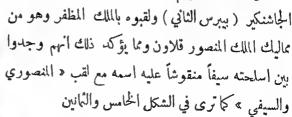
ولما لم يبق ما يشغله في سوريا عكف على اخضاع قبائل العربان الذين شقوا عصا الطاعة في مصر العليا فجرد اليهم فدانوا له واغتنم منهم خمسة آلاف فرس وماية الف وأس غنم وثلاثين الف من المواشي الكبيرة كالبقر والجاموس وعدداً وافراً من الاسلمة . فلما كانت سنة ٢٠٧ ه داهمت الشرق زلزلة قوية اخربت قسماً عظياً من سوريا ومصر واخرجت المياه من الآبار الى سطح الارض وطافت الابحر على اليابسة فاغرقت خلقاً كثيراً . والظاهر ان همذا الحادث الطبيعي اثر في اخلاق المصريين فانقسموا احزاباً يضاد بعضها بعضاً ثم عادوا فاتحدوا على خلع الناصر فراى انه لايقوى على دفعهم وخاف على حياته فترك القاهرة مظهراً للحج وسار مع بطانسه الى الكرك وكان اله فيها ثروة تبلغ ٢٧ الف دينار ومليون وسبعاية الف درهم فاستولى عليها

وحصن المدينة ثم بعث بالختم السلطاني الى الماليك مصرحاً بتنازله ومفوضاً لهم تولية من ارادوا

سلطنللة بيبرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨___٧٠٨ هـ أو من١٣٠٨ ــــ ١٣٠٩ م

فوصل كتابه اليهم في ٢٥ رمضان سنة ٧٠٨ ه فبايعوا الامير ركن الدين بيبرس





وفي اواخر هذه السنة قدم الصليبيون بموافقة صاحب قبرس لغزو دمياط بحراً فاتفق الامراء في القاهرة على انشاء

جسر يمتد من القاهرة الى دمياط خوفاً من قدومالصليبين شه ١٠: اسم بيبرس على سينة محراً في ايام الفيضان فيتعذر الوصول الى دمياط فكتبوا بذلك الى العمال ان يخرجوا بالرجال والابقار لاتمام ذلك فاجتمع ستماية راس بقر و ٣٠ الف رجل وباشروا العمل واتموه في شهرواحد . فكان طوله من دمياط الى قليوب وعرضه اربع قصبات من اعلاه وست قصبات من اسفله تمشي عليه ستة رؤوس من الخيل صفاً واحداً . ومن آثاره في القاهرة جامعه المعروف بجامع جاشنكير في الجمالية مبني على مثال جامع السلطان حسن ولا يزال مسجداً الى هذه الغاية

ثم ندم الملك الناصر لاستقالته وتخليه عن مقاليد الاعمال لاحد مماليكه فجعل يترقب فرصة التسلق العرش ثالثة . وفي شهر شعبان من سنة ٢٠٩ ه برح الكرك مستخلفاً عليها ارغون احد بماليكه المقربين وجاء دمشق فبايعه امراؤها فجند الى مصر ومعه رجال عديدون. وكان الامير برلك احد زعماء الماليك قد نبذ طاعة بيبرسومعه كثيرون من نخبة رجاله فتشجع الناصر وقدم القاهرة . اما بيبرس فخاف ولم يرسبيلاً لنجاته الا بالتناؤل فاحتقال واخذ معه مبلغاً مقداره ٣٠٠ الف دينار وكشيرًا من

الجمال والخيــل وخرج الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فلاقاء خارج القاهرة سرب من الاسافل اوسعوه شما ورجماً فرشقهم بما كان معه من النقود وسار حتى جاء اخميم فنزل فيها

سلطنة الملك الناصر بن قلاون (ثالثةً)

من سنة ٧٠٩ ـــ ٧٤١ هـ أو من ١٣٠٩ ـــ ١٩٤١م

وفي غد خروج بيبرس من القاهرة دخلها الملك الناصر باحتفال عظيم وهي المرة المثالثة لتوليه . وكان ذلك في يوم عيد رمضان فزاد العيد بهجة وبويع بالسلطة ولبس خلعة السلطنة وهي جبة سوداء وعمامة سوداء بعذبة زركش وسيف بداوي . فجلس على سبرير الملك وجميع الامراء من كبيروصغير قبلوا الارض بين يديه وهو حالس في الايوان الاشرفي . ثم خلع على سائر الامراء والنواب الذين حضروا معه خلع الاستمرار. وخلع على الخليفة المستكفي بالله سليمان والقضاة الاربع وارباب الدولة من اصحاب الوظائف ثم تتبع الهاربين وقبض عليهم وجردهم مما اخذوه : وفي جملة الذين قتلهم الاميرسلار النائب وضبط امواله سنة ٧١٠ه فكان في جملتها صناديق افرنجية مصفحة بنحاس فيها فصوص ياقوت احمر بهرمان رطلان وفصوص بلخش رطلان ونصف وفصوص زمرد بابي عشرون رطلاً وفصوص الماس وعين الهر ثلثماية قطعة ولؤلؤ كبير مدور كل حبة وزن مثقال مائة وخسون حبة . ووجد عمده صناديق فيها ذهب عين مائتا العب دينار. ومن الفضة اربعهائة الف درهم وواحد وسبعون الف درهم. وفي يوم الاثنين سابع عشره وجد له من الذهب العين خسة وخسون الف دينار ومن الفضة مليون درهم ومن الفصوص المختلفة رطلان . ووجد له مصاغ من ذهب ما بين خلاخـــل واساور وزن اربعة قناطير مصرية . ووجد عنده طاسات فضة واطباق واهوان ذهب وطشوت فضة ســـتة قناطير . وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر وجد له من الذهب العين خمسة واربعون الف دينار ومن الفضة ثلثمائة الف وثلائون الف درهم ووجه عنده طلعات فضة للصناجق وقطريات فضة ثلاثة قناطير — وغير ذلك شيء كثير ذكره ابن اباس في تاريخه مفصلاً مما يدهش لكثرته

وكان سن الملك الناصر لما تولى السرة الثالثة ٢٠ سنة صرف ٢ منهافي مقاساة الأهوال

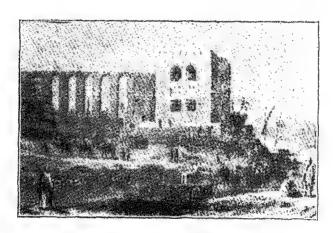
حتى عرف كيف توكل الكتف وكيف يجب ان توسخ قدمه في الملك فكان ذلك بمثابة الامثولة له فمكن على دست السلطنة هذه المرة حتى توفي اي مِدَّة ٣٣ سنة

وكان النصارى الى ايام هذا الملك يقيمون احتفالاً سنوياً في ٨ بشنس في ناحية شبرا من ضواحي القاهرة بسمونه احتفال عبدالشهيد زعماً منهم ان النيل لا يني الا اذا القوا فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع ابائهم المائين. فكانوا بجمعون من سائر القرى افواجاً على اختلاف الدرجات والنزعات ويكثرون بسبب ذلك من الغناء وشرب المسكر. فكانوا ينفقون مبالغ فاحشة في هذا السبيل. وكان فلاحو شبرا بركنون في وفاء الخراج على ما يبيعونه من الحر في ذلك العيد. فامم الملك الناصر بابطال هذه العادة. وابطل كثيراً من الغرائب الظالمة كزكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله ابداً ولو عدم منه وأذا مات يؤخذ من ورثته. وأبطل ما كان يجبي من اهل القاهرة وضواحيها اذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه فانهم كانوا يأخذون من الناس كل واحد على قدر طاقته . وكان يجبح من ذلك مال كثير . وابطل ما كان يجبى من اهل الذه قوهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وكانت العادة اذا كان وفاء النيل ان يجبوا من النجار والباعة ديناراً من كل واحد قياماً باحتفال كانوا يقيمونه عند المقياس يكثرون فيه من الشوى والحلوى والفاكهة فابطل الجباية وام يقيمونه عند المقياس يكثرون فيه من الشوى والحلوى والفاكهة فابطل الجباية وام يصرف ذلك من بيت المال

اعماله

أما عماله فاكثرها بنا وترميم فقد بنى في سنة ٧١٧ ه جسراً بين بولاق وميت شيرج لحجز مياه النيل عند الفيضان وكانت الارض واطية ولم يكن فيها شيء من البناء فاذا ارتفع النيل جرى على مسافة قصيرة من المقس (بمن الازبكية) فلما بنى الجسر كف الماء الا يسيراً فتكو ن هناك جزيرة دعوها جزيرة بولاق فاقيمت فيها المساكن ثم اتصلت بالبر الحقيقي فاصبحت جزءًا منه فاتخذوها مراسى للسفن الواردة الى مصرولا تزال كذلك الى اليوم وهذا ما يعبر عنه الآن بثمن بولاق

ومن آثاره البنائية جامعه المسمى الجامع الجديد عند موردة الخلفاء . ويقال انه نقل حجارته من صنم عند قصر الشمع اسمه السرية عمل منه قواعد للاعمدة الكبار وعمر القصر الابلق بالقلعة . وجر الماء الى قلعة القاهرة سنة ٧١٨ ه في مجراة على قناطر مبنية بالحجر وركز للمياه آباراً وجعل عليها سواقي نقالة من عدة اماكن وهي الباقية الى الآن تعرف بالسبع سواقي عند فم الخليج وتمتد منها نحو القلعة قناطر



ش ٨٦ : مجراة الماء والسبع سقايات

"فصل بين القاهر ومصر القديمة . وعمر الحوش الكبير في القلعة زرع في بستاناً نقل اليه الاشجار من الشام وغيرها ، وبنى قناطر عديدة في اماكن مختلفة والبركة الناصرية . وكان في القلعة ايوان يسمى الايوان الاشرفي فهدمه وبناه وعقد فوقه قبة عظيمة وكان يعمل فيه المواكب العظيمة والقصر الكبير عنه البركة الناصرية . وعمل باب الكعبة من الخشب السنط الاحمر المصفح بالفضة

وكانت مدة حكم الناصر هذه المرة كلها سكينة وسلاماً خارجاً وداخلاً ولم يخرج من مصر كل هذه المدة الا مرتين لزيارة الحرمين ولم يتخابر مع دولة اخرى الا التتر وذلك بشأن تزوجه بابنة ازبك خان سنة ٢٧٠ ه فكان معتكفاً بكليته الى ثرقية شأن البلاد فاقام فيها ولا سيا في القاهرة مشروعات كلية الاهمية منها نزح الخليج المدعو باسمه (الخليج الناصري) سنة ٢٧٧ ه وقد انشأ سنة ٢٧٨ ه سبعة جسور وفي السنة التالية انشأ مرصداً في الميدان وشاد قصراً على انقاض قصر الاشرف فانتهى منه في سنة ٢٧٤ ه واقام جسور شبين سنة ٢٥٥ ه وابنى عدا عن الجامع الناصري المتقدم ذكره جامعاً آخر بجانب جامع ابيه في شارع النحاسين يشاهد فيه عند الدخول اليه اعمدة ملتفة يقال ان الملك الاشرف بن قلاون جاء بها من عكا تذكاراً للظفر و وهناك كتابة يقول فيها ان الملك الاشرف بن قلاون جاء بها من عكا تذكاراً للظفر وهناك كتابة يقول فيها ان الذي بني ذلك المشهد هو السلطان محمد بن الملك المنصور قلاون الصالحي سنة ٢٩٨ ه وان الملك العادل كتبغا هو الذي وضع اساسه ايام السلطنة ، وشاد الناصر داراً كبيرة دعاها دار العدل وانشأ عهو نا كثيرة ومدارس عالمة متعددة

ومن اعماله الحميدة انه ابطل جميع الضرائب الظالمة التيكانت تؤخذ على ما يباع ويشترى من حيوانات وثبات وعقار فاحبته الرعية واجمعوا على طاعت . فاستتبت الراحة وعمر الصعيد على وجه خاص . ولم يشب الراحة الاتنازع الوزراء على منصب الوزارة فالغاه حسماً للمشاكل

وفي سنة ٧٤٠ ه توفي ابنه انوك فحزن عليه حزناً شديداً اورثه مرضاً رافقه حتى الموت فتوفي الناصر في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١ هو عمره ٧٥ سنة ومدة حكمه على الناصر عن ثمانية اولاد ذكور تناوبوا الملك بعده الواحد بعد الآخر الا ان تنصيبهم وخاعهم كانا منوطين باحزاب متضادة لا يستقرون على حال . فكانت مدات حكمهم قصيرة جداً

وتزايدت فحامة ملك ابن قلاون في آخر حكمه وكثرت مماليكه حتى صار راتبه وراتب مماليكه كل يوم من الدحم الضائي ستة وثلاثين الف رطل . وبالغ في مشترى المهاليك حتى قيل بلغت مماليكه اثني عشرة الف مملوك . وهو اول من اتخذ الشاش والقهاش للعسكر والاقبية المفتوحة واتخذ الطرز الذهب والحوائص الذهب والسيوف المسقطة بالذهب والاقبية القاقم . ورتب المواكب في القصر ترتيباً حسناً . ورتب شرب السكر بعد السماط في القصر والامراء مجمعون ورتب وقوف الامراء في المواكب على قدر منازهم وكذلك ارباب الوطائف من المتعممين . وقد طالت المام في السلطنة بخلاف من تقدمه من الملوك وصفا له الوقت وصار اكثر الامراء والدواب مماليكه أومماليك والده قلاون ولا يعلم لاحد من الملوك آثار مثله ومثل مماليكه وتي قيل قد تزايدت في ايامه الديار المصرية والبلاد الشامية في العائر مقدار النصف

من جوامع وقناطر وجسور وغير ذلك مر. العائر والانشاء

وترى في الشكل ٨٧ صورة نقود الملك الناصر بن قلاون النحاسية

ش ١٨٧: نقود الملك الناصر بن قلاون



سلطنة اولاد الناصر وهم ابو بكر وكجك واحمد واسماعيل

وشعبان وحاجي وحسن وصلاح الدين

من سنة ٧١١ - ٧٢٧ م أومن ١٣٤١ - ١٣٢١م

فاول من تولى بعد الملك الناصر ابنه البكرسيف الدين ايو بكر ولقب بالملك المنصور (الرابع) وبعد اربعين يوماً عزل ونفي الى قوص في مصرالعليا وتوفي سنة ٧٤٢ه وفي يوم خلعه سطا المهاليك على نساء ابيه واهانوهن ونهبوا متاعهن . فبويع اخوم علاء الدين كجك وله من العمر ست سنوات فقط ولقب بالمسلك الاشرف

وبعد خمسة اشهر اي في رمضان من تلك السنة خلع الاشرف وسنجن في قلعة القاهرة فنوفي هناك . فبويع اخوه شهاب الدين احمد وكان متغيبًا في الـكرك فاستقدم وبويع ولقب بالملك الناصر (الثاني) وفي ١٢ محرم سنة ٧٤٣ ه اعيد الى الـكرك منفاه الاول . فبويع اخوه عماد الدين اسماعيل ولقب بالملك الصالح وهذا بتي على كرسى السلطنة اكثر قليلاً من اخوته السابقين اي ثلاث سنوات وشهرين وبضعة ايام . واهم ما حصل في الممه أنه أعاد منصب الوزارة إلى حكمه سنة ٧٤٤ هـ وكان قد الغاء أبوء كما رابت. وأنه قتل أخاه شهاب الدين أحمد سنة ٧٤٦ ه وكان منفياً في السكرك ثم أنهت سلطنه بموته في ٤ ربيع آخر سنة ٧٤٦ ه . فبويع اخوه الخمامس زين الدين شعبان ولقب بالملك الكامل ولكنه لم يكن اسماً على مسمى فابغضته الرعية وهجاء الشعراء. ومكث حاكماً سنة وبضعة اشهر وفي جمادي الاولى سنة ٧٤٧ هـ عزل . فبويع اخوه السادس زين الدين حاجي والقِب بالملك المظفر (الثالث) وكان اكثر استبداداً من سلفه فلم تطل مدة حكمه اكثر من سنة وثلاثة اشهر فذبح في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ فبويع اخوه السابع ناصر الدين حسن ولقب باللك الناصر (الثالث) وقد كان من سيره في الملك ما كان لأبيه فحكم ثلاث سنوات وعشرة اشهر بمساعدة ثائبه الامير الطمش وخلع في غرة رجب سنة ٧٥٧ ﻫ وسجن في قلعة القاهرة . فبويع اخو. الثامن صالح صلاح الدين ولقب بالملك الصالح وكان على وزارته الامسير شيخو العمري والى هذا الامير ينسب الجامع المعروف بجامع شيخون او شيخو في الصليبة غربي الرميلة ويقابله خانقاه . وبقى الصالح على دست السلطنة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر و ١٤ يوماً وفي سنة ٧٥٤ هـ دهم القطر طاعوت وانتشرحتي عمَّ البلاد واختطف الامام

الحاسم بامر الله (الثاني) وصي الخلافة فبويع عمه المعتضدبالله

وفي اوائل سنة ٧٥٥ هـ رفع المسلمون آلى الملك الصالح تقارير مفصلة بما للنصارى من الاملاك الموقوفة للأديرة فأحيات هذه النقاريرالي ديوان الاحباس فوجد ان للنصاري اوقافاً تبلغ ٢٥ الف فدان من الطينكلها موقوفة للكنائس والاديرة . فعرضت على الامير شيخو والامير صرغمش والامير طاز وكانوا قائمين بتدبير الدولة فقرروا ان ينهم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعاتهم وهدموا للنصاري عدة كنائس. وفي اواخر رجب من هذه السنة خرج الحاجب والامير علاء الدين على بن الكوراني وكان واليًّا على القاهر، الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصرفهدم كنيسة للنصاري واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضره إلى الملك الصالح فاحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا ياخذه النصاري فبطل عيدالشهيد من يومئذ . وكان من المترشحين للوزارة وزيران قبطيان مرتدان هماموفق الدين وعلم الدبن فتنازعا عليها والضم الىكل منهما احزاب فانتهي الخصام بخلع اللك الصالح في ٢٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ وكان منشأ هذا النزاع دسيسة من اخيه الملك الناصر حسن باتفاق مع الامير تاج الدين وكان الناصر مسجوناً ففاز بمراده وخلع اخاه فأخرج من السجن وتوبع وبقي الملك الناصر حسن على دست السلطنة هذه المرة ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام يمساعدة الامير تاج الدين فولاه الوزارة مكافأة لمسعاه . وفي ٩جمادى الاولى سنة ٧٦٢ هـ قتل بمكيدة من كبار امرائه

ومن آناره الباقية الى هذا العهد جامعه في الرميلة مقابل قلعة الجبل في القاهرة وهو المعروف بجامع السلطان حسن او بجامع الحسنية وهو من اجمل جوامع القاهرة واتقنها اقتضى لبنائه ٣ سنوات انفق عليه في خلالها مايساوي سماية جنيه كل يوم وقد جاء بالحجارة المكبيرة من انقاض الاهرام ونقش عليه المكتابات المكوفية والعربية فزادته رونقاً وجالاً وقد اصبح الآن وعلى وجهه ملامح الشيخوخة لكنها لم تزده الا

عظمة ووقارآ

وترى في الشكل الثامن والثمانين صورة النقود الذهبية للملك الناصر ناصر الدين حسن

ش ٨٨: نقو دالملك ناصر الدين حسن



سلطنة محمد بن حاجي

من ۲۲۷ - ۲۲۷ م او من ۱۳۲۰ - ۱۳۲۱م

ولما قتل السلطان حسن بويع ابن اخيه محمد بن الملك المظفر حاجي وسنه ١٤سنة ولقب بالملك المنصور (الخامس) وفي منتصف شعبان سنة ٢٦٤ هـ اضطر الى التنازل عن الملك لابن عمه شعبان بن حسن وسنه عشر سنوات فبويع ولقب بالملك الاشرف (الثالث)



ش ٨٥: نقو دالملك المنصورض ست في القاهرة سنة ٣٦٤

سلطنة شعبان بن حسن

من سنة ٧٦٤ – ٧٧٨ م او من ١٣٦٢ – ١٣٧١ م

وحكم الاشرف شعبان ١٤ سنة وشهرين وبضعة ايام معظمها سكينة وسلام وفي السنة الثالثة من حكمه اصيبت مصر وسوريا بقحط ضبق على الناس حتى اكلوا الكلاب والقطط واكل بعضهم اولاده من شدة الجوع. واستمر الامركذلك في بعض الاماكن ٣ سنوات والكانت السنة الحادية عشرة من حكمه اصاب البلاد حروب اهلية اشد وطأة من الجوع. وسببها ان بلبغا العمري احد امراء الماليككان نائباً للملك، ففي سنة ٢٧٧ ه سطت عليه عصبة من بماليكه في قصره فقتلوه وساروا يريدون مثل ذلك من السلطان نفسه فردهم بعد حرب هائلة قتل فيها زعيمهم فتشتتوا فولى على النيابة الجاي اليوسني وكان طهاعاً فتقرب من السلطان حتى تزوج بوالدته فنال منها ثروة عظمة فقويت شوكته وكثر اشياعه فطه بالسلطة فقتل زوجته المذكورة وتواطأ مع قاتلي بلبغا على قتل السلطان فها جوه فدفعهم ورئيسهم وقنل منهم جماً كيراً وشعهم مع قاتلي بلبغا على قتل السلطان فها جوه فدفعهم ورئيسهم وقنل منهم جماً كيراً وشعهم رجاله حتى اغرقوهم في النيل و ولم يكد يطمئن من هذا القبيل حتى اجتمع عليه اضداد

يريدون قتله فتربصوا يننظرون فرصة حتى اذاكان عائداً من زبارة الحرمين كمنوا له في مضيق العقبة فقتلوا من معه من الحاشية ولم يقفوا للسلطان على اثر فظنوه قنل فعادوا الى القاهرة وعهدوا الى الخليفة المتوكل بالله العباسي وكان قد تولى الخلافة بعد المعتضد بالله سنة ٣٦٧ هان يبايع من يشاء فكتب اليهم « اختاروا من بينكم من تشاؤون وانا اصادق على بيعته » ثم علم الامراءان الاشرف لا يزال حياً مختبئاً في القاهرة فقبضوا عليه و خنقوه في ١٥ ذي الحجة سنة ٧٧٨ هـ



وترى في الشكل النسعين نقود الملك الاشرف شعبان

ش. ٩٠ : نقودالملك الاشرف شعبان

سلطنة علي بن شعبان

من سنة ۷۷۸ — ۷۸۸ ه او من ۱۳۷٦ — ۱۳۸۱ م

وبايعوا ابنه علاء الدين علي وسنه سبع سنوات فسر بذلك المنصب لصغر سنه ونم يعلم انه مدفن ابيه ولا يلبث حتى بلحق به . فلقبوه بالملك المنصور (السادس، واقاموا له الامير لاين بك وصياً . ثم ابدل لاين بالامير قرطاي ثم ابدل هذا بالامير برقوق . وهو الذي اتى على ختام هذه الدولة وتأسيس دولة جديدة وكانت هذه مقاصده منذ ولي الوصاية لكنه بقي محافظاً على ولاء مولاه الى ان توفاه الله في شهر ربيع اول سنة ولي الوصاية لكنه بقي محافظاً على ولاء مولاه الى ان توفاه الله في شهر ربيع اول سنة هي هوكانت مدة حكمه اربع سنوات واربعة اشهر

سلطنة حاجى بن شعبان

من سند ۷۸۳ - ۷۸۶ ه او من ۱۳۸۱ -- ۱۳۸۲م

فبويع اخوه زين الدين حاجي وسنه ست سنوات ولقب بالملك الصالح ولم تمض على مبايعته سنة ولصف حتى مل برقوق من اخفاء مقاصده فخلعه ونفاه في ١٩ رمضان ستة ٧٨٤ ه واستام مقاليد الملك . وكان الملك المنصور هذا آخر من حكم من دولة المهاليك الاولى المسهاه بالبحرية او التركمانية فانقرضت دولتهم بعد ان حكمت نحواً من ماية وست وثلاثين سنة اولها امرأة وآخرها صبي وقامت دولة المهاليك الثانية او الشراكسة.

دولة الماليك الثانية

من سنة ٧٨٤ ــ ٩٢٣ ه اد من ١٣٨٢ ــ ١٠١٧ م منشأ الماليك الشراكسة

دعيت هذه الدولة بدولة المهاليك الشراكسة نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الشركسي ويدعى ايضا كركس أو جركس اوكرغز، وهم لم ينشأوا في اسيا العليا الما جاؤا اليها من سيبيريا ونواحي بحيرة بيقال منذ القرن السادس للميسلاد . ثم هاجروا الى غربي بحر قزوين يحملون من بلادهم للاتجار بهم في جهات العالم فاقتنى منهم سلطان المهاليك البحرية الاخير عدداً وافراً فضلاً عن المهاليك البحرية اقتداء باسلافه . وكانوا يستخد، ونهم في مصالح الدولة فارتقوا فيها تبعاً لما خصتهم به الطبيعة من الجمال والذكاء حتى صارت اليهم حماية الحصون والقلاع فجعلوا سكناهم في الابراج فلقبوا بالبرجية . وما زالوا يزدادون عدداً وقوة ومنعة حتى تاقت نفوسهم الى تسلق كرسي الملك يجعلونه ارثاً لنسلهم . وقد رأينا انهم تمكنوا مما ارادوا فخلعوا حاجي ابن شعبان وبايعوا برقوق

أما برقوق فهو ابن مرتد شركسي اسمه انس من قبيلة كسا استملك في شركاسيا وقيد الى القرم فاشتراه رجل مسلم يقال له عثمان وجاء به الى مصر سنة ٧٦٧ ه وباعه للامير يلبغا فجعله في عداد بماليكه الا ان نباهة برقوق وجاله ومهابته استلفتت انتباه سيده فبالغ في ترقيته حقاد خله في بطانته ولقبه بالشيخ اشارة الى براعته بالفقه وسائر العلوم الاسلامية وجعله في مصاف الامراء وكان يلقب بالعثماني واليلبغاوي . ومازال في خدمت الى ان قضى الله على يلبغا بما قضى وتشتت مماليكه فبقي برقوق وامير آخر يقال له بركة لانهما كانا في السجن ثم اطلقا فدخلا في خدمة منجك صاحب دمثق . ثم عادا الى مصر بطاب الملك الاشرف شعبان فتمكن برقوق بوسائط مختلفة من الحصول على رتبة باش امير ياخور وقيادة الله رجل فاصبح من الذين يطمعون من الحصول على رتبة باش امير ياخور وقيادة الله رجل فاصبح من الذين يطمعون في نيابة الملك فتولاها ولقب باتابك الجيوش . وتولى رفيقه بركة رئاسة الاعمال (المديريات) وما زالت الحال كذاك حتى خلع الملك الصالح حاجي ، فتمكن برقوق بمساعدة احزابه ان يتسلق كرسي الملك في ١٩ رمضان سنة ٤٨٤ هم رايت

سلطنة الملك الظاهر برقوق

من سنة ١٣٨٤_١٠٨ ه او من ١٣٨٢_ ١٣٩٨ م

فاقر الخليفة المتوكل على الله على تولية برقوق وبايعه جميع القضاة والمشايخ والعلماء والامراء ولقبوه بالملك الظاهر وهو لقب اعظم من حكم مصر من دولة المهاليك الاولى نعني به ركن الدين بيبرس البنه قداري . واول شي خالف فيه اسلافه انه ابطل حمل القبة والطير على رأس السلطان عند توليه وابطل ما كان يعمل في يوم النيروز اول السنة القبطية . ويما كان يعمل في ذلك اليوم بالديار المصرية انه كان يجمع السواد الاعظم من الناس الاسافل فيقفون على ابواب الاكابر من اعيان الدولة فيكتب امير النيروز وصولا بالجمل الثقال وكل من امتنع عن الاعطاء من الاكابر سبوه سبأ النيروز وصولا بالجمل الثقال وكل من امتنع عن الاعطاء من الاكابر سبوه سبأ ما يقرره عليه امير النيروز . فيأخذوا منه ما يقرثون عليه من الدراهم بحسب ما يقرره عليه امير النيروز . فيأخذون منه ذلك غصباً ويمضون . وكان ذلك السواد الاعظم العياق يقفون في الطرق ويتراشون بالماء المتنبس ويتراجمون بالبيض الني في وجوههم ويتصافعون بالانطاع والاخفاف ويقطعون الطريق حتى يمنع الناس من الخروج الى الاسواق وتغلق في ذلك اليوم ايضاً اسواق القاهرة ودكاكينها وكل من ظفروا به في الطرق سبوه في في الملوق سبوه أليوم ايضاً اسواق القاهرة ودكاكينها وكل من ظفروا به في الطرق سبوه أ

وكان تيمورلنك القائد التري الشهير اذ ذاك قد ملاً الارض بافتتاحاته حتى سمع دوشها في سوريا اذجاء يهدد حدودها فنهض اليه برقوق في جيش عظيم فاوقفه عند حده لكنه لم يكد يتخلص منه حتى ظهر له عدور في بيئه نعني به الحليفة المتوكل على الله فانه دعا الى خلع برقوق فالتف حوله دعاة عديدون فاجتمع برقوق بالمشايخ والائمة والعلماء واجمع معهم على خلع الحليفة فخلعه وحبسه في القلعة سنة ٢٨٧ ه ونصب عمراً اخا ابراهيم ولقبه بالواثق بالله . ثم توفي الواثق في ١٩ شوال سنة ٨٧٨ ه فنصب ابا اخا ابراهيم ولقبه بالواثق المستنصر بالله . وهذا لم يلبث طويلاً لانه اساء السلطان برقوق فخلعه في جمادى الاولى سنة ١٩٧ ه واعاد المتوكل على الله لكنه ندم بعد ذلك برقوق فخلعه في خلعه فحاول تنزيله ثانية فلم يستطع لان المتوكل كان قد تواطأ مع احد الامراء المسمى منطاش على خلعه ووافقها سائر الامراء ورجال الدولة فخلعوه مع احد الامراء المسمى منطاش على خلعه ووافقها سائر الامراء ورجال الدولة فخلعوه بعد ان حكم ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيّا الى قلعة الكرك بعد ان حكم ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيّا الى قلعة الكرك بعد ان حكم ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيّا الى قلعة الكرك بعد ان حكم ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيّا الى قلعة الكرك منفى السلاطين في تلك الايام واستقد: وا السلطان حاجي آخر سلاطين دولة الماليك



ش ٩١ : تيمورلنك القائد النتري

البحرية وهوالذي خامه برقوق. فبايعوه في ٦ جمادى الأخرى سنة ٧٩١ه. وكان يلقب بالملك الصالح فابدله بالملك المنصور لكنه لم يهنأ بهذه النولية الثانية لان المنوكل ومنطاش بعد ان سعيا في توليته ندما فانزلاه واعادا برقوق في ٤ صفر سنة ٧٩٢ ه فتعلم برقوق هذه المرة كيف يستبقي الملك في يده فبادر حالاً الى المنصور حاجي واماته وقتل كل من كان على دعوته منعاً لدسائسهم. ثم عمد الى الخارجية فوطد الامن في انحائها ولم يكن يثق بمقاصد اعوان الخلفاء فدخل في احزابهم يتحد تارة مع هؤلاء وطوراً مع هؤلاء ليدوم الشقاق بينهم فلا يتفقوا على خلعه

وفي سنة ٤٩٤ ه اهداه قرا يوسف امير فارس مدينة تبريز فبعث اليه برقوق خلمة وفو فن اليه ان يفتت ما استطاع من المدن على ان يكون والياً عليها . لكنه ما لبث ان جاء القاهرة في السنة التالية مع احد محالفيه احمه بن اويس فارين من وجه تيمورلنك وكانا قدالتجاً الى منويل المبراطورالقسطنطينية فلم يؤمنهما لانه كان في ريب من امره مع دولة اخرى قارب صبحها الانفجار ـ وهي الدولة العثمانية نسبة الى عثمان الغازي اول سلاطينها . وجرى ذلك في عهد بيازيد بن مراد رابع سلاطين هده الاسرة الظافرة . وكان قد غزا معظم ايالات المملكة الرومانية الشرقية (مملكة الروم)

واعظمها حتى هدد القسطنطينية فجاءه النتر من ورائه بقيادة تيمورلنك فاوقفوه عن مقصده واصبحت قارة اسيا بين مناظرين عظميين يتنازعامها وكل منهما ذو بأس شديد وهما تيمورلنك التتري وبيازيد التركي فتلاطمت الزوبعتان فارتعدت لهما افريقيا واضطربت مصر من دويهما

وطمحت الظارهذين الفاتحين الى مصر فبعث كل منهما وفداً الى القاهرة فطلب وفد بيازيد الى برقوق ان يعاهده على السلم والى الخليفة المقيم في القاهرة ان يقربيازيد رسمينا على سلطنة الاناطول فاجابهم الى ما طلبوه . اما وفد تيمورلنك فاتخذوا خطة اخرى لانهم استعملوا الخشونة والفظاظة في اقوالهم ومطالبهم فطلبوا اليه ان يسلم لم قرا يوسف واحمد بن اويس اللذين قد التجأا اليه . فطيب برقوق خاطرهم واخذهم بالملاينة فازدادوا فجوراً فأمر بقتاهم . فشق ذلك على تيمورلنك فساق جيشه وقدم للانتقام فمر بالرها فافتتحها وقتل من فيها ثم جاء حلب فانكى فيها . ثم توقف عن مسيره لغرض في نفسه ليسهل عليه افتتاح مصر . فلم يغفل برقوق عن ذلك فاكثر من الجند والسلاح وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكديم هذه التأهبات حتى من الجند والسلاح وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكديم هذه التأهبات حتى ادركته الوفاة بداء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ١٠٨ ه وعمره ستون سنة فاسف عليه الناس اسفاً شديداً لماكان من عدله ويقظته ورفقه برعيته

اعراله

ومن ادلة ذلك انه خفف ضرائب الحبوب وابطل الضرائب التي كانت تؤخذ على الاثمار والفواكه الواردة عن طريق بولاق . وكانكثيرالتصدق على الفقراء محبّسا للعلم والعلماء فبنى مدرسة دعاها المدرسة الظاهرية نسبة اليه . وابتنى جامعاً لا يزال معروفاً باسم جامع السلطان برقوق بجانب جامع الملك الناصر في شارع النحاسين . وكانله ولع خاص في اقتناء الاسلحة والخيول الجياد والاستكثار من المهاليك الشراكسة فنظم منهم فرقة يركن اليها عند الحاجة . وقد رتب مراتب الدولة في ايامه على هذه الصورة :

- ١ اتابك العساكن
- ٧ رأس نوبة الامراء
 - ٣ امير السلاح
 - ع امير المجلس
 - ه امير الياخور ٠
 - ۲ دوادار

٧ رأس النوبة الثاني

٨ حاجب الحجاب

٩ النائب

وكانت مقاليد الحل والعقد بيــد هؤلاء التسعة فاذا اجمعوا على أمر انفــــذوه ولا مرد لقضائهم

وبما انشأه في ايامه من العائر جسر الشريعة بالغورية وجدد بناء خزائن السلاح بثغر الاسكندرية وجدد عمارة زريبة البرزخ بثغر دمياط بعد ان ظهر منها عظام الشهداء وبني سوراً على مدينة دمنهور وعمر قناة العروب بالقدس وجدد عمارة المجراة التي تجر الماء من بحر النيل الى قلعة الجبل

- COCKERD

سلطنة فرج بن برقوق (اولاً)

من سنة ۸۰۱ ــــ ۸۰۸ هاو من ۱۳۹۸ـــ ۱٤۰۰ م

فلما توفي السلطان برقوق بايعوا بكر ابنائه فرج زين الدين الملقب بابي السعادات وسنه ست وعشرون سنة ولقبوه باللك الناصر . وفي اول حكمه ثار الاتابك ايمش وتم الفرساني حاكم سوريا فتو اطأ هذا الاخيرمع يلبغا السالمي حاكم حلب فاستولى على مضايق فلسطين على نية الاستيلاء على سائر مدنها . الا ان حدسه لم يتحقق فأخذت منه المضايق وضويق عليه حتى قيد اسيراً وقتل هو وكل دعاته . ولم تكه تنجو مصر من هذه النازلة حتى داهمتها نازلة اشه وطأة واصعب مراساً . فان تيمورلنك بعد ان الم حروبه في الهند وبغداد وسيواس وملاطية سنة ١٠٨ ه امعن في سوريا فاستولى على حلب وحمص بعد حروب شديدة . وفر فرج الى مصر فجمع اليه رجاله وتأهب للدفاع فبلغه ان عدوه شغل عنه بمحاربة بيازيد في الاناطول فسكن روعه ثم جاءته الانباء بفوز تيمور وانكسار بيازيد واسره سنة ٤٠٨ ه في وقعة انقرة نفارت قواه ويئس من الفرج ، فبعث اليه تيمورلنك فيلاً هندياً وطلب اليه ان بيايعه وببعث اليه باحمد وقرا يوسف حالاً ، فلم يسع فرج الا الاذعان لقضاء الله ، فاجابه الى طلبه صاغراً واحداه زرافة حبشية وبايعه واعترف بسيادة النتر على مصر وانه قائم باحكامها بالنيابة عنهم ، اما احد وقرا يوسف فقال انهما احتميا به وحقوق الضيافة تمنعه من تشليمها

فيكون هوالجاني عليهما لكنه وعد ان يسجنهما عنده فاستقرت سيادة تمورعلى مصر وفي سنة ٨٠٦ه شرقت مصر بقصورالنيل فدهى اهل الصعيد من ذلك بما لايوصف حتى انه مات في مدينة قوص وحدها ١٧ الف انسان ومات في مدينة اسيوط ١١ الفا ونحو ذلك في مدن اخرى . وفي ١٧ شعبان من السنة التالية ادرك تمور القضاء المبرم في اوترار وتخاصم ابناؤه على الملك فتخلصت مصر من سلطة التتر وذهب الحذر عن احمد وقرا يوسف فافرج عنهما فسارا الى بلادهما

ثم اخذ فرج بالتأهب لاسترجاع سوريا بنفسه فلم يكد يتم الاستمداد حتى ضويق عليه في قصره . لان المصريين لما راوا اذعائه لنيمور وتسليمه بسيادته حسبوا ذلك خيانة وضعفاً وايقنوا انه لا يصلح لادارة الاعمال فاقروا على خلعه وتولية اخيه عز الدين عبد العزيز وكان اعظم في عيونهم منه ، فاجتمعوا تحت لوائه وساروا لمحاصرة اخيه في قصره في ١٦ ربيع اول سنة ٨٠٨ ه وما زالوا يهددونه حتى تنازل حفظاً لحياته وقد حكم ست سنوات وخسة اشهر و ١١ بوماً

وكانت ايامه كثيرة الفتن والشرورفقد طرق الشام فيها تمورلنك كما رابت فاخربها واحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسرحتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتفرق اهلها في جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم بترك بها خضراء فاشتد بها الغلاء على من تراجع النها من اهلها وشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الارض الا قليلا وعظم الغلاء والفناء فباع اهل الصعبد اولادهم من الجوع وصادوا ارقاء مملوكين وشمل الخراب الشنيع عامة ارض مصر وبلاد الشام من مصب النيل عند الجنادل الى حيث مجرى الفرات

-

سلطنة عبد العزيز بن برقوق

من سنة ۸۰۸ ماو من د۱٤٠٠ – ۱٤٠٥م

ثم خرج من قصره واختفى في مكان غير معلوم فظن الناس انه قتل من الضوضاء والازدحام فبايعوا اخاه ولقبوه بالملك المنصور ، ولم يمض شهران على توليئه حتى تحققوا خيبة ظنهم به فملوا من طاعته ومالوا بكليتهم الى سافه فاتصل ذلك بفرج فحرج من خبائه فتقدم اليه الناس ورجال الدولة ان يعود الى منصبه فعاد في جادي الاخرة ونفى

اخاء عز الدين الى الاسكندرية فعاش فيها اشهراً قليلة وتوفي في ٧ ربيع آخر سنة ٨٠٩ه

سلطنة فرج بن برقوق (ثانية)

من سنة ٨٠٩ — ٨١٥ هـ أو من ١٤٠٥ — ١٤١٢ م

فلما عاد فرج الى منصبه وجه انتباهه خصوصاً الى استرجاع ثقة الاهلين فيه فغزا دمشق وافتتحها ثم فتح غيرها من مدن سوريا واهتم براحة آلرعية فخيم الامن وسكنت القلوب. فاذا كانت سنة ٨١٣ ه ظهرت في القاهرة ثورة دينية ذهبت بحياته . وذلك ان احد امراء المهاليك المدعو ابا نصر الماقب بالشيخ المحمودي الظاهري نسبة الى سيده الامير محمود احد امراء اللك الظاهر برقوق . وكان الملك الظاهر قد اعتقه ووعده بالمناصب الحربية فطمحت ابصاره الى السلطنة فاستخدم لهذه الغاية الخليفة المستعين بالله وكان قد و لي الخلافة بعد الخليفة المتوكل على الله منذ خمس سنوات . وكان الخانفاء العباسيون منذ استئصال شوكتهم من بغداد وانتقالهم الى القاهرة لا يخرجون في اعتبار الاهالي عن حد السلطة الدينية وكانوا يلقبونهم بالايمة . فاسر الشيخ المحمودي إلى الستعين أنه يقدران يعيد السلطة السياسية كماكانت لاسلافه وقال له دان الناس ميالون الى ذلك بكليتهم وهم مستعدون لمبايعتكم وتنفيذ اوامركم » . فتنبه في قلب الخليفة حب السيادة فوافق الشيخ المحموي . وكان فرج اذ ذاك في دمشق فاتفقا على استقدامه فانفذا اليه اولا ان يتنازل عن الملك فاجاب آن لا جواب عنده غير السيف واخذ في اعداد مهمات الحرب ومثل ذلك فعل الخليفة والشيخ المحمودي وتقدم الجيشان لكنهما لم يتلاحها حتى اصدر امراً بتوقيعه فجاء بما لا يجيء به السيف ونصه من الامام ابي الفضل المستعين بالله امير المؤمنين الى اهل مصر . اعلموا اثنا قد خلعنا فرج بن برقوق عن سلطنة مصر والشام لان سيدهما الحقيقي انمــا هو الخليفة خليفة الرسول (صلعم) فويل لمن خالفه ،

فلما دار ذلك بين الجيوش أعرضوا عن فرج ولم يبق له نصير فحاول الفرار فلم ينج فقبض عليه وقيد الى الخليفة فانتحل له ذنباً يستوجب عليه المحاكمة — وهوانه كان قد اضطر لكثرة ما انفقه في محاربة التتر ان يضرب ضرائب فوق العادة فرفعت عليه عرائض الشكي الى مجلس الايمة والفقهاء أنه اختلس الاموال وخرب البلاد وأنه تمرد على الخليفة ظل الله على الارض فأتخذ الخليفة ذلك ذريعة للحكم على فرج بالاعدام فقتلوم في ٢٥ محرم سنة ٨١٥ ه خارج اسوار دمشق وتركوا جئته ملقاة على دمنة هناك

سلطنة الامام المستعين بالله

من سنة ١٤١٠ــــ ١٤١٠ تم أو من ١٤١٢ ــــ ١٤١٢ م

فاجتمعت السلطتان الروحية والسياسية للمستعين بالله فبايعه الامراء وقواد الجند ولقبوه بالملك العادل فاستلم مقاليد الاحكام وجعل الشيخ المحمودي اتابك العساكر ومد برالمملكة واخد في اصلاح الاحوال ووجه انتباهه الى ما يكتسب قلوب الرعية فاعاد الامن الى البلاد بمقاصة المعتدين واظهر لياقته لما عهد اليه فشرع في تنظيم الاحكام والصاف المظلومين وبذل العطاء فاحبه الناس . اما الشيخ المحمودي فانه قام بهذه الثورة خدمة لاغراضه وليس للخليفة فراى انه اصبح آلة بيده فاضمر له شرًّا ونوى على خلعه لكنة استخدم الحزم والثاني واغتنام الفرص خوفاً من الوقوع في شراعماله فعمل على توطيد العلاقات الودية بينه وبين امراء الماليك والتقرب منهم واقناعهم عن كونه غريباً عنهم . فاستمال قلوبهم واشتد ازره بهم فاخذ يشكو من منصبه فولاه عن كونه غريباً عنهم . فاستمال قلوبهم واشتد ازره بهم فاخذ يشكو من منصبه فولاه الخليفة نيابة الملك في ٨ ربيع اول من تلك السنة فصار اقدر على تنفيذ مآربه وما زال ساعياً الى مطمح انظاره حتى كثرت احزابه واصبحت ازمة البلاد في يده فاجبر والمها الخليفة على مشاركته في السلطة فاجاب ولقبه بالملك المؤيد ثم خطا خطوة اخرى غلم الخليفة وحبسه في يعض غرف القصر

سلطنة الشيخ المحمودي

من سنة ١٤١٥ – ١٤٢١ هـ او من ١٤١٧ – ١٤٢١م

فلم يستطن المستعين بالله مقاومة لكنه كتب سرًا الى نوروز احد اصدقائه القدماء وكان قد ولاه سوريا يستنجده فقدم نوروز مسرعاً الى القاهرة في جيش فرأى اله يقصر عن مناواة المحمودي فاوعزالى الخليفة ان يستخدم الوسائط الدينية كما فعل المرة المناخية . وكان الشيخ المحمودي في دمشق فاصدر منشوراً بخلعه فاغتنم المشائخ والامراء فرصة غيابه وجاهروا بخلعه . وبلغ ذلك الشيخ المحمودي فاسرع الى القاهرة نخافه المشائخ والعلماء وانكروا خلعه وقالوا ان الخليفة اولى بذلك الخلع والحوا على معاقبته لأنه تمرد على سلطانهم فخلعوه من السلطنة والخلافة وسيجنوه ثم نفوه الى الاسكندرية سنة ٨١٨ هواقاموا الحاه داود خليفة مكانه ولقبوه بالامام المعتضد بالله . فعاد الشيخ المحمودي الى كرسي السلطنة واخذ يسمى في اكتساب ثقة الاهلين فاتبع خطة الخليفة المستعين فانصف ورفق فأمنت الرعية وسعدت البلاد . وما زالت الحال كذلك ثماني سنوات وخمسة اشهر وفي ٩ محرم سنة ٤٢٤ ه توفي السلطان الشيخ المحمودي ، وكان محبالا للعلماء يكرم مثواهم . وله بنايات جيلة من جملتها الجامع المسمى جامع المؤيد بالقرب من باب زوبلة وقد جدد بناؤه وهو كثير النقوش ولم يبق من البغاء القديم الاليوان من باب زوبلة وقد حدد بناؤه وهو كثير النقوش ولم يبق من البغاء القديم الاليوان القبلة . وبعد وفاته عادت الامور الى مجراها الاول من القلاقل فنولى السلطنة بعده ثلاثة سلاطين لم يحكموا الامدة قصيرة

and the state of t

سلطنة احمد بن المحموديثم سيف الدين ططرهم محمد بن ططر

من سنة ١٤٢٢ – ٨٢٥ هاو من ١٤٢١ – ١٤٢٢م

اولهم ولده شهاب الدين احمد الملقب بالملك المظفر وفي شوال من تلك السنة تخلى عن الملك لوصيه وحميه سيف الدين ططر الملقب بالملك الظاهر وهذا توفي في ذي الحبجة من السنة المذكورة فبويع ابنه ناصر الدين محمد ولقب بالملك الصالح وبعد اربعة اشهر خلعه وصيه سيف الدين برس باي فقضى باقي حياته في الشقاء

سلطنة الملك الاشرف برس باي

دن سنة ه ٨٠٠ ــــ ١٤٣١ هداو من ١٤٣٢ ـــ ١٤٣٧ م

و بعد خلعه اختلف، الامراء في من يخلفه فتنحى برس باي حتى اهلك الاحزاب بعضها بعضاً فالثقم السلطنة غنيمة باردة . فبويع في ٨ ربيع آخر سنة ٨٢٥ ه ولقب بالملك الاشرف وقد كان برس باي بملوكاً احبه سيده الملك الظاهر ططر فاعتقه ورقاه حتى جعله وصياً على ابنه ، وفي اول حكمه فاض النيل حتى غمر الارض بالخيرات فكثرت الحبوب وشبع الفقراء ، وكان برس باي كالشبخ المحمودي حكمة ورفقاً وقد رم عدة ، بدن وشاد في القاهرة عدة بنايت منها الجامع المعروف بجامع الاشرفية تجاه سوق العطار بن ابتدأ في بنائه سنة ٢٦٨ه ، وقد تمكن برس باي لحسن سياسته وحزمه من استبقاه السلطة بيده مدة طويلة والبلاد في سكينة الا في سنة ٧٢٧ ه اذ نار الامير بنيق النجاشي نائبه في دمشق . غير ان تلك الثورة ما لبثت ان ظهرت حتى اضمحات بعيق النجاشي وكانت هذه الثورة اول القلاقل و آخرها في ايامه

أما محسارياته مع الدول الاخرى فجديرة بالاعتبار لانه جرد على الافرنج عدة تجريدات وتغلب عليهم فاخضع جزيرة قبرس وحمل الملك جان لوسينيان الثالث على الاعتراف بسلطانه واداء الجزية . وعقد مع ملوك الصليبيين وسلطان آل عثمان أذ ذاك مراد بن محمد معاهدات سلمية تدل على عظيم شوكته . فكانت مصر في ايامه سعيدة داخلاً وخارجاً وقال بمض المؤرخين ارت الملك الاشرف برس باي اجدر الملوك الشراكسة بالمدح لانه كان اعلاهم همة واشدهم عزيمة واكثرهم تدرُّباً في الاحكام . وبما يمتدح عليه أنه أبدل جميع الندللات التي كانت تقدم الملوك قبله بتقبيل اليه فقط. لكنه اسيب في اواخر ايامه بمرض في عقله كما اسيب الحاكم بامر الله فاصدر اوامر غريبة منها أنه أمر بنفي الـكلاب الى برالجيزة . فصاركل من المسك كلباً يأخذ نصف فضة من صيرفي باب السلسلة فامسك العياق من الكلاب نحو الف كاب فنفوها الى بر الجيزة . ثم أنه أمر بأن لا تخرج أمرأة من بينها الا بأذن من الحكومة فكانت الغاسلة اذا ارادت التوجه الى ميتة تأخذ ورقة من الحتسب تجعلها في راسها وتمشى في السوق . ثم انه نادى في القاهرة بان لا يلبس الفلاحون زمطاً مطلقاً فامتثل الناس امره . ثم انه رسم بتوسيط الحكاء فوسط الرئيس خضر . ووسط الرئيس شمس الدين بن العقيف واستمر على امثال ذلك الى أن مات بعد أن حكم ١٧ سنة و ٨ أشهر و٦ ايام . قضي يوم السبت ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ ه وعمره ستون سنة

سلطنة يوسف بن برس باي

من سنة ٨٤١ ــــ ٨٤٢ ماو من ١٤٣٧ ـــ ١٤٣٨م

فبوبع ابنه جمال الدين يوسف الملقب بابي المحاسن ولقب بالملك العزيز وبعد ثلاثة شهر من مبايعته تخاصم مماليكه وسيف الدين جقمق اتابك جيشه خصاماً انتهى بعزله رمبايعة جقمق في ١٩ ربيع اول سنة ٨٤٢ هـ

سلطنة الملك الظاهر جقمق

من سنه ۸٤٧ --- ۸۵۷ ه او من ۱٤٣٨--۱٤٥٣ م

وكان سن جقمق اذ ذاك ٢٩ سنة ولقب بالملك الظاهر وبعد سنتين من حكمه اصبيت مصر بطاعون تفشى في انحائها . وفي سنة ٢٤٦ ه توفي الامام المعتضد بالله وكان بارّا تقيا واوصى بالخلافة بعده لاخيه بالرحم فبايعوه ولقبوه بالمستكفي بالله وكان صديقاً للسلطان جقمق وبعد ثماني سنوات من خلافته توفي سنة ٤٥٨ ه وكان كاخيه تقى وبراً حتى تخاصم الاعيان والكبراء في المسابقة الى حمل نعشه وقت الجنازة حتى السلطان جقمق فانه حمل به على منكبيه ، فبويع اخوه ولقب بالقائم بامر الله . وكان السلطان جقمق فانه حمل به على منكبيه ، فبويع اخوه ولقب بالقائم بامر الله . وكان سير هذا الخليفة مغايراً لسير اسلافه فابغضه السلطان وخاف دسائسه وكان قد تجاوز النهايين من سنه ولم تبق فيه عزيمة على مقاومة الدسائس فتنازل عن السلطة لابنه في الدين عثمان وتوفي في ٢٩ صفر سنة ٧٥ه ه وهي السنة التي فتح فيها السلطان محمد الثاني القسطنطنة

سلطنة عثمان بن جقمق

من سنة ٧٥٧ – ٧٥٧ هـ أو من ١٤٥٣ – ١٥٧ م

وبويع فخزالدين عثمان ولقب بالملك المنصور اما الخليفة فلم يتفك عن دسائسه طمعاً

بالسلطة فدعا اليه زمرة من الامراء وحملهم على نبذ طاعة الخليفة على امل أن ينال بذلك ما ناله المستمين بالله فانتشبت الثورة وخلع الملك المنصور عثاث في غرة شهر ربيع آخر من تلك السنة بعد أن حكم شهراً ويوماً . أما الخليفة نخاب انتظاره وحبطت مساعيه فغادرته الاحزاب وبايعوا محلوكاً مسناً اسمه أبو النصر أينال ولقبوه بالملك الاشرف

سلطنة الملك الاشرف اينال

من سنة ١٤٧٠ - ٨٦٥ ماو من ١٤٥٣ - ١٤٦٠ م

فقال الخليفة في نفسه ان هذا السلطان شيخ فلننتظر وفاته أنه لا يلبث أن يسيب حتفه . فانتظر ست سنوات فلم يمت فعمه إلى الدسيسة فانصل ذلك بالوزير بلجيوني فاعلم السلطان بامره فاستحضر الخليفة وقرَّعه ثم أم بخلعه عن الخلافة . فقال الخليفة د من ابن لك أن تخلع الخلفاء ولهم وحدهم أن يولوا ويعزلوا > فلم يجبه الا بالنني الى الاسكندرية فبتي فيها مدة ثم مات . فبايعوا يوسف اخا المعتضد بالله ولقبوه بالمستنجد بالله وكان حكياً معتدلاً وعاش السلطان اينال بعد ذلك سنتين ولى وعزل في اثنائها كثيراً من الوزراء ثم توفي يوم الخيس ١٥ جمادي الاولى سنة ٨٦٥ ه بعد ان حكم ٨ سنوات وشهرين وستة عشر يوماً

سلطنة احمد بن اينال

من سنة ه٨٦٠ ــــ ه٨٦٠ هـ او من ١٤٦٠ ــــ ١٢٤١م

فتولى بعده ابنه شهاب الدين احمد الملقب بابي الفتح وكان قد تعاطى الاحكام في

اخر ايام ابيه ، وترى في شكل ٩٢ صورة نقود مضروبة في عهد شهاب الدين احمد بوم كان يتعاطى الاحكام في حياة ابيه فلما بوبع اقب بالملك المؤيد ولكنه لم يحكم الا ادبعة اشهر فعزل في ١٨ رمضان من تلك السنة وبوبع سيف الدين خوش قدم ولقب بالملك الظاهر

ش ۹۲: نقود ابي الفتح والاشرف

سلطنة الظاهر خوش قدم

من سنة م ٨٨ - ٧٧٨ م أو من ٢٤١١ -- ١٤٦٧ م

ويعرف خوش قدم هذا بالرومي لانه يوناني الاصل وبالناصري لانه كان من عاليك الملك الناصر وكان حجباً للاداب اليو نائية محافظاً عليها . وكان حكياً بارًا حلياً عبراً لرعيته ساهراً على راحتهم ولم يكن يستوزر الا الذين اختبر نزاهتهم ونشاطهم فاحبته الرعية واجمعوا على طاعته والاخلاص له . ويقال بالجلة ان هذا السلطان من افضل سلاطين مصر وقد اقتدى به رجال دولته ، اما الخليفة فلم يكن يتجاوز سلطته الدينية في محموش قدم ست سنوات ونصف كلها سلام ونعيم وتوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٢٧٧ ه وسنه ستون سنة فاسف عليه الناس كثيراً

وكان حسن الشكل معتدل القامة مترك الوجه احمر اللون مستدير اللحية ضخم الجسم شائب اللحية فصيح اللسان بالعربية وكان ماشياً على النظام القديم تابعاً لطريقة الملوك السالفين في اقامة المواكب في القصر الكبير والمبيت به في كل ليلة . وكان سائراً على خطة استاذه الملك المؤيد شيخ في كسر السد بنفسه ولبس الصوف في المطعم وكان كثير الرمايات في كل سنة ويشق في القاهرة المواكب الجليلة ، وكان يطيف الحمل في كل سنة في رجب وتسوق الرماحة على جاري العادة اربعيين يوماً ثم يلبسون الاحر وتزين القاهرة ثلاثة ايام ويخرج الناس في ذلك عن الحد بالقصف والخلاعة وكانت ايامه كلها لموا ولم يجيء في ايامه الطاعون بمصر ولا جرد تجريدة الى البلاد الشامية ، وكان منافقاً في ملبسه فصنع ركباً ومهاميز من ذهب ، وكان بلبس السمور الاسود بلون الحبر وكان يلبس القباء الصوف الفاخر ويبطئه بالمخمل الاحر الكفوي

سلطنة الملك الظاهر بلباي ثم الظاهر تمريغا

من ۸۷۲ - ۸۷۲ ه او من ۱٤٦٧ - ۱٤٦٧ م

فبايعوا ابا سعيد بلباي ولقبوه بالملك الظاهر فكان سمياً لسابقه بالاسم لا بالفعل فياء من السيئات اكثر بما جاء من الحسنات لانه كان مستبداً عانياً لا يغادر كبيراً ولا

صغيراً فكرهته الناس ولم يمض ٦٦ يوماً من توليته حتى خلعوه وذلك في ١٧ جادى الاولى من تلك السنة وبايعوا الامير ابا سعيد تمر بغا الملقب بالظاهري ولقبوه بالملك الظاهر ايضاً فكانحظه من الملك كحظ سلفه لانه خلع بعد شهرين من توليته وبايعوا الامير قابت باي الملقب بالمحمودي وبالظاهري ولقبوه بالملك الاشرف

سلطنة الملك الاشرف قايت باي

من سنة ۸۷۲ ـــ ۹۰۱ هـ از من ۱٤٦٧ ـــ ۱٤٩٥ م

فتوالى على مصر في سنة ٨٧٧ هار بعة سلاطين . اما السلطان الاخير فك على سرير السلطنة مدة طويلة رغم ماكانت عليه البلاد من الاضطراب . وكان قابت باي مملوكا محرراً من مماليك جقمق وكان العلو همنه وحسن سياسته قابضاً على ازمة الاحزاب فكانت البلاد آمنة مطمئنة الاانها اضطربت بخبر انتصار محمد الناني العماني على اوزون حسن ملك الفرس وكان بين الفرس والمصريين تحانف فتنبأ قابت باي ان ذلك التحالف سيكون سبباً لعزم العمانيين على فتح سوريا . فارسل حامية كبيرة الى الحدود فاجل العمانيون عزمهم لاشتفالهم بحروبهم في اور با . اما قابت باي شخاف سوء العقبي ولم ير سبيلاً لرفع النبعة عنه الا بالتنازل عن الملك فادرك الامراء شدة احتياجهم اليه في مثل تلك الاحوال فاجبروه على قبول السلطنة . ولم يكديعلوها حتى حاءته الانباء بانتصار محمد الثاني على الافرنج وعزمه على فتح سوريا وذلك سنة ١٨٥ه لكنه لم يخرج من برالاناطول حتى داهمته المنية في مدينة طيقور جابر . وتخاصم ابناه ليازيد وجم (اوزيزم) على الملك فشغلا عن الفتح فاغتنم قابت باي تلك الفرصة والسحب بحيشه الى مصر

وما زال الخصام بتعاظم بين ابني محمد حتى كانت بينهما واقعة بكي شهر فانهزم جم حتى اتى مصر فالتجأ الى قابت باي فاكرم وفادته ثم علم ان ذلك الاكرام يهيج حاسة الانتقام في بيازيد . فقال في نفسه « اذا كان لا بد اننا من محاربة العثمانيين فلنكن مهاجمين اولى من ان نكون مدافعين » فجعل بناويء الاتراك وبقطع السبل على قوافلهم الناقلة الحجاج الى الحرمين حتى قبض على وفد هندي مرسل في مهمة سياسية الى

بيازيد واستولى على ادنة وترسوس وكانتا في حوزة العثمانيين . أما بيازيد فكان واقفاً بالمرصاد ينتحل حجة لمهاجمة المصريين فجاءت تلك الاجراءات طينة على عجينة الاائه رَاى ان يأتيهم من باب الحزم فانفذ اليهم رسلاً في طلب التعويض عما سببوه من الخسائر والاضرار. فارجع قايت باي الرسل و يعث يهاجم الجيوش العثمانية فقاومته اشد مقاومة وارجعت جيشه الى ، لاطية فانجدهم قايت باي بخمسة آلاف رجل فعادوا الى العثمانيين وهم في مضايق الجبال فهجموا عليهم بغتةً وذبحوا منهم عدداً كبيراً وفر الباقون وتحصنوا في ترسوس وادنة . فاتصل ذلك بقايت باي فارسل الامير الاز بكي في نجدة لاخراج العثمانيسين من تينك المدينتين فسار وحارب وفاز فشق ذلك على ايازيد وآلى على نفسه الا ان يسترجع ترسوس وادنة فانفذ جيشاً كبيراً تحت قيادة صهره احمد وهو ابن امير البوسنه ـ ولد في البانيا ثم اسلم واخذ يرتقي في اعمال الدولة حسب استحقاقه حتى تمكن مع صغر سنه وكونه غير .ولود في الاسلام من قيادة هذه الحملة لمحاربة الجيوش المصرية . فلما وصل الى معسكر الازبكي اقتثل الجيشان فهجم احمد هجمة قوية لكن رحاله لم يستطيعوا الثبات ففازت الجيوش المصرية واسر احمد بعد ان جاهدجهاداً حسناً فعاد الازبكي باسيره الى مصرظافراً فبنى جامعه المشهور المعروف بجامع الازبكية وكانت في ايامه بركة بتجمع اليها الماء في ايام الفيضان وستأتي كيفية تحويلها الى ما هي عليه الآن

فلما بلغ بيازيد ما كان من انكسار جيوشه استشاط غضباً وجند جنداً كبيراً جعله تحت قيادة على باشا لمحاربة المصربين فسارت تلك الحملة من الاستانة فعبرت البوسفور في ٣ ربيع آخر سنة ٨٩٣ ه ونزلت في قرمان . فاتصل خبرها بقايت باي فاوجس خيفة فعمد الى المصالحة فانفذ الى بيازيد صهره احمد واسطة لعقد شروط المصالحة . فرفض بيازيد ذلك رفضاً كلياً وسارحتى التق بالمصريين في ادنه وترسوس فاربهم وفاز عليهم واسترجع المدينتين الواحدة بعد الاخرى بعد ان اهرق دماء غزيرة . ثم سار الى ارمينيا واخضعها وحاصر عاصمها فافتتحها بعد ان دافعت دفاعاً قوياً واسرحاكمها وارسله بعد ذلك الى مصر بدلاً من الامير احمد . فبعث قايت باي الازبكي ثانية لدفع العمانيين فواقعهم في ترسوس فغلبوه اولاً ثم عاد اليهم وفاز بهم واعادهم القهقرى وعاد الى القاهرة ظافراً فخلع عليه قايت باي . ثم راى ان يغتم بهم واعادهم القهقرى وعاد الى القاهرة ظافراً فغلع عليه قايت باي . ثم راى ان يغتم بمنازل له عن ترسوس وادنه وانه اذا لم يفعل يدعو الناس الى الجهاد فيجتمع تحتلوائة بمنازل له عن ترسوس وادنه وانه اذا لم يفعل يدعو الناس الى الجهاد فيجتمع تحتلوائة

كل من يدعو لآل عثمان فيجيء مصر ويفتحها فتحاً مبيناً . فخاف قايت باي وشازل عن المدينتين أكتفاء باهون الشروين وكان ذلك سنة ٨٩٦ ه

وعاش قايت باي بعد مصالحة الدولة العثمانية خس سنوات وتوفي في ٢٧ ذي القعدة منة ٩٠١ ه بعد ان حكم ٢٩ سنة واربعة اشهر وعشرين يوما فبكاه الناس . ومن آثاره جامعه المعروف باسمه الى هذا العهد في القرافة خارج القاهرة . وفيه مقام قايت باي وهو مثال لما بتي من مدافن المماليك في تلك الجهة . وبنى قايت باي جا ما في جزيرة الروضة لا يزال يشاهد هناك الى هذا اليوم

سلطة محمد بن قايت باي ثم قنسو خمسمئة ثم قنسو ابي سعيد ثم قنسوجا نبلاط ثم الملك العادل طومان باي من سنة ٩٠١ ــ ٩٠١ ما و من ١٤٩٠ ــ ١٠٠١

وتولى بعد قايت باي ابنه ابو السعادة محد واقب بالملك الناصر ولم بجلس على سلطنة مصر وجل اقل لياقة لها منه فأنه كان احمق جبيصاً وحشياً لاديدن له الا الانعاس في الملذات الحيوانية ولو كلفه ذلك ارتكاب شر الآثم. وقد زادت قحته حتى سلخ جلد احد بماليك حياً فثارعليه المهاليك وخلعوه بعد ان حكم سنة اشهر . وبايعوا الامير قنسو الملقب بخمسمئة لانه ابتيع بالاصل بخمسمائة دينار ولقبوه بالملك الاشرف ، وبعد خمسة اشهر تنازل عن الملك عجزاً فاعادوا الملك الناصر محمد ثانية لكنه لم ببق الا مهراً ونصف فذبحه المهائيك في ١٦ ربيع اول سنة ٤٠٩ه وبايعوا عم تنسوواسمه قنسو الثاني الملقب بأبي سعيد ولقبوه بالملك الظاهر ولم يقبل هذا المنصب الخطر الا بالرغم عنه . و بعد عشرين شهراً وبضعة ايام عزلودوبا يعوا قنسوالناك جانبلاط ولقبوه بالملك الاشرف ولم يحكم الا سبعة اشهر ثم خلع في ١٨ جمادى الآخر سنة ٢٠٩ه فاقام امراء دمشق الامير سيف الدين طومان باي وكان من بماليك قايت باي ولقبوه بالملك العادل . فوافقهم امراء القاهرة على ذلك . و بعد ثلاثة اشهر اضر له المهاليك مكيدة العادل . فوافقهم امراء القاهرة على ذلك . و بعد ثلاثة اشهر اضر له المهاليك مكيدة يقتلونه بها فعلم هو بذلك ففر طلباً للنجاة فأوى الى مكان ظنه ملجأ حصيناً مكث فيه يعتبين يوماً ثم اكتشف عليه المهاليك وقتلوه في ذي القعدة سنة ٢٠٩ه هما جتمع المهاليك الربعين يوماً ثم اكتشف عليه المهاليك وقتلوه في ذي القعدة سنة ٢٠٩ه هما جتمع المهاليك

والاعيان وارباب الدولة وتداولوا فيمن يجب ان يختاروا ليحكم فيهم من اهل اللياقة فاقروا على الامير قنسو الرابع الملقب بالغوري وكان هو ايضاً من مهاليك قايت باي وكان رجلاً نقياً مخاصاً محترماً عفيفاً غير عالم بماكان بتخاصم عايم الامراء وماكانوا يدسونه من الدسائس . فلما بلغه امر مبايعته الذهل ورفض قائلاً للذين انتخبوه ولا المناف لم المرا انما ارائي غير لائق بهذا المنصب لاني لم اعتد معاناة الاحكام والامر والنهي به فاجابوه ان صدق نيته واخلاصه وثقة الناس فيه كافية لاستحقاقه هذا المنصب . فلم ير بدًا من القبول لكنه قال لهم « اكون في غاية السرور اذا جئتموني يوماً تنبئونني بالاقالة من هذا المنصب فارجع الى ما اعتدته من معيشة السكينة ، فولوه في غرة شوال من تلك السنة ولقبوه بالملك الاشرف ايضاً

سلطنة قنسو الغوري

می سنة ۹۰۲ ــــ ۹۲۲ هـ او من ۱۰۰۱ ــــ ۱۰۱۳ م

فاستلم الغوري مقاليد الاحكام واخاص في الحسم فاطها تن البلاد وسكن حالها فاخذ في اصلاح شأنها فابتني في القاهرة جامعاً ومدرسة ينسبان اليه وهما مدرسة الغورية وجامع الغورية في السكة الجديدة كل منها الى جانب من الطريق ، فالى الشرق البناية التي كانت فيها المدرسة وبايها الى الجنوب مدفن فيه مقام بعض اهه ، والى الغرب الجامع ويظهر الناظر عندما يشرف عليه انه هائل وهو مبني على مثال جامع قايت باي وعلى القبلة كتابة كوفية ، وقد رمم بمساعي جمية حفظ الاثار والى الشمال سبيل جيل . ثم كانت الحوادث السياسية فتوقف الغوري عن اتمام ما كان يقصده من البناء والتحسين فان البرتغاليين الم استولوا على بعض بلاد الهند اثقلوا على العلاقات التجارية بينها وبين مصر فجهز قنسو الغوري الى محاربهم حملة عظيمة ذهبت غنيمة باردة لجيوش الافرنج في البحر الاحر

وفي سنة ٩١٨ هـ جاء كركود اخو السلطان سليم بن بيازيد « سليم الاول » الى مصر ملتجثاً اليها بعد ان تخاصم مع اخيه على الملك كما حصل بجم وبيازيد المتقدم ذكر هما فرحب به قنسو الغوري "رحاباً عظيا وجهزه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح

القسطنطينية فذهبت هذه العارة غنيمة اراكب اورشليم في البحر المتوسط ولم تكن النتيجة الااثارة غضب السلطان سلم على مصرفه زاليها وابتدأ بافتناح الحدود السورية واسل الى مصر وسائل التهديد . فاتحد الغوري مع ماك الفرس اسماعيل شاه على قهر المثانيين وكان الفرس في حرب معهم الا أن الجيوش العثمانية لم تبال بكثرة العدد فشتنت الجيشين واي تشتيت . فعمد قنسو الغوري الى مخابرة العثمانيين بامر الصاح على اي وجه كان وبعث الى السلطان سايم بذلك فسارت الرسل حتى أتوا السلطان سليم فخروا ساجدين وخاطبوه بامر الصلح فقال لهم وقد استشاط غيظاً ﴿ لقد فات الاوانْ انهضوا وارجعوا الى سلطانكم وقولوا له ان الرجل لا تعثر بحبجر واحد مرتين. وها انا ذاهب الى القاهرة فليستعد للدفاع انكان له اهلا > فعادوا واخبروا بما كان فجمع اليه رجاله وسار لملاقاة الجيوس العثمانية فالنقى بها في مرج دا بق قرب حلب فانتشبت الحرب هناك واظهر الغوري بسالة واقداماً عظيمين حتى أوشكت رجاله أن تستظهر فمنعتها مدافع العثمانيين من ذلك ولم يكن سلاح المصريين الا الرماح والحراب والسيوف فتشوش نظامهم ووقع الرعب في قلوبهم وأنحاز قائد جناحيهم الى العثمانيين وكان الغوري قائداً لقلب الجيش فاضطر الى الفرار فحول شكيمة جواده فسقط عنه لشدة الازدحام وذهب قتيلاً تحت ارجل الخيل في٢٥ رجب سنة ٩٢٢ ه بعد ان حكم ١٥ سنة وتسعة اشهر و ٢٥ يوماً

سلطنة الملك الاشرف طومان باي

من سنة ٩٢٣__٩٢٢ هـ أو من ١٥١٦__١٥١٦ م

وكان السلطان قنسو الغوري قبل خروجه من القاهرة هذه الرة قد استخاف عليها ابن اخيه طومان باي (الثاني) فلما اتصل خبرتلك الموقعة بالامراء بايعوا طومان باي ولقبوه ايضاً بالملك الاشرف وكان حازماً باسلاً. فلما وصلت بقية الجيوش المهزمة الى القاهرة امن باعداد حملة اخرى لمحاربة العثمانيين وكان العثمانيون في سوريا قد توقفوا للاستراحة فظن طومان باي ان الرمال المتراكمة بين سوريا ومصر تحول بين العثمانيين وما يريدون ، الا ان الامن لم يكن كما ظن لائه لم يكمد يتم اعداداته حتى اتاه كتاب السلطان سليم الى القاهرة ولصه:

« من السلطان سليم خان بن السلطان بيازيد خان سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان الخ . الى طومان باي الشركسي

« الحد لله . اما بعد فقد تمت ارادتنا الشاهائية وباد اسماعيل شاه الهرطوقي . اما قنسو الكافر الذي حملته القحة على مناواة الحجاج فقد نال جزاءه منا ولم يبق لدينا الا ان نتخلص منك فانك جار معاد والله سبحانه وتعالى يساعدنا على معاقبتك فاذا اردت اكتساب رحمتنا الملوكائية اخطب لنا واضرب النقود باسمنا وتعال الى اعتابنا واقسم على طاعتنا والاخلاص لنا والا ٠٠٠٠٠>

فلما قراطومان باي الكتاب وما في ذيله من التهديد المستنز استشاط غيظاً واصر على المقاتلة وكان عالماً بعجزه لكنه فضل الموت في ساحة الحرب على التسليم ، فزاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود السورية وجمع كل ما امكنه جمعه من الرجال وسار لملاقاة العثمانيين حتى اتى الصالحية فعسكر هناك . اما السلطان سليم فسار من مرج دابق وافتتح غزة والعريش والقطيعة ، ثم علم يمقر الجيوش المصرية في الصالحية وما هم فيه من العزم على المدافعة لشدة اليأس فعرج بجيشه تاركا الصالحية عن يمينه وسار حتى اتى الخانكاء على بضع ساعات من القاهرة

فلما بلغ طومان باي تقدم العثانيين الى هذا القدر عاد بجيشه لمهاجتهم من الوراء فالتقى الجيشان في سهل قرب بركة العجج يوم الجمعة في ٢٥ ذي الحجة سنة ٩٢٢ ه واقتلا طويلاً والمصريون يحاربون بيسالة شديدة لكنهم لم يكونوا يعرفون البارود ولا المدافع كما قدمنا فكانت الغلبة للعثمانيين ففر المصريون الى القاهرة وعسكرالعثمانيون في الروضة . فجمع اليه طومان باي عدداً كبيراً من العربان بعد ان ارضاهم بالمال وهجم على معسكر السلطان سليم هجمة اليأس قلم ينل هذه المرة غسير ما نال في الرات المنضية فعاد الى القاهرة على نية الحصار فزاد في حصونها واستحكاماتها وحصن القلعة تحصيناً عظياً واقام في كل شارع وفي كل بيت طابية للدفاع وحمل السلاح كل من يستطيع حمله للمدافعة عن الوطن . ولكن رغم كل هذه الاعدادات وماعما اظهره طومان باي من البسالة والاقدام وما سعى اليه امراؤه لم تنج القاهرة من يد العثمانيين فانهم دخلوها عنوة وامعنوا فيها قتلاً ونهباً وحرقاً واستاموا القلعة

أما طومان باي فتمكن من الفرار على معدية قطع بها الى الجيزة ثم سار منها قاصداً الاسكندرية فقبض عليه بعض العربان الرحل وباعوه للعثمانيين . فاستحضره السلطان سليم مغلولاً ونظر اليه فاذا هو في حالة الكدر وقد علا وجهه القنوط لما حل ببلاده من الذل والدمار فتحركت عواطف السلطان سليم فام، بان تحل قيوده وان بؤذن له بالحضور في مؤتمرات كان يعقدها السلطان سليم لاجل المداولة في امر البلاد فكان يسأله مسائل كثيرة تتعلق بمحصولات البلاد وخراجها وادارتها وبقي الحال كذلك نحو عشرة ايام وفي اليوم العاشر راى السلطان سليم انه لم يعد في احتياج الى مشورة طومان باي فامر بشئقه في ١٩ ربيع اول سنة ٩٢٣ ه فعلقوه شحت رواق باب زويله بكلاب من حديد كان باقياً هناك الى عهد قريب

وبقثل طومان باي انتهت دولة المهاليك الشراكسة او البرجية بعد ان تسلطوا نحو ١٣٩ سنة واصبحت مصر احدى الايالات العثمانية الكبيرة. وبقيت جثة طومان باي ثمانية ايام معلقة ليراها الناس

> تهم الجزء الاول من تاريخ مصر الحديث



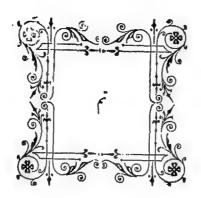
فهرس الجزء الاول فهرس الجزء الاول

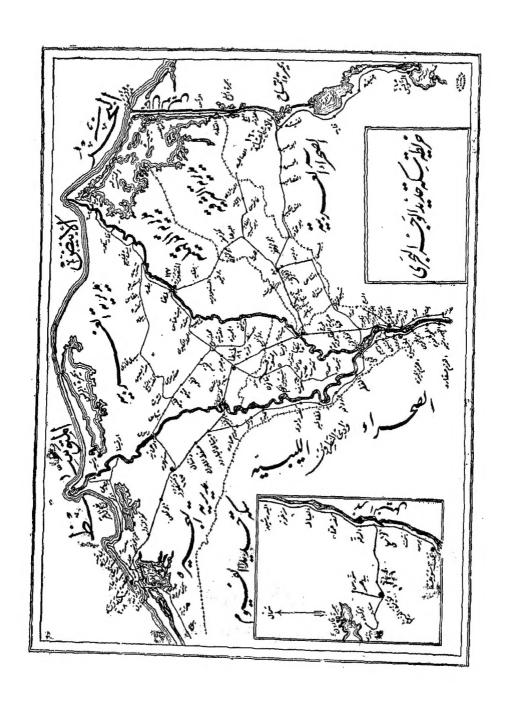
الحديث	مصر	تاريخ	من
--------	-----	-------	----

صفحة		غح	صة
112	خلافة يزيد بن معاوية	۳	المقدمة
110	 مروان بن الحميم 	٩	اقسام تاريخ مصر العام
14.	» عبد الملك بن مروان	11	مصادر تاريخ مصر القديم
119	» الوليد بن عبد الملك	10	جغرافية مصر القديمة
14.	 سلمان بن عبد الملك 	14	ديانة المصريين القدماء
171	» عمر بن عبه العزيز		فدلكة تاريخ مصرالقديم
144	 پزید بن عبد الملك 	74	الدولة الملكية الاولى
144	« هشام بن عبد اللك	4.4	» » الوسطى
175	» الوليد بن يزيد	40	» » الاخيرة
140	» مروان بن محمه	٥٣	 » > الفارسية الأولى
لاولى	الدولة العباسية للمرة اد	٥٧	 اليونانية — والبطالسة
		70	 الرومانية
144	خلافة ابي العباس السفاح	٦٧	الدور المسيحي
144	» المنصور بن محمد		تأريخ مصر الحديث
14.	» حدالهدي	٦٩	مصادر تاریخ مصر الحدیث
144	 هارون الرشيه 	٧١	جغرافية مصر الحديثة
140	* محمد الأمين		
144	» عبد الله المأمون		دولة الخلفاء الراشديه
121	* عمد المعتصم	Yo	خلافة عمر بن الخطاب
127	مبدأ الدولة الطولونية	١٠٠	» عثمان بن عفان
122	خلافة الواثق	1+0	» علي بن ابي طالب
127	» المنتصر بن المتوكل		الدولة الاموية
124	 المستعين بن محمه 		_
141	» المعتز بن المتوكل	114	خلافة معاوية بن ابي سفيان

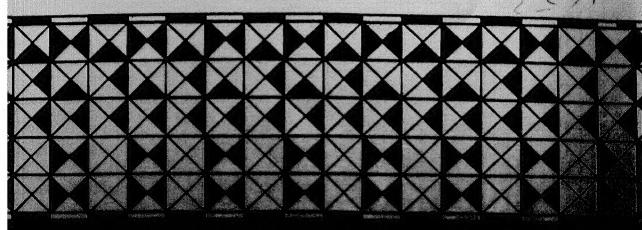
	•		
صفحة		تفحق	•
740	خلافة الآمر بن المستعلي	101	خلافة المهتدي والمعتمد
747	« الحافظ بن محمد		
44.	< الظافر بن الحافظ »		الدولة الطولونية
137	< الفائز بن الظافر »	102	احمد بن طون
727	 العاضد بن يوسف 	144	خارویه بن احمد
	دواة الايوبير	140	جيش بن خمارويه
717		144	هارون » ».
	سلطنة صلاح الدبن الابوبي	144	شيبان بن احمد
444	 العزيز بن يوسف 	;	الدولة العباخية للمرة الثان
4.1	 المنصور بن الغزيز 		
414	 العادل بن ايوب 	171	خلافة المكتفي والمقتدر
Y11	 الكامل بن العادل 	174	< القاهر *
4.4	 العادل بن الكامل 	174	مبدأ الدولة الاخشيدية
4.5	» الصالح بن الكامل	114	خلافة الراضي
4.4	» المعظم بن الصالح		الدولة الاخشيرية
	دولة المماليك الاولى		•
۲۰ ۸	منشأ المهاليك	140	محمد الأخشيد
4.9	السلطنة شجرة الدر	124	انوجور بن الاخشيد
411	» ايبك والاشرف	14+	ابو الحسن بن الاخشيد
410	» نور الدين بن ايبك	191	كافور الاخشيدي وابو الفوارس
417	» المظفر أسيف الدين		الرولة الفاطمية
٨١٨	الظاهر بيبرس	194	خلافة المعز لدين الله
441	» بركة خان بن بيبرس	4+4	« المزيز بالله
444	» سلامش بن بيبرس	Y+Y	« الحاكم بامر الله
444	» المنصور قلاون	711	« الظاهر بن الحاكم
mm.	» خليل بن قلاون والقاهر	717	« المستنصر بن الظاهر
بلا المه	» الملك الناصر بن قلاون او	741	« المستعلى بن المستنصر
	¥ 4		ر السمين ال

صفحة			صفحة		
40+	لة فرج بن برقوق ثانية	سلطن	1 44.1	الملك العادل كتبغا	سلطنة
40.	الامام المستعين بالله	«	hhh	المنصور لاجين	
401	الشيخ المحمودي	«	445	الناصر بن قلاون ثانية	«
404	احمد بنالمحمودي وغيره	«	440	بيبرس الجاشنكير	«
404	الملك الاشرف برسباي	«	444	الملك الناصر ثالثة	«
405	يوسف بن برسباي	«	45+	اولاد الناصر	«
402	الظاهر جقمق وأبنه عثمان	<	454	محمد بن حاجي وشعبان	«
420	الاشرف اينال وأبنه احمد	<	454 4	علي بن شعبانٌ وحاجي اخيـ	«
401	الظاهر خوش قدم	∢			
421	بلبا <i>ي و</i> تمر بغ ا	•		دواة المماليك الثانية	
4-4	الاشرف قايت باي	<	42\$	la	منشأ
409	محمد بن قايت باي وغيره	«	450	لنةالملك الظاهر رقوق	سلط
44.	قنسو الغوري	*	٣٤ ٨	فرج بن برقوق اولاً	«
411	الاشرف طومان	«	454	عبد العزيز بن برقوق	





تسم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني والأخير



١٠. فتعج مصر واثخبارها

۱۱ . تاریخ مصرالحدیث مع فذلکته فی تاریخ مصرالقدیم (جع ۱) (جع ۲)

١٢ قوانين الدواوين

١٣۔ تا يخ مصرمن محميعلی إلى العصرالحدیث

١٤۔ ا کمکم المصری فی الشام

۱۵- تا پیخاگذمیری محر ۱۲- آنارالزعیمسعد

هـ نه السلسلة تضم:

- ۱_ فتحالعرب لمصر
- ۲ . تاریخ مصرابی الفتح لعنمانی
- ٣ . الجيش المصرى البرى والبحرى في عهمممعلى
- ٤ . تا يخ مصرمن أقدم العصورا لي الفتح الفارسى
- ٥ ـ مَا يَخِ مصرمن عهد للما ليك إلى نهاية حكم اسماعيل
- 7 ۔ تاریخ مصرمن الفتح العنما بی الی قبیل الوقت الحاضر
 - · د کری البطل لفانح ابرا هیم باشا
 - ٨ تايخ مصرفى عهدالخديراسما عيل باشا (مملان)

MADBOULI BOOKSHOP

مكنبه مدبولي

7 ميدان طلعت حرب – القاهرة – ت : ٢١١ ٥٧٥٦٤٢١ ميدان طلعت حرب – القاهرة – ت : ٢١١ ٥٧٥٦٤٢١